



اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لقاءً مع فضيلة الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان

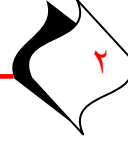
عدد الدروس (١٩٦) درسا

عدد الفوائد المستخرجة (٢١٩٤) فائدة

الجزء الأول

من الدرس (١) إلى الدرس (٤٩)

عدد فوائده (٤٠٥) فائدة



الدرس الأول

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين.

أيها المستمعون الكرام. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم إلى هذا البرنامج مع فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان (عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء).

في برنامج شرح كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم لشيخ الاسلام/ أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية - رحمه الله رحمة واسعة -.

سيكون ضيف هذا اللقاء شيخنا الدكتور صالح عبر هذه الحلقات.

في مستهل هذا البرنامج نرحب بفضيلته أجمل ترحيب؛ فحياكم الله شيخ صالح وبيّاكم.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

١) فضل الله العظيم بتسخير أئمة مجدين لهذه الأمة على رأس كل

مائة سنة

المذيع: بودنا قبل ان نبدأ في البرنامج فضيلة الشيخ، أن يكون لكم مقدمة بين يديه وتعريف المستمعين

بعنوان الكتاب ومحتواه وأهميته، وما ترون في ذلك جزاكم الله خيراً؟

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فمن رحمة الله -عز وجل- أنه يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دينها؛ كما جاء ذلك في الحديث الصحيح عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، وقد وقع مصداق ما أخبر به -صلى الله عليه وسلم-؛ فمن الله على هذه الأمة بعددٍ من الأئمة المُجددين على تعاقب الأزمان.

٢) علماء الإسلام يقومون مقام الأنبياء في بني إسرائيل ونبينا صلى

الله عليه وسلم لا نبي بعده

كان الأمر في بني إسرائيل -كما جاء في الحديث-: أنهم تَسَوَّسَهُم الأنبياء؛ كلما مات نبيٌّ خلفه نبيٌّ آخراً، أما الأمة المحمدية، لما كان محمدٌ -صلى الله عليه وسلم- خاتم النبيين، لا نبي بعده؛ فإن الله -سبحانه وتعالى- جعل العلماء يقومون الأنبياء في بني إسرائيل من الدعوة إلى الله، وتبليغ هذا الدين للبشرية، وتجديد هذا الدين مما يعلق به من البدع والخرافات والمحدثات.

٣) من أبرز مجددي الدين في التاريخ الإسلامي: (الإمام/ أحمد بن

تيمية)

ومن هؤلاء المجددين الإمام/ ابن تيمية، شيخ الإسلام، أحمد بن تيمية: أحمد بن عبد السلام بن تيمية؛ جده أبو البركات عبد السلام بن تيمية، هو أحمد بن عبد الحلیم، أبوه عبد الحلیم وجده أبو البركات عبد السلام بن تيمية، وجده إمام المذهب -في وقته-. وأيضاً هو من كبار المُحدثين. وله كتاب [المتقى] متقى من أحاديث الاحكام، وله كتاب التحرير في المذهب. وهو من كبار أئمة مذهب الحنابلة؛ ويرجع إليه في معرفة المذهب؛ تَبَحَّرَهُ في ذلك.



حتى قيل فيه: إن الله ألان له الفقه كما ألان الحديد لداوود. وأبوه (عبد الحلیم) من العلماء. وأما هو فهو الإمام الجليل، البحر الخضم، البدر الساطع، الذي لا يُشَقُّ له عُبار في العلوم والدعوة إلى الله والجهاد في سبيل الله؛ فقد قيَّضه الله في وقتٍ كان العالم الإسلامي يَغطُّ في سُبَاتٍ عميق من الغفلة، والتقليد، وانتشار البدع والمُحدثات التي تراكمت في عهده.

٤) انتشار المذاهب المخالفة لمنهج السلف في عصر ابن تيمية وانتشار

الأدلة العقلية

صحيحٌ أن هناك من الفقهاء -كمٌ كبيرٌ من الفقهاء- الذين يعتنون بالفقه فقط، ولا يعتنون بأمور العقيدة، ولا يهتمون بذلك؛ وإنما يسرون على ما سار عليه من قبلهم من أهل الأهواء -إلا من رحم الله سبحانه وتعالى-: ففي وقته، طغى على المسلمين الكلام في صفات الله -عز وجل-؛ بسبب انتشار علم الكلام، وعلم المنطق الذي اعتمده كثيرٌ ممن يبنون عقائدهم على براهينه، وعلى مقدماته ونتائجه؛ ويسمونها الأدلة العقلية، ولا يهتمون بأدلة القرآن والسنة في باب الأسماء والصفات؛ يقولون: لأنها لا تفيد اليقين، وإنما تُفيد الظن؛ وأما الأدلة اليقينية فهي علم الكلام وبراهين المنطق بزعمهم؛ فحصل ضلالٌ كبير، وانتشر مذهب الجهمية، ومشتقاته، فحصل في هذا الباب خلطٌ عظيم: في باب الأسماء والصفات، وانتشر مذهب الجهمية والمعتزلة، والأشاعرة، وكثيرٌ من الفرق المخالفة لمنهج السلف؛ وصار هذا هو المنهج السائد في ذلك الوقت.



٥) تفصيل لبعض المذاهب الضالّة في عصر ابن تيمية

كما انتشرت **القدرية**: الذين ينكرون القدر، أو يغفلون في إثباته - وهم (الجبرية).

وانتشر في توحيد الإلهية؛ انتشرت **القُبورية** و**الصوفية** والبناء على القبور والمشاهد؛ فصارت القبور أوثاناً، تُعبد من دون الله: يُطاف بها ويُتبرك بها، ويُطلب من الموتى؛ الإغاثة وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات، بإملاء من أعداء الإسلام، وترويج من أعداء الإسلام.

٦) انتشار (التقليد الأعمى) في الفقه في عصر ابن تيمية - رحمه الله-

وانتشر التقليد في الفقه؛ التقليد الذي يُؤخذ فيه القول بدون معرفة دليله؛ بل إن كثيراً من المتفهمة يتعصب لإمامه، ولو كان قوله يُخالف الدليل؛ لأن العلماء ليسوا معصومين: يحصل منهم أخطاء في اجتهاداتهم، فالمهم أننا نأخذ ما يقوم عليه الدليل - دون نظرٍ إلى فلان أو علان -؛ لكن الأمر كان بخلاف ذلك: فكان المتفهمة، كل يتبع ما قاله إمامه بدون تمحيص؛ وهذا ما يُسمى بالتقليد الأعمى والجمود، الذي ران وكثر في ذلك الوقت.

٧) ابن تيمية بين ذكائه الخارق وجو الفتن

فشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ظهر في هذا الجو الذي تلاطمت فيه الفتن؛ فنشأ رحمه الله نشأ في طلب العلم. وأعطاه الله ذكاءً خارقاً، فنشأ في طلب العلم في بلاد الشام، ومنشأه في حرّان. ولكن لما جاء التتار، وغزوا المسلمين وفتكوا بالمسلمين؛ انتقل أهله من حرّان إلى دمشق؛ ولذلك يسمى بالحرّاني - نسبة إلى حرّان -؛ فوجد العلماء في الشام: تتلمذ عليهم، وأخذ من علومهم.

ثم أن الله أعطاه الاستيقاظ؛ وأنه لا يأخذ الأقوال مجرد نقل؛ وإنما يعرضها على كتاب الله، وسنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ محتدياً بذلك حذو الأئمة الأربعة - رحمهم الله -؛ الإمام أبو حنيفة، والإمام مالك، والإمام

الشافعي، والإمام أحمد؛ فهو ينحى منحاهم فيه اتباع الدليل، ولا ينحى منحى المقلدين المتأخرين؛ فلا يأخذ القول إلا وقد تبين له دليله من (الكتاب والسنة).

٨) جهاد ابن تيمية لجميع الطوائف المخالفة بالحجة والبيان

فقام -رحمه الله- بعد ما من الله عليه بغزارة العلم في سن مبكرة؛ لأنه جلس للتدريس في سن مبكرة، لما أعطاه الله من غزارة العلم، وقوة الحجّة، وحضور الذاكرة؛ مما بهر من يستمع إليه أو يحظر دروسه؛ كما ذكر ذلك من ترجوا له

فواجه -رحمه الله- هذه الفئات: واجه فئة الجهمية، والمعتزلة، ومن نحا نحوهم في الأسماء والصفات؛ فانبرى لهم وبين الحق الذي عليه السلف الصالح في أسماء الله وصفاته، وألف في ذلك، ودرّس وناظر.

حتى إنهم تكالبوا عليه وتألّبوا عليه، ووشّوا به إلى ولاية الأمو؛ فسجن عدة مرّات.

ثم إنهم ناظروه فانتصر عليهم، ودحض ما معهم من الشبه؛ فلم يجدوا ملجأ إلا اللجوء إلى السلطة، فسجنوه.

وكان يشتغل -سواء في سجنه أو خارج السجن-؛ ولهذا يقول: ما يفعل بي أعدائي؛ طردهم لي سياحة، وسجنهم خلوة برّبي. ويقول أيضاً: ما يفعل بي أعدائي، أنا جتتي في صدري.

وكان -رحمه الله- يشتغل وهو في السجن: يكتب ويؤلف، ويفتي، وهو في السجن. إلى حد أنهم لما رأوا أنه لا

يكف عن نشر العلم، وهو في سجن؛ أخرجوا ما عنده من القراطيس والأقلام؛ فصار يكتب بالفحم على

الجدران، يكتب بالفحم على الجدران؛ لولعه وشغفه بنشر العلم.

ثم أيضاً تعرّض للصوفية والخرافيين؛ رد عليهم، وبين شطحاتهم، وبين أغلاطهم، ووضح لهم الطريق

الصحيح.

ثم أيضًا تعرّض لعلماء الكلام، وعلماء المنطق؛ فردّ عليهم، وبين خطأ منهجهم في الاستدلال، وألّف في ذلك كتبًا ضخمة، مثل: درء تعارض العقل والنقل، ومثل بيان تلبيس الجهمية - في ردّه على الرازي -، وهذه كتبٌ ضخمة ومطبوعة.

ردّ على النصارى الذين يُشبهون على المسلمين، فألّف [كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح]؛ ردّ عليهم وأفحمهم.

وردّ على الشيعة والمعتزلة. في كتابه المشهور [منهاج السنة النبوية في نقد كلام والقدرية] أو بأسماء أخرى؛ وهو كتابٌ عظيمٌ ومطبوعٌ ومُتداولٌ.

٩) جمع فتاوى ابن تيمية واتباعه للدليل فيها

ثم أيضًا من الناحية الفقهية: جدّد في الفقه - كما ذكرنا - جدد في الفقه؛ فكان يُفتي بموجب الدليل وما عليه أصول الأئمة وأصول السلف، ويحرر المسائل؛ فصارت فتاواه بالمتواتر بل بالألوف.

وكان هو - رحمه الله - لا يجمع الفتاوى؛ وإنما يرسل الرسائل والفتاوى إلى السائلين. لكن كانوا يحتفظون بها، كان الذين يسألونه يحتفظون بهذه الأجوبة؛ لأنها عندهم من أعظم التحف فيحتفظون بها؛ فجمعت، وفي عصرنا هذا، هذه الفتاوى جمعت، وكونت خمسة وثلاثين مجلداً؛ مجموع الفتاوى الكبرى المعروف: خمسة وثلاثين مجلداً ومجلدان فهرس؛ صارت سبعة وثلاثين بفهارسها، ولا يزال له فتاوى تظهر بين الحين والآخر، ولا يزال يظهر له كتب كانت منسية أو كانت خفية فتظهر بين الحين والآخر؛ ويبادر المسلمون في طبعها ونشرها.

فتعرض - رحمه الله - لكل هذه الفرق ونازلها، وانتصر عليها، وبقيت كتبه منارةً يهتدى به بين المسلمين، ويسارع طلبة العلم والعلماء إلى طبعها واقتنائها وتوزيعها. والذين عارضوه أطفأ الله ذكرهم ولم يبق لهم ذكر؛ وأما هو - رحمه الله - فكان يتجدّد؛ كلما تأخر الزمان يتجدد علمه ويتجدد عطاؤه؛ كأنه حاضر.



(١٠) تصنيف ابن تيمية بحسب حاجة الناس

وألف في فنونٍ مختلفة - ليس غرضه من ذلك التأليف فقط -؛ وإنما غرضه حاجة الناس، فهو لا يكتب إلا حسب حاجة الناس؛ ولذلك لما سُئِلَ عن: لماذا لا يكتب تفسيراً في القرآن - لأنه كان متبحراً في التفسير - لماذا لا يكتب تفسيراً بالقرآن؟ قال: التفاسير كثيرة وموجودة؛ لكن نكتب بحسب الحاجة، حسب ما يحتاجه الناس. وتدعو إليه الحاجة. فليس - كتاباته ومؤلفاته -، من باب الشغف بالتأليف فقط؛ وإنما هو من باب دفع حاجة المسلمين، فيما يحتاجون إليه.

(١١) جهاد ابن تيمية بالسيف واللسان

كذلك هذا الإمام حضر الجهاد في سبيل الله مع التتار الذين غزوا بلاد المسلمين: فكان يقود الجيوش بنفسه، ويحمل السيف ويقاتل، ويشجع الناس ويشجع ولاة الأمور؛ فيحصل النصر بإذن الله؛ بتشجيعه وتثيته لأفئدة الجند، وتبشيرهم بالنصر. فكان له جهودٌ عظيمة في القتال في سبيل، فهو جاهد بلسانه وجاهد بقلمه، وجاهد بسيفه - رحمه الله -؛ فحصل من ثمرات جهاده وجهوده ثروة علمية عظيمة بين أيدينا الآن.

(١٢) تلاميذ ابن تيمية وإكمالهم لمسيرته في نشر العلم

وتخرج على يده تلاميذ قاموا بالمهمة من بعده، مثل: الإمام ابن القيم، مثل الإمام ابن كثير، ومثل الإمام الذهبي، والإمام المزي، وغيرهم ممن تتلمذوا عليه.

فقاموا من بعده بنشر الدعوة إلى الله ونشر علمه، ثم في القرن الثاني عشر، في بلاد نجد.

(١٣) تأثر الإمام محمد بن عبد الوهاب بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية

وصلت كتبه إلى بلاد نجد؛ فأولع بها الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-. وكان هو الآخر يعيش في جو علمي؛ لكن في الفروع -في فروع الفقه-؛ وأما العقيدة فهم على عقيدة الأشاعرة -مثل غيرهم-؛ لأنهم كانوا يذهبون إلى الشام ويتلقون العلم من أهل الشام من فلسطين، وكانت الأشعرية منتشرة؛ فكانوا يعودون بعقيدة الأشعرية، مع ما يحصلون عليه من الفقه.

وكانت القُبورِيَّة والبدع والخرافات في البادية والحاضرة في بلاد نجد؛ شيء كثير، شيء يربو على الحساب؛ فقام هذا الإمام فاهتم بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وكتب تلميذه ابن القيم: يقرأها، ويلخص منها، ويؤلف على ضوئها، ويدعو إلى الله -عز وجل-؛ حتى قامت الدعوة في بلاد نجد على غرار دعوة الإمام، شيخ الإسلام ابن تيمية؛ تخرج على كتبه، وعلى منهجه في الدعوة إلى الله.

وابن تيمية على منهج السلف، امتداد لمنهج السلف، فهو امتداد لمنهج السلف؛ فنفخ الله بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وما جاورها؛ وهذا من حسنات شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

وكما ذكرنا أنه لم تشغله المضايقات والمحاسبات التي اعترضت طريقه؛ بل كان يتلقاها بالصبر واليقين وعدم اليأس.

وكان يكتب لتلاميذه، وهو في السجن؛ يثبتهم ويوطنهم على الصبر وعلى الاحتساب وعلى مواصلة الجهاد، ورسائله موجودة في هذا في هذا الغرض.

١٤) تواضع الشيخ الفوزان

ومن بين مؤلفاته: هذا المؤلف الذي بين أيدينا الآن، والذي سنقرأه -إن شاء الله- ونعلق ما تيسر من التعليق عليه؛ إذا يسر الله -سبحانه وتعالى-؛ لا من أجل أننا نفهم كل ما فيه، ولكن ما يظهر لنا من عباراته ومن أسلوبه، فنحن إنما نعلق ما نستطيع؛ وإلا فالكتاب بحر غزير، وبحر خضم.



المذيع: عفواً يا شيخ، يسمح لي المستمعون أقول: هذا من تواضعك. يمكن لبعض الإخوان يقرأ الكتاب لأول مرة؛ ويخرج على الناس بمقطعات من كلام ابن تيمية - كما يفعل كثير من أهل الأهواء -؛ كل منهم يقول: قال (ابن تيمية).

والمستمعون ربما لا يعرفون أن الشيخ صالح الفوزان؛ أول قراءته لهذا الكتاب عام ستة وسبعين هجرية - من خمسين سنة -، وهو المشرف على إخراج الكتاب رسالة بقلم الدكتور/ ناصر العقل الشيخ. كان الشيخ صالح الفوزان المشرف على الرسالة ورئيس لجنة المناقشة. ولعل - إن شاء الله - ونحن نحتاج في عرض هذا الكتاب، ومخالفة أصحاب الجحيم إلى مثل شيخنا - الشيخ صالح -؛ أن يعلم الناس بعض العبارات والإشارات في هذا الكتاب. تفضل.

١٥) شهرة كتاب (اقتضاء الصراط المستقيم) ومناسبته لكل زمان،

وتفسير عنوان الكتاب

الشيخ صالح: نعم، هذا الكتاب مشهور بين المسلمين، ويقرأونه - خصوصاً

العلماء في هذه البلاد -، فكانوا ينقلون من هذا الكتاب، ويقرأونه دائماً؛ لأنه في الحقيقة كتاب يناسب كل وقت، فكأنه كُتِبَ في وقتنا هذا، إذا قرأته كأنه كُتِبَ في وقتنا هذا؛ فهو يناسب كل وقت.

وعنوانه: [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم].

أي أن الصراط المستقيم الذي قال الله - جل وعلا - فيه: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصِيكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام ١٥٣]

والذي قال الله -جل وعلا- فيه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧]، هذا هو الصراط صراط الله -جل وعلا-؛ كما قال تعالى: ﴿... وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

فهذا الصراط يقتضي مخالفة هذه الفرق الضالة. الذي يسير على هذا الصراط لا بد أن يخالف هذه الفرق الضالة، كما قال -صلى الله عليه وسلم- كما في الآية ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

فالمغضوب عليهم: هم الذين عندهم علم ولكن لا يعملون بعلمهم؛ كاليهود، فإنهم يعلمون؛ كما ذكر الله وسأهم أهل الكتاب وأهل العلم؛ لكنهم لم يعملوا بعلمهم -والعياذ بالله-؛ فغضب الله عليهم.

ولا الضالين: وهم النصارى، الذين يعبدون الله على جهل وضلال، من غير دليل. ويشبه هذا الصوفية، الذين يجتهدون في العبادات والسلوك وغير ذلك؛ لكن ما عندهم أدلة على ما يفعلون إلا استحساناتهم، واذواقهم، ومواجيدهم؛ ليس عندهم علم، وإنما يعتمدون على ما عندهم من الأذواق والمواجيد وشطحات الصوفية؛ فهؤلاء ضالون، الأصل في هؤلاء النصارى، لكن يكون مثلهم كل من سلك سبيلهم من هذه الأمة.

كما قال بعض السلف: من ضل من علمائنا ففيه شبه يهود، ومن ضل من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

فهذا الصراط يقتضي الذي يسير عليه أنه يخالف ما خالف هذا الصراط؛ كما وضع النبي -صلى الله عليه وسلم-: فانه خط خطأ مستقيماً على الأرض، ثم خط على جنبته خطأ؛ فقال للخط المستقيم: هذا صراط الله، وقال للخطوط التي عن جنبته: وهذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليه.

هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ

هذا يوافق هذا العنوان تماماً: (اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم).

فالذي يسلك هذا الصراط يجب عليه ألا يلتفت إلى هذه الطرق وهذه السبل الكثيرة.

ثم انظر أيها المستمع الكريم، كيف أن الله وحَّد الصراط، (الصراط المستقيم). وحد الصراط: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا﴾، وعدَّد السبل الأخرى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾؛ لأن السبل هذه كثيرة - لا حصر لها-: كل واحد يخط له خطة، كل واحد يزين له منهج، كل واحد يجمع له جماعة معه.

﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]

فالسبل لا نهاية لها. ولا تنتهي؛ أما هذا الصراط فهو واحد لا يتعدَّد ابداً - لا في أول الخليقة ولا في آخرها - هو صراط الله، ومنهج الأنبياء؛ ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]

الشيخ صالح: نسأل الله - عز وجل - أن يجعلنا ممن يسرون على هذا الصراط المستقيم، والمنهج القويم.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأهلاً وسهلاً بكم في حلقة جديدة من

برنامج / شرح كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

مع فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء

في شرح كتاب شيخ الإسلام/ ابن تيمية - المذكور - رحمه الله.

في مستهل هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحيّاكم الله شيخ / صالح

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

المذيع: في الحلقة الماضية تحدّث فضيلتكم عن شيخ الإسلام - رحمه الله - المؤلّف وأثره فيمن جاء بعده،

واغتراف شيخ الإسلام المجدد / محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ممّا خلف من الميراث العلمي، ووعدتم أن

يكون حديثنا في هذه الحلقة قبل الدخول في الكتاب عن مضامين الكتاب ونهج المؤلّف فيه.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله

وأصحابه أجمعين. وبعد.

(١٦) مناسبة الكتاب لكل زمان ومكان لأن مصدره هو الكتاب

والسنة.

من جملة مؤلفات شيخ الإسلام / ابن تيمية المفيدة التي تلامس حاجات الناس في كل زمان ومكان لأنه - رحمه

الله - يغترف من الكتاب والسنة ومن هدي السلف الصالح ولا شك أن هذه المصادر صالحة لكل زمان ومكان،

ومن جملة مؤلفاته المهمة هذا الكتاب الذي بين أيدينا والذي هو لا يزال تحت عناية العلماء يهتمون به ويستفيدون منه ويقرأونه ويدرسونه في المساجد.

١٧) عنوان الكتاب إشارة لتمييز الأمة في دينها وأخلاقها

وهو كتاب اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم وذلك لأن الله سبحانه وتعالى أراد لهذه الأمة أن تتميز عن غيرها من الأمم بدينها وبكتاب ربها وسنة نبيها بأخلاقها في معاملاتها وفوق ذلك كله في عقيدتها وعباداتها، فالله أراد لهذه الأمة أن تتميز عن غيرها من الأمم لأنها هي الأمة القدوة التي جعلها الله أمةً وسطاً لتشهد على الأمم يوم القيامة، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

فهذه المكانة تقتضي أن هذه الأمة تتميز عن غيرها ولا تذوب في غيرها. لأنها أمةٌ قائدة ورائد. فلا بد أن تتميز عن غيرها من الأمم، ولا سيما الأمتين: المغضوب عليها وهم اليهود، والضالون وهم النصارى، وصار اليهود مغضوباً عليهم؛ لأنهم عندهم علم ولكنهم لم يعملوا به. فكل من اتصف بهذه الصفة من العلماء الذين لا يعملون بعلمهم أو يشتركون به ثمناً قليلاً، ويكتمونه فإنهم مغضوبٌ عليهم، أو الذين ليس عندهم علم ولا يهتمون بالعلم، وإنما يهتمون بالعبادات والتقرب إلى الله لكن من غير علم ولا يحرصون على العلم كالنصارى الذين يجتهدون في الرهبانية ويجتهدون في العبادة لكن على غير علم وإنما يتبعون ما تمليه عليه رغباتهم أو اجتهاداتهم، وعلى غرارهم الصوفية الذين نحوا هذا المنحى يجتهدون في العبادات ولا يهتمون بالعلم حتى إنهم يزهدون في العلم ويقولون أن طلب العلم يشغل عن العبادة - سبحانه الله - هل تكون العبادة بدون علم؟ يقولون أن طلب العلم يشغل عن العبادة ولذلك يحذرون من طلب العلم والجلوس إلى العلماء ويحرصون على مزاولة طقوس وعبادات لم تؤسس على علم ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]

ومع هذا لم يقوموا بها ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]

١٨) من سنن الله أن من غلا في العبادة ينقطع

وهذه سنة الله أن من غلا في العبادة واشتد بها أنه ينقطع.

المذيع: الله أكبر.

الشيخ صالح: أنه ينقطع كما قال صلى الله عليه وسلم "كالمنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى" هذه طريقة

النصارى، طريقة المتصوفة والنسك. الذين يجتهدون في العمل والعبادة ويزهدون في طلب العلم والتفقه في دين الله عز وجل، بل منهم من يقول أن العلم يأتيك بدون تعلم. يفتح عليك فاذا اجتهدت في العبادة والذكر يأتيك في ومضات، بل إن غلاتهم يقولون إننا نأخذ عن الله مباشرة. سبحان الله. ولا نحتاج إلى الرسل، إلى الكتب، وإنما نأخذ عن الله مباشرة. هكذا يقول غلاتهم، وهذه نتيجة الإعراض عن تعلم العلم النافع المبني الذي يثمر العمل الصالح، والله جلّ وعلا حذرنا من الطريقتين، وأمرنا بالطريق الوسط فقال سبحانه: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾

[الفاتحة: ٦]

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

١٩) طلب العلم النافع والعمل الصالح هو طريق المنعم عليهم

فالذين أنعم عليهم هم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح وهذا هو الذي بعث الله به رسوله صلى الله عليه وسلم.

كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ﴾ [الصف: ٩]

فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح، والرسول صلى الله عليه وسلم بعث بالأمرين لم يبعث بشيء واحد علماً بدون عمل أو عمل بدون علم، بل بعث بالأمرين، وهم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

حذرنا من طريق المغضوب عليهم، وهم الذين يتعلمون وقد يتبحرون في العلم لكنهم لا يعملون بعلمهم، بل يعملون بحسب أهوائهم وشهواتهم وأغراضهم. أو أنهم يكتمون العلم في مقابل طمع يأخذونه. يكتُمونه ولا يبيّنونه للناس ويشترّون به ثمناً قليلاً، والفرقة الثانية: هم الضالون ﴿وَالضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] وهم الذين بيّننا طريقهم أنهم يأخذون جانب العمل ويزهدون في العلم والتعلم، فالصراط المستقيم يقتضي مخالفة الطائفتين، ولهذا قال جلّ وعلا: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦] ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

يعني: غير صراط المغضوب عليهم ولا الضالين أي غير صراط المغضوب ولا الضالين. وكما في الآية الاخرى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

فلما كان صراط الله المستقيم يقتضي مجانبة الفريقين المغضوب عليهم والضالين وهم كلهم في النار. أصحاب الجحيم: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]

فالمغضوب عليهم والضالون كلهم في الجحيم، وصراط الله ينهى عن طريقهم. صراط الله ينهى عن طريق المغضوب عليهم والضالين.

٢٠) مضمون كتاب اقتضاء الصراط المستقيم

فموضوع هذا الكتاب هو في تفصيل هذه الآية العظيمة أو هذه الآيات العظيمة، وفي تفصيلها وبيانها. يريد الشيخ - رحمه الله - أن هذه الأمة تتميز كما ميّزها الله سبحانه وتعالى بأخلاقها في عقيدتها وفي معاملاتها وفي أخلاقها وفي عباداتها تتميز عن غيرها من الأمم حتى تكون لها القيادة العالمية التي جعلها الله لها. وما لم تتميز فإنّها لن تستطيع القيام بهذه المهمة العظيمة إذا ذابت في الأمم فإنّها لا تستطيع القيام بهذه المهمة العظيمة التي حملها الله إياها. فالشيخ - رحمه الله - يقول: إن الصراط المستقيم يقتضي لمن سار عليه أن يتجنّب طريقة المغضوب عليهم وطريقة الضالين، ولا يخرج العالم عن هذين الطريقتين، وعن هذه الطرق الثلاث: إمّا طريق المنعم عليهم

وإما طريق المغضوب عليهم وإما طريق الضالين. لا يخرج العالم عن هذه التقاسيم، فلذلك الشيخ - رحمه الله ألف هذا الكتاب في هذا الموضوع العظيم الذي يقصد به أن تتميز الأمة الإسلامية في صفاتها الدينية والدنيوية وأن تتميز عن غيرها من الأمم وأن لا تسلك مسالك الأمم التي حادت عن صراط الله سبحانه وتعالى.

٢١) العولمة والتقارب بين الأديان يناقض تميز المسلمين عن غيرهم

المذيع: إذا هذا - يا شيخ - قد لا يتفق مع ما يدعى إليه من العولمة.

الشيخ صالح: إي نعم.

المذيع: وتوحيد الثقافة.

الشيخ صالح: لا، هذا يعارض ويخالف ويباين الدعوة إلى العولمة والدعوة إلى التفاهم بين الأديان والحوار بين الأديان وإلى أخره.

المذيع: طبعاً هو المقصود: أطيعونا واتبعونا لكن تسمى العولمة.

الشيخ صالح: المقصود منه طمس الإسلام، وأن يسير في ركابهم. يبقى اسمه ولكن يسير في ركابهم. هذا قصدهم. طمس الإسلام، ويبقى اسماً له فهذا يقتضي من المسلمين أن يتنبهوا لهذا وأن يعتزوا بدينهم وبشخصيتهم الدينية وأن لا يخضعوا لدعاية أعدائهم.

الله جلّ وعلا يقول: ﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ

أَتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَّلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠]

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٧]

فلا نطيع اليهود والنصارى ولو أطعناهم في شيء ما رضوا، لا بد أن نطيعهم في كل شيء حتى نتخلى عن ديننا نهائياً.

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠]. فهذا أمرٌ يجب على المسلمين أن يتنبهوا له، وهذا هو مقصود الشيخ من موضوع هذا الكتاب الذي بين أيدينا. أن لا تذوب الأمة الإسلامية مع الأمم وأن لا تسير الأمم فيما يضرّ دينها وعقيدتها وإنما تتمسك بدينها وعقيدتها.

﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]

﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤]، وكما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨] ﴿إِنَّهُمْ لَن يَغْنُؤُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَبِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]

فهذه الأمة لها مكانتها فإن تركتها ضاعت وضيّعت نفسها، فلا مجال لبقاء عزّ هذه الأمة. ومكانتها إلا بالتمسك بهذا الدين والحذر من دعايات الضلال والحذر من الخداع والمكر الذي يروجه الأعداء ويدعون إليه في كل زمان وفي كل مكان. وموضوع هذا الكتاب يتلخص في أنّ المسلمين يتجنبون طريقة اليهود ويتجنبون طريقة النصارى ويتجنبون طريقة الجاهلية، لأنّه إذا بحث في أمور الجاهلية أيضاً تجنبوا أن يتجنبون طريقة الجاهلية من الأميين الذين كفروا بالله عزّ وجلّ، تركوا دين الأنبياء وصاروا على جهلٍ وضلال. فهذا مقصود الشيخ - رحمه الله - أنه يقصد من هذه الأمة أنّها تسير على المنهج الذي اختاره الله لها، وأن لا تلتفت يميناً أو شمالاً إلى ما عليه أهل الضلال سواء كانوا من الكتابيين، أو من الأميين - من أهل الجاهلية -، أو من الأعاجم أو غير ذلك هذا قصد الشيخ في هذا الكتاب، وهو أول شيء يبحث في أمور العقيدة، وأنّ المسلمين يتمسكون بعقيدتهم وهي عقيدة التوحيد، ويتجنبون طريقة الشرك ووسائل الشرك. فهو تطرّق إلى ما عند اليهود والنصارى من الغلوّ في أنبيائهم والغلوّ في صالحهم. فإنّه صلى الله عليه وسلم وهو في سياق الموت. يقول: "لعنة الله على اليهود والنصارى

اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك"

قال صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين التي ذكرت له ما رأته في الحبشة من الكنائس، وما فيها من الزخارف: قال صلى الله عليه وسلم: "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله"

٢٢) بعض مباحث كتاب اقتضاء الصراط المستقيم

فهذا أهم شيء أننا نتميز بعقيدتنا وأن نحذر من التشبه باليهود والنصارى في الغلو في الأنبياء والغلو في الصالحين والبناء على القبور والصلاة عند القبور، وهذا مما بحثه الشيخ - رحمه الله - في هذا الكتاب، ثم أيضاً أن الشيخ - رحمه الله - تطرق إلى منع التشبه بالكفار في أعيادهم لأن الكفار لهم أعياد كثيرة ومتنوعة. الرسول صلى الله عليه وسلم حذرنا من التشبه بهم في أعيادهم ومشاركتهم فيها أو إحداث أعياد تشابهها عندنا قال صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة وكان لأهل المدينة يوم النيروز والمهرجان وهي متسربة من الفرس والروم. قال صلى الله عليه وسلم: "إن الله أبدلكم بذلك عيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى" فأعياد المسلمين سواء كانت زمانية وهي عيد الفطر أو عيد الأضحى أو مكانية وهي المشاعر مشاعر الحج في عرفة ومزدلفة ومنى والمسجد الحرام هذه أعياد المسلمين المكانية، فلا نروح نحدث أعياد مكانية، أو أعياد زمانية غير ما جعله الله لنا فإن هذا من أهم الأمور أيضاً. وأعياد الموالد: عيد المولد النبوي أو تشبهاً أو تشبيهاً بعيد المسيح مولد المسيح الذي يعمل النصارى ولا يزالون يعملونه. نهانا النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله" وقال صلى الله عليه وسلم: "لا تجعلوا قبوري عيداً" يعني مكاناً للتردد والاجتماع عليه بالتردد عليه والاجتماع فيه. فالمشروع في قبر الرسول صلى الله عليه وسلم أن من جاء من سفر، من قدم من سفر سواء من أهل المدينة أو من الطارئین على المدينة مشروع له أن يصلي في المسجد النبوي ما تيسر له ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبه. السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. السلام عليك يا أبا بكر

الصديق ورحمة الله وبركاته. السلام عليك يا عمر الفاروق ورحمة الله وبركاته ثم ينصرف، ولا يكرّر السلام كلما دخل إلى المسجد النبوي.

إذا سلم عليه أول ما يقدم فإن هذا يكفي، إن الصحابة لم يكونوا يترددون. على قبر النبي صلى الله عليه وسلم كلما دخلوا ذهبوا إليه فهذا من التشبه باليهود والنصارى في غلوهم في أنبيائهم وصالحهم. فنحن حذرنا نبينا صلى الله عليه وسلم من الغلو في الأشخاص أو الغلو في الأمكنة أو الغلو في الأزمنة. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]

قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو" فالغلو يفضي إلى الهلاك، إلى فساد العقيدة، إلى فساد العبادة، إلى أشياء كثيرة، والحكمة تقول كل شيء تجاوز حده انقلب إلى ضده. فالاعتدال والوسطية هي المطلوبة في كل شيء.

٢٣) الحكمة من مخالفة اليهود والنصارى

المذيع: إذا الشيخ - أحسن الله إليكم - اختيار هذا العنوان أنه الصراط المستقيم يقتضي المخالفة ليتذكر المسلم كلما عن له ما يشبه أعمال أولئك المغضوب عليهم أو الضالين - مثل: ما تفضلتم - من اليهود أو النصارى أو أهل الجاهلية وما أحدث في الدين من البدع، أن لزوم الصراط المستقيم منه مباشرة مخالفتهم في أمور الدين.

الشيخ صالح: نعم، في أمور الدين بلا شك في هذا. أننا نخالفهم ونبقى على ديننا فإن دينهم لا يخلو من أحد أمرين: إما أنه محرّف ومغيّر ومبدّل، وإما أنه منسوخ بديننا، فنحن لا نأخذ من دين اليهود والنصارى شيئاً. وإنما نأخذ ديننا لأنه ناسخ لما قبله، فلسنا بحاجة إلى أننا نأخذ من أديانهم أو من عباداتهم أو من تصرفاتهم.

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً. أيها المستمعون الكرام إلى هنا تأتي إلى نهاية هذه الحلقة من

اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم. لشيخ الإسلام / أحمد بن تيمية - رحمه الله.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثالث

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج / اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - رحمه الله - يشرحه صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع هذه الحلقة نرحب بضيفنا الكريم فحيّاكم الله شيخ/ صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

٢٤) النهي عن تعظيم الآثار

المذيع: كُنّا في الحلقة الماضية نستمع إلى حديث منكم فضيلة الشيخ عن الكتاب وما تعرض المؤلف له فيه من القضايا ولعله بقي من هذا بقية قبل أن ندلف إلى موضوعات الكتاب.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

نعم. بقي من مواضيع الكتاب إيماناً أنّ الشيخ - رحمه الله - في هذا الكتاب تناول إحياء الآثار أثار المعظمين من الأنبياء والعلماء والرؤساء لما في ذلك من الخطر على العقيدة لأنّ هذا يفضي إلى الغلو، ففي هؤلاء الذين تعظم آثارهم فيفضي ذلك إلى الشرك ولأنّ هذا لم يكن معروفاً عن السلف الصالح وهم أحرص على الخير، وعلى متابعة الخير، ولم يعرف عنهم أنّهم كانوا يعتنون بهذه الآثار المساكن المنازل إلى غير ذلك لأنّهم لم يروا النبي صلى الله عليه وسلم يحتفل بها ولا يهتم بها، فما كان صلى الله عليه وسلم بعد البعثة يذهب إلى غار حراء، ولا إلى غار

ثور، ولا إلى البيت الذي ولد فيه، ما كان -صلى الله عليه وسلم- يفعل شيئاً من ذلك. وخير الهدى هدى محمد -صلى الله عليه وسلم- وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة.

٢٥) دوام الأجر في بث العلم ومنه هذا الكتاب الذي يناسب زماننا

فكذلك هذا الكتاب من وجه عام كأنه كتب في هذا العصر لأنّ المشاكل التي تناولها وطرحها للبحث وأصل فيها كلها موجودة الآن. فهو رحمه الله قدّم لها حلولاً ناجحة ودرسها على ضوء الكتاب والسنة وهدى السلف الصالح مما ينتفع به أهل هذا الوقت وهذا مما يدل على عناية هذا الإمام في شؤون المسلمين ومما يدل على أنّ الله أنزل في علمه وكتبه البركة بحيث أنّها القضايا المشكّلة في كل زمان وينتفع بها الأجيال القادمة وهذا ينطبق عليه قوله صلى الله عليه وسلم: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له" فهذا العلم الذي ورّثه انتفع به المسلمون ويرجع أجره إليه، وقد سمعت الشيخ / محمد ابن إبراهيم رحمه الله في كلمة ألقاها في بعض المناسبات في كلية الشريعة فأتى بهذا الحديث وقال: الصدقة الجارية قد تنقطع والولد الصالح يموت، تنتهي منافعها. لكنّ العلم النافع هذا يستمر ولا ينقطع، يستمر الانتفاع به، ويستمر الأجر لصاحبه. فهذا مما يميّز العلم عن غيره من الأعمال الصالحة. فنرجو أن يكون شيخ الإسلام كذلك ممن يجري عليه أجر علمه ونفع كتبه إلى يوم القيامة.

المذيع: اللهم أمين.

الشيخ صالح: نعم، نبداً.

٢٦) البدء بالبسملة والحمد لله اتباعاً للكتاب والسنة

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً. قال رحمه الله رحمةً واسعة: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتمّ علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً.

الشيخ صالح: نعم. بدأ الشيخ - رحمه الله - هذا الكتاب النفيس بالسنة في أن بدأه بسم الله الرحمن الرحيم

وبالحمد لله رب العالمين. قد جاءت الآثار تحت على هذا

جاءت الآثار على البداية في بسم الله الرحمن الرحيم، بل جاء القرآن فما من سورة من سور القرآن إلا وهي

مبدوءة بسم الله الرحمن الرحيم، والنبى صلى الله عليه وسلم يبدأ رسائله بسم الله الرحمن الرحيم، وكما كتبها

سليمان عليه السلام في خطابه لبلقيس. ﴿قَالَتَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنَّي أُقِي إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩].

﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠].

﴿أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣١].

المذيع: قال: وأمرنا أن نستهديه صراطه المستقيم.

الشيخ صالح: كذلك بدأه بالحمد لله لأن كتاب الله مبدوء بالحمد لله. المصحف مبدوء بالحمد لله وهي سورة

الفاتحة، فأول ما يقع نظرك في المصحف على الحمد لله بعد بسم الله الرحمن الرحيم فهذا مما يدل على مشروعية

البداة بهاتين الكلمتين العظيمتين في كل عمل له أهمية وفي الكتب العلمية خاصة.

(٢٧) معنى البسملة والحمد لله

ومعنى بسم الله الرحمن الرحيم أي أستعين بسم الله الرحمن الرحيم فالجار والمجرور متعلق بمحذوف تقديره

أستعين أو أتبرك بسم الله الرحمن الرحيم، ثم الحمد هو الثناء على الله عز وجل على نعمه وأفضاله التي لا تعد ولا

تحصى وقد بدأ الله الخلق بالحمد لله رب العالمين كما في قوله تعالى الحمد لله فاطر السموات والأرض ﴿[فاطر: ١]

وختمه بالحمد كما قال تعالى: ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]

فهي كلمة عظيمة، وهي على لسان المسلم هاتان الكلمتان بدايةً ونهايةً فإن المستحب للمسلم عند الأكل

والشرب أن يبدأ بسم الله وأن يختم بالحمد لله. نعم

٢٨) النهي عن البدع لكمال الدين

المذيع: أحسن الله إليكم. قال: الحمد لله الذي أكمل لنا ديننا، وأتمّ علينا نعمته، ورضي لنا الإسلام ديناً.

الشيخ صالح: نعم هذا مأخوذٌ من الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وفي بداية الشيخ بمضمون هذه الآية إشارة إلى موضوع الكتاب الذي هو النهي عن البدع لأن الله أكمل لنا الدين

وأتمّ علينا النعمة فلا يجوز لنا أن نحدث في الدين زيادةً أو أن نبتدع بدعةً لأنّ هذا يقتضي أن الدين غير كامل،

وأنا نريد أن نكمل نقصه، والله جلّ وعلا يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ

لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

فمن جاء بشيء يتقرّب به إلى الله وهو ليس في كتاب الله، ولا في سنة رسول الله ولا في هدي سلف هذه الأمة فإنّه

زيادة مرفوضة. قد قال صلى الله عليه وسلم: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ" وأعمّ من ذلك قوله

صلى الله عليه وسلم: "من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ". نعم.

٢٩) الأمر بطلب الهداية إلى الصراط المستقيم ومعنى الصراط

المذيع: قال: وأمرنا أن نستهديه صراطه المستقيم: صراط الذين أنعم عليهم.

الشيخ صالح: نعم، هذا في آخر الفاتحة. الله جلّ وعلا فرض علينا قراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من

صلواتنا فريضةً أو نافلة، وفي آخرها اهدنا الصراط المستقيم. فرض علينا بمعنى أنه جعل قراءة الفاتحة ركناً من

أركان الصلاة.

وفيها ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. والصراط هو الطريق الحسي والمعنوي، والمراد هنا الطريق المعنوي

وهو الطريق الذي يوصل إلى الله وإلى رضوانه وهو دين الإسلام. وسنة رسول صلى الله عليه وسلم، والمستقيم

معناه المعتدل الذي لا انحراف فيه ولا ميل، والموصل إلى رضوان الله وإلى جنته. والله جلّ وعلا أوصانا فقال

جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّبِيلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ

تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

وهذا الصراط يسير عليه من أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ممن جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح، أما الفرق الضالة فإنّها تأخذ بجانب وتترك الجانب الآخر، فاليهود أخذوا جانب العلم وتركوا جانب العمل فلذلك غضب الله عليهم لأنهم يعصون الله على علم وعلى بينة متعمدين. فلذلك غضب الله عليهم ولعنهم، والجانب الثاني الذي يأخذ العمل ويترك العلم ويشغل بالعبادة ويترك جانب التعلّم. فهذا ضالّ لأنّ الضالّ هو الذي يسير على غير طريق وعلى غير هدى. فهم ضالّون لأنهم على غير طريق صحيح، وعلى غير دليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ويمثّل الجانب الأوّل من المخالفين: اليهود ويمثّل الجانب الثّاني وهم الضالّون: النصارى في رهبانيتهم وعباداتهم التي أحدثوها وهي ما أنزل الله بها من سلطان، ويشبه هاتين الفرقتين من هذه الأمة كل عالم لا يعمل بعلمه، وكل عابد لا يعبد الله على دليل وعلى بصيرة. فهذا الله جلّ وعلا أمرنا بقراءة هذه السورة وتكرارها لما تشتمل عليه من المعاني العظيمة ومنها هذا المعنى الذي في آخرها. وهو أن نسأل الله أن يهدينا يعني أن يوفّقنا ويثبتنا على الطريق الصحيح الموصل إليه. طريق الذين أنعم عليهم، وأن يجنّبنا طريق الذين غضب الله عليهم وطريق الذين ضلّوا عن الصراط المستقيم. فهو دعاء عظيم. إذا استحضره المسلم خاطب الله به. فإنّه حريّ أن يستجيب الله له.

٣٠) أمثلة المغضوب عليهم والضالين

المذيع: أحسن الله إليكم. قال: صراط الذين أنعم عليهم، غير المغضوب عليهم: اليهود، ولا الضالين:

النصارى.

الشيخ صالح: هذا من باب التمثيل وليس خاصاً باليهود ولا بالنصارى وإنما هو عامٌ لكن لما كان اليهود هم أول من ابتكر هذه الطريقة الغضبية مثل بهم وكذلك النصارى لما كانوا هم أول من أحدث الابتداع في الله والرهبانية مثل بهم من باب التمثيل. نعم.

(٣١) كمال الصراط وسعته للبشر جميعاً

المذيع: فضيلة الشيخ: أهل اللغة يقولون لا يسمّى الصراط مستقيماً حتى يكون واسعاً. فهل يوصف هذا الصراط بأنه مستقيم؟ اقناعاً للاتباع وغيرهم أنه يسعهم. وأنهم ليسوا بحاجة لغيره.

الشيخ صالح: بلا شك أن الصراط المستقيم يغني عن غيره، ويتسع للأمة جميعاً من أولها إلى آخرها. ما ضاق الصراط المستقيم حتى يبحثوا عن طرقٍ أخرى. فالإسلام - والله الحمد - واسع وشامل، وأحكامه وافية يحتاجه البشر في الاعتقاد وفي العبادات وفي المعاملات وفي الاخلاق وفي الأخبار الماضية والمستقبلية، الحمد لله فهو حافل.

(٣٢) الشهادتان ومعناهما

المذيع: قال رحمه الله: وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الشيخ صالح: نعم هذا من مكملات بل هو من أركان الخطبة. أن يأتي بالشهادتين. شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

فهنا شهادتان عظيمتان يجمعهما الركن الأول من أركان الإسلام، ومعنى الشهادة الإقرار والاعتراف باللسان مع اعتقاد القلب. فأنت تشهد بما يعترف به قلبك وينطق به لسانك أنه لا إله إلا الله أي لا معبود بحقٍ سواه، وهذا يبطل جميع العبادات التي توجّه إلى غير الله سبحانه وتعالى كالعبادات التي توجّه إلى الأضرحة والقبور. عبادات التي توجّه إلى الأصنام، وإلى الأشجار والأحجار، وإلى الأولياء والصالحين. كلها تبطلها هذه الكلمة. لا إله إلا الله. أي لا معبود بحق، من هذا القيد لا معبود بحق إلا الله لأن هناك معبودات كثيرة، وهناك آلهة كثيرة، لكن

كلها باطلة. فإذا قلت بحق سقطت جميع هذه المعبودات لأنها معبودة بغير حق، وهي ألهة بغير حق ومعنى أشهد أن محمداً رسول الله الاعتراف ظاهراً وباطناً برسالته صلى الله عليه وسلم، فتعتقد أنه رسول الله وتنطق وتصرح بلسانك فيلزمك بمقتضى هاتين الشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله أن لا تعبد إلا الله لأنك شهدت أنه لا يستحق العبادة إلا الله فيقتضي منك هذا أن تفرد الله جلّ وعلا بالعبادة، ولا تعبد أحداً غيره. وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي منك أن تتبّعه وأن تطيعه، وأن تسير على سنته فلا تخالفه ولا تعصه عليه الصلاة والسلام لأنك اعترفت ظاهراً وباطناً أنه رسول الله إليك. فإذا كان رسول الله إليك فيجب عليك أن تطيعه وأن تمتثل أوامره وأن تترك ما نهاك عنه. كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧]، فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي التوحيد وشهادة أن محمداً رسول الله تقتضي ترك البدع والمحدثات وعبادة الله جلّ وعلا بما جاء به هذا الرسول صلى الله عليه وسلم. هذا مقتضى الشهادتين.

٢٣) غاية الكمال فيما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم

المذيع: قال: أرسله بالدين القيم، والملة الحنيفة، وجعله على شريعة من الأمر.

الشيخ صالح: نعم أرسله الله بالدين القيم كما قال سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ إِنِّي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا

قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٦١]

قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]،

فهو الدين القيم بمعنى القويم المعتدل الذي لا اعوجاج فيه ولا غموض فيه. والحنيفية معناها الملة الخالصة

المقبلة على الله المعرضة عما سواه. وهي ملة إبراهيم، وقد بعث الله نبينا صلى الله عليه وسلم بملة إبراهيم كما قال

تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٣]

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج: ٧٨]

فملة إبراهيم حنيفة وإبراهيم حنيف. ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل: ١٢٠] بمعنى أنه مقبلٌ على الله، معرضٌ عما سواه.

٣٤) الوصية بالتمسك بالشرعة وترك أهواء الناس

المذيع: قال: وجعله على شريعة من الأمر.

الشيخ صالح: جعل الله نبينا صلى الله عليه وسلم على شريعة من الأمر. قال تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨] ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]

وقال سبحانه: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣]؛ أمر نبيه أن يستمسك بهذه الشريعة التي أوحاها إليه.

وجعله عليها، يسير عليها؛ فهذا يتضمن الوصية لأمة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم أن تمسك بهذه الشريعة وأن تترك أهواء الناس ورغبات الناس، ولا تلتفت إلى المضللين الذين يزهدون بالإسلام، ويصفونه بالرجعية أو بالإرهاب أو يصفونه بالتضييق والتحجر إلى غير ذلك. فهو دينٌ سمح ودينٌ مستقيم ودينٌ معتدل لا تشدد فيه ولا تساهل فهو دينٌ قيمٌ كما قال الله جلّ وعلا: ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠].

المذيع: قال: أمره باتباعها، وأمره بأن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

الشيخ صالح: أمر الله نبيه باتباع هذه الشريعة. قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، فاتبعها أي: سر عليها ولا تلتفت إلى ما سواها؛ لأنها هي الحق، وما سواها فهو الباطل.

٣٥) البصيرة في الدعوة مطلب شرعي

المذيع: صلى الله عليه وعلى آله أمره باتباعها، وبأن يقول: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا

وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

الشيخ صالح: أمر الله نبيه في هذه الآية من آخر سورة يوسف: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي﴾ أي هذه طريقي ومنهجي

الذي أسير إليه. أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ أي إلى دين الله وإلى توحيده وعبادته. ودينه هذا هو الدعوة إلى الله عز وجل. ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ على علم فدل على أن الذي يدعو إلى الله يشترط أن يكون على علم، فالجاهل لا يصلح أن يدعو إلى الله لأنه قد يحلل حراماً أو يحرم حلالاً، أو يقول على الله بغير علم فلا يصلح أن يكون داعية، ولأنه لا يستطيع مجابهة الشبهات التي توجه إليه من قبل المعترضين فلا بد أن يكون عنده علم يكشف به الشبهات المضللة، وإلا فإنه سيفشل في دعوته إذا كان على غير علم. ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي﴾ أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي واقْتدى بي على بصيرة أي على علم. فهذا يؤخذ منه: الجاهل لا يصلح أن يدعو إلى الله وأن يفتي بغير علم، أما أنه يأمر الناس بالخير على وجه العموم: يأمرهم بالصلاة يأمرهم بالأمر الظاهرة ويحثهم عليها فهذا كل عليه قسط، عليه قسطاً من ذلك. لكن أمور الحلال والحرام وأمور الشرك والتوحيد وأمور البدع والمحدثات والتفاصيل هو لا يدخل فيها وهو ليس عنده علم.

٣٦ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ومعناها وفضلها

المذيع: قال: صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

الشيخ صالح: نعم. وكذلك لما أتى بالشهادتين أتى بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عملاً

بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

ومعنى الصلاة من الله جلّ وعلا ثناؤه على عبده في الملائكة الأعلی، وصلاة الملائكة على النبي معناها الاستغفار له، والصلاة منّا معناها الدعاء لهذا النبي صلى الله عليه وسلم. فله حق علينا وهذا له حقوق علينا، وهذا من أعظم



حقوقه أن نصلي ونسلم عليه كلما ذكرناه، وأن نصلي ونسلم عليه في صلاتنا وفي دعائنا فإنَّ الدعاء معلق لا يقبل حتى يصلي الداعي على نبيه. فله حقوقٌ علينا أعظمها هو الصلاة والسلام عليه. بأن نكرّر هذا، وقد قال صلى الله عليه وسلم: "صلوا عليّ فإنَّ صلاتكم تبلغني حيث كنتم" وقال صلى الله عليه وسلم: "من صلى عليّ واحدةً صلى الله عليه بها عشراً".

المذيع: أحسن الله إليكم، وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن تيمية رحمه الله
يشرحه فضيلة الشيخ / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع لقائنا نرحب بضيفنا الكريم فحيّاكم الله شيخ /
صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

(٣٧) سبب تأليف الكتاب

المذيع: قال المؤلف: -رحمه الله -بعد افتتاحه بخطبة في المقدمة، وبعد فإني كنت قد نهيت -إمّا مبتدأ، أو مجيباً -عن التشبه بالكفار في أعيادهم.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال الشيخ -رحمه الله -وبعد: هذه الكلمة يؤتى بها للانتقال من كلامٍ إلى كلامٍ آخر، هي يقولون أنّها كلمة فصل بين كلامين، كنت نهيت إمّا مبتدأ، وإمّا مجيباً. يعني أنّني أنهي ابتداءً دون أن يسألني أحد، وإمّا مجيباً لمن سألني. ينهي -رحمه الله -عن البدع ويحذر منها، فاعترض عليه بعض الناس -كما سيذكره- فيكون هذا هو سبب تأليف هذا الكتاب القيم. نعم.

٣٨) النهي عن التشبه بالكفار في أعيادهم ومعنى العيد

المذيع: قال: عن التشبه بالكفار في أعيادهم، وأخبرت ببعض ما في ذلك من الأثر القديم، والدلالة الشرعية.

الشيخ صالح: تشبه على الكفار في أعيادهم، الأعياد جمع عيد وهو ما يعود ويتكرر السنة أو تكرر السنين، وهو ينقسم إلى قسمين عيد زمني كعيد المولد وأعياد الملوك وغير ذلك من أيامهم التي يحتفلون فيها ويتكرر هذا يسمى بالعيد الزمني أو العيد المكاني وهو المكان الذي يجتمع فيه الناس في وقت معين.

نوع من التمسك أو العبادة، أو طلب البركة، فهذا يسمى بالعيد المكاني وهو ينقسم إلى قسمين: عيد شرعي مكاني، وعيد بدعي. العيد البدعي وهو الاجتماع في مكان لم يشرع الله الاجتماع فيه لأجل التقرب إليه في هذا المكان فهو بدعة، ولذلك لما جاءه رجل يسأله أنه نذر أن ينحر إبلاً ببوانة -اسم موضع- يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عما يفعل في النذر، قال صلى الله عليه وسلم: "هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟" قال: لا. قال: "هل كان فيه عيد من أعيادهم؟" يعني هل كان من عاداتهم يجتمعون في هذا المكان تعبداً لله؟ قال: لا. قال: "فأوفي بنذرهم فإنه لا وفاء لنذر بمعصية الله ولا فيما لا يملكه ابن آدم."

ومن ذلك أيضاً قوله صلى الله عليه وسلم "لا تجعلوا قبوري عيداً" يعني مكاناً للاجتماع والتردد عليه على قبره صلى الله عليه وسلم. لأن هذا وسيلة من وسائل الشرك، ولهذا ما كان الصحابة يترددون على قبر النبي صلى الله عليه وسلم. كلما دخلوا المسجد ذهبوا إلى القبر. ما كانوا يفعلون هذا، وإنما كانوا إذا قدم أحدهم من سفر يأتي ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه ثم ينصرف؛ خشية من نهي الرسول صلى الله عليه وسلم من قوله: "لا تجعلوا قبوري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً" يعني تحرمونها من صلاة النافلة ومن ذكر الله -عز وجل-. فهذا هو الشاهد من الأعياد المكانية المبتدعة، أما الأعياد المكانية المشروعة فمثل: الاجتماع حول البيت العتيق للصلاة وللاعتكاف ولتلاوة القرآن وللطواف به. فهذا عيد مكاني مشروع، وكذلك الاجتماع في منى وفي

أيام التشريق، وفي عرفة. يوم عرفة. وفي مزدلفة. ليلة العاشر. هذه أعياد مكانية يجتمع المسلمون فيها لله عز وجل، وأما الأعياد الزمانية المشروعة فمثل: عيد الفطر وعيد الأضحى وكل منهما بعد أداء ركن من أركان الإسلام، فعيد الفطر بعد أداء ركن الصيام، وعيد الأضحى بعد الوقوف بعرفة، والحج من أركان الإسلام، فهذان العידان الاحتفال بهما والصلاة صلاة العيدين وذبح قربان في عيد الأضحى، هذا كله من الزمنية التي تتكرر على المسلمين وليس للمسلمين سوى هذين العيدين، فإن أحدث عيداً غيرهما فهو بدعة. فأعياد الموالد وأعياد المناسبات وغير ذلك كلها مبتدعة، وهي من أعياد الجاهلية التي ما أنزل الله بها من سلطان، ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وجدهم يجتمعون أو يحتفلون في يومين من السنة: يوم النيروز ويوم المهرجان. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: " إن الله قد أبدلكم بهما خيراً منهما. عيد الفطر وعيد الأضحى " فهما عيد أهل الإسلام، ليس للمسلمين سوى هذين العيدين. نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم. قال: وأخبرت ببعض ما في ذلك.

الشيخ صالح: نعم. فالشيخ -رحمه الله- نهى عن هذه الأعياد البدعية التي أحدثت في الإسلام. نعم.

المذيع: أخبرت ببعض ما في ذلك من الأثر القديم، والدلالة الشرعية.

الشيخ صالح: الأثر القديم في الكتاب والسنة. والدلالة الشرعية من الكتاب والسنة.

المذيع: وبينت بعض حكمة الشرع في مجانبة الكفار: من الكتابين والأميين.

الشيخ صالح: حكمة الشرع من مجانبة الكفار ومجانبة أصحاب الجحيم أن يرفع المسلمون عن تقليد الكفار

والتشبه بهم حتى يتميزوا بدينهم ولئلا يسري شيء من الدين الباطل إلى دين الحق فإذا تجنبنا أعيادهم وتجنبنا

التشبه بهم فإن ديننا يسلم من أن يتسرب إليه شيء من عاداتهم وأعيادهم وما يفعلونه من الشرك والكفر والبدع؛

فهذا فيه حماية لهذا الدين. تجنب التشبه بالكفار في أعيادهم فيه حماية لهذا الدين، ووقاية للمسلمين من أن يفعلوا

مثل أفعال هذه الطوائف: اليهود والنصارى والأميين. اليهود والنصارى أهل كتاب، فاليهود عندهم التوراة والنصارى عندهم الإنجيل لكنهم حرّفوا وغيروا وبدّلوا ثم إن الكتّابين نسخا بالقرآن. فالواجب اتباع القرآن، وأمّا الأميون فهم الذين ليس لهم كتاب، وهم عبّاد الأوثان، وغيرهم والمجوس وغيرهم ممن لا كتاب لهم. فنحن منهيون عن التشبّه بالطوائف الثلاث، بل تشبّه بأربع طوائف: التشبّه باليهود، التشبّه بالنصارى، التشبّه بالأميين من كفار العرب، التشبّه بالأعاجم. كما يأتي. نعم.

(٣٩) من القواعد العظيمة؛ منع التشبّه بغير المسلمين

المذيع: قال: ويّنت ما جاءت به الشريعة من مخالفة أهل الكتاب والأعاجم.

الشيخ صالح: أي نعم. الأعاجم جمع أعجم وهو الذي ليس عربياً لا ينطق اللغة العربية. نعم.

المذيع: وإن كانت هذه قاعدة عظيمة من قواعد الشريعة، كثيرة الشعب، واصطلاحاً جامعاً من أصولها، كثير الفروع.

الشيخ صالح: نعم منع التشبّه بغير المسلمين من اليهود والنصارى والأميين والأعاجم، وأهل الجاهلية. هذه قاعدة عظيمة. يحمي الله -جلّ وعلا بها هذا الدين من أن يدخل دخيل ويحمي به عقيدة المسلمين من أن تلوّث بعبادات الكفار وعباداتهم الباطلة. فهي قاعدة عظيمة وتشعب كثيرة الشعب، ولهذا. هذا الكتاب ذكر فيه أشياء كثيرة وهو لم يحط بكل ما... لكنّه ذكر المهمّات. نعم.

المذيع: قال: لكنّي نبهت على ذلك بما يسره الله تعالى.

الشيخ صالح: بما يسّر الله يعني: أنّي لم أحط بكل ما يتجنّب من عباداتهم وأعمال وأقوالهم فهذا شيء كثير لكنّه -رحمه الله -أتى بالخير الكثير وقعد القواعد ووضع الضوابط التي على ضوء الكتاب والسنة والتي إذا ترسّمها المسلم فإنّه يسلم من هذه الشرور الوافدة لا سيما وكثير من الناس مولع بالتشبه، لاسيما التشبّه بالقوي

مهم، فكثيرٌ من الناس وضعفاء الإيَّان وجهال المسلمين يميلون إلى التشبُّه بهؤلاء الطوائف لأنهم يرون أنهم على كمال وأنهم قد سبقونا بالحضارات والاختراعات و أمور الدنيا فيظنون أنهم ما حصلوا هذه الأمور إلا بهذه الخزعبلات، و ما حصلوا هذه الأمور إلا بالجدِّ في العمل. نعم. الجدِّ في العمل وطلبه، ما ينالوها بخرافاتهم واعتقاداتهم الباطلة، وبملا بسهم وبأنواع تصرّفاتهم، ما نالوها بهذه الأمور، نالوها بالجدِّ في العمل، وطلب هذا الشيء واتقانه. فنحن نأخذ عنهم العادات والتقاليد الفاسدة ونترك العمل والجد فيه. إننا لو عملنا بديننا وطلبنا هذه الأمور لكننا أسبق إليها منهم، لكننا تكاسلنا وهم جدوا في طلبها وهي لا تدل على فضلهم. كل من اجتهد في شيء فإنه يتقنه ويدركه فهم ما نالوها لفضلهم، وإنما نالوها بجدِّهم وعملهم. الواجب أن نكون نحن أهل الجدِّ، ونحن أهل الطلب بما ينفعنا في ديننا ودنيانا. نعم.

المذيع: قال: - رحمه الله- وكتبت جواباً في ذلك لم يحضرنى الساعة، وحصل بسبب ذلك من الخير ما قدره الله سبحانه وتعالى.

الشيخ صالح: أي نعم لا يزال - رحمه الله- يبيِّن السبب في تأليف هذا الكتاب. أنه كتب في الأول كتاباً مختصراً في النهي عن التشبُّه باليهود والنصارى والأعاجم. وبناء على ضوء الكتاب والسنة. نفع الله به. لكن يقول أنه لا يحضرنى الان لأنه - رحمه الله- كثير التأليف، كثير الكتابات، وكان يكتب الكتاب أو الفتوى ويرسلها، ولا يبقى عنده منها صورة أو ينسخها عنده لأنه مشغول بنشر العلم والتعليم، لكن كان تلاميذه وكان الذين يسألونه يحتفظون بأجوبته، وفتاواه فبقي - والله الحمد- الخير الكثير منها، ولا يزال يظهر بعد كل حينٍ وآخر. يظهر له فتاوى وكتب كانت غير معلومة في الأول. نعم.

٤٠) استنكار بعض الناس للتشديد في النهي عن التشبه بالكفار

المذيع: رحمه الله. قال ثم بلغني بأخرة أن من الناس من استغرب ذلك واستبعده لمخالفته.

الشيخ صالح: بلغني بأخرة: يعني أخيراً بلغني بأخرة يعني أخيراً. نعم

المذيع: أن من الناس من استغرب ذلك واستبعده، لمخالفة عادةٍ قد نشأوا عليها

الشيخ صالح: بلغ الشيخ أن فيه من الناس من استغرب هذه الرسالة وهذا المختصر. لماذا التَّشْبَهُ؟ أي نعم.

لماذا؟ لأنَّها تخالف ما ألفوه، وما ساروا عليه. فالذي يأتي ينهاهم عن التَّشْبَهُ باليهود والنصارى والأعاجم يستغربونه، لأنَّ هذا الشيء نشأوا عليه، ولم ينكره أحد في الغالب. فهم يستنكرون من أحد وهذه العادة أن الناس إذا كانوا على شيءٍ وجاء أحدٌ يبيِّن لهم ما فيه من الأخطاء يستغربون هذا. فهم استغربوا هذه الرسالة التي ذكرها الشيخ في النهي عن التَّشْبَهُ بغير المسلمين لأنَّهم يجهلون هذا الحكم، ويظنون أن هذا شيء من الكمال. فالذين يتشبهون بالكفار يطلبون الكمال لأنَّهم يظنون أنَّهم على كمال مع أنَّهم أخطأ البشر. نعم.

﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥]

لكنَّ بعض الناس يظنُّهم خير البشر.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦]

(٤١) اتباع المتشابه سبيل أهل الزيغ

المذيع: قال: وتمسكوا في ذلك -يعني من استغربوا- بعموماتٍ وإطلاقاتٍ اعتمدوا عليها.

الشيخ صالح: هذه عادة أهل الضلال، أنَّهم يتمسكون بالمتشابه من الأدلة. فهم يأخذون بالعموم مع أنَّ

العموم يخصص. نعم. يأخذون بالمطلق مع أنَّ المطلق يقيد، ويأخذون بالمنسوخ، ويتبهنون للناسخ. فهم يأخذون

طرفاً من الأدلة ويتركون الطرف الآخر، وهؤلاء حذرنا الله منهم.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]

المحكم والمتشابه. فيردون المتشابه إلى المحكم، فيقيدون المطلق، ويخصصون العام، ويعملون بالناسخ ويتركون المنسوخ فيكونون على هدى. هؤلاء هم أهل العلم وهم الراسخون في العلم، أما الفريق الأول فهم أهل زيغ: إما أهل زيغ وإما أهل جهل، وابتداء في الطلب كما عليه كثير من المتعلمين الان. لا ليس عندهم إمام للشيعة وبالأدلة وبكيفية الاستدلال، لم يدرسوا القواعد الفقهية لم يدرسوا أصول الفقه، لم يدرسوا مصطلح الحديث، لم يأخذوا القواعد التي يسيرون عليها. فهم يأخذون ما لاح لهم من الأدلة دون نظر إلى هل هو مقيد؟ هل هو مخصص؟ هل هو منسوخ؟ ما ينظرون في هذا هل هو عام؟ هل هو خاص؟ هل هو مطلق؟ هذه أمور لا يتنبه لها إلا الراسخون في العلم الذين ثبتت أقدامهم في العلم والإدراك، ومدارك الأحكام. هؤلاء هم الذين أثنى الله عليهم، أما أولئك فإن الله حذر منهم، حذر منهم النبي صلى الله عليه وسلم. قال: "إذا رأيتم الذين يتبعون المتشابه فاحذروهم" إذا رأيتم الذين يأخذون ما تشابه منه ويتركون المحكم فاحذروهم. "فاولئك الذين سمي الله فاحذروهم" نعم. والله جلّ وعلا توعد الذين يقطعون ما أمر الله به أن يوصل، ومما أمر الله به أن يوصل ردّ المتشابه من المحكم هذا هو الوصل، أما إذا أخذت بالمتشابه فقد قطعت ما أمر الله به أن يوصل.

٤٢) حرص العالم على ما فيه منفعة للناس

المذيع: نعم. أحسن الله إليكم. قال: - رحمه الله - فاقضاني بعض الأصحاب أن أعلّق في ذلك ما يكون فيه إشارة إلى أصل هذه المسألة.

الشيخ صالح: نعم. فاقترضاني يعني: طلب مني بعض الأصحاب، وهكذا يجب الرجوع إلى أهل العلم في الأمور المشككة والأمور المهمة، ومن أمثل من هذا الإمام -رحمه الله- في أن يرجع إليه في هذه المسألة العظيمة وكذلك يرجع إلى العلماء في كل زمانٍ ومكان.

قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]

فلما طلبوا منه ذلك أجابهم، ويجب على العالم إذا سئل أن يبين وإذا طلب منه بيان حكم من الأحكام الشرعية يجب عليه أن يبين وألا يكون من الذين يكتمون ما أنزل الله. فهو أجابهم، وألف هذا الكتاب. نعم.

المذيع: وسماه إشارة قال: إشارة إلى أصل هذه المسألة، لكثرة فائدتها، وعموم المنفعة بها، ولما قد عم كثيرا من الناس الابتلاء بذلك.

الشيخ صالح: أي نعم سبق لأنه يقول أن هذا الباب لا يحاط بكل مسائله وفروعه، لكنه ألف هذا الكتاب كقواعد عامة وضوابط عامة وفيه الخير الكثير.. ومع هذا سماه إشارة استقلالاً له، وهذا من تواضعه -رحمه الله. نعم.

(٤٣) خطورة التشبه بالكفار في العودة للجاهلية وطمس معالم الإسلام

المذيع: قال: ولما قد عم كثيرا من الناس الابتلاء بذلك، حتى صاروا في نوع جاهلية.

الشيخ صالح: أي نعم عم التشبه بالكفار والجهل بتحريم هذا الأمر حتى عادوا إلى الجاهلية في الغالب ما هو بالكل، فلن تعود الأمة إلى الجاهلية أبداً ولكن يعود إلى الجاهلية منهاطوائف من الناس. فهؤلاء الذين ذكرهم الشيخ كادوا بتشبههم بالأعاجم واليهود والنصارى أن يعودوا إلى الجاهلية. وهذا فيه بيان الخطر. نعم. التشبه بالكفار وهو أنه يؤدي إلى عودة. العودة إلى الجاهلية. نعم.

(٤٤) سعت علم ابن تيمية وتواضعه

المذيع: قال: فكتبت ما حضرني الساعة.

الشيخ صالح: الله أكبر. كتب الساعة. يعني: هذا يدل على غزارة علمه -رحمه الله وعلى عظيم فقهه إذا كان

أنه كتب في هذه الساعة هذا الكتاب الجليل العظيم المؤصل المقعد المدعوم بالأدلة. نعم.

المذيع: مع أنه لو استوفي ما في ذلك من الدلائل وكلام العلماء، واستقرت الآثار في ذلك، لوجد فيه أكثر

مما كتبه.

الشيخ صالح: أي نعم هذا اعتراف منه -رحمه الله - وعدم اغترار. يعني بعمله. وأن الأمر أكثر مما ذكر

ولكنه أتى بهذا الكتاب في هذه الساعة التي ألفه فيها لأجل سد الحاجة، وأما التفرع والاستقراء والتتبع فهذا

يحتاج إلى أكثر من كتاب. نعم.

(٤٥) صاحب العلم لا يشك في أن مخالفة الكفار مطلب شرعي

المذيع: قال: ولم أكن أظن أن من خاض في الفقه ورأى إيهات الشرع ومقاصده وعلل الفقهاء

ومسائلهم: يشك في ذلك.

الشيخ صالح: أي نعم. يقول ما كان عندي شك أن الذي عنده فقه وعنده دين. أنه يسوغ التشبه، أو يفتي

بجوازه. ما كان يظن هذا بالمنتسبين إلى العلم لكن مع الأسف حصل شيء من ذلك، إما من المتعلمين الذين ليس

عندهم علم، والذين يأخذون المتشابه ويتركون المحكم، وإما من المغرضين والمضللين الذين عندهم علم لكن

يقصدون تضليل الناس أو التقرب إلى الكفار أو إرضاء فلانٍ وعلان.

(٤٦) صاحب الإيمان الصحيح لا يشك في أن مخالفة الكفار مطلب

شرعي

المذيع: بل لم أكن أظن أن من وقر الإيمان في قلبه، وخلص إليه حقيقة الإسلام، وأنه دين الله الذي لا

يقبل من أحد سواه، إذا نبه على هذه النكته: إلا كانت حياة قلبه، وصحة إيمانه: توجب استيقاظه بأسرع تنبيه.

الشيخ صالح: كذلك ما كان الشيخ يظن أنه سيحصل ردة فعل من هؤلاء الذين استنكروا هذه المسألة لما

أثارها في جوابه الأول، ما كان يظن هذا في طلاب العلم وفي العلماء لأن الواجب على المسلم أنه إذا بلغه الحق

فإنه يقبله، وإذا كان على خطأ فإنه يعترف بالخطأ ولو كان عالماً ولو كان إماماً إذا تبين له الخطأ فإنه يرجع إلى

الصواب لأن الحق ضالة المؤمن. الشيخ كان يحسن الظن بهؤلاء، ويظن أنهم ما يستغربون من يبين لهم تحريم

التشبه، وأضراره لكن وقع خلاف ما يظن وهذا من العجائب، وهذا لا يزال في الناس. أي نعم.

وقد نحتاج إلى تكرار هذه المقدمة في بعض أصول الكتاب. يستنكر الناس ما يذكر من النهي عن التشبه أو

يستعظمونه في بعض الجوانب. مثل ما قال -رحمه الله.

هم يصفون شيخ الإسلام -هؤلاء الصنف- بأنه متشدد وأنه كذا وكذا وأنه يصفونه إلى الآن.

٤٧) غالب من يرد الحق لهوى في نفسه وخطورة اتباع الهوى

المذيع: قال: ولكن نعوذ بالله من رين القلوب، وهوى النفوس اللذين يصدان عن معرفة الحق واتباعه.

الشيخ صالح: نعم لو أن المسألة جهل لهان الأمر، لكن المشكلة أن الإنسان يترك الحق وهو يعرفه لأجل طمع

من أطاع الدنيا أو منصب أو رئاسة أو هوى من الأهواء، وهو عالم هذه المصيبة، وهذا من رين الذنوب؛ لأن

الذنوب -عياداً بالله- تعمي القلب.

كما قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]

فالمعاصي تعمي القلب والرغبات الدنيوية والمطامع النفسية تعمي القلب. ولا تريد الحق فهذا هو السبب. فهذا

يؤثر في القلب إذا رد الحق فإنه يصاب بعمى البصيرة. كما قال تعالى: ﴿وَنَقَلْنَا أَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ

أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرْنَاهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]

الواجب على من عرف الحق وبلغه الحق أن يبادر إلى امتثاله فإن تأخر أو تلكأ فإنه قد يطمس على قلبه.

المذيع نسأل الله السلامة.

الشيخ صالح: وقد يطمس على قلبه لا يقبل الحق بعد ذلك عقوبة له ولهذا قال جلّ وعلا في بني اسرائيل:

﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصف: ٥]

فالمؤمن إذا بلغه الحق يحمد الله يغتبط ويفرح به، وإن كان على خطأ يتراجع عن خطئه، ويدعو لمن نبهه، أما صاحب الباطل فإنه لا يتحوّل عن باطله ولا يقبل الحق. فهذا صنف موجود في الناس، ويتكرّر وجوده في الناس

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيْنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَن بَيْنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤٢]

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلّم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحيّاكم الله إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

لشيخ الاسلام / بن تيمية - رحمه الله.

يشرحه ضيف اللقاء فضيلة الشيخ / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحّب بضيفنا الكريم فحيّاكم الله شيخ / صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

(٤٨) حال الناس قبل الإسلام، ومَنّا الله على المسلمين

المذيع: قال المؤلف: - رحمه الله تعالى - فصلٌ حال الناس قبل الإسلام.

الشيخ صالح: نعم.. بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

الشيخ - رحمه الله - في مطلع هذا الكتاب يريد أن يبيّن حالة الناس قبل بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما هم عليه من الكفر والضلال وما يتخبطون فيه من الجهل ليبيّن عظيم نعمة الله ومنه على عباده ببعثة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، وليقارن حالتهم بعد الإسلام مع حالتهم قبل الإسلام ليظهر الفرق المبين بذلك، ولأجل أن يحذر المسلمون أن يعودوا إلى شيءٍ مما كانت عليه الجاهلية بعد أن منّ الله عليهم بالإسلام. نعم.

المذيع: قال: اعلم أنّ الله سبحانه وتعالى بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الخلق على فترة من الرسل.

الشيخ صالح: نعم. الله -جلّ وعلا- بعث محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين. وإمام المرسلين إلى الناس كافة، كان النبي قبله يبعث إلى قومه خاصة أما هذا الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه بعث إلى الناس كافة، وهذا من خصائصه عليه الصلاة والسلام.

المذيع: قال: وقد مقت أهل الأرض -عربهم وعجمهم- إلا بقايا من أهل الكتاب، ماتوا- أو أكثرهم قُبيل مبعثه.

الشيخ صالح: نعم الله -جلّ وعلا- نظر إلى أهل الأرض قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم فمقتهم يعني: أبغضهم عربهم وعجمهم لما هم عليه من الكفر والضلال، وانطاس آثار الرسالة بينهم فكانوا في جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء.

فالله -جلّ وعلا- نظر إليهم ورحمهم لبعثة هذا الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

إلا بقايا من أهل الكتاب كانوا متمسكين بما عليه موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام. كانوا على الدين الحق لكنهم انقضوا قبل البعثة. يعني ماتوا ولم يبق منهم أحد. نعم.

٤٩) أقسام الناس قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم

المذيع: قال: والناس إذ ذاك أحد رجلين: إما كتابي معتصم بكتاب، إما مبدل، وإما منسوخ، ودين دارس، بعضه مجهول، وبعضه متروك، وإما أمي من عربي وعجمي.

الشيخ صالح: نعم الناس كانوا على قسمين في الجاهلية قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، إما أهل كتاب في الأصل لكنهم حرفوا وبدلوا وغيروا في كتابهم ومسخوه فلم يصلح، فلم يعد صالحاً للعمل به لأنه مبدل ومغير ومحرف، وإما أميون ليس لهم كتاب أصلاً فهم يعيشون على جهل متأصل من البداية، وهذا ينطبق على العرب

لأنهم أمة أمية لا يقرأون ولا يكتبون وليس بأيديهم كتاب، وإنما كانوا يتبعون -المتعبدين منهم- كان يتبع الديانة: ديانة النصارى، وبعض يتبع ديانة اليهود، وبعضهم يتبع ديانة المجوس، فكانوا متفرقين في عباداتهم، وأغلبهم ليس لهم انتساب إلى دين، وإنما يعبدون الأوثان والأصنام والأشجار والأحجار. أمة وثنية. هذه حالة الأميين قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]

إذا نخرج من هذا إلى أن الناس قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ليسوا على دين. لأن أهل الكتاب حرفوا دينهم وغيروه وبدلوه، وأدخلوا فيه من الوثنيات والشركيات ما أفسده. وإما أميون ليس لهم كتاب أصلاً فهم من الأصل يعيشون على الجاهلية، وعلى التقليد الأعمى كما قال تعالى: ﴿وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ﴾ [سبأ: ٤٤] يعني العرب. نعم.

المذيع: قال عن هذين: مقبل على عبادة ما استحسنته وظن أنه ينفعه: من نجم، أو وثن، أو قبر، أو تمثال، أو غير ذلك.

الشيخ صالح: نعم هذا في الأميين، هذه حالتهم أنهم يعبدون ما يستحسنون من الأصنام، والأوثان. والصنم هو ما كان على صورة حيوان، وأما الوثن فيعم الصنم والقبر والشجر والحجر. كل ما عبد من دون الله فهو وثن كما قال صلى الله عليه وسلم "اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد" وكل ما عبد من دون الله فهو وثن، فالوثن أعم من الصنم؛ لأن الصنم ما كان على صورة حيوان، أو يعبدون... بعضهم يعبد الجن بعضهم يعبد الملائكة، وبعضهم يعبد الأولياء والصالحين. فكانوا متفرقين في عباداتهم لأنهم ليسوا على دين حق يجمعهم مستند إلى كتاب أو إلى سنة وإنما كانوا يتبعون أهواءهم حتى أن منهم من يصنع الصنم من التمر. ويعبده ثم إذا جاع أكله. إذا جاع أكله. نعم. نعم.

المذيع: قال: والناس في جاهلية جهلاء، من مقالات يظنونها علماً، وهي جهل، وأعمال يحسبونها صلاحاً، وهي فساد.

الشيخ صالح: نعم هذا شأن كل من لا يستند في قوله وعمله إلى وحي الله عز وجل الذي أوحاه إلى رسله عليهم الصلاة والسلام. نعم.

المذيع: وغاية البارِع منهم علماً وعملاً: أن يحصل قليلاً من العلم الموروث عن الأنبياء المتقدمين، قد اشتبه عليهم حقه بباطله.

الشيخ صالح: نعم. وغاية البارِع الحاذق منهم يكون عنده شيء من العلم الموروث عن الأنبياء السابقين لكن يمزجه بكثير من الخرافات، وكثير من الجهليات حتى يضيع نفعه. نعم.

المذيع: أو يشتغل بعمل القليل منه مشروع وأكثره مبتدع، لا يكاد يؤثر في صلاحه إلا قليلاً

الشيخ صالح: أو يشتغل بعملٍ قليله مشروع والكثير منه مبتدع ما لم يشرعه الله مثل الحج. فإن العرب كانوا يحجون إلى البيت من بقايا دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام. كانوا يحجون إلى البيت ولكنهم كانوا يشركون في الحج، فيقولون لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك. فيدخلون الشرك في التلبية، ويدخلون شركاءهم في التلبية مع الله عز وجل، فهم يمزجون الحق بالباطل الحق القليل بالباطل الكثير.

المذيع: أو أن يكدح بنظره كدح المتفلسفة، فتدوب مهجته في الأمور الطبيعية والرياضية، وإصلاح الأخلاق، حتى يصل - إن وصل - بعد الجهد الذي لا يوصف إلى نزرٍ قليلٍ مضطرب، لا يروي ولا يشفي من العلم الإلهي.

الشيخ صالح: هذا قسم ثالث من أقسام العالم:

القسم الأول: أهل الكتاب على ما هم فيه من ضلالٍ تحريفٍ وتبديلٍ.

القسم الثاني: المجوس الذين يعبدون النار ويقال إنهم كان لهم كتابٌ ثم رفع لهم شبهة كتاب. والقسم الثالث: العرب الذين يعبدون من دون الله أهلةً متعددةً.

القسم الرابع: الفلاسفة، الفلاسفة وهم الحكماء. الفلسفة أصلها الحكمة. فهم الحكماء الذين ينظرون في الأشياء ويستتجون منها يتنسون في ترك الملذات والشهوات من أجل أن تصفو قلوبهم، وما أشبه الصوفية الآن بهؤلاء. فإنهم يتركون الملذات والمطاعم والمشارب، أو يقللون من تناولها من أجل أن تصفوا أذهانهم، وتصفوا قلوبهم بزعمهم، وليس عندهم علمٌ من كتاب ولا سنة ولا من وحيٍ منزل، فهم يعتمدون على أذهانهم، وعلى ما تمليه عليهم نفوسهم التي يزعمون أنها صفت وأنها أدركت الحال والحقيقة وأنها وأنها. نعم.

المذيع: قال: لا يروي ولا يشفي من العلم الإلهي.

الشيخ صالح: نعم، وإن كانوا حصلوا على شيءٍ من النظر، ولكن هذا قليل لا يُغني شيئاً.

المذيع: باطله أضعاف حقه- إن حصل- وأتى له ذلك؟ مع كثرة الاختلاف بين أهله، والاضطراب، وتعدُّر الأدلة عليه، والأسباب.

الشيخ صالح: نعم الفلاسفة مختلفون فيما بينهم لا يجمعهم رأي، ولا تضمهم طريقة واحدة، وإنما هم متشعبون في آلاتهم، وهذا شأن كل من لا يكون عنده كتابٌ إلهي، ووحىٍ منزل.

٥٠) عظيم منة الله على خلقه ببعثت النبي صلى الله عليه وسلم

لهداية الناس

المذيع: قال: فهدي الله الناس ببركة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وبما جاء به من البينات والهدى.

الشيخ صالح: لما شرح الشيخ - رحمه الله - حالة العالم، وذكر انقساماتهم وتفرقتهم، وتشتتهم في الأفكار في العبادات، وفي السلوك. ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لأجل أن يخرج الناس من هذه الظلمات إلى النور، ومن الضلالة إلى الهداية، ومن العمى إلى البصيرة. فبعثة هذا النبي صلى الله عليه وسلم منة نفع بها العالم كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]

قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]

فأصبحوا بعد بعثته صلى الله عليه وسلم لما أمنوا به واتبعوه أصبحوا سادة العالم علماء وعملاً وحكماً، وصار العالم كله تحت سيطرتهم، وتحت أيديهم بعد أن كانوا مستضعفين في الأرض. ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعِفُونَ فِي الْأَرْضِ يَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَضْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦]

المذيع: قال: فهدى الله الناس هداية جلت عن وصف الواصفين، وفاقت معرفة العارفين.

الشيخ صالح: نعم حتى الكفار حصلت لهم نوع من الهداية بأن تراجعوا عن كثير مما ظهر لهم أنه باطل، وإن لم يتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم لكنهم انتفعوا ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة العدل نوعاً ما، وفي تعديل الأفكار الجائحة نوعاً ما، أما المؤمنون فإن الله من عليهم منة خاصة - يعني اتبعوه وأمنوا به واستفادوا - استفادوا من بعثته في الدنيا والآخرة. أما أولئك فقد استفادوا نوعاً ما في الدنيا فقط. لكن لما لم يؤمنوا به فإنهم لا يسعدون في الآخرة، أما المؤمنون حصلوا على سعادة الدنيا وسعادة الآخرة. نعم.

المذيع: قال: حتى حصل لأمتة المؤمنين عموماً، ولأولي العلم منهم خصوصاً من العلم النافع، والعمل الصالح، والأخلاق العظيمة، والسنن المستقيمة، ما لو جمعت حكمة سائر الأمم علماء وعملاً، الخالصة من كل شوب إلى الحكمة التي بعث بها، لتفاوتت تفاوتاً يمنع معرفة قدر النسبة بينهما، فله الحمد كما يجب ربنا ويرضى.

الشيخ صالح: كانت منة الله في بعثة هذا النبي صلى الله عليه وسلم على المؤمنين خاصة منة عظيمة لا تقاس

بشمن، ولا تعدل بأي شيء من هذه الدنيا، وهم يتفاوتون.

فالعلماء من هذه الأمة كانت المنّة عليهم عظيمة. هم، والمؤمنون العوام أيضاً كانت عليهم المنّة عظيمة لكنها دون

المنّة على العلماء الذين جمعوا بين العلم والإيمان، جمعوا بين العلم والإيمان والعمل، وأما عامتهم فالله -جلّ وعلا

-أخرجهم من الظلمات إلى النور، ووحدوا الله - عزّ وجلّ - وتركوا عبادة الأصنام والأوثان فكانوا على خير

وعلى حق وعلى هدى. لكن حظهم من هذه المنّة أقل من حظّ أهل العلم، فان أهل العلم من هذه الأمة أعطاهم

الله حظاً وافراً من العلم والعمل والإيمان واليقين أكثر من غيرهم.

الله جلّ وعلا يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]

المذيع: قال: ودلائل هذا وشواهدة.....

الشيخ صالح: ويقول الشيخ: أنه لو جمعت الحكمة التي حصل عليها أتباع هذا الرسول صلى الله عليه وسلم

بحكمة الأولين والأخريين لما وازنت الحكمة التي عند الأمم الأخرى ما وازنت أقل قليل للحكمة التي حصل

عليها أتباع هذا الرسول صلى الله عليه وسلم، ودليل ذلك أن هؤلاء سادوا على العالم بحكمتهم وعلمهم

فأصبحوا قادة الدنيا، أما أولئك وإن كان أعطاهم الله شيئاً من الحكمة والإيمان لكن ما وجدنا أن أحداً منهم ساد

العالم كله.

مثل سيادة هذه الأمة، ما قرأنا ولا عرفنا أن أحداً من تلك الأمم السابقة أتمها انبسطت على وجه الأرض،

وأطاعت لها البشرية كما أطاعت لهذه الأمة المحمدية مما يدل على تميّز هذه الأمة على غيرها من الأمم. نعم.

(٥١) صفة رسالت النبي صلى الله عليه وسلم وهي الإسلام

المذيع: قال: ودلائل هذا وشواهدة ليس هذا موضعها، ثم إنه سبحانه بعثه بدين الإسلام الذي هو

الصراط المستقيم.

الشيخ صالح: نعم. بماذا بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم؟ بعثه الله بدين الإسلام. والإسلام هو دين جميع

الرسل، فالإسلام هو دين الله عز وجل من أول الخليقة إلى آخرها.

كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا

بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩]

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]

والإسلام هو عبادة الله بما شرع في كل وقت بحسبه. فمن اتبع رسولاً من الرسل وتمسك بشريعته في وقته فهو

مسلم إلى أن جاء محمدٌ صلى الله عليه وسلم فكان الإسلام هو ما بعث الله به محمدٌ صلى الله عليه وسلم. نعم

المذيع: قال: وفرض على الخلق: أن يسألوه هدايته كل يوم في صلاتهم.

الشيخ صالح: والإسلام ما هو؟ الإسلام هو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك

وأهله، يتلخص الإسلام في هذه الكلمات: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك

وأهله. هذا هو الإسلام. فمن لم يستسلم لله عز وجل فهو مستكبر، ومن استسلم له ولغيره فهو مشرك.

والمستكبر والمشرك كلاهما في النار.

أما من استسلم وانقاد لله عز وجل وتبرأ من الشرك وأهل الشرك فإنه هو المسلم الحقيقي. وبعثه بالصراط

المستقيم وهو الإسلام، الصراط المستقيم هو الإسلام. وهذا الصراط نسأل الله أن يدلنا عليه وأن يثبتنا عليه في

كل ركعة من صلاتنا بقولنا: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]

المذيع: ووصفه بأنه صراط الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين، والشهداء والصالحين.

الشيخ صالح: نعم نحن نسأل الله ان يهدينا الصراط المستقيم. ما هو الصراط المستقيم؟ هو صراط الذين

أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.



وهم الذين جمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح. لأن الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق. فالهدى هو العلم النافع ودين الحق هو العمل الصالح. فالذين جمعوا بينهما هم الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. فهم درجات أعلاهم درجة الأنبياء ثم يليهم الصدّيقون ثم الشهداء ثم الصالحون. كلهم أنعم الله عليهم. بسبب ماذا؟ بسبب أنّهم تمسّكوا بهذا الصراط المستقيم. نعم.

المذيع: غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

الشيخ صالح: أن يجنبنا الطريق، صراط المغضوب عليهم وهم الذين أخذوا العلم وتركوا العمل، ويتمثل هذا في النصارى، يتمثل هذا في اليهود. فإنّهم أهل علم لكنهم عطّلوا العمل. واتّبعوا أهواءهم، والضالون هم الذين أخذوا العمل وتركوا العلم، ويتمثل هذا في النصارى. فإنّ عندهم رهبانيةً وعندهم زهداً وعندهم لكن لا يعبأون بالعلم. يعملون على غير علم، ويشبههم في هذا كل أصحاب البدع والمحدثات والخرافات من هذه الأمة الذين يتقربون إلى الله بما لم يشرعه من البدع والخرافات والمحدثات.

المذيع: نعم. أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية - رحمه الله - يشرحه فضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٥٢) فوائد من حديث عدي بن حاتم

المذيع: في مقدمة المؤلف - رحمه الله - وحديثه عن حال الناس قبل الإسلام، وبيانه الصراط المستقيم، قال: قال عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم ، وهو جالسٌ في المسجد؛ فقال القوم: هذا عدي بن حاتم. وجئت بغير أمانٍ ولا كتاب، فلما دُفعت إليه أخذ بيدي، وقد كان قال قبل ذلك: "إني لأرجو أن يجعل الله يده بيدي". قال: فلقيته امرأةٌ وصبيٌ معها؛ فقال: إن لنا إليك، حاجة فقام معها حتى قضى حاجتهما، ثم أخذ بيدي حتى أتى بي داره، فألقت له الوليدة وسادةً فجلس عليها، وجلست بين يديه. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما يُفرك؟ أيُفرك أن تقول لا إله الا الله؟ فهل تعلم من إلهٍ سوى الله؟ قال: قلت: لا. ثم تكلم ساعة ثم قال: إنها يُفرك أن تقول: الله أكبر، وتعلم شيئاً أكبر من الله؟ قال: قلت: لا. قال: فإن اليهود

مغضوبٌ عليهم، وإن النصارى ضلال. قال: فقلت: فإني حنيفٌ مسلم. قال: فرأيت وجهه ينبسط فرحاً. وذكر حديثاً طويلاً رواه الترمذي، وقال هذا حديث حسن غريب.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

هذه قصة إسلام عدي بن حاتم - رضي الله عنه - كان أبوه حاتم الطائي، المشهور بالجوذ والكرم، حتى ضرب به المثل، والطائي لأنه من جبل طيِّع المعروف، وكان سيداً على قومه، فلما مات صار ابنه عدي مكانه، فأخذ السيادة على قومه على ما كان من جهليات، وما كان من عادات ورسومٍ بجاهلية، أخذها وقام مقام أبيه في السيادة، فلما ذهبت جيوش الرسول - صلى الله عليه وسلم - إلى جبل طيِّع، ونصرهم الله هرب عدي، هرب عدي إلى الشام؛ خشيةً على نفسه، وكان في السبي أخته، كان في السبي أخت عدي بنت حاتم؛ فجيء بها إلى المدينة، وكانت كبيرة السن، وكانت حكيمة وعاقلة، فطلبت مقابلة النبي صلى الله عليه وسلم؛ فسمح لها بالمقابلة، فأخبرته أنها كبيرة السن وليس بها من خدمة، وطلبت من الرسول أن يمن عليها؛ فمِن عليها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأطلقها.

ثم أرسلت إلى أخيها في الشام؛ تطلب منه أن يقدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتخبره أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لا يقابل السيئة بالسيئة، وأنه يعفو ويصفح؛ فأذهبت الخوف الذي في قلب أخيها عدي بن حاتم. حتى قدم على النبي - صلى الله عليه وسلم - فكان أن دخل عليه، وهو بين أصحابه في المسجد؛ فقالوا له: هذا عدي بن حاتم، فقام إليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخذ بيده وذهب به إلى بيته، بينما هم في الطريق صادفتهم امرأة، ومعها صبي؛ فأخذت بيد الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتنحت به ناحية تسأله، وهو يجيبها. فقال عدي في نفسه: إن هذا ليس بملك، قال: إن هذا ليس بملك.، هذا الذي يتواضع هذا التواضع مع امرأة تأخذ بيده ويقبل عليها وتسأله ويجيبها، هذا ليس بملك، إنما هو رسول، فذهب معه. هذه واحدة.

ذهب معه إلى البيت، والنبي - صلى الله عليه وسلم - أخذ وسادةً، وأجلس عدياً عليها؛ تكرمةً له. وهذه مسألة ثانية أيضًا أثرت في نفسية عدي - رضي الله عنه.

ثم جرى بينه وبين الرسول - صلى الله عليه وسلم - هذا الحوار:

أنفركم من أن تقول: لا إله إلا الله؟ وهل تعلم أن هناك إلهًا حقًا غير الله سبحانه وتعالى؟

قال: لا، ... إلى آخر ما جاء في المحاوراة التي نقرؤها مرة ثانية.

المذيع: قال ما يُفرك؟ أيفرك أن تقول...؟

الشيخ صالح: ما يفرك؟ يعني ما الذي يجعلك تهرب من رسول الله - صلى الله عليه وسلم؟ هل جاء الرسول

- صلى الله عليه وسلم - بشيءٍ تفر منه؟ إنما جاء بلا إله إلا الله، وأنت تقر بلا إله إلا الله.

المذيع: وما يفرك أن تقول: لا إله إلا الله، فهل تعلم من إلهٍ سوى الله؟ قال: قلت: لا.

الشيخ صالح: لا، لا أحد يستطيع أن يقول: إن هناك إلهًا حقًا، وإلا الآلهة كثيرة، لكنها باطلة.

المذيع: نعم.

الشيخ صالح: لكن الإله الحق؟ لا، ليس هناك إلهٌ حق إلا الله - سبحانه وتعالى.

المذيع: قال: قلت لا، ثم تكلم ساعة، ثم قال: إنما يفرك أن تقول: الله أكبر.

الشيخ صالح: يعني أعطاه المهلة بعد أن ألقى عليه هذه المجادلة، أعطاه المهلة؛ ليتروض، ثم عاد إليه مرة ثانية.

المذيع: قال: إنما يفرك أن تقول: الله أكبر، وتعلم شيئاً أكبر من الله؟

الشيخ صالح: أي يفرك، أي يعني: يملكك على الفرار من رسول الله. النداء بـ "الله أكبر" لكل صلاة. هل تعلم شيئاً أكبر من الله عز وجل؟ قال: لا، لا أكبر من الله عز وجل.

المذيع: قال: فإن اليهود مغضوبٌ عليهم. وإن النصرى ضلال.

الشيخ صالح: اليهود مغضوبٌ عليهم، لماذا؟ لأنهم عندهم علم، لكنهم لم يعملوا به، غضب الله عليهم؛ لأن من يعلم ليس كمن لا يعلم.

المذيع: وإن النصرى ضلال.

الشيخ صالح: وإن النصرى ضلال؛ لأنهم يعبدون الله على جهل وضلال، ولا تقبل العبادة إذا كانت على غير علم وعلى غير بصيرة.

المذيع: قال: فقلت: فإني حنيفٌ مسلم؛ فرأيت وجهه ينبسط فرحاً.

الشيخ صالح: أعلن إسلامه - رضي الله عنه - إنني حنيف، والحنيف: هو المقبل على الله المعرض عما سواه، مسلم: منقادٌ لله عز وجل. فلذلك سرّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم.

فهذا يؤخذ منه فوائد عظيمة، أولاً: العناية بالرؤساء ودعوتهم إلى الله؛ لأنهم إذا أسلموا هدى الله على أيديهم خلقت كثيراً.

ثانياً: فيه إنزال الناس منازلهم، فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - استقبل عدياً بالحفاوة والإكرام؛ مما أثر في نفسه.

ثالثاً: فيه الحكمة في الدعوة إلى الله - عز وجل؛ فإن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما قرأنا في هذا المقطع، النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يسأله، كان يسأله أسئلة لا بد أن يجيب بالحق ولا يحدد. سأله هل هناك إله حق غير الله؟ قال: لا. قال: هل هناك أكبر من الله؟ قال: لا.

ثم إن عدياً - رضي الله عنه - أعلن إسلامه؛ لأنه قد انقطعت حجته، تبين له الحق. وهذه طريقة الدعوة إلى الله - عز وجل - تكون بالجدال بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِهِمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]. وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ لما بعثه إلى اليمن: "إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب؛ فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله". أخبره أنه سيقدم على قوم من العلماء، يحتاجون إلى استعداد، يحتاجون إلى مناظرة، ليسوا مثل العوام والجهال؛ فإنهم يحتاجون إلى مناظرة وإلى جدال، ومن لهم غير معاذ رضي الله عنه؟!!

٥٣) خبث اليهود ونقمتهم على المسلمين

المذيع: قال شيخ الإسلام - رحمه الله - وقد دل كتاب الله على معنى هذا الحديث، قال الله سبحانه ﴿قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، فالضمير عائد إلى اليهود.

الشيخ صالح: نعم. اليهود كانوا يسخرون من الصلاة ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٨] ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ [المائدة: ٥٩] شف أهل كتاب ويسخرون.

المذيع: من الصلاة؟

الشيخ صالح: من الصلاة، ﴿هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ [المائدة: ٥٩]، نحن

نؤمن بما عندنا وبما عندكم، كله من عند الله - عز وجل - فلماذا تسخرون منا؟! ﴿إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ [المائدة: ٥٩] هل

الإيمان بالله يُسخر من صاحبه؟! ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ [المائدة: ٥٩] من القرآن وما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل

والكتب ﴿وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٥٩] يعني: الذي ينبغي أنه يُلام ويُعاتب أنتم؛ لأنكم

أهل فسق؟ أما نحن فآمننا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل، وأما أنتم فإنكم فاسقون؛ لأنكم لم تؤمنوا بما أنزل

إليكم، وما أنزل على الرسل، فأنتم الفسقة الخارجون، والفسق معناه: الخروج عن طاعة الله - عز وجل - ثم إن

الله جل وعلا - رد عليهم ردًا مفحماً، وبين مواقعهم وما هم عليه مما لا ينكرونه ﴿قُلْ هَلْ أَنْبِئُكُمْ بِشَرٍّ مِّنْ

ذَلِكَ﴾ [المائدة: ٦٠]

الذي زعمتم أنه فينا وهو ليس فينا ﴿بِشَرٍّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٠] والذين لعنهم الله هم

اليهود الذين حرفوا وبدلوا وغيروا - لعنهم الله - ما هم كل اليهود، لكن الذي الذين حرفوا وبدلوا وغيروا؛ قال

تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا

قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ١٩٩] قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ

الدَّمْعِ﴾ [المائدة: ٨٣] وقال تعالى: ﴿كَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ

يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣] ﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي

الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾

[آل عمران: ١١٤] لكن عتاتهم وطمغاتهم هم الذين فسقوا وخرجوا عن طاعة الله، فالله - جل وعلا - غضب عليهم ومسخهم، جعل منهم القردة والخنازير، وهذا في قضية السبت، لما احتالوا على صيد السمك الذي حرمه الله عليهم يوم السبت ونصبوا له الشباك، واحتالوا على صيده وأخذوه يوم الأحد، استحلوا محارم الله بالحيل. الله - جل وعلا - مسخهم قردةً وخنازير ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥] ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥]، الله مسخهم وصاروا قردة وخنازير والعياذ بالله ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٠] هذا أشد شيء لعنة الله؛ لأن من عنده علم ليس كمن ليس عنده علم. فهم عصوا الله على علم وبصيرة فلعنهم الله - عز وجل - يعني: أبعدهم من رحمته. و ﴿وَعَصِبَ عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٦٠] وهذا أشد الغضب والعياذ بالله غضب الله، وغضب الله عليهم، لماذا؟ لأن عندهم علم ولم يعملوا به. فهم عصوا الله على بصيرة. و ﴿مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَصِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] وفي قراءة ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠]، وعبد الطاغوت الذين يعبدون الأصنام كما عبدوا العجل، عبدوا العجل من دون الله - عز وجل - لما صنعه لهم السامري من الذهب على صورة عجل، عبدوه من دون الله - عز وجل، ﴿فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِي﴾ [طه: ٨٨] موسى نسي راح يبحث عن ربه، وهو عندكم هنا، راح يبحث عن ربه؛ لأن موسى راح للقاء الله - عز وجل - قالوا: إنه نسي، إنه راح يبحث عن ربه وهو موجود عندكم ﴿هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِي﴾ [طه: ٨٨]. فهؤلاء هم الأولى والأليق بأن يذموا ويستهزأ بهم ويسخر منهم.

المذيع: الإشارة في قوله - تعالى - ﴿هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾ [المائدة: ٥٩] فيها أن هؤلاء يعييون المؤمنين بأشرف المنازل وأفضلها.

الشيخ صالح: ما فيه شك في الإيمان بالله - عز وجل.

المذيع: جعلوه عيباً لهم.

الشيخ صالح: جعلوه عيباً، كذلك أهل الشر يجعلون الخير عيباً وشرّاً، لأنهم مُسِخت أذواقهم؛ فصاروا يعتقدون أن الخير شرّاً والحق باطلاً.

٥٤) نقمة الجهلاء على علماء المملكة وأنواع السفر

المذيع: من هذا الباب شيخنا - حفظك الله - أحياناً بعض من لا يفهم الخير يظنه شرّاً، فيعيب أهله به مثل ما جاء في القرآن ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾ [البروج: ٨]، ﴿هَلْ تَنْقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا﴾ [المائدة: ٥٩] أحياناً يقال عنكم - عفواً شيخنا - علماء المملكة، نجاكم الله من الخروج جلستم في خير بلاد، دعوتكم إلى الخير - جزاكم الله خيراً، مما يُنقَم عليكم يقال: إن علماءكم لم يخرجوا. ترون هذا عيباً أنتم أو مدحة تحمدون الله عليها؟ يعني الأفضل لو أنكم خرجتم وخالطتم الناس، شفتهم النساء السافرات والمشاكل، ينقُمون منكم أنكم لم تخرجوا. مشكلة علماءكم السعوديين أنهم لم يخرجوا، هم يعيرون أنكم لم تسافروا ولم تخرجوا.

الشيخ صالح: الخروج على قسمين. خروج للدعوة والبيان والإرشاد، وهذا واجب وهذا قام به العلماء - والله الحمد - فهم يخرجون ويطلعون على المنابر، يظهرون في الندوات والمحاضرات والمساجد والمحافل ويبينون للناس الحق، هذا خروج شرعي.

أما النوع الثاني: وهو الخروج للميوعة، وتمتيع الأنظار بالفسق والمناظر الخبيثة من غير إنكار، ومن غير أمرٍ بمعروف أو نهي عن منكر، فهذا الخروج برأ الله منه العلماء، فالعلماء يترفعون عن هذا الخروج الذي فيه الميوعة والانسياح، وإقرار المنكر وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المذيع: العلماء بحاجة أن يخرجوا ليروا الناس؛ ليعطوا فتاوى تناسب الناس، أو يعلموا الناس بالحق ليحملوهم عليه.

الشيخ صالح: كما ذكرنا العلماء يخرجون الخروج الشرعي، الذي فيه الدعوة والبيان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتعليم الناس الشريعة. العلماء يخرجون في المساجد وفي المنابر وفي الندوات وفي المحافل، وفي كل مجال فيه مجال للدعوة إلى الله، ما اختفوا ولا تَسْتَرُوا. لكن هم لا يريدون هذا، هم يريدون من العلماء أن يندمجوا في المجتمع الفاسد، وأن لا يتشددوا وأن لا يتعصبوا - بزعمهم - يكونون مرين. هذا قصدهم. يكونون مرين مع أهل الباطل، لا ينكرون عليهم ويعتبرونهم من البشرية. وهم من البشرية الفاسدة، نعم. بشرية لكن فاسدة.

العلماء يرفعون عن أنهم يندمجون مع أهل الباطل، ومع أهل الشر بدون إنكار وبدون بيان، وبدون...، يريدون أن لا نبين، ولا ننصح ولا... بل ندمج معهم ونكون مرين، والدين يقولون الدين يسر وسماحة، يفسرون اليسر والسماحة بهذا التفسير الخاطيء، والذي معناه أن نترك الناس، ونقول: الناس أحرار وكلهم يعبرون عن رأيهم وعن حريتهم وعن كذا وكذا، بئست الحرية وبئست الآراء هذه تهلكهم قبل غيرهم. فنحن نبين لهم لأجل أن ننقذهم من هذه الورطات ومن هذه المهلكات.

٥٥) موالاة الكفار من علامات المنافقين

المذيع: بإذن الله تعالى. قال - رحمه الله: وقال الله - تعالى ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا

هُم مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤] وهم المنافقون الذين تولوا اليهود باتفاق أهل التفسير، وسياق الآية يدل

عليه.

الشيخ صالح: ﴿أَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِّنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَخْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ

وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [المجادلة: ١٤]، الآية في سياق أعمال المنافقين، في سياق أعمال المنافقين الذين يظهرون الإسلام

ويبطنون الكفر؛ لأن في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضًا، هؤلاء هم المنافقون، علامتهم: أنهم يوالون الكفار

يتولونهم، يحبونهم ويناصرونهم ويؤيدونهم على المسلمين، تولوا قوماً يعني أيدهم وناصروهم، في أول الآيات يقول ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ [الحشر: ١١] هذه مناصرة، ﴿وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِيَّاهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١] فهم يتولونهم بهذا، يقولون ﴿لَئِن أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾، ﴿وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِيَّاهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١]، هذه موالة هذه موالة، مع أنهم يدعون أنهم مؤمنون، فهذا دليل على كذبهم في هذه الدعوة. " ألم تر إلى الذين تولوا قوما غضب الله عليهم "، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المجادلة: ١٤] من هم؟ اليهود الذين كانوا في المدينة من بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، فهم يهود تولوا قوما غضب الله عليهم، فدل على أن اليهود مغضوبٌ عليهم، وأن المراد بقوله ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧] هم اليهود ومن سار في ركا بهم.

٥٦) إِذْ لَالِ اللَّهُ لِلْيَهُودِ وَتَضْمِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنْ

النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ﴾

المذيع: وقال تعالى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبِ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢].

الشيخ صالح: هذه عقوبة لهم، لما غضب الله عليهم ولعنهم ضربهم بهذه العقوبة للذلة، ضربهم الله بالذلة ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا تُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٢] فاليهود لا يظهرون إلا بأمرين، إما بإظهار الله لهم للابتلاء والامتحان وإما بنصرٍ من الناس يؤيدونهم، والواقع هو الحاصل الآن، فإن اليهود ما ظهروا إلا على أكتاف النصارى، على أكتاف المسيحيين الذين يسمون أنفسهم بالمسيحيين، فهم ما

ظهروا بأنفسهم، وإنما أظهرهم النصارى، واعتمدوا على النصارى. فهذا مصداق قوله تعالى ﴿إِلَّا بِحَبْلِ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢] لكن لا يستمر ظهورهم لا يستمر.

المذيع: الحمد لله.

الشيخ صالح: بل يضمحل، وقد سلط الله عليهم على مدار التاريخ الجبابرة، ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيُبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧] ظهر عليهم بختنصر في الأول، وكما قصه الله في أول سورة الإسراء ودمرهم تدميراً، ثم ظهر عليهم فرعون كما في مصر، وكما حصل من فرعون معهم ﴿يُقْتَلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [الأعراف: ١٤١]، لولا أن الله بعث موسى - عليه الصلاة والسلام - فأنقذهم الله به، لكن لم يتبعوا موسى وحرفوا وبدلوا فعادت عليهم اللعنة والغلظ، وسلط عليهم في الوقت الأخير الألمان بقيادة هتلر، فماذا صنع بهم مما لا يزالون يذكرونه؟ وسينزل الله بهم بأسه في آخر الزمان على يد المسلمين، كما أخبر بذلك نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أن اليهودي يختبئ وراء الحجر والشجر، فيقول: يا مسلم، هذا يهودي خلفي، تعال فاقتله، إلا الغرق فإنه من شجر اليهود.

المذيع: قال: وذكر في آل عمران قوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢] وهذا بيان أن اليهود مغضوبٌ عليهم.

الشيخ صالح: نعم وذكر في سورة آل عمران ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٢] بأؤوا يعني رجعوا بغضبٍ من الله. وكل هذه الآيات تدل على أن المغضوب عليهم هم اليهود، لماذا؟ لأنهم عصوا الله على بصيرة، وهم علماء يعرفون ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦] ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البقرة: ٨٩]

في الجاهلية يقولون: سببت نبي فنقاتلكم، يقولون لأعدائهم: سببت نبي فنقاتلكم معه، فلما بعث محمد - صلى الله عليه وسلم - كفروا به، ﴿وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] ﴿يَسْتَسْأِمُونَ بِأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [البقرة: ٩٠]،

رجعوا بغضبين والعياذ بالله، غضب على غضب، لماذا؟ لأنهم بدلوا وغيروا وعصوا رسول الله صلى الله عليه وسلم. فغضب الله عليهم. فهذه كلها أدلة على أن المغضوب عليهم المذكورون في سورة الفاتحة أنهم اليهود.

المذيع: هل يدخل معهم من اتصل بصفاتهم ممن عصا على علم؟

الشيخ صالح: ما هذا خاص بهم، كل عالم لا يعمل بعلمه فهو مثلهم.

المذيع: نسأل الله العافية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام/ ابن تيمية - رحمه الله - يشرحه فضيلة الشيخ الدكتور/ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم حيّاكم الله شيخ / صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

المذيع: كان المؤلف - رحمه الله - يتحدث عن بيان أن المغضوب عليهم هم اليهود ذكر ما يحقّ عليهم الوصف بذلك من الآيات، ثم ذهب بيّن المقصود بالضالين هم النصارى. فقال: - رحمه الله - وقال الله تعالى في النصارى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣] - إلى قوله - ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] وهذا خطابٌ للنصارى، كما دلّ عليه السياق.

(٥٧) كل من لا يعمل بعلمه فقد أشبه اليهود

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين. صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

لا شك أن اليهود مغضوبٌ عليهم. لأن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ

السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠]

وهذا في اليهود لأتهم هم الذين مسح الله منهم قردهً وخنازير في قضية السبت التي ذكرها الله في سورة الأعراف لما تحايّلوا على شرع الله - عزّ وجلّ - أحلّوا ما حرّم الله بالحيلة. فمسخهم الله قرده وخنازير. فهم مغضوبٌ عليهم. ودلّت على هذا آياتٌ كثيرة.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنهم مغضوبٌ عليهم. ولكنّ هذا لا يعني أن الغضب قاصرٌ عليهم. بل يتناول كل من اتّصف بصفته من هذه الأمة من كل عالمٍ لا يعمل بعلمه فإنّه يكون مشابهاً لليهود. ويستحقّ الغضب من الله - عزّ وجلّ -.

(٥٨) من يعمل بغير علم فهو ضال

وكذلك في النصارى فإنّ القرآن دلّ على أنهم ضالون. والضالّ هو الذي يعمل بغير علم ويتبع هواه. ويعمل بالبدع والمحدثات التي لم يشرعها الله سبحانه وتعالى. فهذا ضالٌّ عن الصراط المستقيم. الأوّل مغضوبٌ عليه لأنّه تاركٌ للصراط المستقيم، وهذا ضالٌّ لأنّه يعمل على غير الصراط المستقيم. اليهود عطّلوا العمل، وهذا يعمل لكنّه يعمل على غير هدى، وعلى غير صراطٍ مستقيم. وهذا كما في الآية التي ساقها المصنّف - رحمه الله -

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ

سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧]

وهذا لا شكّ أنّه خطابٌ للنصارى الذين غلّوا في المسيح وقالوا أنّه ابن الله. وقالوا أنّه ابن الله، فالله - جلّ وعلا - حكم عليهم بالضلال، وأنهم يتبعون قوماً من قبلهم ضلّوا أيضاً كما في الآيات الأخرى في قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيْرُ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيْحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا

مَنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠]

﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]

فالنصارى هم الضالون في الأصل، وهم القادة في الضلال.

لكن يتبعهم كل من اتصف بصفاتهم من كل مبتدع يعبد ربه بالبدع والمحدثات، أو يعبد ربه على غير دليل وعلى غير علم من كتاب الله من سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولهذا يقول بعض السلف من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى.

٥٩) تفسير الغلو والنهي عنه وعن ضده وهو التقصير وأن الحق بينهما

المذيع: نعم. أحسن الله إليكم. قال: ولهذا نهاهم عن الغلو، وهو مجاوزة الحد، كما نهاهم عنه في قوله:

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ
أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾ [النساء: ١٧١]

. نعم. قال: واليهود.....

الشيخ صالح: الشيخ - رحمه الله - يفسر الغلو لأنه مجاوزة الحد.

يقال غلى القدر إذا ارتفع الغليان. غليان الماء فيه. وخرج عن حده، فهذا هو الغلو هو الزيادة عن الحد المشروع

والنصارى غلو في المسيح، حيث رفعوه من منزلة العبودية إلى منزلة الإلهية. فهم خرجوا عن الحد في حق عيسى

- عليه السلام - ولهذا قال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ

وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]

لأنّ النصارى طوائف منهم من يقول أنّ المسيح ابن الله، ومنهم من يقول: الله ثالث ثلاثة. ومنهم من هو على الحق فيقول: المسيح عبد الله ورسوله.

المذيع: قال: واليهود مقصرون عن الحق والنصارى غالون فيه.

الشيخ صالح: نعم. النصارى يتصفون بالغلو. يتصفون بالغلو والزيادة على الدين، على ما شرعه الله - عز وجل -، وأما اليهود فهم على العكس. بالتقصير عن الحق وترك الحق.

المذيع: نعم. فأما وسم اليهود بالغضب، والنصارى بالضلال: فله أسباب ظاهرة وباطنة، ليس هذا موضعها.

الشيخ صالح: أي نعم لا شك أنّ اليهود يوصفون بالغضب، يتتهون بالغضب، ولذلك يسمون بالأمة الغضبية، والنصارى يوصفون بالضلال وهذا في أدلة كثيرة، فهم على طرفي نقيض، فاليهود مقصرون والنصارى غالون ومتجاوزون وخير الأمور هو الوسط، وهو الذي نسال الله أن يهدينا إليه ويثبتنا عليه في قولنا في كل صلاة ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]

فهو الطريق الوسط بين الغالي والجافي. نعم.

٦٠) بيان سبب كفر اليهود والنصارى

المذيع: وجماع ذلك: أنّ كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم، فهم يعلمون الحق ولا يتبعونه عملاً، أو لا قولاً ولا عملاً.

الشيخ صالح: نعم هذا صفة اليهود، أنّهم يعلمون. عندهم علم. ولذلك سّماهم الله أهل الكتاب، سّماهم العلماء، لكنهم عطّلوا العمل. أخذوا العلم وعطّلوا العمل، والعلم إنّما يراد للعمل. العلم لا يراد لذاته. وإنّما

يراد للعمل. فإذا خلا من العمل أصبح لا فائدة فيه، بل أصبح حجةً على صاحبه يوم القيامة، والذي يعصي الله على بصيرة أشد من الذي يعصي الله على جهل. نعم.

المذيع: وكفر النصارى: من جهة عملهم بلا علم. فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة من الله، ويقولون على الله ما لا يعلمون.

الشيخ صالح: نعم. وأما كفر النصارى فهو أنهم أخذوا العمل وعطلوا العلم. فهم يعملون بغير علم ولا يرغبون في العلم بل يزهدون فيه، ويقولون أنه يشغلنا عن العبادة، ويشغلنا عن العمل.

وهذه مقولة لا تزال على ألسنة الصوفية إلى وقتنا الحاضر. فهم ينفرون من العلم ومن العلماء يشتغلون بالذكر والتسبيح وقيام الليل لكن على غير علم. وإذا قيل لهم اطلبوا العلم قالوا: المقصود العمل. أما طلب العلم فهو يشغلنا عن العبادة. زين لهم الشيطان هذا فهم ضالون من هذه الناحية أنهم يعملون على غير علم وعلى غير بصيرة وعلى غير هدى من الله - عز وجل.

فلا بد فلا بد من جمع الأمرين: العلم النافع والعمل الصالح. نعم.

المذيع: قال ولهذا كان السلف، سفيان بن عيينة وغيره يقولون: إن من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى. وليس هذا موضع شرح ذلك.

الشيخ صالح: نعم هذا صحيح قول سفيان بن عيينة وغيره - رحمهم الله: من فسد من علمائنا - يعني من علماء المسلمين - ففيه شبه من اليهود. لأنه أخذ العلم وترك العمل، بل فسد في سلوكه وفي عبادته، وكان المفروض فيه الصلاح. في سلوكه وفي عبادته عملاً بالعلم.

وإن من فسد من عبادنا، وزهادنا ففيه شبه من النصارى الذين أخذوا العمل وتركوا العلم، وهذا كما ذكرنا ينطبق على كثير من الصوفية اليوم. وهي ظاهرة عليهم. أنهم لا يجلسون في حلق الذكر ولا يجلسون عند العلماء.

وإنما يشتغلون بالعبادة بزعمهم. والعبادة إذا كانت على غير علم فهي ضلال ليست هدى وهي شقاء وليست سعادة، وهي تعب وليست راحة ولا فيها فائدة، إنما فيها الضلال فهم يبعدون عن الله - سبحانه - مع أنهم يظنون أنهم يتقربون إليه. نعم.

(٦١) تشبه المسلمين باليهود والنصارى من دلائل النبوة

المذيع: قال: ومع أن الله قد حذرنا سبيلهم، ففضاؤه نافذ بما أخبر به رسوله مما سبق في علمه، حيث قال: فيما أخرجه في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه " قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: " فمن؟ "

الشيخ صالح: نعم. مع أن الله - جلّ وعلا - حذرنا من اتباع طريق المغضوب عليهم. وطريق الضالين، وأن نسأل الله أن يجنبنا طريقة الفتنين. فإن قدر الله نافذ وذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أنه سيكون في هذه الأمة من يتبع هاتين الطائفتين.

فقال صلى الله عليه وسلم: " لتبعن سنن " وفي رواية سنن بالفتح. أي طريقة والسنن الطريقة والسنن الطرق. " لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة " السهم. لأن السهم له قذتان متعادلتان، حتى لا يميل في أثناء إرساله كجناحي الطائر يعتدل بهما. " حذو القذة بالقذة " أي كما تساوي القذة القذة الأخرى، فيكون في هذه الأمة من يعمل بعمل اليهود والنصارى تماماً حذو كما تشبه القذة شكل القذة الأخرى، " حتى لو دخلوا " دخل اليهود والنصارى في جحر ضب مع أن جحر الضب معلوم أنه من أعسر الجحور. ومن أضيقتها لأن الضب يتخذ جحراً يلجأ فيه عن الطلب، ويكون عسراً في الدخول عسراً في الخروج. فلو أن اليهود والنصارى دخلوا في هذا الجحر الضيق لوجد في هذه الأمة من يدخله تقليداً لهم.

وهذا واضح كما أخبر به صلى الله عليه وسلم، وكم نرى من التشبه باليهود والنصارى في الأمور التافهة التي لا قيمة لها والتي هي مذمومة. ومنقصة، لكن هؤلاء يعتبرونها كمالاً، يعتبرونها رقيماً وحضارةً وتطوراً. لما كان اليهود والنصارى يعرون نساءهم، ويخرجونهن إلى الأعمال الشاقة، ومخالطة الرجال وجد في هذه الأمة من يدعو إلى ذلك ويرغب فيه ويجبذه بل ينفذه في نساءه وبناته تقليداً لليهود والنصارى، يظن أن اليهود والنصارى ما وصلوا إلى هذه المنزلة في الصناعة إلا بسبب تعرية نساءهم، وسفور نساءهم، وكذلك في بقية الأمور من حلق اللحية ومن توفير الشوارب ومن، ومن إلى آخره، وفي اللباس؛ يقلدون اليهود والنصارى ويعتبرون هذا من الكمال، ينظرون إلى ما بأيدي اليهود والنصارى الآن من الثروة ومن السلاح والمخترعات، ويظنون أنهم وصلوا إليه بهذه الترهات؛ في حين أنهم إنما وصلوا إلى هذا بالجد والاجتهاد في طلبه وتعلمه.

أما هذه الترهات فإنها لا توصل إلا إلى الأخلاق الذميمة، فهم وإن تطوروا في صناعاتهم ومخترعاتهم، إلا أنهم منحطون في أخلاقهم وسلوكهم. نعم.

فالحاصل أن الشيخ - رحمه الله - يقول مع أن الله ورسوله حذر من اتباع اليهود والنصارى إلا أنه قضى الله أن يكون في هذه الأمة من يتبعهم. هذا قضاء وقدر. نعم. والله قضى عليهم بذلك عقوبة لهم. فإن الإنسان إذا أحبهم وإذا رأى فيهم رفعة قلدهم وتبعهم في ذلك. فالله عاقبه بهذه المصيبة. نعم.

المذيع: وروى البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم -

قال: " لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع " فقيل: يا رسول الله، كفارس والروم؟ قال: " ومن الناس إلا أولئك؟ "

الشيخ صالح: نعم. في الحديث الذي قبل هذا قالوا يا رسول الله: اليهود والنصارى؟ يعني أتعني بقولك

لتبعن سنن من قبلكم، أتعني بمن قبلنا اليهود والنصارى؟. قال فمن؟ يعني لا أعني إلا إياهم، وفي هذا أنه قال

صلى الله عليه وسلم: " لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي مأخذ القرون، شبراً بشبر، وذراعاً بذراع " لأتهم

يتبعونهم في كل شيء، في الحديث الذي قبله حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه، فهم يتبعون اليهود والنصارى في أنفه الأشياء، وأحط الأشياء؛ لأنهم يرون أن هذا هو الكمال وهذا هو الرقي. " فقالوا يا رسول الله: فارس والروم " وفارس هم الشعب المعروف في المشرق، والروم هم الشعب المعروف في المغرب، وكلا الفريقين من الكفار. ويوجد في هذه الأمة المحمدية من يأخذ مأخذ هاتين الأمتين: أمة الفرس، وأمة الروم، ويترك هدي الرسول - صلى الله عليه وسلم - ويتشبه بهؤلاء.

فهذا من علامات نبوته - صلى الله عليه وسلم - حيث إنه أخبر بما سيقع؛ فوقع كما أخبر - صلى الله عليه وسلم - ، وهذا خبرٌ منه معناه التحذير ليس مجرد الخبر، وإنما هو معناه التحذير. لهذه الأمة أن لا تغتر بمن تشبه باليهود والنصارى، بل عليها أن تتجنب هذا، وأن تتعد عنه إذا حصل وإذا وقع.

المذيع: فأخبر أنه سيكون في أمته مضاهاة لليهود والنصارى وهم أهل الكتاب، ومضاهاة لفارس والروم وهم الأعاجم.

نعم مضاهاة لليهود والنصارى، ومضاهاة للأعاجم من الفرس والروم وكلا المضاهتين كلاهما مذموم. لا مضاهاة لليهود والنصارى. -مع أنهم أهل كتاب- ولا مضاهاة للأعاجم الذين لا كتاب لهم. نعم.

٦٢) نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التشبه بأهل الكتاب

والأعاجم

المذيع: وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء. وليس هذا إخباراً عن جميع الأمة.

الشيخ صالح: نعم. وكان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء: التشبه بأهل الكتاب، والتشبه بالأعاجم. لما في التشبه بهم من النقص، لما فيه من أن الإنسان إذا تشبه بهم في الباطل، إذا تشبه بهم في الظاهر، فإنه يتشبه بهم في الباطل. بلا شك. ولهذا سيأتي في قول الشيخ: أن هذا الحديث من تشبه بقوم فهو منهم أنه يقتضي بظاهرة تحريم التشبه. وإن كان يقتضي في باطنه أن التشبه كفر، لقوله فهو منهم "من تشبه بقوم فهو منهم"

ومعنى منهم أنه يكفر بذلك، وهذا فيه تفصيل كما أن التشبه قد يكون مكروهاً وقد يكون محرماً، وقد يكون كفراً. فإذا تشبهنا بهم في دعاء الأموات، والغلو في الصالحين، وبناء المشاهد على القبور؛ فهذا كفر. هذا تشبه كفر، أو يؤول هو وسيلة إلى الكفر، وأما أن يكون معصية وكبيرة من كبائر الذنوب، أو يكون محرماً على حسب المقامات. نعم.

٦٣) بقاء أهل الحق في أمة النبي صلى الله عليه وسلم وتمسكهم

بالمدين وهذا من دلائل النبوة

المذيع: وقد كان صلى الله عليه وسلم ينهى عن التشبه بهؤلاء وهؤلاء، وليس هذا إخباراً عن جميع الأمة بل قد تواتر عنه أنه: لا تزال طائفة من أمة ظاهرة على الحق حتى تقوم الساعة، وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة.

الشيخ صالح: يعني لا تفهم أيها السامع أن قوله - صلى الله عليه وسلم - "لتتبعن سنن من قبلكم" ومن قوله صلى الله عليه وسلم: "لتأخذن أمتي مأخذ الأمم قبلها" لا تفهمن الأمة كلها ستعمل هذا العمل، بل إن من يعمل هذا العمل إنما هو بعض هذه الأمة، أو كثير من هذه الأمة، ولكن لا تزال بقية باقية على الحق لا تتحول عنهم ولا تشبه باليهود ولا بالنصارى ولا بالأعاجم، وهم الذين أخبر عنهم صلى الله عليه وسلم بقوله: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله" تبارك وتعالى، فهذا فيه أمران: الأمر الأول التحذير من التشبه باليهود والنصارى والأعاجم، والأمر الثاني أن في هذه الأمة بقية لا تسلك هذا المسلك، علينا أن نكون مع هذه الطائفة، أن نكون مع هذه الطائفة الثابتة على الحق. نعم.

المذيع: وأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله لا يجمع هذه الأمة على ضلالة. وأن الله لا يزال يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم فيه بطاعته.

الشيخ صالح: أي نعم هذا من البشري. أنه مع كثرة من يقلدون اليهود والنصارى ويتشبهون بهم؛ فإن في هذه الأمة طائفة ثابتة على الحق، ولا تسلك هذه المسالك التي حذر منها النبي صلى الله عليه وسلم، وأن هذه الأمة لا تجمع على ضلالة، هذا فيه دليل على حجية الإجماع. أي نعم كما هو عند الأصوليين، فإن هذه الأمة لا تجمع كلها على ضلالة، بل لا بد أن يكون فيها من هو على الحق ولا يتبع الضلال، وهذا خبر منه - صلى الله عليه وسلم - معناه الحث على أن نكون مع هذه الطائفة الباقية على الحق، الثابتة عليه، وأن لا نذهب مع الكثرة التي راحت مع تقليد اليهود والنصارى ومن ضاهاهم. نعم.

(٦٤) أوصاف أهل الحق

المذيع: قال: فعلم بخبره الصدق أنه في أمته قومٌ مستمسكون بهديه الذي هو دين الإسلام محضاً، وقومٌ منحرفون إلى شعبةٍ من شعب اليهود، أو إلى شعبةٍ من شعب النصارى.

الشيخ صالح: نعم هذا مقتضى خبره صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى، أنه مع كثرة الشر فإن الخير موجود في هذه الأمة، وأن هذه الأمة لا تضل كلها، وإنما يضل بعضها ويبقى البعض على الحق، وهذه بشارة منه صلى الله عليه وسلم، وأن الله سبحانه يغرّس لهذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته من ناشئة المسلمين الذين ينشأون على الخير، ويسلكون طريق الحق من غير غلوٍ ومن غير جفاء، بل يأخذون منهج السلف الصالح ذي حكمةٍ ورويةٍ واعتدالٍ لا إفراط ولا تفريط. نعم.

(٦٥) بيان أن التشبه بالكفار منه كفرٌ وفسقٌ ومعصيةٌ

المذيع: قال: وإن كان الرجل لا يكفر بكل الانحراف.....

الشيخ صالح: ثم أيضاً نبه - رحمه الله - في آخر كلامه إلى أن هذا التشبه باليهود والنصارى ليس معناه أنه من تشبه بهم يكفر.. يخرج من الدين، بل معناه أنه يكون على شعبة من النفاق، أو شعبة من الكفر أو شعبة من الضلال، لكن لا يحكم عليه بالكفر، بل يحكم عليه بأن عنده شعبة من الكفر أو شعبة من النفاق. نعم.

المذيع: قال: وإن كان الرجل لا يكفر بكل الانحراف بل وقد لا يفسق أيضاً.

الشيخ صالح: نعم. يعني لا يفسق الفسق المخرج من الملة، أو لا يفسق الفسق المخرج من العدالة. قد يكون التشبه كما ذكرنا سابقاً.

قد يكون كفراً، قد يكون كبيرةً من كبائر الذنوب، قد يكون معصية من الصغائر، التشبه يختلف فلا نحكم على كل متشبهه بأنه كفر، أو أنه فاسق بل نحكم عليه بمقتضى العدل ومقتضى الدليل، لكن على العموم فالتشبه بالكفار لا يجوز سواءً كان كفراً أو كان فسقاً أو كان معصية. لا نتساهل في التشبه بالكفار نعم.

المذيع: قال: بل قد يكون الانحراف كفراً، وقد يكون فسقاً، وقد يكون معصيةً، وقد يكون خطأً.

الشيخ صالح: قد يكون خطأً إذا لم يقصده المتشبه ما قصد، ولكن رأى الناس يعملون هذا وهو على جهل وظن أن هذا لا بأس به فأخذه فهذا عن خطأ لم يتعمده. فإذا التشبه على أربعة: إما أن يكون كافراً وإما أن يكون فاسقاً وإما أن يكون عاصياً وإما أن يكون مخطئ. هذا هو العدل. الان نغلو في الحكم على المتشبهين بأنهم كفار، ولا نتساهل فنقول: هذا تقدم وهذا رقي وحضارة، بل علينا أن نعتدل في حكمنا. نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم الله خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن

المذيع: الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون

الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم

مخالفة أصحاب الجحيم. لشيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - رحمه الله.

ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة

الدائمة للافتاء.

في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم حياكم الله شيخ صالح وبيّاكم.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(٦٦) متى يكون التشبه كفراً أو فسقاً؟

المذيع: في لقائنا السالف وقفنا عند بيان أن التشبه باليهود والنصارى والأعاجم ليس على درجة واحدة.

وأنه قد يكون منه كفرٌ وقد يكون فسقٌ. وقد يوجد منه معصية وقد يكون متشبه مخطئاً خطأً.

وأشار فضيلتكم - جزاكم الله خيراً - إلى أنه يجب التوسط في الحكم على المتشبهين. فلا كل متشبه يقال أنه كافر

ولا كل متشبه يقال أنه متقدم.

الشيخ صالح: نعم، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد. وعلى آله

وصحبه.

أما بعد؛ بقي أن نبيّن متى يكون كفراً؟. نعم. متى يكون فسقاً؟ ومتى يكون معصية؟. ومتى يكون خطأً؟ يكون

كفراً إذا كان التشبه بهم في عباداتهم. فإنهم يغالون في الأولياء والصالحين. ويدعونهم من دون الله - عز وجل -.

نعم. ويبنون على قبورهم الكنائس والمشاهد. فإذا وجد في هذه الأمة من يعمل هذه الأعمال فإنه يكون كافراً لأنه

عبد غير الله، دعا غير الله أو عمل عملاً يوصل إلى الكفر بالله - عز وجل - فالبناء على القبور. وسيلة إلى الشرك فإذا عبد الميت ودعاه من دون الله واستغاث به. صار كفراً مخرجاً من الملة وشركاً أكبر.

ويكون فسقاً كما إذا كان من المؤمنين من يشرب الخمر ومن يزني ومن يفسق تقليداً لليهود والنصارى فهذا يكون فاسقاً. لأنه مرتكبٌ لكبيرةٍ من كبائر الذنوب دون الشرك.

ويكون معصية كمن حلق لحيته هذا معصية. هو محرّم ومعصية لكن لا يصل إلى حد الفسق. إلا إذا داوم عليه وجاهر به فإنه حينئذٍ يتحوّل إلى كبيرة. لأن التساهل في الصغيرة والمجاهرة بها يحوّلها إلى كبيرة.

ويكون خطأً إذا - كما ذكرنا سابقاً - إذا ظنّ أن هذا خير وأنه رأى عليه الناس وهو لا علم عنده فهو يقلّد من يتشبهون وهو لا يريد الشرّ وإنما يظنّ أن هذا أنه من المباحات أو أنه من الكمالات فهذا مخطئ.

٦٧) طبيعة الإنسان البشرية تقتضي فسادَه إن لم يهده الله تعالى

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: - رحمه الله - (وهذا الانحراف أمرٌ تتقاضاه الطباع. ويزينه الشيطان.

فلذلك أمر العبد بدوام دعاء الله - سبحانه - بالهداية إلى الاستقامة التي لا يهودية فيها ولا نصرانية أصلاً.)

الشيخ صالح: نعم. والطباع البشرية تقتضي من الإنسان الانحراف. واتباع الشهوات. الطبيعة البشرية،

الإنسان في طبيعته. إن لم يتداركه الله - عز وجل - فإنه بطبيعته البشرية يميل إلى ما يتعارض مع الأخلاق ومع الدين إلا من رحم الله - سبحانه وتعالى - وبقي على فطرته.

بقي على فطرته لأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول: (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) فتفسد الفطرة وتنحرف الطبيعة. وكذلك الشهوات النفسانية فإن نفسه أيضاً تأمر بالسوء

كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا أُبْرئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [يوسف: ٥٣]

فالإنسان لو ترك شهوته ولو ترك شهوته نعم. أو ترك وطبيعته المنحرفة. لمال إلى ما عليه هؤلاء.

المذيع: نعم. فيما يكون من السبب خطأً يا شيخ ممكن يوصف به من فعله وهو غير عالم.

الشيخ صالح: فعل شيئاً لم يعلم أنه يعني لم يقصد التشبه به. هذا هو بأي خطأ يعني. هذا هو نفع.

قال (وهذا الانحراف أمرٌ تتقاضاه الطباع ويزينه الشيطان) الطباع الشريرة المنحرفة ويزينه الشيطان الذي هو شياطين الإنس والجنّ دعاة الضلال.

الشيطان المراد بهم دعاة وضلال الذين يدعون إلى هذه الأمور وما أكثرهم اليوم من يدعون إلى اتباع هذه الأمور والتشبه بالكفار ويظنون أنّ الرقي والحضارة والتقدم إنّما هو بالتشبه بهم في أخلاقهم وفي قشورهم التي لا خير فيها فهم يتشبهون بهم فيما لا يوصل إلا إلى الشر ، لا يتشبهون بهم بالجد. العمل. والتعلم الجاد. وإنّما يتشبهون بهم في الترهات التي لا فائدة فيها من أخلاقهم وأعمالهم وأقوالهم.

المذيع: نعم. قال: (لأن ذلك تتقاضاه الطباع ويزينه الشيطان فلذلك أمر العبد بدوام دعاء الله-

سبحانه- بالهداية إلى الاستقامة.)

الشيخ صالح: نعم لذلك أمر العبد بمداومة الدعاء. دعاء الله - عز وجل - بالهداية. ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]. وهذا في كل ركعة من صلاة ندعوا بهذا الدعاء، دعاء مسألة اهدنا: أي دلنا وارشدنا الصراط المستقيم أي الطريق المعتدل المخالف لطريق المغضوب عليهم والمخالف لطريق الضالين.. هذا هو السر في أننا نقرأ هذه السورة العظيمة في كل ركعة من صلاتنا. أننا على خطر - فنسأل الله أن يؤمننا من هذا الخطر- لأنّ خطر اليهود والنصارى مستسهل. لكل زمانٍ ومكان لا سيما وأنهم يدعون أنهم أهل علم. وأهل خبرة وأسبقية.

والغرض من المسلمين قد ينخدع بهم. نعم. وأنهم يريدون أن يعلموا الناس وينقذوهم وينصفوهم. هو هذا. نعم هو ، هم الآن يريدون أنهم هم معلموا البشرية وأنهم يعلمون الديمقراطية والإصلاح. في حين أنهم يدمرون العالم. يدمرون لمصلحتهم. ولا ينظرون إلى مصلحة العالم. وهذا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي

الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١]

﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٧]

٦٨ حسد اليهود للمسلمين

المذيع: قال: - رحمه الله - (وأنا أشير إلى بعض أمور أهل الكتاب والأعاجم، التي ابتليت بها هذه

الأمّة، ليجتنب المسلم الحنيف الانحراف عن الصراط المستقيم إلى صراط المغضوب عليهم أو الضالين)

الشيخ صالح: نعم لما تكلم الشيخ - رحمه الله - في مطلع هذا الكتاب هذه المقدمة وهذه القواعد العظيمة.

أراد أن يفصل. ما أجمله في هذه المقدمة.

المذيع: نعم. قال: - رحمه الله - قال الله: - سبحانه وتعالى - ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ

بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩]

(فدّم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم)

الشيخ صالح: نعم في هذه الآية يخبر الله تعالى أنه ودّ كثير من أهل الكتاب و المراد بأهل الكتاب اليهود

والنصارى. نعم. لأن الله أنزل على رسلهم الكتاب والإنجيل. لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً. ودوا هذه

القضية أن يصرفوا المسلمين عن دينهم دين الإسلام إلى دين الكفر.

وهم يعلمون أنه كفر. ويعلمون أن المسلمين على حق لكن هم يريدون أن يصرفوهم عن هذا الحق إلى الباطل.

السبب الذي يحملهم على هذا- وهم يعلمون- الحسد. حسداً من عند أنفسهم. أي فعلوا هذا من أجل الحسد.

لا من أجل أنه يخفى عليهم الحكم على حق. وأن هذا باطل وإنما حملهم الحسد. والحسد هو تمنّي زوال النعمة

للمحسود. فهم يتمنون أن تزول نعمة الإسلام عن المسلمين. وأن يرجعوا كفاراً. فتزول عنهم هذه النعمة. من

بعد ما تبين لهم الحق. لأنهم لا يعملون هذا عن جهل. وإنما يعملونه عن علم. ولكنهم مغضوب عليهم. خالفوا

العلم. وحملهم الحسد على مخالفة ما يعلمونه من الحق. وهكذا الحسد - والعياذ بالله - يخرج الإنسان من دينه. كما حصل لإبليس، وكما حصل لليهود. فإنهم كفروا بالحق وهم يعلمونه مع محمد - صلى الله عليه وسلم - من باب الحسد. وانظر إلى قوله تعالى: (وَدَّ كَثِيرٌ) أنه ليس كل أهل الكتاب على هذا المستوى. ففيهم أختيار، نعم فيهم مؤمنون آمنوا بالرسول - صلى الله عليه وسلم - وأقروا بالحق.

منهم من مات على إيمانه قبل البعثة - وهو مؤمن - ومنهم من أدرك البعثة فأمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - فجمع بين الهدايتين. ، ولذلك يؤتبه الله أجره مرتين. فهؤلاء القلة من أهل الكتاب هؤلاء محمودون .

قال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]

قال تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾

[آل عمران: ١١٣]

﴿يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ

الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]

. فهذا فيه تعليم أنهم لا يعممون الأحكام على الناس عموماً. وإنما يستثنون من لا يدخل فيها. ويبينون يعني:

ويعرفون لأهل الفضل فضلهم. ولا ينكروهم. وهذا من الإنصاف. نعم. هذا من الإنصاف والعدل. ﴿يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ

وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨]

٦٩) قد يبتلى بالحسد من هذه الأمة من ينتسب إلى العلم والدين

المذيع: نعم. قال: - رحمه الله - (فذم اليهود على ما حسدوا المؤمنين على الهدى والعلم)

(وقد يبتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوع من الحسد لمن هداه الله بعلم نافع ، أو عمل صالح)

الشيخ صالح: أول الجملة.

المذيع: نعم. حين ذكر ما ذمّه الله على هؤلاء. نعم. قال: إنه قد يتلى من وجوه التشبه.

الشيخ صالح: نعم نعم.

المذيع: قد يتلى بعض المنتسبين إلى العلم وغيرهم بنوعٍ من الحسد لمن هداه الله بعلمٍ نافعٍ أو عملٍ صالحٍ وهو خلقٌ مذمومٌ مطلقاً.

الشيخ صالح: نعم. قد يكون من هذه الأمة من يتشبه باليهود والنصارى فيحسد أهل الفضل الذين آتاهم

الله الفضل والعلم والعمل. نعم. فيحسداهم وهذا تشبهٌ لليهود والنصارى الذين حسدوا المسلمين. نعم.

فالشيخ يحذر من هذا. نعم. قال وهو خلقٌ مذمومٌ مطلقاً وهو في هذا الموضع من أخلاق المغضوب عليهم. نعم

وهو هذا الحسد الذي يحمل بعض الناس على تنقص أهل الحق وأهل الخير. والخط من قدرهم لا لشيء إلا الحسد.

حسدوا الفتى إن لم ينالوا سعيه فالناس أعداءٌ له وخصومٌ

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغياً - إنه لدميمٌ.

ففي هذه الأمة من أهل الحسد يتصف بصفة اليهود والنصارى. فيحسدون أهل الخير أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

والحسد هو كما ذكرنا تمني زوال النعمة عن المحسود، وهو خلقٌ ذميمٌ. فهذا فيه التحذير. من الحسد لأهل

الإيمان. وأن نعرف لأهل الفضل فضلهم. وأن لا نحسداهم على ما آتاهم الله. لكن ينبغي أن نسأل الله أن يعطينا

مثلهم. كما قال صلى الله عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين. رجلٌ آتاه الله مالا فهو ينفقه في سبيل الله ورجلٌ آتاه

الله علماً فهو يعلمه ويعمل به)

نعم. فيراه من يراه فيتمنى أن يكون مثله. نعم. وهذا وهذا فيه خير. تمنى أن تكون مثل أهل الخير. هذا فيه خير وتؤجر عليه. تؤجر على نيتك الصالحة. أما إذا تمنيت زوال النعمة فهذا هو الحسد المذموم. فالحسد على قسمين. حسد مذموم وهو تمنى زوال النعمة عن المحسود. وحسد محمود وهو تمنى أن تكون مثل أهل الخير. لتعمل بعملهم وتنال مثل أجرهم.

(٧٠) بُخْلُ الْيَهُودِ بِالْعِلْمِ وَالْمَالِ

المذبيح: نعم. قال: - رحمه الله - وقال الله سبحانه: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]

﴿الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾ [النساء: ٣٧]

فوصفهم بالبخل الذي هو البخل بالعلم ، والبخل بالمال، وإن كان السياق يدل على أن البخل بالعلم هو المقصود الأكبر.

وكذلك وصفهم بكتمان العلم في غير آية:

كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]

. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤]

وقوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضُوبِهِمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ

لِيَحَاجُّوكُمْ بِهِ عِنْدَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]

نعم. فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم تارةً بخلاً به وتارةً اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا، وتارةً خوفاً يحتاج عليهم بما أظهره منه.

وهذا قد يتلى به طوائف من المنتسبين إلى العلم.

الشيخ صالح: نعم ذكر في هذه القطعة من... نعم. وبهذه القطعة من الكلام النفيس. أن الله - جلّ وعلا -

أخبر أنه لا يجب من كان مختالاً فخوراً.

من هو المغتال الفخور؟ الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل؟ فالبخل مذموم، الحسد مذموم كما سبق. نعم. وأيضاً البخل مذموم.

والبخل على قسمين. بخلٌ بالمال. وبخلٌ بالعلم والبخل بالعلم أشدّ من البخل بالمال. لأنّ العلم أنزله الله حجةً على عباده. فلا يجوز للعالم أن يبخل بعلمه. بل عليه أن يبذله. وأن ينشره في الناس. لينتفعوا به. لأنّه إنّما هو مبلغ. وليس هو مخزن للعلم فقط. ومستودع للعلم فقط. وإنّما هو مبلغ. ينشر علمه على الناس ويبين له. فإذا لم يبين، أو كتم أشد من هذا الكتمان. أشد من البخل بالعلم واختزان العلم بحيث إنّهُ إذا سئل المسألة أفتى فيها بغير الحق. إمّا لهوى في نفسه وإمّا طلباً لطمعٍ دنيوي فيفتي بغير الحق. فهذا - والعياذ بالله - هو كتمان العلم وأن يشتري به ثمناً قليلاً. ربّما تحمله وظيفته ومنصبه ومركزه على أن لا يقول الحق، وأن يحكم بغير ما أنزل الله، وأن يفتي بغير الحق. لأنّه لو أفتى بالحق وحكم بالشرع لاربح ممّا يدعمه، وانقطع رزقه. فهو يريد الإبقاء على وظيفته وعلى منصبه. منصبه. ولا يعلم أن الله سيعوّضه خيراً منه ممّا يفوته - إن فات - وإلا الغالب أنّه أيضاً لا يفوته. وأنّه قد يهدي الله على يديه من هو فوقه ومن هو تحته، ومن هو مثله. نعم. فيكون له الفضل. فضل العلم وفضل التعليم. لكن يخيل إليه أنّه إذا نطق بالحق فستزول نعمته، وهذا هو الذي حمل اليهود على عدم اتباع الرسول. -

صلى الله عليه وسلم - وحمل كفار قريش على عدم اتباعه مع أنهم يعلمون أنه رسول الله لأنهم ظنوا أنهم لو تبعوه لفقدوا رئاساتهم وفقدوا مكانتهم في الناس وانقطعت أرزاقهم إلى غير ذلك مما يخذلهم به شياطين الإنس والجن. فالبخل بالعلم أشد من البخل بالمال. وأشد من البخل الكتمان. أن يكتم العلم عند الحاجة إليه والحاجة إلى بيانه. هذه الصفات المذمومة. هي موجودة في اليهود. وفي هذه الأمة من يتشبه بهم فيها .

المذيع: نعم. قال: فوصف المغضوب عليهم بأنهم يكتمون العلم، تارة بخلاً به، وتارة اعتياضاً عن إظهاره بالدنيا، وتارة خوفاً أن يحتج عليهم بما أظهروه منه.

الشيخ صالح: نعم. في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بِغُضُوبِهمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَنُحَدِّثُهمْ بِمَا فَتَحَ اللهُ عَلَيْكُم لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِنْدَ رَبِّكُم أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٦]

يعني لا تعترفوا للمسلمين. لأنهم على حق وإنكم على باطل. لأنهم سيحتجون عليكم أمام الله - سبحانه وتعالى - فاکتموا هذا لأن لا يتخذ حجة عليكم، وكذلك بعض العلماء قد لا يبين الحق وهو لا يعمل به ولا يعمل به فلو بينه للناس احتجوا بهذا احتجوا به عليه وقالوا أنت لماذا لا تعمل بعلمك؟ لماذا أنت تخالف ما تعلم؟ فهو يكتمه خشية أن يحتج به أمر عليه فهو يكتم العلم إما لأجل البخل به وازدراء الناس وأنهم ليسوا بمستوى آآ يستحقون التلقي منه ومن هذا العلم ، أو يكتمه من باب الخوف على دنياه. دنياه ، أو يكتمه لأن لا يحتج به عليه لأنه يفعل ما لا... لأنه يقول ما لا يفعل. يقول ما لا يفعل.

(٧١) تشبه بعض هذه الأمة باليهود في كتمان العلم

المذيع: نعم. قال:- رحمه الله - وهذا قد بيتلى به طوائف من المتسبين إلى العلم.

الشيخ صالح: نعم من هذه الأمة يبتلى بهذه الأمور. طوائف هو من أخلاق أهل كتاب. لكن قد يبتلى به طوائف من هذه الأمة. ونحن لا يعنينا أننا نذم أهل الكتاب. نعم. ونذكر مخازيم هذا شيء ثابت من الكفر، الله سجّله عليهم. لكن المقصود أننا نحذر أن نسلك سبيلهم أو نتشبه بهم هذا هو المقصود.

المذيع: نعم. قال: وقد يبتلى به طوائف من المتسبين إلى العلم، فإنهم تارة يكتمون العلم بخلاً به، وكراهة لأن ينال غيرهم من الفضل ما نالوه.

الشيخ صالح: أي نعم يقول لا ألا يصيروا مثلنا. خلونا نصير البارزين. نعم. لو علمناهم نافسونا.

المذيع: نعم. وتارة اعتياضاً عنه برئاسة.

الشيخ صالح: نعم فهو يكون على منصب ويأتيه أشياء من الناس فلو أنه بين الحق لانقطعت هذه الأمور عنه.

ويظن أن هذا هو مصدر رزقه. ولا لأنه لا يتوكل على الله، ولا يعتمد على الله. الله - جلّ وعلا - يقول: ﴿وَمَنْ

يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ

قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]

المذيع: نعم. فيخاف من إظهاره انتقاص رئاسته، أو نقص ماله.

الشيخ صالح: أي نعم.

المذيع: وتارة يكون قد خالف غيره في مسألة، أو اعتزى إلى طائفة قد خولفت في مسألة، فيكتم من

العلم ما فيه حجة لمخالفه، وإن لم يتيقن أن مخالفه مبطل.

الشيخ صالح: نعم. يتحدثونهم بما فتح الله عليكم. عليكم ليحاجوكم به عند ربكم. عند ربكم. فهو على خطأ وعلى المخالفة. ولو بين الحق لانكشف أمره. واحتج الناس عليه بعلمه فهو يريد أن يتشكّل ، أو يكون هناك طائفة يصاحبها ويميل إليها. وهي على ضلال فلو بين الحق لانكشفت هذه الطائفة التي هو يشفق عليها ، وكل هذه أمور مذمومة وهي من أخلاق أهل الكتاب. ومن وقع فيها قد تشبه لأهل الكتاب.

المذيع: نعم. قال: - رحمه الله - ولهذا قال عبدالرحمن بن مهدي وغيره: أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم.

الشيخ صالح: يا لها من كلمة ، عبدالرحمن بن مهدي هذا من الأئمة الكبار، وقال هذه الكلمة: "أهل العلم يكتبون ما لهم وما عليهم ، أما أهل الأهواء فيكتبون ما لهم ويتركون ما عليهم". هذه كلمة عظيمة. واقع فيها كثير من أهل الأهواء. ولكن الله سلّم منها.

ولكن الله سلّم منها أهل العلم الراسخين في العلم الذين قال الله فيهم:

﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ [فاطر: ٢٨]

الذين قال الله فيهم: (يُرَفِّعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) [المجادلة: ١١]

فهؤلاء يكتبون ما لهم وما عليهم. يبدأون بكتابة ما لهم ثم بكتابة ما عليهم. لئلا يغتر بأنهم يريدون الانتصار على الناس ولا يكتبون إلا ما لهم. فهم يكتبون ما عليهم. كما يكتبون ما لهم.

والشيخ هنا بدأ بنصيب العلماء من التشبه باليهود والنصارى. أي نعم. الحسد. بدأ بعلماء هذه الأمة. نعم. بدأ بعلماء هذه الأمة ولم يجاملهم ، ولم يجاملهم. بل إنه بين الحق.

المذيع: قال: - رحمه الله - وليس الغرض تفصيل ما يجب أو يستحب في ذلك ، بل الغرض: التنبيه على مجامع يتفطن اللبيب بها لما ينفعه الله به.

الشيخ صالح: يقول ليس الغرض من هذا الكتاب أننا نحيط بكل المسائل التي تندرج تحت العمومات التي ذكرناها ، وإنما المراد بيان النماذج فقط تدلّ على المقصود ، يحصل بها الفائدة. وأما الإحصاء والشمول فهذا له مواضع أخرى ، وكتبُ أخرى.

المذيع: نعم. الله لكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، مستمعينا الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، والصلاة والسلام على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه أجمعين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه جمعين.

وأهلاً وبكم في حلقة جديدة من برنامج اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام / أحمد ابن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله يشرحه صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان. عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء. في مطلع هذا اللقاء نرحب بضيفنا الكريم فحياكم الله الشيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك الله فيك.

(٧٢) بعض صفات المفضوب عليهم وأحوالهم الخبيثة

المذيع: ما زال المؤلف -رحمه الله- يتحدث في بيان صراط الذين غضب الله عليهم والضالين. في ذكر أنهم اليهود والنصارى ومن اتصف بصفاتهم. وقفنا بقوله -رحمه الله- وقال الله -تعالى-: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]

بعد أن قال: قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]

فوصف اليهود أنهم كانوا يعرفون الحق قبل ظهور الناطق به، والداعي إليه فلما جاءهم الناطق به من غير طائفة يهودية لم ينقادوا له. وأنهم لا يقبلون الحق إلا من الطائفة التي هم يتسبون إليها. مع أنهم لا يتبعون ما لهم في

اعتقادهم. وعقدًا للشبه بينهم وبين من شابههم من هذه الأمة، قال: وهذا يبتلى به كثيرٌ من المنتسبين إلى طائفةٍ معينةٍ في العلم أو الدين من المتفكحة أو المتصوفة أو غيرهم

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ما زال السياق في أهل الكتاب، الشيخ رحمه الله يتكلم عن اليهود والنصارى، وعن اليهود بالذات، لأنهم أهل تعنت، وأهل عناد. وأهل بغض للذين آمنوا، **{لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا}** [المائدة: ٨٢] فهم مثل عبدة الأوثان في عداوة التوحيد، وداوة المؤمنين مع أنهم أهل كتاب، وأهل علم، الأصنام أهل جهل، فهم شابهوا الجهال والعياذ بالله، وألغوا العلم الذي معهم. فلذلك صاروا مغضوبا عليهم. بل إن الله لعنهم. وذكر الآيتين. الآية الأولى قوله تعالى **{وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ}** [البقرة: ٨٩] وهذه الآية في اليهود فإنهم كانوا قبل أن يبعث محمدٌ صلى الله عليه وسلم كانوا يعلمون بعثته، ويعلمون من هو هذا الرسول الذي سيأتي، **{كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}** [البقرة: ١٤٦] فإذا صار بينهم وبين المشركين، بين الذين كفروا من الأوس والخزرج، لأنهم كانوا يجاورونهم في المدينة، فإذا صار بينهم خصومة أو اختلاف فإنهم يهددون هؤلاء الكفار يهددونهم في أنه سيبعث نبيٌ قريبٌ خروجه وسيضمون إليه فيقاتلون هؤلاء الكفار **{وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا}**، يستفتحون بهذا النبي، ويقولون إنه سيبعث عن قريب ونكون معه فنقاتلكم. **{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا}** لما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم وكانوا يعرفونه من قبل حسدوه، وكفروا به. اعوذ بالله. قال الله - جل وعلا- **{فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ}** لعنهم كما أنه غضب عليهم. لأنهم خالفوا الحق عن معرفةٍ وعن علمٍ، وحملهم على ذلك الكبر والحسد لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم وأتمته، إذن فاليهود مغضوبٌ عليهم وملعونون واللعن هو الطرد والإبعاد من -رحمة الله- سبحانه وتعالى وسجل الله عليهم الكفر فلعنة الله

على الكافرين فدل على أن أهل الكتاب الذين لا يتبعون محمداً - صلى الله عليه وسلم - أنهم كفار، وأنهم أشد كفراً من عبدة الأوثان ومن الأميين.

لأن عندهم الكتاب والمعرفة فهم عصوا الله على بصيرة، فاستحقوا هذا الغضب وهذه اللعنة، وسجل الله عليهم الكفر. وفي هذا ردٌ على الذين ينادون الآن بأن الأديان كلها صحيحة. وأنه لا إنكار على اليهود ولا إنكار على النصارى. وأنه يجب أن تجتمع الأديان الثلاثة. يعني يريدون الجمع بين الحق والباطل. نعم. وبين الكفر والإيمان. وهذا لن يكون أبداً فإنه لا دين بعد بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - إلا الدين الذي جاء به. رسولنا محمد - صلى الله عليه وسلم -، فمن أبى أن يطيع هذا الرسول ويتبعه فهو من الكافرين. وهو من أهل النار خالداً مخلداً فيها. سواء كان من اليهود أو من النصارى أو من الأميين أو من العرب أو من العجم. أو من أي جنس كان. هذه الآية الأولى.

ومن لطائف حكمة الله سبحانه وتعالى. أن هؤلاء الكفار الذين كانوا يهددونهم ببعثة محمد، وأنهم سيتبعونه ويقاتلونهم، هم الذين من الله عليهم باتباع محمد - صلى الله عليه وسلم -. وهم الأوس والخزرج رضي الله عنهم. لما قدموا إلى مكة حاجين وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عليهم الدعوة. ويعرض عليهم الدخول في الإسلام. قالوا إن هذا الرجل هو الذي تتهددكم به اليهود، فبادروه قبل أن يسبقوكم إليه، فأمنوا به وبايعوه، وصاروا هم أتباعه على الحقيقة، وقاتلوا اليهود مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة، لما خانوا العهد، قاتلوهم حتى أجلاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة. وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم يظأوها. نعم.

والآية الثانية، قال **{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ }** أي لليهود **{ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ }** أي اتبعوا، **{ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ }**، وهو القرآن الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. واتبعوه قالوا نؤمن بما أنزل علينا. يعني لا نقبل إلا ما عندنا. ولا نقبل ما عند غيرنا. نعم. وهذا تعصبٌ ممقوت. فإن الحق يقبل. ممن جاء به. والحق ضالة المؤمن. لا سيما وإن

الذي هم عليه إما أنه مبدلٌ. ومغير وإما أنه منسوخ بالقرآن لا عمل عليه. ومع هذا يقولون نؤمن بما أنزل علينا. وكذبوا في ذلك. لأنهم لو آمنوا بما أنزل عليهم لاتبعوا محمداً صلى الله عليه وسلم. الذي أنزل عليهم يبشر بمحمد -صلى الله عليه وسلم- الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث، صلى الله عليه وسلم، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم، فالذين آمنوا به ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون.

فهم كذبوا في قولهم نؤمن بما أنزل لأن في الذي أنزل عليهم وهو التوراة. والإنجيل البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- والأمر باتباعه على أنهم لم يؤمنوا حتى بما ادعوا أنهم يؤمنون به وقالوا نؤمن بما أنزل علينا، ويكفرون بما وراءه يعني غيره من الكتب وهو الحق والواجب أن الحق يقبل أينما وجد. نعم.

سواء كان في التوراة أو في الإنجيل أو في القرآن. نعم. المؤمن الصادق يدور مع الحق أينما وجده أخذه. فهؤلاء لا يريدون الحق. وإنما يريدون اتباع أهوائهم

وهو الحق مصدقا لما معهم. القرآن يصدق الكتب التي معهم ويوافقها. فكيف يكفرون بالقرآن! مع أن القرآن جاء مصدقا بما سبقه من الكتب. ومهيمناً عليها. وهو الحق مصدق لما معهم. ثم إن الله سبحانه وتعالى فضحهم. في قولهم (نؤمن بما أنزل علينا) كيف يؤمنون بما أنزل عليهم وهم يقتلون الأنبياء؟ هل الذي يؤمن بالأنبياء يقتلهم؟ فالله جل وعلا عيرهم بذلك. {قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٩١] فقد قتلوا زكريا وقتلوا ابنه يحيى وأرادوا قتل عيسى فمنعه الله منهم وأرادوا قتل محمد صلى الله عليه وسلم فحماه الله منهم فهم يقتلون الأنبياء مع أنهم يقولون نؤمن بما أنزل علينا، فهم كاذبون في ذلك. نعم.

(٧٣) التعصب ليس قاصراً على اليهود بل يبطل به من ينتسب إلى

المذيع: قال رحمه الله في هذه الصفة: وهذا يبتلى به كثيرٌ من المتسبين إلى طائفةٍ معينة في العلم أو من المتفهمة أو المتصوفة أو غيرهم. أو متسبين إلى رئيسٍ معظمٍ عندهم في الدين. غير النبي صلى الله عليه وسلم فإنهم لا يقبلون من الدين رأياً وروايةً إلا ما جاءت به طائفتهم.

الشيخ صالح: هذا من فقه الشيخ - رحمه الله - فإنه أراد أن يبين أن هذه الآيات ليست خاصةً من اليهود بل هي عامةٌ لكل من اتصف بصفاتهم وعمل مثل عملهم من المتعصبة في هذه الأمة. نعم.

الذين يتعصبون لإمام من أئمتهم أو يتعصبون لرأيٍ أو لمنهجٍ من مناهجهم ولو كان يخالف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهؤلاء فيهم شبهةٌ من اليهود فكل من تعصب لمذهب أو تعصب لقولٍ من الأقوال أو تعصب لإمامٍ من الأئمة غير الرسول صلى الله عليه وسلم. فإن فيه شبهةً من اليهود. الواجب على المؤمن أن يتبع الحق. وأن يترك الباطل ولا يتعصب له أبداً. هذا هو الإيمان. نعم.

٧٤) توحيد المتابعة بإطلاق للنبي صلى الله عليه وسلم

المذيع: قال ثم إنهم لا يعلمون ما توجبه طائفتهم، مع أن دين الإسلام يوجب اتباع الحق مطلقاً، روايةً ورأياً من غير تعيين شخصٍ أو طائفة غير الرسول - صلى الله عليه وسلم -.

الشيخ صالح: هذا تنمة للكلام يقول مع أنهم لا يعرفون ما تعصبوا له، وهذا وهذا في المقلدين التقليد الأعمى، الذين لا ينظرون في قول إمامهم أو قول عالمهم أو قول طائفتهم، لا ينظرون فيه ويتفحصونه ويعرضونه على الكتاب والسنة فإن كان صواباً أخذوه وإن كان خطأ تركوه، هذا هو الواجب عليهم. والأئمة ليسوا معصومين غير الرسول صلى الله عليه وسلم ولا هناك أحد في الأمة في الناس يجب اتباعه غير الرسول صلى الله عليه وسلم. وأما غيره فإنه يتبع فيما أطاع الرسول صلى الله عليه وسلم فيه. وفيما وافق الرسول - صلى

الله عليه وسلم - فيه، وأما ما خالف الرسول من الآراء والمذاهب والأقوال فإنها مرفوضة رفضاً تاماً. قوله تعالى.

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩] والأئمة الذين يقلدونهم ينهون عن ذلك ينهون عن تقليدهم على الخطأ. فالإمام أبو حنيفة يقول إذا جاء الحديث عن رسول الله فعلى الرأس والعين. وإذا جاء عن الصحابة على الرأس والعين، وإذا جاء عن التابعين فهم رجالٌ ونحن رجال، يعني ما نأخذ أقوال غير الرسول صلى الله عليه وسلم وغير صحابته. حتى نعرضه على الدليل ولو كان من التابعين. ولو كان من التابعين فمن دونهم. يعرض قوله على الكتاب والسنة. فان كان صواباً أخذ به. وإلا فإنه يرد. هذا قول الإمام أبو حنيفة. والإمام مالك يقول كلنا راؤٌ ومردودٌ عليه. إلا صاحب هذا القبر يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم. فالذي يخطأ وإن كان مجتهداً وان كان مأجوراً على اجتهاده. لكن إذا أخطأ فإنه لا يؤخذ الخطأ بل يترك إلى الصواب. نعم.

ولهذا قال **الشافعي** - رحمه الله - إذا خالف قولي قول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فخذوا بقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - واضربوا بقولي عرض الحائط الله أكبر ويقول رحمه الله إذا صح الحديث فهو مذهبي. فالإمام **أحمد** يقول - رحمه الله - عجت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣] يخالفون عن أمره؛ أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - لأن السياق في الرسول عليه الصلاة والسلام من يخالفون عن أمره تصيبهم فتنة، فتنة زيغ في القلوب، أو عذابٌ أليمٌ في الدنيا والآخرة بما يحل بهم من النكبات والمصائب، فالذي يخالف قول الرسول صلى الله عليه وسلم متعمداً. ويتعصب لرأي المخالفين. فهذا يتوقع إحدى هاتين العقوبتين إما الزيغ في قلبه وإما العقوبة في نفسه وماله.

ولهذا قال رحمه الله أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك. لعله إذا رد قوله أن يقع في قلبه شيءٌ من الزيغ فيهلك. هذا كلام الإمام أحمد رحمه الله. هذه أقوال الأئمة يحذرون من اتباعهم من غير معرفة أقوالهم وموافقها للدليل. وأنها

إذا كانت مخالفة للدليل فإنها ترد لأنهم غير معصومين يجوز عليهم الخطأ والصواب والحكم في هذا هو الكتاب والسنة ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]

فالمؤمن يدور مع الحق أينما دار سواء كان مع إمامه أو مع غيره ولهذا كان شيخنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب — رحمه الله — وذريته وأتباعهم أي من أئمة الدعوة لا يتعصبون لمذهبهم مع أنهم حنابلة، لكن إذا كان في المسألة دليلٌ عند غيرهم، فإنهم يأخذون بما قام عليه الدليل من أقوال الأئمة الآخرين ويتركون الخطأ إذا وقع في مذهبهم لأنهم لا يتعصبون لمذهب الإمام أحمد بن حنبل، وإنما يريدون الحق مع الإمام أحمد أو مع غيره من الأئمة نعم. أحسن الله إليكم.

٧٥) التحريف من صفات اليهود، ومعنى التحريف وأقسامه

المذيع: قال - رحمه الله - وقال الله تعالى في صفة المغضوب عليهم، من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه. ووصفهم بأنهم يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب، والتحريف قد فسر بتحريف القول وبتحريف التأويل.

الشيخ صالح: من صفات المغضوب عليهم وهم اليهود ومن اتصف بصفتهم وسار على نهجهم أنهم يحرفون الكلمة عن مواضعها. يحرفون كلام الله - عز وجل - والتحريف على اسمه تحريفٌ لللفظ بأن يزداد فيه أو ينقص. لأنهم لما قال لهم الله - جل وعلا - {وقولوا حطة} قالوا حنطة. قولوا حطة يعني اغفر لنا ذنوبنا وخط عنا خطايانا. نعم. طلب منهم الاستغفار، فهم غيروا وحرفوا كلام الله وقالوا حبة في حنطة. نعم.

يعني يريدون الأكل، بدل الاستغفار يقال حبة في حنطة، فزادوا النون بكلام الله عز وجل. هذا تحريف لكلام الله.

تحريف المعنى أن ينقل له على ما هو عليه لكن يفسرونه بغير تفسيره، مثل تفسير **الجهمية** لآيات الأسماء والصفات أنهم يؤولونها، ويفسرونها بغير معناها الصحيح، فهذا من تحريف المعنى؛ مثل تفسيرهم الوجه على أنه الذات، واليد بأنها النعمة تفسير أو الرحمة؛ لأنها النعمة أو إرادة الإنعام إلى غير ذلك من تأويلاتهم الباطلة. نعم.

المذيع: قال فأما تحريف التأويل فكثير جدا. وقد ابتليت به طوائفه من هذه الأمة،

الشيخ صالح: تحريف التأويل كثير جداً في اليهود وفي هذه الأمة. وأكثر من تحريف اللفظ. عندنا تحريف

اللفظة أيضاً وجد في هذه الأمة. فان الأشاعرة يقولون في قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:٥]

استولى فزادوا اللام. نعم، زادوا اللام من عندهم. استوى قالوا استولى، فهذه زيادة تشبه زيادة النون عند اليهود.

لقولهم حنطة. فهذا تحريف للفظ. وعندهم تحريف المعنى كثير. يفسرون الوجه بالذات واليد بالقدرة والرحمة بالنعمة والغضب بإرادة الانتقام، ويفسرون وجاء ربك جاء أمر ربك. نعم.

ينزل ربنا إلى السماء الدنيا ينزل أمره. أو ينزل ملك من الملائكة. ويفسرون كلام الله، لأنه من كلام الله في المعنى أما في اللفظ فهو كلام جبريل أو كلام محمد صلى الله عليه وسلم حكاية أو عبارة عن كلام الله. نعم.

(٧٦) مشابهة هذه الأمة لليهود في تحريف الكلم عن مواضعه

المذيع: قال -رحمه الله- وأما تحريف التنزيل فقد وقع في كثير من الناس. يحرفون ألفاظ الرسول صلى الله

وسلم ويروون الحديث بروايات منكرة. وإن كان الجهابذة يدفعون ذلك، وربما يطاول بعضهم إلى تحريف

التنزيل وإن لم يمكنه ذلك كما قرأ بعضهم وكلم الله موسى تكليماً، وربما أراد ذلك كما قرأ بعضهم: الله موسى

تكليماً. وأما لي الألسنة...؛ تفضل شيخ صالح.

الشيخ صالح: يقول - رحمه الله - إن مما ذكر عن اليهود أنهم يحرفون الكلم. عن مواضعه، ذكر إن هذا قد يقع

في هذه الأمة أيضاً. فإنهم يحرفون كما حرفت اليهود، يحرفون كتاب الله كما حرفت اليهود.

فإما أن يحرفوا اللفظ كما ذكرنا في كلمة استوى قالوا استولى. أو يحرفون المعنى كما في كثير من الصفات يفسرونها بغير تفسيرها. فيقولون في قوله - صلى الله عليه وسلم - ينزل ربنا ينزل أمره. أو ملك من الملائكة. وجاء ربك أي جاء أمره، فجاء أمر ربك إلى غير ذلك من تفسيراتهم الباطلة فهذا تحريف للمعنى؛ لأنهم لا يقدرّون على التحريف اللفظي، وقد يحرفون أحاديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - فيروونها بروايات منكورة، ليست من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم. لأجل أن توافق أهواءهم وتوافق مذاهبهم وهذا كثير في كتبهم. لأنهم حملهم التعصب لمذاهبهم، وأقوال شيوخهم إلى أن يرووا الأحاديث بروايات منكورة لم تثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم بل حتى في القرآن.

فإن منهم من حاول أحد القراء السبعة في أن يقرأ قوله تعالى ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤] بأن يقرأ لفظ الجلالة بالفتح وكلم الله موسى. فيكون موسى هو الفاعل. ويكون الله جل وعلا هو المكلّم. لأجل أن لا يثبت أن الله يتكلم. لأنهم ينفون صفة الكلام عن الله جل وعلا. فيكون الذي كلم هو موسى كلم الله. قال له ذلك المقرئ هبني قرأت هذه الآية (كلم الله) {وكلم الله موسى تكليماً} فماذا تقول في قوله: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ} [الأعراف: ١٤٣] فحيثئذ خصم الفاجر وانقطع.

(٧٧) مشابهة هذه الأمة لليهود في لي الألسنة

المذيع: الحمد لله. أحسن الله إليكم. وأما لي الألسنة بما يظن أنه من عند الله فكوضع الوضاعين

الأحاديث على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أو إقامة ما يظن أنه حجة في الدين وليس بحجة.

الشيخ صالح: الله - جل وعلا - ذكر عن اليهود قال: { وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ } [آل عمران: ٧٨] الذين يضعون الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ لتوافق مذهبه.

كما يذكر أن واحدا منهم لما ذكر الإمام الشافعي قال حدثنا فلان عن فلان عن فلان عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إنه قال يخرج في أمتي رجل يقال له محمد بن أدریس يكون أضر عليها من إبليس. نعم.

المذيع: قال وهذا الضرب من أنواع أخلاق اليهود وذمها كثير لمن تدبره في كتاب الله وسنة رسوله ثم نظر بنور الإيمان لما وقع في الأمة من الأحداث.

الشيخ صالح: نعم. هذا كثير في القرآن لمن تدبره من أحوال اليهود وما ذكر الله عنهم. وذلك لأمرين:

أولاً- للرد عليهم، الأول للرد على اليهود

وثانياً- لتحذير هذه الأمة أن تسلك مسلكهم. ولكن مع هذا وقع بعض هذه الأمة فيما وقعت فيه اليهود من وضع الأحاديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليؤيدوا بها مذاهبهم الباطلة. ولكن الله قيض للحديث حراساً وحفاظاً يجرسونه من الدخيل. ومن الكذب ويدرسون الأسانيد ويدرسون المتون ويضعون الضوابط الدقيقة التي حالت بين هؤلاء وبيننا يريدون فأصبح تكاذيبهم معزولة وبائرة بأيديهم والله الحمد.

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس العاشر

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**. لشيخ الاسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - رحمه الله -، ضيف اللقاء صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح،

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٧٨) غلو أهل الكتاب وتشبه بعض المسلمين بهم وأقسام الناس في

الإيمان بعيسى عليه السلام

المذيع: قال المؤلف - رحمه الله تعالى - بذكر أوجه من الشبه بيننا عند المغضوب عليهم والضالين المخالف للصراط المستقيم وما عند هذه الامة. قال وقال الله سبحانه عن النصارى ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٧١]

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]

إلى غير ذلك من المواضع.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم،

الحمد لله رب العالمين صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، لما ذكر الشيخ -رحمه الله- ما وقع من اليهود من التحريف والتبديل لكتابهم، ودعواهم أنهم يؤمنون بما أنزل عليهم ومع هذا يخالفونه، يأتون بأهوائهم، ويحرفون كلام الله لفظاً ومعناً، ويلوون ألسنتهم بالكتاب، فيضع كلاماً من عندهم وينسبونه إلى الله -جل وعلا- وهو ليس من عند الله.

وأن من هذه الامة من تشبه بهم فتعصبوا لمذاهبهم ومشايخهم، وآرائهم وحرفوا من أجلها كلام الله لفظاً ومعناً. أو وضعوا أحاديث لووا ألسنتهم ووضعوا أحاديث نسبوها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، والرسول بريء منها، يريدون بها نصره مذاهبهم، لما ذكر هذا انتقل إلى النصارى وهم الطائفة الثانية من أهل الكتاب، الذين بعث الله إليهم نبيه عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام.

بعثه الله بالتوراة، وأنزل عليه الإنجيل مكملاً للتوراة ومبيناً ما فيها، وناسخاً لبعضها، ولهذا قال عيسى عليه السلام لهم ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ [آل عمران: ٥٠]

ومع هذا لم يعبأوا به، إلا قليل منهم آمنوا بالمسيح عليه السلام، إيماناً صحيحاً مستقيماً، وهؤلاء أثنى عليهم ومدحهم، ووعدهم بجزيل الثواب. ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩٩]

وأما الفريق الثالث فهم الذين غلوا، أطاعوا المسيح آمنوا به، لكنهم غلوا فيه ورفعوه فوق منزلته.

فهم صاروا على ثلاث طوائف: الطائفة الأولى الذين كفروا بالمسيح، وقالوا فيه قولاً قالوا فيه وفي أمه قولاً قبيحاً.

والطائفة الثانية الذين آمنوا بالمسيح لكنهم غلوا. وزادوا.

والطائفة الثالثة الذين آمنوا بالمسيح واعتدلوا وساروا على المنهج الصحيح.

فأما الذين غلوا في المسيح فإنهم طوائف؛ منهم من يقول: إن الله هو المسيح بن مريم، ومنهم من يقول: إن الله ثلاثة الله وعيسى وروح القدس. ومنهم من يقول المسيح ابن الله. المسيح. ابن الله.

فهؤلاء غلوا في المسيح عليه الصلاة والسلام ورفعوه من منزلة البشرية إلى منزلة الربوبية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وقد فضحهم الله، وقال تعالى. ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٧١]

﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيَعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٣]

من هذه الأمة من سلك مسلك النصارى فغلى، فقال في رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفعوه فوق منزلته بل غلوا في الأولياء والصالحين فأنزلوهم، فوق منزلتهم وعبودهم من دون الله وذبحوا لهم وندروا لهم واستغاثوا بهم، ودعوهم من دون الله، فهم غلوا في رسول الله وغلوا في الأولياء والصالحين، كما غلى أهل الكتاب في رسلهم وفي صالحهم، سواء بسواء.

ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم حذر هذه الأمة أن تأخذ مأخذ اليهود والنصارى في الغلو.

فقال عليه الصلاة والسلام فقال "لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبدٌ تقول عبد الله ورسوله" أخرجاه في الصحيحين. لكن هناك من قال في حق الرسول -صلى الله عليه وسلم-:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذبه سواك عند حلول الحادث العمم

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي فاظلم، وإلا قل يا زلة القدم

فإن من جودك الدنيا وغرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

إلى آخر ما غلى في الرسول صلى الله عليه وسلم، وجد في هذه الأمة من

أخذ مأخذ النصارى.

نعم، فغلى في محمد صلى الله عليه وسلم، كما غلت النصارى بالمسيح، وهذا مصداق لقوله صلى الله عليه وسلم
"لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه". نعم.

(٧٩) تشبه بعض المتعبدة والمتصوفة بأهل الكتاب في الغلو في

الأنبياء والصالحين

المذيع: أحسن الله إليكم. قال المؤلف -رحمه الله-، ثم إن الغلو في الأنبياء والصالحين قد وقع فيه طوائف من ضلال المتعبدة والمتصوفة حتى خالط كثيراً منهم بمذهب الحلول والاتحاد ما هو أقبح من قول النصارى أو مثله أو دونه؟ نعم.

الشيخ صالح: إن هذه الامة وقع في بعضها في بعض فرقها مثل ما وقع لليهود للنصارى وأسد. مثل ما وقع للنصارى من الغلو في المسيح أو أشد منه حيث غلو في عبادتهم. واشتدوا في زهدهم، حتى خرجوا عن المشروع، وهذا ينطبق على العباد والزهاد المتشددین المنتطعين، الذين قال فيهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "هلك المنتطعون هلك المنتطعون قالها ثلاثاً. قال عليه الصلاة والسلام أنها أياكم والغلو". نعم.

إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو، وقال عليه الصلاة والسلام: **"فإن المنبت لا أرض انقطع ولا ظهرًا أبقى"** ولما أراد ثلاثة نفر أن يزيدوا في العبادة فقال بعضهم أنا أصلي ولا أنام وقال الأخر، أنا أصوم ولا أفطر؟ وقال الثالث أنا لا أتزوج النساء فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب أشد الغضب، وقال **"أما أنا فأصوم وأفطر وأصلي وأنام وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي، فليس مني"**.

وجاء -صلى الله عليه وسلم- إن الشريعة السمحة الوسط المعتدلة بين الإفراط والتفريط وبين الغلو والجفاء، هذه شريعته صلى الله عليه وسلم، لكن أبي طوائف من الغلاة إلا أن يزيدوا عليها ويخرجوا عن حدها، والله جل وعلا قال لنبيه ﴿فَاسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود: ١١٢]

أمره بالاستقامة هو ومن اتبعه ونهاه عن الطغيان وهو التشدد، والغلو عن الحجج المألوف المشروع في العبادة. فوقع في هذه الأمة حتى اشتد الأمر حتى ظهرت فرقة وحدة الوجود، الذين غلو في التوحيد غلوًا في التوحيد، حتى قالوا إن الكون ليس فيه انقسام، كله هو الله.

فمن قال إن هناك خالقًا ومخلوقًا فهو مشرك، وأما الموحد عندهم فهو يقول إن الكون كله هو الله، ليس فيه خالق ولا مخلوق ولا مخلوق، بلغ بهم الغلو إلى هذا الحد -والعياذ بالله-، هذا في الصوفية، بغلاة الصوفية، وهم أهل وحدة الوجود.

٨٠ طاعة العلماء فيما حرم الله من اتخاذهم أربابًا

المذيع: قال -رحمه الله- في وجه آخر تشبه قال الله تعالى ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ

وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ [التوبة: ٣١]

وفسره النبي - صلى الله عليه وسلم - لعدي بن حاتم رضي الله عنه "بأنهم أحلوا لهم الحرام فأطاعوهم وحرموا عليهم الحلال فاتبعوهم" وكثير من اتباع المتعبدة يطيع بعض المعظمين عنده في كل ما يأمر به، وأن تضمن تحليل حرام أو تحريم حلال.

الشيخ صالح: نعم الله - جل وعلا - ذكر عن النصارى؛ فقال ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمُّرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [التوبة: ٣١] فلما سمعها عدي بن حاتم رضي الله تعالى عنه، وكان نصرانياً قبل الإسلام، قال يا رسول الله "إننا لسنا نعبده". هو ظن أن العبادة هو الركوع له والسجود له. قال إننا لسنا نعبده، قال عليه الصلاة والسلام: "أليس يحلون ما حرم الله فتطيعوهم؟ قال بلى. قال أليس يرمون ما أحل الله فتطيعوهم؟ قال بلى. قال فتلك عبادته"، فمن أطاع مخلوقاً في التحليل والتحريم غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد اتخذه رباً.

إن التحليل والتحريم من حق الله جل وعلا، وأما الرسول صلى الله عليه وسلم فإنه مبلغٌ عن الله سبحانه وتعالى، وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]

الذين أحلوا الميتات. وقالوا أولى من الزكاة لأنها ذبيحة الله وأما الزكاة فهي ذبيحتكم. قال سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]

الشياطين ليوحون إلى أولياءهم ليجادلوكم وأن اطعمموهم إنكم لمشركون. إن اطعمموهم في التحليل في استحلال الميتة، إنكم لمشركون بالله في التحليل والتحريم، لأن هذا من شرك الطاعة، نعم.

هذا يسميه العلماء شرك الطاعة وهي الطاعة العلماء والعباد في تحريم ما أحل الله و تحليل ما حرم الله سبحانه وتعالى وهذا نوعٌ من الشرك وهذا في النصارى كما حكاه الله عنهم بقوله ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ

أَرْبَابًا [التوبة: ٣١] فسرهُ النبي صلى الله عليه وسلم بأنه في التحليل والتحريم من الله عز وجل وكان في هذه الأمة من تشبه بالنصارى، فصاروا يتبعون مقلديهم وأئمتهم في الأقوال ولو كانت مخالفة لكتاب الله وكتاب سنة رسوله، فلو أحلوا شيئاً حرمه الله لأطاعوه ولو حرموا شيئاً أحله الله لأطاعوه تعصباً لأقوالهم. وهم قد يكونون مخطئين لم يتعمدوا هذا، وينهون عن هذا لكن أولئك أتباعهم لا يتركون شيئاً مما قالوه، ويعتقدون فيهم العصمة ويقولون هم أعلم منا وهم أحسن منا وهكذا.

(٨١) ذم الرهبانية وتشبه بعض المسلمين بالنصارى في الرهبانية

المذيع: نعم. أحسن الله اليكم، قال -رحمه الله- وقال سبحانه عن الضالين:

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ٢٧]

، وقد ابتلي طوائف من المسلمين من الرهبانية فدعاهم بها الله به عليه.

الشيخ صالح: قال الله سبحانه ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا

فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]

فهذه لا تدخل مع قوله وجعلنا. بل هي شيء ابتدعوه هم ورهبانيةً ابتدعوها. رهبانية منصوب على ابتدعوه، العامل فيه ابتدعوها باب يسميه العلماء بالاشتغال. نعم. وابتدعوا رهبانيةً ابتدعوها. ما كتبناها عليهم. يعني ما شرعناها لهم إلا ابتغاء رضوان الله، يعني هم فعلوها ابتغاء رضوان الله. ما فعلوها لشيءٍ آخر إنما فعلوها عن اجتهاد وعن طلب رضوان الله

لله سبحانه وتعالى. لكن الله جل وعلا لا يرضى إلا بما شرع، فلا يرضى بالبدع والمحدثات، ويقال هذا زيادة طاعة، زيادة خير، لا هذا مرفوض مرفوض، ولو كانت نية صاحبة حسنة، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم "من

عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد وقال وإياكم ومحدثات الأمور، فان كل محدثة بدعة" فالنصارى ابتدعوا الرهبانية. ومع هذا ما رعوها. حق رعايتها. لأنهم لا يستطيعون أن يوفوها لعجزهم ونقصهم.

الله جل وعلا شرع لهم الاعتدال وشرع لهم التوسل ولكنهم هم يريدون الزيادة وانقطعوا فما رعوها حق رعايتهم. فالله جل وعلا ينهى هذه الأمة عن الرهبانية وعن الغلو، ولكن مع هذا وجد في هذه الأمة من سلك مسلك النصارى فجعل يتعبد لله بالبدع والمحدثات. يظن أنها تقربه إلى الله وهي تبعده عن الله، لأن عمله مردود، كما قال صلى الله عليه وسلم "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد". فهو مردود، وهو يجهد نفسه وهو مردود. ماذا يستفيد؟ ما يستفيد إلا البعد عن الله -جل وعلا-

يعني يسير في طريق هلاك، ولا يسير في طريق. نجا. نعم.

٨٢) بناء المساجد على القبور من التشبه باليهود والنصارى

المذيع: وقال الله سبحانه: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١]

فكان الضالون بل والمغضوب عليهم يبنون المساجد على قبور الأنبياء والصالحين، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمته عن ذلك في غير موطن حتى وقت مفارقتها الدنيا بآبي هو وأمي، ثم أن هذا قد ابتلي به الرسول وسلم

الشيخ صالح: الله جل وعلا ذكر عن الأمم السابقة أنهم كانوا يبنون على القبور وذلك في قصة أصحاب الكهف الذين ذكر الله قصتهم فلما عثر عليهم أهل البلد فلما عثر عليهم أهل البلد وهم أموات في كهفهم كان تشاوروا في ماذا يصنعون بهؤلاء الأموات، فقال بعضهم ابنوا عليهم بنيان ربهم أعلم به، وقال الذين غلبوا على

أمرهم أي الأقوياء منهم، الذين غلبوا على أمرهم يعني فرضوه على غيرهم. ﴿لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾

[الكهف: ٢١]

أي مكان نصلي فيه تبركا بهم، تبركا فهذا من بناء المساجد على القبور وأنه موجودٌ في الأمم السابقة، جاءت اليهود والنصارى فمشت على هذا المنهج الشركي، الذي لم يشرعه الله عز وجل على أنبياء بني إسرائيل، لكن هم أحدثوه وابتدعوه فصاروا يبنون المساجد على القبور، ويصورون صور الصالحين والأنبياء على قبورهم وعلى أضرحتهم، ولما ذكرت له إحدى أمهات المؤمنين ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم، كنيسة رأته بأرض الحبشة، لأن الصحابة هاجروا إلى الحبشة كما هو معلوم، ذكرت للنبي صلى الله عليه وسلم ما رأته في كنيسة في أرض الحبشة لأن الحبشة نصارى، وما فيها من التصاوير، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله." شرار الخلق عند الله.

وقبل موته صلى الله عليه وسلم بزمن يسير وكان يعالج سكرات الموت ومع هذا لم ينس النصيحة والبلاغ لأُمَّته، فقال عليه الصلاة والسلام وهو كذلك "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد. فإني أنهاكم عن ذلك". قالت عائشة رضي الله عنها "ولولا ذلك لابرز قبره" يعني لدفن في البقيع غير أنه خشي أن اتخذ مسجداً فدفن في بيته صلى الله عليه وسلم محافظةً عليه من الغلو كغلو النصارى وأهل الكتاب في أنبيائهم واتخاذ المساجد عليها.

الحاصل أن البناء على القبور ذكره الله في القرآن عن الأمم السابقة ولحققتهم بنو إسرائيل من اليهود والنصارى وقلدهم جهال هذه الأمة وضلال هذه الأمة.

يبنون بكثرة الآن يبنون بكثرة الآن المساجد على القبور والمسجد الذي ليس فيه قبر ليس له قيمة عندهم الآن ولا يتوجهون إليه، وأنها يتوجهون إلى القبور إلى المساجد التي فيها قبور، ويتهافتون عليها، أما المساجد السننية الخالية

من القبور فإنها لا قيمة لها عندهم، وهذا من تمام الابتلاء والامتحان، ومن السير على منهج اليهود والنصارى، الذي حذرنا الله - جل وعلا - منه. حذرنا منه رسوله صلى الله عليه وسلم. نعم.

المذيع: قال - رحمه الله - ثم إن هذا قد ابتلي به كثيرٌ من هذه الأمة.

الشيخ صالح: نعم. هذا واقع. الآن لو تذهب الى اي جهة في غير المملكة حماها الله وحفظها، لو تذهب إلى أي جهة تجد كل مسجد أو أغلب المساجد على قبور، والمعظم عندهم أو الرئيس أو العالم يدفن، أو يبني عليهما، أما أن يدفن في مسجد موجود وأما أن يبني على قبره مسجد، هذا كله تقليد لليهود والنصارى. والحكم الشرعي، أن تلك المساجد مواطن بدعة لا تجوز الصلاة فيها. الحكم الشرعي أنه منهي عن الصلاة قوله صلى الله عليه وسلم لا تصلوا إلى القبور، لا تتخذوا القبور مساجد أي مصليات، فالمراد بالمساجد ما يصلى فيها ولو لم تبنى، فلا يصلى عند القبر، ومن صلى عند القبر فقد اتخذ مسجداً، فقد اتخذ مسجداً نعم.

٨٣) تقرب النصارى إلى الله بسماع الألحان والنظر إلى الصور وتشبه

الصوفية بهم

المذيع: أحسن الله إليكم؛ قال رحمه الله ثم إن الضالين تجد عامة دينهم إنما يقوم بالأصوات المطربة والصور الجميلة، فلا يهتمون بأمر دينهم بأكثر من تلحين الأصوات.

الشيخ صالح: هذا عند هذا عند الصوفية من هذه الأمة، أنهم كانوا إلى الله بالأناشيد والتنغيمات الجماعية مثل النصارى، فان صلواتهم كلها ترانيم، وكلها أنغام، فتشبه بهم الصوفية فصاروا يتقربون إلى الله بهذه التي الأذكار والأحوال فيترنمون وينشدون وتقولون إن هذا ذكر، إن هذا ذكرٌ لله عز وجل، فهم حذوا حذو النصارى في صلواتهم وفي ترانيمهم.

وكذلك والعياذ بالله أشد من ذلك أنهم ينظرون إلى الصور الجميلة من النساء والمردان ويقولون هذا من التفكير في آيات الله وهذا عبادة تفكر في آيات الله النظر إلى الوجوه الحسان عبادة، لأنه من التفكير في آيات الله. وينسون قوله تعالى

﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠]

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]

الآية فالله جل وعلا أمر بالغض البصر، عما حرم الله ولذلك شرع الحجاب على النساء من أجل أن يمنع النظر، ويكفي الفتنة. فهؤلاء يقولون لا.

النظر إلى الوجوه الحسنة عبادة لله عز وجل يتقربون به إلى الله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. نعم. ويتقربون إلى الله بالأناشيد والأهازيج ووصف ذلك بدلاً من ذكر الله بالتسبيح والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن

المذيع: قال ثم تجد قد ابتليت هذه الأمة من اتخاذ السماع المطرب بسماع القصائد وإصلاح القلوب والأحوال به ما فيه مضاهاة لبعض حال الضالين.

الشيخ صالح: نعم. من هذه الأمة من يتخذ الأناشيد والابتهالات الجماعية والتنظييات والقبور يتخذونها تقرباً إلى الله جل وعلا ويتخذونها عبادة.

اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، هذا من اللهو واللعب، هم جعلوه ديناً، يتعبدون لله به.

النبي صلى الله عليه وسلم جاء بتحريم الملاهي وتحريم المزامير، تحريم الدفوف إلا ما رخص فيه الشارع من مناسبة الزواج ليضرب الدف للنساء. وإلا فالأصل التحريم

المعازف والمزامير والأغاني كلها لأنه حرم الله سبحانه لأنها تصد عن سبيل الله. نعم، هم يقولون لا أنه تحيي القرآن. وهم يقولون انها تحيي القلب. والرسول صلى الله عليه وسلم يقول إنها تزرع النفاق في القلب، تزرع الشهوة في القلب، تزرع الشر في القلب، يقولون لا تزرع، محبة الله وتزرع الإيمان في القلب تقرب إلى الله عز وجل، شابهوا في هذا الضالين، وهم النصارى؛ لأن النصارى غالب دينهم من هذا النوع من اللهو واللعب والأصوات وغير ذلك من المبتدعات. نعم.

المذيع: يعني تركوه واتبعوا أصحاب الجحيم.

الشيخ صالح: نعم تركوا الصراط المستقيم واتبعوا أصحاب الجحيم من اليهود والنصارى، والنصارى من المغضوب عليهم ولا الضالين.

المذيع: أحسن الله اليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الحادي عشر

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

مستمعينا الكرام السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم /

شرح كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام / **ابن تيمية** - رحمه الله.

يشرحه ويعلق عليه فضيلة الشيخ الدكتور / **صالح بن فوزان الفوزان**. عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحّب بضيفنا الكريم حيّاكم الله شيخ / **صالح**.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

٨٤) تضليل اليهود والنصارى ومن شابههم من هذه الأمة لبعضهم البعض

المذيع: قال شيخ الإسلام: - رحمه الله - في وجه آخر من مشابهة صراط أهل الجحيم وقال سبحانه

وتعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣]

فأخبر أن كل واحدة من الأمتين تجحد كل ما الأخرى عليه.

وأنت تجد كثيراً من المتفهمة إذا رأى المتصوفة والمتعبدة، لا يراهم شيئاً. ولا يعدهم إلا جهالاً ضلالاً، ولا يعتقد في طريقهم من العلم والهدى شيئاً. وترى كثيراً من المتصوفة والمتفكرة لا يرى الشريعة ولا العلم شيئاً، بل يرى المتمسك بها منقطعاً عن الله وأنه ليس عند أهلها شيء مما ينفع عند الله شيئاً.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَىٰ لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ [البقرة: ١١٣].
 ذكر الشيخ - رحمه الله - في معنى هذه الآية أن كلاً من الطائفتين يجحد ما عند الأخرى من الحق وذلك من أجل أن يتنصر لنفسه ويعتبر نفسه هو المحق، وأن غيره على الباطل. وهذه مصادرة للحق لمن كان معه من الخصوم، وهذا أمر لا يجوز، بل الواجب الاعتراف بما عند المخالف من الحق وبيان ما عنده من الباطل - هذا هو الإنصاف والعدل - إنك إذا رددت على شخصٍ فإنك تبين ما عنده من الحق وترد على ما عنده من الباطل. شابه اليهود والنصارى في هذا - من هذه الأمة - بعض المتفهمة، والمتصوفة فريقان: فالتفهمة يرون أن المتصوفة ليسوا على شيء مطلقاً، وأنهم ضلال ليس عندهم من الحق شيء وكذلك العكس المتصوفة يرون المتفهمة ليس عندهم عبادة وليس عندهم زهد وليسوا على شيء. وهذا ظلم وجور من كلا الطائفتين. فالواجب الإنصاف مع الخصوم ومع المخالفين، وأن لا يدحض الحق مع من كان، وأما الباطل فإنه يبين ويرد.

٨٥) وجوب اتباع الدليل

المذيع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: وإنما الصواب: أن ما جاء به الكتاب والسنة من هذا وهذا حق، وما خالف الكتاب والسنة من هذا وهذا باطل.

الشيخ صالح: نعم. الواجب أن يعرض ما عند المختلفين على الكتاب والسنة فيؤخذ ما وافق الحق، ويرد ما خالف الحق. هذا هو الواجب.

قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

فإذا اختلفنا فلا نبقى على اختلافنا وكل يركب رأسه ويرى أنه هو المحقّ وغيره هو المبطل، بل علينا أن نعرض ما معنا على كتاب الله، نعرض أقوالنا ومذاهبنا وأراءنا على كتاب الله وعلى سنة رسوله فما وافق الحقّ معنا أو مع مخالفينا فإننا نقبله، وما خالف الحقّ معنا أو مع مخالفينا فإننا نردّه. هذا هو العدل والإنصاف. نعم.

(٨٦) النهي عن مشابهة فارس والروم

المذيع: قال رحمه الله: وأما مشابهة فارس والروم، فقد دخل في هذه الأمة من الآثار الرومية قولاً وعملاً، والآثار الفارسية قولاً وعملاً: ما لا خفاء به على مؤمنٍ عليمٍ بدين الإسلام، وبما حدث فيه.

الشيخ صالح: لما ذكر الشيخ -رحمه الله- طرفاً من مخالفة اليهود والنصارى وهم أهل الكتاب انتقل إلى بيان مخالفة من ليس عندهم كتاب من الفرس، والروم. فإن المسلمين يخالفونهم، ولا يتشبهون بهم لأنهم أهل كفر وأهل ضلال، وأهل جاهلية. نعم.

المذيع: قال: فقد دخل في هذه الأمة من الآثار الرومية قولاً وعملاً ومن الآثار الفارسية قولاً وعملاً: ما لا خفاء به .

الشيخ صالح: فيجب على أمة محمد صلى الله عليه وسلم أن تتجنب ما عليه الفرس، وما عليه الروم من الأخلاق والعادات الذميمة والنحل الباطلة لأن الله أغنانا بالإسلام عن كل مذهبٍ وعن كل طائفة وعن كل أمة. أغنانا بالإسلام، فنحن نستغني بما في هذا الدين من الخير والحقّ والعدل والهدى، ونترك ما عليه تلك الأمم، لا سيما وأن فارس والروم ليسوا أهل كتاب، وإنما يعيشون على الجهل، وعلى الضلال. نعم.

(٨٧) الغرض من الكتاب التعيد وليس الاستقصاء في مشابهة الكفار،

والتفصيل فيمن شابههم



المذيع: قال رحمه الله: وليس الغرض هنا تفصيل الأمور التي وقعت في الأمة، مما تضارع طريق المغضوب عليهم أو الضالين، وإن كان بعض ذلك قد يقع مغفورا لصاحبه، إما لاجتهاد أخطأ فيه، أو لحسنات محت السيئات، أو غير ذلك.

وإنما الغرض: أن نبين ضرورة العبد وفاقه إلى هداية الصراط المستقيم، وأن يفتح باب معرفة الانحراف.

الشيخ صالح: نعم. يقول الشيخ: ليس الغرض من هذا الكتاب هو أن نستقصي كل ما عليه أهل الضلال والمغضوب عليهم والضالون ووجوه من الانحرافات. لا نستقصي هذا، ونستقصي ما وقعت فيه المشابهة لهم من هذه الأمة فإن هذا شيء كثير، ولكن الغرض من هذا الكتاب هو رسم القاعدة والخطئة التي يسير عليها المؤمن في حياته حتى يكون على الصراط المستقيم، ويكون مخالفاً لصراط المغضوب عليهم والضالين.

ثم نبه - رحمه الله - إلى أن التشبه بهؤلاء: التشبه بالمغضوب عليهم والتشبه بالضالين والتشبه بالأميين وأهل الجاهلية وفارس والروم قد يكون مغفوراً له، إما لاجتهاده لأنه لم يعتمد المشابهة بل ظن أن هذا شيء طيب ولو علم ما فيه من الشر لتجنبه فهذا يغفر له. فخطؤه مغفور لقوله صلى الله عليه وسلم: "رفع لأمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه" فإذا فعله وهو لم يعتمد هذا الشيء وإنما ظنه مباحاً وظنه جائزاً، ثم لما تبين له أنه خطأ تركه فإن الله يغفر له ما سبق. نعم.

المذيع: الحمد لله. قال: أو لحسنات محت السيئات.

الشيخ صالح: أو يكون عالماً بأنه خطأ وأنه لا يجوز. ويكون هذا معصية يكون تشبه بهم مع علمه بتحريم ذلك يكون معصية لكن قد يغفر الله هذه المعصية لما له من الحسنات العظيمة.

قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى

فالصغائر تكفر بأمر منها اجتناب الكبائر.

قال تعالى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَنَّكُمْ مَدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]

ومنها أداء الفرائض فإن أداءها يكفر الصغائر كما في هذه الآية الكريمة، وكما في قوله صلى الله عليه وسلم: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان كفارة لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر".

وكما جاء أن الحج يكفر ما قبله من الذنوب، وأن الحاج إذا حج ولم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه. نعم.

(٨٨) حاجة العبد إلى هدية الله له

المذيع: قال: وإنما الغرض: أن نبين ضرورة العبد وفاقته إلى هداية الصراط المستقيم، وأن يفتح باباً إلى معرفة الانحراف.

الشيخ صالح: وإنما الغرض من هذا الكتاب إنما هو رسم الخطة الصحيحة والمنهج السليم الذي يسير عليها المسلم في حياته، وهي لزوم الصراط المستقيم ولا يمكن هذا إلا بمعرفة هذا الصراط والتفقه فيه، وتبين الحق من الباطل. فإن الإنسان إذا كان يجهل فإنه يقع في الأشياء وقد لا يدري عنها. نعم.

(٨٩) صفة الصراط المستقيم

المذيع: قال: ثم إن الصراط المستقيم هو أمورٌ باطنةٌ في القلب: من اعتقادات، وإراداتٍ وغير ذلك، وأمرٌ ظاهرة: من أقوال، أو أفعال.

الشيخ صالح: نعم. الصراط المستقيم هو ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الدين، وهذا الدين يكون أعمالاً ظاهرة وأعمالاً باطنة. الأعمال الباطنة ما يكون في القلوب من الاعتقاد الصحيح والإيمان الصادق، والخوف والخشية من الله، ومحبة الله سبحانه وتعالى من أعمال القلوب، أو يكون ظاهراً على اللسان وذلك بالكلام الطيب والذكر، وتلاوة القرآن والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والكلام الطيب مع الناس، أو

يكون بالجوارح كالصلاة والصيام والجهاد في سبيل الله، أو يكون بالاموال كالزكاة والصدقات التطوعية والتبرعات الخيرية. فإن هذا الدين شامل. والله الحمد لكل الخير من واجبٍ ومستحبٍ من عملٍ ظاهرٍ وباطنٍ.

المذيع: قال: وأمورٌ ظاهرة: من أقوالٍ، أو أفعالٍ قد تكون عبادات، وقد تكون أيضاً عادات في الطعام، واللباس، والنكاح، والمسكن، والاجتماع، والافتراق، والسفر، والإقامة، والركوب، وغير ذلك.

الشيخ صالح: والغرض من بيان الصراط المستقيم هو ما كان في أمر العبادات، أما ما كان من أمر العادات فهذا من المباحات، هذا من الأمور المباحة لا يثاب عليه ولا يعاقب عليه، المباح هو ما يتساوى طرفاه فلا يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه، وهذا مثل المشي والنوم والركوب ولبس الثياب وأكل الطعام والشراب بشرط أن تكون هذه الأمور داخل حدود المباحات، وأن لا يكون فيها إسرافٌ وتبذير. نعم.

المذيع: إذاً حينما نسمع المحافظة على عاداتنا وتقاليدنا هذا لزوم ما لا يلزم.

الشيخ صالح: هذه عبارة سيئة لأنهم يريدون بالعادات والتقاليد أمور الدين. يسمونها عادات وتقاليد وهذا خطأ فلا يجوز التعبير بهذا.

العادات والتقاليد في الأمور المباحة، أما هم لا يريدون هذا. أمور الدين يعبرون عنها بالعادات والتقاليد، ونخضع لعادات وتقاليد ولماذا تحكمننا عادات وتقاليد؟ وهذا لا يجوز. هذا تعبير عن الشريعة وأحكام الشريعة بأنها عادات وتقاليد. هذا من الخطأ الواضح.

٩٠) تلازم الظاهر والباطن

المذيع: قال: وهذه الأمور الباطنة والظاهرة بينهما ارتباطٌ ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهر من سائر الأعمال يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً.

الشيخ صالح: نعم أعمال القلب أعمال مترابطة، فما يكون في القلب من النيات والمقاصد والهموم يظهر على الجوارح، والجوارح تتحرك بما في القلب، وما يدور في القلب من الأفكار والعكس، كذلك القلب يتأثر بما يكون على الجوارح من الحركات والذهاب والمجيء والأخذ والإعطاء.

فالقلب يتأثر بأعمال الجوارح، والجوارح تتأثر بأعمال القلب، فيبينها التلازم وبينهما ارتباط وثيق. نعم.

المذيع: وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سُنَّتُه، وهي الشريعة والمنهاج الذي شرعه له.

(٩١) فساد قول القائل (الدين في القلب)

الشيخ صالح: نستدرك على العبارة السابقة أن لما كانت أعمال القلوب مرتبطة مع أعمال الجوارح والعكس، أعمال الجوارح مرتبطة مع أعمال القلوب. ففي هذا ردٌّ على من يعملون المعاصي والسيئات، وإذا نصحوا قالوا الدين في القلب. والدين في القلب يعني لا عمل له، أما أعمال الجوارح فلا تدلُّ على شيء لأن الدين في القلب وربما يستدلون بقول النبي صلى الله عليه وسلم: "التقوى ها هنا" وأشار إلى صدره صلى الله عليه وسلم. فلا شك أن القلب هو الأصل وهو المدار. والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "إن في الجسد مُضغعة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله" لكن نقول: الأعمال السيئة بالجوارح والأعمال الظاهرة تدل على فساد القلب لأنها صادرة عن إرادته، صادرة عن إرادة القلب، فالإنسان لا يتحرك إلا بإرادة قلبه، وبقصده في قلبه. أعمال الجوارح مرتبطة بالقلب. إن كانت طيبة فارتباطها بأعمال القلب الطيبة. وإن كانت سيئة فارتباطها بأعمال القلب السيئة. نعم.

المذيع: لنا أن نقول - يا شيخ - أيضاً كما أن الإيمان يكون في القلوب وكذلك النفاق.

كما في قوله تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٧٧]

الشيخ صالح: ما في شك أن النفاق يكون بالقلب ويكون بالأعمال أيضاً.

لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "أية المنافق ثلاث إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا أؤتمن خان"، وإذا خاصم فجر وإذا عاهد غدر" وهذه أعمال ظاهرة لكن مصدرها من القلب لأنه ليس فيه إيمان، أو فيه إيمان ضعيف. إذا كان النفاق عملياً فيكون مع الإيمان الضعيف، وإذا كان النفاق اعتقادياً فلا يكون معه إيمان أصلاً. نعم.

٩٢) كمال ما جاء به الرسول يتطلب دفع ما سواه من الشرائع

المذيع: قال رحمه الله: وقد بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم بالحكمة التي هي سُنَّته، وهي الشريعة والمنهاج الذي شرعه له.

فكان من هذه الحكمة: أن شرع له من الأعمال والأقوال ما يبين سبيل المغضوب عليهم، والضالين.

الشيخ صالح: قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ

الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢]

وقال جلّ وعلا لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم:

﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]

فالكتاب هو القرآن والحكمة هي سنة الرسول صلى الله عليه وسلم من أعمال وأقوال وتقريرات. هذه هي الحكمة. و النبي صلى الله عليه وسلم كما أنه أوتي القرآن أوتي السنة فهي من الله عز وجل، وهي الوحي الثاني بعد القرآن الكريم.

قال الله جلّ وعلا في حقه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ﴾ [النجم: ٣]

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٤]

وقال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧]

فالحكمة هي السنة التي جاء بها صلى الله عليه وسلم من أقوال وأفعال وتقريرات. هذه هي الحكمة.

٩٣) وجوب مخالفة الكفار وإن لم تعلم الفائدة في ذلك

المذيع: قال: فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر - وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة.

الشيخ صالح: النبي صلى الله عليه وسلم من الحكمة التي جاء بها أنه نهى عن التشبه بالكفار في هديهم

الظاهر. قال صلى الله عليه وسلم: "من تشبه بقوم فهو منهم" وقال: "لا تشبهوا باليهود ولا بالنصارى" وهذا

لا شك أن له حكمة عظيمة فإن مخالفتهم في الظاهر تدل على مخالفتهم في الباطن والعكس، كذلك مشابهتهم في

الظاهر تدل على محبتهم في الباطن كما يأتي في كلام الشيخ. التشبه له ارتباط وثيق بما في القلب من محبتهم، أو من

تعظيمهم. هو لم يتشبه بهم إلا لأنه يرى فيهم الكمال، ويرى فيهم القدوة الحسنة له. التشبه ليس هو أمراً عادياً أو

أمراً عابراً وإنما له مدلوله الذي بعث عليه وهو تعظيم الكفار، والرأي أنهم أهل كمال ولذلك يتشبهون بهم لأجل

هذه الأمور. نعم.

المذيع: قال: فأمر بمخالفتهم في الهدي الظاهر وإن لم يظهر لكثير من الخلق في ذلك مفسدة.

الشيخ صالح: أي نعم. المدار على نهي الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لا ينطق عن الهوى، وإن لم يظهر لنا

الحكمة في ذلك، والعلة في ذلك فإنه لا ينهى إلا عن شيء فيه محذور، ولو لم يظهر لنا أو قد يخفى علينا في وقت

ويظهر في وقتٍ آخر. فالواجب علينا الامتثال، المدار على الأمر والنهي، وإن لم يظهر لنا الحكمة في ذلك. نعم.

٩٤) التشبه يورث المشابهة

المذيع: قال: لأمرٍ منها: أن المشاركة في الهدي الظاهر تورث تناسباً وتشاكلاً بين المتشابهين يقود إلى

موافقة ما في الأخلاق والأعمال، وهذا أمر محسوس.

الشيخ صالح: هذه هي الحكمة في النهي عن التشبه باليهود والنصارى وأضرابهم من الكفرة. أن التشبه بهم في الهدي الظاهر يدل على شعور في الباطن نحوهم بالتعظيم والاحترام والتوقير لأنه لو لم يعظمهم ولم يرى أنهم أهل كمال لما تشبه بهم. نعم.

المذيع: قال: فإن اللباس ثياب أهل العلم يجد من نفسه نوع انضمام إليهم، واللباس لثياب الجند المقاتلة - مثلاً - يجد من نفسه نوع تخلق بأخلاقهم، ويصير طبعه متقاضياً لذلك، إلا أن يمنعه مانع.

الشيخ صالح: نعم التشبه باللباس أيضاً فيه سرّ أنه يتشبه بصاحب ذلك اللباس. فمن لبس لباس العلماء صار في نفسه شعور نحو العلماء، والانتماء إليهم، ومن لبس لباس الجنود صار في نفسه شعور نحو الجنودية والعسكرية وما كانوا عليه من العادات والتقاليد التي يمشون عليها.

وهذا مثال تشبه باللباس، هذا مثال لسائر أنواع التشبه. فما من أحد يتشبه بأحد في شيء من لباسه أو من كلامه أو من مشيته أو غير ذلك إلا وهو يحمل في قلبه له شعوراً خاصاً. من أجله تشبه به. لولا أنه يميل إليه لما تشبه به، ولو كان يبغضه وينفر منه لما تشبه به. نعم.

المذيع: ويمكن أن يكون أيضاً المتشبه بدرجة من التبعية والانصيهار والانحطاط.

الشيخ صالح: هذا من ثمرات أن الإنسان إذا تشبه بطائفة من الناس أو بأشخاص من الناس فإن شخصيته تذوب في شخصية المتشبه به. والمسلم يجب أن يكون عنده استقلال بشخصيته وعزة بدينه، ولا يخضع للمخالفين في الدين يتشبه بهم. نعم.

٩٥) المخالفة في الظاهر لأهل الشر توجب الانقطاع عن أسباب الشر

واللحوق بأهل الخير

المذيع: قال: ومنها أن المخالفة في الهدى الظاهر توجب مباينةً ومفارقةً توجب الانقطاع عن موجبات الغضب، وأسباب الضلال، والانعطاف على أهل الهدى والرضوان، وتُحقق ما قطع الله من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

الشيخ صالح: نعم. تشبه المنعم عليهم - أهل الصراط المستقيم - يورث محبة لهم، ويورث انضماماً إليهم، وبحثاً عن صفاتهم. والتشبه بالمغضوب عليهم وهم اليهود، والضالين وهم النصارى على العكس. يحدث في نفس المتشبه ميولاً إلى المغضوب عليهم، وإلى الضالين، وأن يقتبس من أخلاقهم ومن عاداتهم الفاسدة وتقاليدهم الفاسدة بحسب ما يعلق به من التشبه بهم. والتشبه لا شك أنه يجزئ إلى المتشبه به سواء كان طيباً أو سيئاً. نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني عشر

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، ومرحبا بكم إلى لقاء جديد في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - رحمه الله - يشرحه ويعلق عليه فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء. في مطلع هذا اللقاء نرحب بضيفنا الكريم حياكم الله شيخ صالح وبياكم.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٩٦) التشبه بأهل الخير يقود إلى موافقتهم والعكس بالعكس

المذيع: وقفنا مع المؤلف - رحمه الله - في حلقتنا السالفة عند قوله "إن المشاركة في الهدى الظاهر تورث تناسبا وتشاكلا بين المتشابهين يقود إلى موافقة ما، ومن النهي من حكمه أن المخالفة في الهدى الظاهر، المخالفة توجب مباينة ومفارقة تحقق ما أمر الله به من الموالاة بين جنده المفلحين وأعدائه الخاسرين.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، بهذه الكلمات الطيبة يبين الشيخ - رحمه الله - ما يورثه التشبه من ارتباط بالمتشبه به، فإن كان المتشبه به من أهل الخير؛ فإن هذا يورث انقيادا إلى فعل الخير ومحبة للخير وكما قال الشاعر:

فتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم فتشبه بالصالحين فلاح

وكذلك العكس، التشبه بأهل الشر يقود إلى صفاتهم وأخلاقهم وعاداتهم السيئة؛ لأن التشبه في الهدى الظاهر يدل على الميول إليهم بالهدى الباطن وفي القلوب، فهذه كلمات طيبة تبين الحكمة أو العلة في النهي عن التشبه بالمغضوب عليهم والضالين، والحث على التشبه بالمنعم عليهم أهل الصراط المستقيم.

(٩٧) كلما كان العبد بالدين أعلو كان أشد تمسكاً به ومخالفتاً

تغيره

المذيع: نعم، أحسن الله إليكم، قال - رحمه الله - وكلما كان القلب أتم حياة، وأعرف بالإسلام الذي هو الإسلام - لست أعني مجرد التوسم به ظاهراً أو باطنياً بمجرد الاعتقادات من حيث الجملة - كلما كان كذلك كان إحساسه بمفارقة اليهود والنصارى باطنياً وظاهراً أتم، وبعده عن أخلاقهم الموجودة في بعض المسلمين أشد.

الشيخ صالح: نعم، كلما كان الدين متمكناً من قلب المؤمن وأعماله وأقواله؛ فإنه بذلك يتعد عن هدى المخالفين لهذا الدين من اليهود والنصارى وغيرهم، وإنما ينشأ التشبه بالكفار من ضعف الدين وضعف الإدراك، والشيخ - رحمه الله - يقول: إنه يعني بالإسلام الإسلام الصحيح، القائم على الكتاب والسنة في القول والعمل والاعتقاد، فإن هذا هو الذي يدعو إلى التباعد عن أخلاق الكفار والمنافقين وأصحاب الجحيم وأهل الضلال؛ لأن صاحبه يكون على بصيرة يعرف الحق والباطل، فيأخذ الحق ويترك الباطل، وأما من يتسمى بالإسلام، ولم يحقق هذه النسبة في عقيدته أو في أخلاقه وسلوكه؛ فإنه يرى أن التشبه بهؤلاء من الكمال، ويرى أنه هو الأحسن؛ لأنه يرى ما بأيديهم من زهرة الدنيا؛ فيظن أنهم إنما حصلوا على هذا بسبب مذهبهم وما هم عليه، وينسى أن الله - جل وعلا - يملئ لهم، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأنه يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، وأنه لو كانت الدنيا تساوي عنده جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء، فهو يغتر بهذا الضعف إيمانه، وهذا إسلامه ضعيف أو ليس عنده إلا اسم الإسلام، وليس عنده حقيقة.

فهذا يدل على أن التشبه بالكفار إنما مبعثه من ضعف الإيـان أو من فقد الإيـان والاكتفاء بمجرد التسمي، أما من كان مؤمناً حقاً ومسلماً حقاً؛ فإنه يكون بعيداً عن هؤلاء؛ لأنهم أهل ضلال وأهل كفر، والله - جل وعلا - أمرنا بالبعد عنهم وعن أخلاقهم والاعتزاز بديننا، (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) [المنافقون: ٨]، (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: ١٣٩]، الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، نعم.

٩٨) من مفسد التشبه اختلاط أهل الحق بأهل الباطل

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: فيما يظهر من مفسد المشابهة منها: أن مشاركتهم في الهدى الظاهر توجب الاختلاط الظاهر؛ حتى يرتفع التميز ظاهراً بين المهديين المرضيين وبين المغضوب عليهم والضالين.

الشيخ صالح: نعم هذا من مفسد التشبه أن المتشبه بهم تذوب شخصيته فيهم، وأيضاً لا يتعد عنهم وإنما يختلط بهم؛ فيزول التمايز بين المسلم والكافر، والله - جل وعلا - أمر المسلمين بأن يعتزوا بإسلامهم وبأمتهم ويكون لهم الظهور، قال - تعالى - (وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين) [آل عمران: ١٣٩]، قال - تعالى - (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) [المنافقون: ٨]، (أبيتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً) [النساء: ١٣٩].

المذيع: نعم، أحسن الله إليكم.

الشيخ صالح: قال - تعالى - (من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه) [فاطر: ١٠].

المذيع: نعم، أحسن الله إليكم، قال - رحمه الله - هذا إذا لم يكن ذلك الهدي الظاهر إلا مباحًا محضًا لو تجرد عن مشابهمهم، فأما إن كان من موجبات كفرهم كان شعبةً من شعب الكفر فموافقته فيه موافقةٌ في نوعٍ من أنواع معاصيهم.

الشيخ صالح: نعم، يقول - رحمه الله - هذا لو كان ما تشبه به الإنسان للكفار هو من الأمور المباحة، فإنه ينبغي تركه؛ ابتعادًا عنهم، وأما إذا كان التشبه بهم فيما هو من أمور دينه والتشبه بهم في شيءٍ من بدعهم وضلالهم؛ فهذا محرّمٌ لا شك فيه. وهذا هو أعظم أنواع التشبه المحرم، نعم.

المذيع: قال فهذا أصلٌ ينبغي أن يتفطن له.

الشيخ صالح: إي نعم، الأصل هذا الذي نبّه عليه الشيخ من الحكمة في تحريم التشبه بالكفار أصلٌ يجب التنبه له، وأنه ليس مجرد نهى عن التشبه بهم وإنما له سر، وله معنىٌ يجب معرفته؛ حتى إن الإنسان يقتنع بذلك اقتناعًا تامًا ويصل إلى اليقين، نعم.

٩٩) لا يوجد في الشرع أمر بالتشبه بقوم أو نهى عن بقوم إلى لمصلحة

المذيع: أحسن الله إليكم، قال - رحمه الله - فصل: لما كان الكلام في المسألة الخاصة قد يكون مندرجًا في قاعدة عامة؛ بدأنا بذكر بعض ما دل من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهمهم في الجملة.

الشيخ صالح: علمنا فيما سبق أن الله حرم التشبه بالكفار، والنبى - صلى الله عليه وسلم - حرم، قال الله - جل وعلا - (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران: ١٠٥]، والنبى - صلى الله عليه وسلم - نهى عن التشبه بالكفار، فهذه قاعدة عامة، النهى عن التشبه بوجهٍ عام، لكن الشيخ الآن - رحمه الله -

يريد أن يذكر التفصيل في هذا بعد الإجمال، يذكر التفصيل في هذا الأمر؛ لأنه الحقيقة أمرٌ جديرٌ بالعناية والاهتمام؛ لأن كثيراً من المسلمين مع تطاول الزمن ذابت شخصيتهم مع الكفار، وقلدوهم وتشبهوا بهم واعتبروا أن هذا من الرقي والتقدم والحضارة، وكان الإسلام ما جاء برقيٍّ ولا جاء بتقدم ولا جاء بحضارة، وإنما تطلب من هؤلاء، نعم.

المذيع: قال: بدأنا بذكر بعض ما دل من الكتاب والسنة والإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم. سواءً كان ذلك عامًّا في جميع أنواع المخالفات أو خاصًّا ببعضها، وسواءً كان الأمر إيجاباً أو أمر استحباب، ثم أتبعنا بما يدل على النهي عن مشابهتهم في أعيادهم خصوصاً.

الشيخ صالح: نعم، هذا وصفٌ لما يأتي من كلامه - رحمه الله - ومن تفصيل في منع التشبه بالكفار، وأن التشبه بالكفار منه ما هو محرم، ومنه ما هو مكروه، نعم.

المذيع: قال: وهنا نقطة قد نبهت عليها في هذا الكتاب، وهي أن الأمر بموافقة قومٍ أو بمخالفتهم قد يكون؛ لأن نفس قصد موافقتهم أو نفس موافقتهم مصلحة، وكذلك نفس قصد مخالفتهم أو نفس مخالفتهم مصلحة.

الشيخ صالح: إي نعم، النهي عن التشبه بقومٍ؛ لأن قصد مخالفتهم مصلحة للمخالف فيه مصلحةٌ له، وموافقتهم فيه مضرّةٌ عليه، والأمر بموافقة قومٍ يعني موافقة المؤمنين والصالحين أصله مصلحةٌ ومخالفته مضرّة، فالتشبه بأهل الصلاح وأهل التقى وأهل الخير هذا مقصود وهو مصلحة، ومخالفته مضرّة.

الكفار على العكس، قصد موافقتهم مضرّة، وقصد مخالفتهم مصلحة، نعم.

المذيع: قال: بمعنى أن ذلك الفعل يتضمن مصلحة للعبد أو مفسدة.

الشيخ صالح: إي نعم، الذي هو التشبه، العمل الذي هو التشبه يتضمن مصلحة له إن كان تشبهاً في الخير.

المذيع: بأهل الصراط المستقيم.

الشيخ صالح: إي نعم، ويتضمن مضرّة إذا كان تشبهاً بأهل الشر.

المذيع: نعم، وإن كان ذلك الفعل الذي حصلت به الموافقة أو المخالفة لو تجرد عن الموافقة والمخالفة لم

يكن فيه تلك المصلحة أو المفسدة.

الشيخ صالح: نعم، مجرد الفعل هو لا ينهى عن مجرد الفعل، وإنما ينهى لما يترتب على الفعل، أو يأمر بما

يترتب على الفعل من خيرٍ أو من شر، لا لمجرد الفعل فقط، وإنما لما يترتب عليه من مصلحةٍ أو مفسدة.

المذيع: نعم، إما في هذا الفعل موافقةً لأهل الصراط المستقيم، أو العكس، أو موافقةً لأصحاب الجحيم

أو العكس.

الشيخ صالح: ما في شك.

(١٠٠) منافع التشبه بالرسول وأصحابه ومفاسد التشبه بغيرهم

المذيع: قال - رحمه الله - ولهذا نحن نتفجع بنفس متابعتنا لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - والسابقين في

أعمالٍ لولا أنهم فعلوها لربما قد كان لا يكون لنا مصلحة.

الشيخ صالح: نعم، فنحن إذا تشبهنا بالسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وصدر هذه الأمة، فهذا فيه صلاح وهو أمرٌ مقصود، قال - تعالى - **(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنهم وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدًا)** [التوبة: ١٠٠]، التشبه بأهل الخير والسلف الصالح هذا مصلحة؛ لأنه يجر إلى فعل الخير وإلى الصفات الحميدة، وعلى العكس التشبه بالمغضوب عليهم والضالين يجر إلى الشر والتخلق بأخلاقهم وفعل أفعالهم ومبتدعاتهم، نعم.

المذيع: قال: **لما يورث ذلك - يعني في التشبه بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم والسابقين - من محبتهم وائتلاف قلوبنا بقلوبهم، وأن ذلك يدعونا إلى موافقتهم في أمورٍ أخرى، إلى غير ذلك.**

الشيخ صالح: نعم، هذا تقرير لما سبق من أنه ليس النظر إلى الفعل المتشبه به، وإنما النظر إلى ما يترتب على ذلك الفعل من صلاحٍ أو فساد، هذا هو المقصود، التشبه بالصالحين يكسبك أخلاقهم وسماتهم والانضباط بما كانوا عليه، والتشبه بمخالفهم على العكس، نعم.

(١٠١) التشبه ببعض عادات أصحاب الكفر والضلال منهي عنه

المذيع: قال - رحمه الله - كذلك قد نتضرر بمتابعتنا الكافرين في أعمالٍ لولا أنهم يفعلونها لم نتضرر بفعلها.

الشيخ صالح: إي نعم، فإذا كان هذا العمل من خصائص لاحظ هذا، وما هو بالنهي عن مجرد العمل لذاته. وإنما كما سبق لما يترتب عليه، فإذا كان هذا العمل أصله مباح، لكن صار أكثر من يتعامل به ويسير عليه هم الأعداء والمخالفون؛ فنحن نترك هذا العمل؛ تغليباً لجانب المضرة؛ لأن درء المفسد مقدمٌ على جلب المصالح، نعم.

المذيع: قال: وقد يكون الأمر بالموافقة والمخالفة؛ لأن ذلك الفعل الذي يوافق فيه أو يخالف متضمنٌ للمصلحة أو المفسدة ولو لم يفعلوه.

الشيخ صالح: إي نعم، وقد يكون العمل أصل العمل غير مناسب حتى ولو لم يفعلوه، فكيف إذا فعلوه؟ فيكون فيه محذورات: المحذور الأول: أنه غير مناسب ولا يصلح هذا العمل. والأمر الثاني أنه من صفاتهم وأفعالهم، ففيه تشبه بهم. ففيه مضرتان، نعم.

المذيع: يعني إما أن يكون التشبه في أمرٍ مباح لكنه نهي عنه؛ لانهم فعلوه.

الشيخ صالح: لأنهم غلبوا عليه وصار من سماتهم وعاداتهم، أو يكون النهي لأن الأمر في أصله مفسدة ثم أيضاً غلبوا عليه. إي نعم، فيكون فيه مضرتان. الأول فيه مضرّة واحدة. **المذيع:** بذاته.

الشيخ صالح: إي نعم، والثاني فيه مضرتان.

١٠٢) قياس العلة وقياس الدلالة (الأولى)

المذيع: قال - رحمه الله - لكن عبر عن ذلك بالموافقة والمخالفة على سبيل الدلالة والتعريف، فتكون موافقتهم دليلاً على المفسدة ومخالفتهم دليلاً على المصلحة.

الشيخ صالح: إي نعم، مخالفتهم دليل على المصلحة؛ لأن في مخالفتهم بعداً عنهم وعن صفاتهم، وموافقتهم دليل على المفسدة لما فيه من سريان عاداتهم وأخلاقهم إلى المسلم عن طريق المشابهة، نعم.

المذيع: واعتبار الموافقة والمخالفة على هذا التقدير من باب قياس الدلالة.

الشيخ صالح: نعم.

المذيع: الاستدلال بأحد النظيرين على الآخر.

الشيخ صالح: نعم.

المذيع: وعلى الأول من باب قياس العلة.

الشيخ صالح: نعم: القياس ينقسم إلى: قياس علة: وهو المعروف عند الأصوليين، إلحاق فرع بأصل في الحكم بجامع بينهما، هذا يسمونه قياس العلة، وهو من أصول الفقه ومن أصول الأدلة عند الجمهور. وقياس دلالة: وهو قياس الأولى، وذلك كما في قوله - تعالى - (فلا تقل لهما أف) [الإسراء: ٢٣]، فلما نهى عن قول أف دل بدلالة من باب أولى على منع ضربهم، على منع الضرب، ضرب الوالد؛ إذا كنت لا تقول له أف فضربه من باب أولى، هذا يسمى قياس الدلالة وقياس الأولى، نعم.

١٠٣) قد يجتمع في التشبه فساد الفعل وفساد التشبه

المذيع: قال - رحمه الله - وقد يجتمع الأمران، أعني الحكمة الناشئة من نفس الفعل الذي وافقنا فيه أو خالفنا ومن نفس مشاركتهم فيه.

الشيخ صالح: إي نعم، قد يكون كما سبق أن الفعل الذي تشبهنا بهم فيه يكون لا خير فيه في حد ذاته، ويجمع لنا إذا تشبهنا بهم فيه يجمع لنا مضرتين: مضرّة أن هذا الفعل لا خير فيه بذاته ومضرّة التشبه بالكفار، نعم.

المذيع: وهذا هو الغالب على الموافقة والمخالفة المأمور بهما والمنهي عنهما.

الشيخ صالح: إي نعم.

المذيع: فلا بد من التفتن لهذا المعنى فإن به يعرف معنى نبي الله لنا عن اتباعهم وموافقتهم مطلقاً ومقيداً.

الشيخ صالح: إي نعم، إذا عرفت هذه القاعدة التي ذكرها الشيخ، وهي أن الفعل قد يكون في أصله مباحاً لكن لما غلب تخلفهم به واستعمالهم له؛ تهيئنا عن التشبه بهم فيه لثلاث تسري إلينا عاداتهم وأخلاقهم الفاسدة، أو يكون هذا الفعل من أصله منهيّاً عنه، وهو مفسدة في حد ذاته وهم يفعلونه، فنحن إذا تشبهنا بهم جمعنا بين المضرتين مضرّة فعل ما لا يجوز، ومضرّة التشبه، نعم.

(١٠٤) تفسير السنة للقرآن

المذيع: واعلم أن دلالة الكتاب على خصوص الأعمال وتفصيلها إنما يقع بطريق الإجمال والعموم أو الاستلزام، وإنما السنة هي التي تفسر الكتاب وتبينه وتدل عليه وتعبر عنه.

الشيخ صالح: الكتاب هو القرآن، وقد جاءت فيه أوامر وجاءت فيه نواهٍ، وجاءت فيه أحكام، لكن قد تكون هذه الأوامر وهذه النواهي وهذه الأحكام مجملة، أو تكون مطلقة، فالسنة هي التي تبين القرآن تبين مجمله وتفيد مطلقه، وتوضح مشكله، فالسنة مبينة ومفسرة للقرآن؛ لأن الله وَكَّلَ البيان بيان هذا القرآن إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَلَ إِلَيْهِمْ) [النحل: ٤٤]، هذه هي القاعدة، لكن ما نحن فيه الآن، وهو مسألة التشبه، الله نهانا عن التشبه بالكفار، نهانا عن التشبه بأهل الكتاب (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات) [آل عمران: ١٠٥].

(كالذين من قبلكم كانوا أشد منكم قوةً وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا) [التوبة: ٦٩].

هذا التشبه تشبه بهم في هذه الأمور: إما في أمور العقيدة، وإما في أمور العمل والشهوات، فهذه مجملات في القرآن، السنة جاءت مفصلة لهذا التشبه الممنوع؛ فنهى مثلاً عن حلق اللحية وإرسال الشوارب، هذا من التفصيل الذي جاء في القرآن، النهي عن التشبه بهم عمومًا، نعم.

السنة بينت هذا التشبه بهم في اللباس في الإسبال، التشبه بهم في التشبه بهم في العري والتعري، واللبس غير المحتشم وسفور النساء، هذه كلها من مفردات التشبه الذي جاء في القرآن مجملًا، نعم.

المذيع: وفي السنة مُفصّل.

الشيخ صالح: وفي السنة مُفصّل.

المذيع: قال رحمه الله لذلك فنحن نذكر من آيات الكتاب ما يدل على أصل هذه القاعدة في الجملة، ثم نتبع ذلك بالأحاديث المفسرة في أثناء الآيات وبعدها.

الشيخ صالح: هذا شيء طيب من الشيخ - رحمه الله - لما ذكر أن القرآن تأتي فيه الأوامر والنواهي وقد تأتي فيه جملة، وتأتي السنة مفصلة لتلك الأوامر والنواهي؛ قال: أنا أذكر لك الآيات التي من هذا النوع والأحاديث المفسرة لها، نعم.

المذيع: قال - رحمه الله - قال الله - سبحانه - (ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم

من الطيبات وفضلناهم على العالمين. وآتيناهم بيناتٍ من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم

إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون. ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون. إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) [الجاثية: ١٩١٦].

الشيخ صالح: نعم. هذا مثال من القرآن أن الله - سبحانه وتعالى - ذكر أنه أتى بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقهم من الطيبات وفضلهم على العالمين يعني عالم زمانهم ، وإلا فهذه الأمة هي أفضل العالمين، كما قال - تعالى - (كنتم خير أمة أخرجت للناس) [آل عمران: ١١٠]، لكن هذا بعد بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - أما قبل ذلك فكان بنو إسرائيل هم خير العالمين؛ لما كانوا متمسكين بدينهم وبالتوراة التي نزلت على موسى، فهم خير العالمين؛ لأنهم أهل كتاب، وغيرهم أهل وثنية وأمية، فالله فضلهم على العالمين بالعلم الذي أعطاهم إياه، لكن لم يعملوا بهذا العلم، اختلفوا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم، الذي حملهم على هذا الاختلاف هو البغي وحب الظهور والعصبية، هذا الذي حملهم على الاختلاف، ليس الذي حملهم على الاختلاف هو البحث عن الحق والاجتهاد في الأدلة، الذي هو الاجتهاد الفقهي فهذا أمر محمود، لكن الذي حملهم على هذا هو البغي والإعجاب كل معجب بما هو عليه (كل حزب بما لديهم فرحون) [المؤمنون: ٥٣]، هذا الذي حملهم، نهانا الله عن ذلك، فقال لنبيه - صلى الله عليه وسلم - (ثم جعلناك على شريعة من الأمر شريعة الإسلام فاتبعها) [الجاثية: ١٨] اتبعها شف اتبعها، اتبع هذه الشريعة، ثم قال (ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون) [الجاثية: ١٨] هذا نهي عن التشبه بهم، وقال "أهواء"؛ لأن اختلافهم هذا اختلاف هوى، وليس اختلاف بحث عن الحق، نعم، وإنما هو اختلاف هوى (ولا تتبع أهواءهم)، فلا تتبع أهواء الذين لا يعلمون؛ لأنهم ليسوا على علم في هذا، تركوا العلم، تركوا الكتاب الذي أعطاهم الله واتبعوا أهواءهم، فانت أيها النبي منهي عن التشبه بهم في هذا الأمر، ويجب عليك أن تُمسك الكتاب الذي أنزل إليك ولا تتركه كما ترك أهل الكتاب كتابهم واتبعوا أهواءهم، نعم.

المذيع: (إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين) [الجاثية: ١٩]

الشيخ صالح: نعم، إذا اتبعتم فإنهم يوم القيامة لن يغنوا عنك من الله شيئاً، لن يدفعوا عنك عذاب الله لو أنك سلكت سبيلهم، وهكذا أهل الضلال يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة (الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌ إلا المتقين) [الزخرف: ٦٧] تبرأ بعضهم من بعض (لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) يعني ولا يجوز للمسلمين أن يتولوهم، وإنما أولياء بعض كما قال - تعالى - (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) [المائدة: ٥١]، فالؤمنون بعضهم أولياء بعض، والظالمون بعضهم أولياء بعض، ولا يجوز للمؤمنين أن يتولوهم، نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم، وجزاكم خيراً شيخنا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثالث عشر

المذيع: الحمد لله رب العالمين وصلى اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء مستقيم مخالفة اصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رحمه الله- يشرحه فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء.

في مطلع هذا اللقاء نرحب بفضيلة الشيخ حياكم الله شيخ صالح

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

١٠٥) الأمر بالتمسك بالوحي وترك الأهواء

المذيع: في وجه من وجوه موافقة أصحاب الصراط غير المستقيم ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- قول الله تعالى عن أهل الكتاب: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]

﴿وَأَتَيْنَاهُم بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الجاثية: ١٧]

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]

﴿إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٩]

ثم قال- رحمه الله- أخبر سبحانه أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدنيا والدين، ونعم الدين والدنيا، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم على بعض، ثم جعل محمداً -صلى الله عليه وسلم- على شريعة شرعها له، وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون، وقد دخل فيهم كل من خالف شريعته.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد، فمن صفات المغضوب عليهم وهم اليهود من صفاتهم؛ الاختلاف فيما بينهم لا عن جهل وإنما عن هوى فإن الله آتاهم خيري الدنيا والآخرة وأنعم عليهم.

خصهم بين العالمين بما آتاهم من التوراة، وبعث إليهم نبيه ورسوله وكليمه موسى عليه الصلاة والسلام، وأعطاهم العلم، ولكنهم تركوا العلم وأخذوا بالأهواء والتفرق.

فالله -جل وعلا- لما بين هذا نهى نبيه محمداً -صلى الله عليه وسلم- وأمته أن يسلكوا مسلك بني إسرائيل، فيترك العلم الذي أعطاهم الله إياه في القرآن والسنة ويتفرقوا تبعاً لأهوائهم، ورغباتهم.

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجمانية: ١٨]

﴿إِنَّهُمْ لَن يَغْنُؤُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾ [الجمانية: ١٩]

فهم استبدلوا العلم بالجهل لا يعلمون فكأنهم لا يعلمون ولم يصل إليهم علم. لأنهم عرضوا عن كتاب الله -عز وجل- و عما جاء به نبيهم موسى -عليه الصلاة والسلام-، والذي حملهم على هذا بغى بعضهم على بعض، وتعدي بعضهم على بعض والبغض الذي انتشر بينهم، فكل لا يتبع الآخر. والجميع لا يتبعون لا يتبعون شرع

الله سبحانه وتعالى، لأنهم لو تبعوا شرع الله لرجعوا في خلافهم إليه وأنها خلافهم، ولم يستمروا على الخلاف، لأن الله لا يرضى لعباده الخلاف والاختلاف.

وإنما يرضى لهم الجماعة، ويرضى لهم وحدة الكلمة على الحق؛ فالله نهي نبينا محمداً -صلى الله عليه وسلم- أولاً ثم أمره أن يتمسك بما أعطاه الله من الوحي، ثم نهاه أن يتركه هو وأمتة ويذهبوا إلى الآراء والأهواء والرغبات. ويحملهم الحقد فيما بينهم على أن يكذب كل واحد منهم على الآخر، ويعاديه ويترك ما معه من الحق، فهذه عظمة وهي واقعة الآن في هذه الأمة إلا من رحم الله -سبحانه وتعالى-.

فهم خالفوا ما نهي الله عنه، فهم فعلوا ما نهاهم الله عنه، وتفرقوا في دينهم وتركوا كتابه والسنة واتبعوا أهواءهم، وهذه مصيبة عظيمة، ولكن من عصمه الله ورحمه، فإنه وإن حصل اختلاف، لأن الاختلاف من طبيعة البشر، وإن حصل اختلاف فإن أهل الإيمان يرجعون إلى كتاب الله وسنة رسوله.

ثم ينهي ذلك ما بينهم من اختلاف، لأن هدفهم الحق، نعم، وإذا كان هدفهم هدف الحق وهو موجود في الكتاب والسنة، هم فاذا ظفروا به أخذوا به وتركوا أهواءهم.

بخلاف أهل الكتاب من اليهود والنصارى والذين تشبهوا بهم من هذه الأمة. فإنهم يتركون الكتاب ويأخذون بالأهواء والرغبات وما يوافق رغباتهم وشهواتهم.

ولذلك نجد حتى من المثقفين من هذه الأمة، والذين يدعون المعرفة والفكر أنهم إذا وافق قول العالم أهواءهم أخذوه ومدحوه واثنوا عليه، نعم.

وإذا خالف أهواءهم ذموا وطعنوا فيه، وقالوا فيه الأقاويل، لأنهم يتبعون أهواءهم ولا يريدون الحق، نعم.

المذيع: أثابكم الله.

قال - رحمه الله - وقد دخل في الذين لا يعلمون، كل من خالف شريعته، وأهواؤهم هي ما يهونونه..

الشيخ صالح: نعم دخل في هذا ليس هذا خاصاً باليهود، لا زال خاصاً باليهود، وإنما هو عامٌ لكل من سلك سبيلهم، من رفض الحق وأخذ الباطل الذي يوافق هواه. نعم.

المذيع: قال وأهواؤهم هي ما يهونونه وما عليه المشركون من هديهم الظاهر، الذي هو من موجبات دينهم الباطل..، وتوابع ذلك.

الشيخ صالح: أي نعم، الهواء كل ما يهواه الإنسان ويرغبه ويشتهي من الأمور، ولو كانت هذه الرغبات مخالفة للوحي، فإنهم يتركون الوحي الذي به العصمة وبه النجاة، ويأخذون ما يوافق أهواءهم، ربما يبتكرون الآراء من عندهم وربما يأخذون آراء غيرهم التي إذا كانت توافق أهواءهم. ويقولون هذا قول فلان العالم المبجل الخبر البحر الفهامة إلى آخره، إذا وافق هواهم، وإذا خالف هواهم قالوا هذا المعقد هذا الجاهل هذا الجامد إلى آخر ما يقولون وهذا ما نسمعه ونقرأه في صحفنا ومجلاتنا وفي كتب بعض أولئك، الذين ساروا على نهج أهل الكتاب.

نعم

١٠٦) فرح أهل الضلال بموافقة أهل الحق لهم، وبذلتهم الأموال حتى

يوافقوهم

المذيع: قال فهم يهونونه وموافقتهم فيه اتباعٌ لما يهونونه، ولهذا يفرح الكافرون بموافقة المسلمين في بعض أمورهم ويسرون به.

الشيخ صالح: أي نعم إذا وافق أهواءهم فرحوا به، وإذا خالف أهواءهم وغضبوا منه وتركوه، ولهذا المشركون يسرون بما يوافقوا أهواءهم، مما في الإسلام، يفرحون بذلك إذا وافقنا أهواءهم فرحوا.

وإذا خالفنا يعني إذا وافق الحق الذي معنا. نعم. وافق أهواءهم فرحوا بذلك. لأنهم يعتبرونه تأييداً لهم. وإذا خالفناهم وخالفنا ما هم عليه من النهج الباطل فانهم يحصل منهم ما يحصل من العداة والكلام السيء. نعم.

المذيع: ويودون أن لو بذلوا عظيماً ليحصلوا على ذلك. أي نعم

الشيخ صالح: يودون أنهم يبذلون الأموال الطائلة من أجل أن يحصلوا على موافقة لهم.

من أجل أن يحصلوا على موافقة لهم منا، وهذا شيء نلمسه الآن من الكفار. أنهم يطلبون منا أن نوافق أهواءهم ورغباتهم، ولو يعطوننا ما يعطوننا من الأموال والمساعدات، فهم لا يبذلون هذه الأموال وهذه المساعدات كما يقولون إنها مساعدات إنسانية، كذبوا في هذا، وإنما يريدون أن يشتروا الضمائر. نعم، يريدون أن يشتروا الضمائر، ويكسبوا الاتباع لهم. نعم.

(١٠٧) وجود المنافقين في كل زمان ومكان

المذيع: قد يكون في داخل الصف الإسلامي من يفرح بذلك بموافقة حق المسلمين لبعض أهواء الكافرين،

الشيخ صالح: لا شك هذا شيء موجود وقت نزول وجد من يدعي الإسلام وهم أهل نفاق من يتابع أهل

الكتاب ويمدحهم ويشني عليهم ويقولون كما ذكر الله عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ

كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا..﴾ [الحشر: ١١]

إلى آخر الآيات، ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ

يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُضْحِكُوا عَلَى مَا آسَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢]

فهذه شيء موجود يعني من وقت نزول الوحي أنه يوجد ممن يدعون الإسلام، من يوافق الكفار على ما يطلبون من المسلمين من موافقتهم واتباع آرائهم. نعم.

١٠٨) وجوب مخالفة غير المسلمين

المذيع: قال ولو فرض إن ليس الفعل من اتباع أهوائهم فلا ريب إن مخالفتهم في ذلك أحسن لمادة متابعتهم، أعون على حصول مرضاة الله في تركها

الشيخ صالح: نعم المطلوب من المسلم أن يخالف أهل الكتاب حتى ولو كان ذلك في الأمور العادية، في الأمور العادية لأن موافقتهم حتى في الأمور العادية تجر إلى موافقتهم في الأمور الدينية.

فكلما أمكن اننا نتميز. فان هذا واجب علينا. قال الله -جل وعلا-: ﴿وَلَا تَهَنُّوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

إن كنتم مؤمنين، فالمسلمون هم الأعلى، فلماذا الأعلى يتنازل إلى الأسفل؟ يجحد ما أعطاه الله من الرفعة والمكانة، فالمسلم يعتز بدينه، ويعتبر أنه هو الأعلى.

الله جل وعلا جعل له العلو على أهل الأرض بالدين وبالعلم. والكرامة التي أكرمها الله إياها.

فكل من بالله فإنه الأسفل، مهما كان، كيف يتنازل الأعلى إلى الأسفل؟ نعم.

المذيع: قال وإن موافقتهم في ذلك قد تكون ذريعة إلى موافقتهم بغيره. كما تفضلت.

الشيخ صالح: أي نعم، يعني أن موافقتهم في الأشياء العادية، يجر إلى موافقتهم في الأشياء الدينية، فالأحسن

أننا نتميز بأخلاقنا وعاداتنا وأعمالنا ومأكلنا ومشاربنا وملابسنا، إننا نتميز عنهم، ونعتز بديننا وما كنا عليه. نعم.

المذيع: قال فإن من حام حول الحمى أوشك أن يواقعه.

الشيخ صالح: نعم هذا كما في الحديث النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الحلال بين وإن الحرام بين، وبينهما أمورٌ مشتبهاً، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقع فيها أو يرتع فيه" فما في شك ان هذا وسيلة، يعني التساهل في الأمور البسيطة، هو يؤدي إلى التساهل في الأمور العظيمة، شيئاً فشيئاً؛ فيجب أن المسلمين يتميزون بما أعطاهم الله عز وجل، ويعتبرون العزة للإسلام، قال تعالى ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]

المذيع: قال: وأي الأمرين كان حصل المقصود في الجملة وإن كان الأول أظهر.

الشيخ صالح: أي الأمرين سواءً مشابهتم في الأمور العادية أو مشابهتم في الأمور الدينية.

كله يعني يجر بعضه إلى بعض، وإن كان التشبه بهم في الأمور الدينية أشد؛ لأن هذا تغيير لدين الله - عز وجل -

المذيع: قال - رحمه الله - وفي هذا الباب قوله سبحانه ﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ

وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مآبٍ﴾ [الرعد: ٣٦]

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا وَعَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ﴾

[الرعد: ٣٧]

فالضمير في أهوائهم يعود والله أعلم إلى ما تقدم ذكره وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه. نعم.

الشيخ صالح: أول الآية قوله تعالى) (وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ) وهم اليهود أحبار اليهود وعلماء اليهود هم

يفرحون بما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا في المؤمنين منهم. نعم. في المؤمنين الذين آمنوا من أهل

الكتاب. وقال الله - جل وعلا-: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِيِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢]

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ

الشَّاهِدِينَ﴾ [المائدة: ٨٣]

﴿قُلْ آمَنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَجِرُونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا﴾ [الإسراء: ١٠٧]

﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبَّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبَّنَا لَمَفْعُولًا﴾ [الإسراء: ١٠٨]

﴿وَيَجِرُونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]

وقال سبحانه وتعالى ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ

بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ هُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]

والله لا يظلم أحداً؛ بل هو العدل سبحانه الحكم العدل لا يجحد فضل أهل الفضل.

ولذلك لم يذم بني إسرائيل ولم يذم أهل الكتاب على وجه العموم. وإنما ذم الذين تركوا الحق وآمنوا بالباطل،

ورفضوا العلم وأخذوا بضده.

ونهانا أن نتشبه بهم في ذلك.

(ومن الأحزاب من ينكر بعضه) من أحزاب أهل الكتاب من ينكر بعض ما أنزل اليك. (ومن الأحزاب من

ينكر بعضه قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبٍ﴾ [الرعد: ٣٦] فهذا الذي جاء به محمد صلى

الله عليه وسلم. دعوة الى التوحيد وإفراد الله بالعبادة. وإفراده بالدعاء. وإليه المرجع سبحانه وتعالى.

فهذا هو الذي جاء به، وإن كرهه بعض الأحزاب، فإن ليس العبرة بالرغبات الناس، وإنما العبرة بموافقة الحق، هذه هي العبرة. نعم. وإلا فقد يتبرم. بعض الناس وخصوصاً العلماء. فإن بعض العلماء قد يتبرأون من الحق، لأنه يخالف أهواءهم. فهذا تحذير لهذه الأمة ولعلماء هذه الأمة بالذات.

أنهم يكرهون شيئاً من الحق أو ينكرون شيئاً من الحق. نعم. من اجل مخالفة اه من يبغضونهم، فهم لم ينكروا أن محمداً على حق؛ لكنهم أنكروه لم ينكروا. من باب انهم يجهلون هذا. وانما أنكروه من باب أنهم يعلمونه، لكن أنكروه من باب الحسد، ومن باب التكبر على الحق، "إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبٍ" انزل الله جل وعلا هذا القرآن بلسان عربي "وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا"

وهذا الذي أثار وهيج اليهود؛ لأنهم حسدوا هذه الأمة على هذا القرآن العظيم الذي نزل بلغتهم بلسان عربي مبين وهم يريدون أن يكون الرسول ويكون الكتاب في اليهود قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥] فهم إنما حسدوا هذا الرسول وهذه الأمة العربية.

١٠٩) ماذا يحدث للنبي ومن معه إذا اتبعوا أهواء أهل الضلال.

ثم قال لنبية (وَلَئِنْ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِليٍّ وَلَا وَاقٍ) يقيق من عذاب الله سبحانه وتعالى.

فهذا تحذير لهذا النبي وتحذير لأمته من أن يتبعوا أهواء أهل الكتاب. ورغبات أهل الكتاب أو غيرهم. وإنما المطلوب اتباع الحق، وأما أننا نرضي الناس، فهذا لا يمكن أبداً لان رضا الناس لا يمكن، ليس كل الناس سيرضون عنك أبداً. وليس المطلوب إنك ترضي الناس. المطلوب إنك ترضي الله الله جل وعلا. ولهذا جاء عن

النبي صلى الله عليه وسلم "أنه قال من التمس رضى الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس. هم. ومن التمس رضا الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عن الناس."

المذيع: أحسن الله إليكم.

قال رحمه الله فالضمير في أهوائهم يعود والله أعلم إلى ما تقدم ذكره وهم الأحزاب الذين ينكرون بعضه. فلا تتبع أهواءهم.

الشيخ صالح: نعم. الضمير والله أعلم يرجع إلى الصنف الأخير، وهم الذين ينكرون بعض ما أنزل على محمد. فالله يقول له لا تلتفت..، لا تلتفت إلى انكارهم..، لأنهم لم ينكروه عن حق وإنما أنكروه عن هوى. إنما أنكروه عن هوى. وإلا يعلمون انه حق.

• (١١٠) لا نلتفت إلى من خالفنا ولا نعتد به

المذيع: قال فدخل في ذلك كل من أنكر شيئاً من القرآن من يهوديٍ ونصرانيٍ وغيرهما.

الشيخ صالح: اي نعم. كل ما أنكر شيئاً من القرآن من الحق الذي نزل في القرآن أو من سنة الرسول صلى الله عليه وسلم. فإنه يدخل في هذا إننا لا ننظر اليه. ولا نعتبره شيئاً. وعلينا أن نتمسك بالحق. ونسير على المنهج الصحيح. صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين. ولا نلتفت إلى من خالفنا. ما دمنا على حق وهو على باطل. نعم.

• (١١١) ما الذي نخالف فيه أهل الضلال والأهواء

المذيع: وقد قال تعالى: **"وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ"** ومتابعتهم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لأهوائهم.

الشيخ صالح: نعم هذا بيان للمراد بما نخالفهم فيه؛ وهو أننا لا نوافقهم على دينهم أو شيء من دينهم المبتدع المحرف، أما دين التوحيد فهذا هو دين جميع الأنبياء لم يختلفوا فيه. نعم. دين التوحيد وغفراد الله بالعبادة. واتباع ما جاءت به الرسل. هذا دين جميع الأنبياء. الحمد لله.

إنما لا نتبع أهل الكتاب فيما نسخ من دينهم أو ما حرفوه وغيروه وبدلوه قال تعالى: **﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾** [آل عمران: ٧٨]

فنحن حُذِرنا من أن نسلك مسلكهم في هذا: في أمور دينهم في أمور عباداتهم في أعيادهم في جميع ما يختص بهم. نعم، أما الأمور العامة والمشاركة والمنافع المباحة. فلا بأس بذلك وليس هذا من التشبه بهم. بل هذا في الأصل مخلوق للمؤمنين، قال تعالى: **﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾** [الأعراف: ٣٢]

الله خلق هذه المصالح وهذه المنافع وهذه الأسرار في الكون خلقها لعباده المؤمنين. وإنما شاركهم فيها الكفار في الدنيا، مشاركة وإلا هي في الأصل للمؤمنين، والكفار شاركوهم فيها. مشاركة، والله لم يخلقها للكفار إنما خلقها للمؤمنين. نعم.

(١١٢) الفرق بين اتباع أهل الضلال في تحريفهم لدينهم وفي أهوائهم

وعاداتهم

المذيع: أحسن الله اليكم، قال: ومتابعتم فيما يختصون به من دينهم وتوابع دينهم اتباع لأهوائهم، بل يحصل اتباع أهوائهم بما هو دون ذلك.

الشيخ صالح: أي نعم اتباع أهوائهم في كل شيء لكن اتباع يختلف ويتفاضل بعضه أشد من بعض. نعم. اتباعهم في دينهم الباطل هذا أشد الاتباع المنهي عنه. والتشبه المحرم. وكذلك اتباعهم في عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم. الخاصة بهم، فنحن لا نتشبه بهم في الأمور الخاصة بهم ولو كان من أمور العادات، لأن هذا يجر إلى التشبه بهم في دينهم أي نعم. كما سبق ان التشبه في الامور العادية يجر الى التشبه في الأمور الدينية. فنحن وكما قال صلى الله عليه وسلم **كالراعي حول الحمى يوشك أن يقع فيه**. نعم. اذا يكون المبدأ المخالفة ما استطاع المسلم ما استطاع المسلم، المخالفة فيما هو من خصائصهم. في أمور العادات وأمور الدين. العبادات. أي نعم. بما هو من خصائصهم. أما الشيء المشترك فهذا لا نخالفهم لأن هذا أصله لنا. نعم. وهم الذين وافقونا فيه. نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع عشر

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -)

يشرفه فضيلة الشيخ الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء. في مطلع هذا اللقاء نرحب بفضيلة الشيخ؛ حياكم الله.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

١١٣) النهي عن التشبه بأهل الكتاب ومخالفة الوحي متابعت

لأهوائهم، فإنهم لا يرضون إلا باتباع ملتهم

المذيع: قال المؤلف - رحمه الله تعالى - : ومن هذا أيضا قوله تعالى: {وَكُنْ تَرَضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وِلْيٍ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠].

فانظر كيف قال في الخبر: (مِلَّتَهُمْ) ، وقال في النهي (أَهْوَاءَهُمْ)، لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقا، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله جل وعلا: {وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ

وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠].

في هذه الآية ساقها الشيخ -رحمه الله- في سياق منع التشبه في ما عليه أهل الكتاب من الأهواء ومخالفة ما أنزل الله عز وجل من الوحي نهى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وأُمَّته تبعاله في أن يأخذوا هذا المآخذ ويسلكوا هذا المسلك.

أخبر سبحانه وتعالى؛ أنه لا يمكن أن ترضى عن اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم، ما يكفيهم اتباع اليسير مع التمسك بديننا، ما يكفيهم التنازل اليسير عن شيء من أمور ديننا، وإن كان هذا لا يجوز، لكن هم لا يرضيهم -

أيضا-، هو لا يجوز -وأیضا- هو لا يرضيهم حتى نسلخ من ديننا {وَلَا يَزَالُونَ يَقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن

دِينِكُمْ إِنِ اسْتِطَاعُوا} [البقرة: ٢١٧] {وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ} [آل

عمران: ٦٩] {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ} [المتحنة: ٢] {وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً} [النساء: ٨٩]

هذه طبيعة اليهود والنصارى أنهم لا يريدون منا إلا أن نتحول عن ديننا نهائياً، وهذه طبيعة كل أهل الضلال يريدون من أهل الحق أنهم يتحولون عن حقهم، ويشاركون هؤلاء في ضلالهم، حيثذ يرضون عنهم؛ لأنهم سلخوهم من دينهم، وجردهم من ما أكرمهم الله به، فأسخطوا الله ورضي عنهم اليهود والنصارى وماذا يستفيدون من رضی اليهود والنصارى (المغضوب عليهم والضالون)! ماذا يستفيد المسلمون؟ خسروا الدنيا والآخرة، الواجب أن نثبت على ديننا، ولا نحاول أننا نرضيهم أبداً لأنهم لا يرضون إلا بترك الدين، وهذا شيء مجرب ومشاهد، وهم الآن على قدم وساق في تحويل المسلمين عن دينهم، حتى إنهم وضعوا قرآنا سموه (الفرقان)؛ فرقان الحق وكذبوا فيه، كما فعلوا بالتورة والإنجيل، أرادوا أن يحرفوا القرآن ولكن الله كف أيديهم - القرآن محفوظ والله الحمد-، وما كتبوه وسموه (الفرقان) هذا يبقى في أيديهم لا يصل إلى القرآن -ولله الحمد-.

فعل كل حال هذا مثال لما يريد الكفار منا الآن، والله نبهنا عليه وقت نزول القرآن منذ أكثر من وألف أربعمئة سنة أن الله قال: إن اليهود والنصارى لن يرضوا عنكم أبداً إلا إذا تركتم دينكم.

وهل المسلمون على استعداد أنهم يتركون دينهم الذي أكرمهم الله به وعلمهم من الجهالة، وأنقذهم به من الضلالة، وجعلهم خير أمة أخرجت للناس، وجعل لهم السيادة على أهل الأرض! هل المسلمون على استعداد! وإن تنازل بعض الأغرار من المسلمين أو الذين لم يتمكن الإيمان في قلوبهم لكن لا يمكن أن يتحول المسلمون كلهم أبداً، "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين" كما أخبر صلى الله عليه وسلم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤] فهذا فيه قطع لأطباع اليهود والنصارى في أن المسلمين يتركون دينهم جملة وإن كان قد يتركه فقام من الناس لكن الأمة المحمدية لا تجمع على ضلالة أبداً، وهذا من فضل الله سبحانه وتعالى لكن الله يبين لنا أننا لا نطمع في إرضاء اليهود والنصارى أبداً إلا أن نتحول عن ديننا {وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} [البقرة: ١٢٠]

الواجب أننا نتبع الهدى مع من كان، نتبع الحق مع من كان، لا نتبع الأهواء والرغبات أو نتبع رغبة أمة من الأمم أو دولة من الدول مهما كان، ولكن نتبع الحق مهما كلفنا ذلك ونصبر عليه فإنه هو طريق النجاة في الدنيا والآخرة {حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى} [البقرة: ١٢٠]

ثم بين سبحانه وتعالى عقوبة من اتبع أهوائهم {وَلَيْنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} أيها الرسول وهذا من باب الفرض، وإلا فالرسول صلى الله عليه وسلم قد عصمه الله ولن يتبع أهوائهم ولا أهواء غيرهم، وإنما يؤدي ما عليه من الحق، ويبلغ الرسالة ويصبر في سبيل ذلك مهما كلفه الثمن، كما فعل صلى الله عليه وسلم، لكن هذا من باب الفرض كما في قال تعالى: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر: ٦٥]

الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشرك لأن الله عصمه ولكن هذا من باب تحذير الناس، من باب تحذير الأمة؛ أنه حتى الرسول لو أشرك لحبط عمله فكيف بغيره ممن يقول: أنا مسلم وأنا أعمل كذا وأنا أعمل كذا ولا يضرني إذا دعوت الولي أو ذبحت للبدوي.

فهذا رد على هؤلاء {وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ} [البقرة: ١٢٠] وهو القرآن العظيم والسنة النبوية.

(اتبعت أهواءهم) ما قال: (اتبعت ملتهم)؛ لأن ملتهم الصحيحة تحول على ديننا ما لم يحرف وينسخ منها، تحول على ديننا وتأمر به، تأمر بأن إذا بعث محمد صلى الله عليه وسلم فكل البشر يتبعونه، هذا موجود عندهم، فدينهم يحول على دين الإسلام، لكن أهوائهم تأبى هذا، أهوائهم تأبى أن تنفذ ما في دينهم الحق من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم {وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ} [البقرة: ١٢٠]

فهذا فيه دليل على أن العالم لا يتحول عن الحق أبداً مهما كلفه الثمن، وأنه لا يطمع في إرضاء النفس أبداً، خصوصاً اليهود والنصارى، لا يطمع في إرضائهم، مهما فعلت فلن يرضوا عنك إلا إذا تخليت عن دينك نهائياً وصرت كافراً مثلهم، نعم.

المذيع: قال -رحمه الله-: فانظر كيف قال في الخبر (حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ) وقال في النهي (وَلَيْنِ اتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهُمْ) لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير.

الشيخ صالح: يعني لا تتبعهم على شيء، لا فيما يدعونه من الدين ولا في رغباتهم وأهوائهم لأن دينهم محرف أو منسوخ وأهوائهم باطلة؛ إذن لم يبق معهم شيء نتبعهم عليه، بل الحق والله الحمد مائة بالمائة مع المسلمين وهذا شيء شهد الله -جل وعلا- به قال تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ

الإسلام ديناً [المائدة:٣] فالمسلمون هم الذين على الحق الآن، ومن تبعهم ورضي بدينهم فهو على الحق، أما من خالف فهو على باطل وعلى كفر مهما كان؛ يهودي أو نصراني أو وثني أو طبائعي أو ملحد كلهم على الباطل.

المذيع: قال: ومن المعلوم أن متابعتهم في بعض ما هم عليه من الدين؛ نوع متابعة لهم في بعض ما يهوونه أو مظنة لما يهوونه. كما تقدم.

الشيخ صالح: نعم؛ إن اتبعتم فيما يدعونه من الدين فإن هذا يجرك إلى اتباع أهوائهم والخروج عن الدين فإذا لا مطمع في اتباعهم أبداً، وهذا تبتيس من أن نحصل على طائل إذا اتبعناهم لا في دينهم ولا في أهوائهم، دينهم محرف أو منسوخ، وأهوائهم باطلة.

(١١٤) التفصيل في أمر القبلة

المذيع: قال - رحمه الله - : ومن هذا الباب قوله سبحانه: **{وَلَيْنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ*الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ*الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَرِينَ*وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مُوَلِّيَهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ*وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لِلْحَقِّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ*وَمَنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}** [البقرة:١٤٥-١٥٠]

قال غير واحد من السلف معناه: لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة فيقولون: قد وافقونا في قبلتنا فيوشك أن يوافقونا في ديننا فقطع الله بمخالفتهم في هذه القبلة هذه الحجة.

الشيخ صالح: نعم هذه الآيات في شأن القبلة استقبال القبلة في الصلاة، كان النصارى يستقبلون المشرق في صلواتهم؛ لأن هذا مما دسه عليهم اليهودي بولس الذي ادعى اتباع المسيح، ودس في دين النصارى التثليث، ودس فيه عبادة الصليب ودس فيه التوجه إلى المشرق فهذه القبلة ليست مشروعة من الله - سبحانه وتعالى - وإنما هذا من تغييرهم.

وأما اليهود فيستقبلون الصخرة يستقبلون بيت المقدس، وهذه كانت قبلة صحيحة في الأول، قد استقبلها الرسول صلى الله عليه وسلم في أول هجرته إلى المدينة، واستقبلها المسلمون وصلوا إلى بيت المقدس طاعة لله - سبحانه وتعالى -، لكن كان في علم الله وحكمه وشرعه أن هذا الرسول يستقبل قبلة إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وهي الكعبة المشرفة فهي قبلة الجميع، وكان اليهود يعلمون هذا، يعلمون أن هذا الرسول سيستقبل قبلة أبيه إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - وهي الكعبة المشرفة، فلما أمر الله - جل وعلا - بتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة عند ذلك ثارت ثائرة اليهود واستغلوا هذا الحدث في الطعن في الرسول - صلى الله عليه وسلم - وارتد من ارتد من ضعاف الإيذان من المسلمين { **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ** } [البقرة: ١٤٣]

تحويل القبلة حدث عظيم استغله اليهود في الطعن في محمد - صلى الله عليه وسلم - وهم يعلمون أنه الحق، لكن من باب التشنيع والتشويش للرسول - صلى الله عليه وسلم - فلما حولت القبلة؛ أولاً:

أن هذا أمر الله - جل وعلا - والواجب على المسلم أن يتبع أمر الله، فحيث أمرك أن تتوجه يجب عليك أن تتوجه ولا تتبع شيئاً لم يأمر الله أو أمر به أولاً ثم نسخه، أنت تدور مع أمر الله { **وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ**

وَجْهَ اللَّهِ} [البقرة: ١١٥] {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ} [البقرة: ١٧٧]

فالعبارة بأمر الله سبحانه وتعالى حيث أمرك أن تتوجه في صلاتك فإن الواجب عليك أن تتوجه، ولا تعترض،
هذا شيء.

الشيء الثاني أن هذه القبلة المذكورة في التوراة والإنجيل وأن هذا الرسول يستقبل قبلة أبيه إبراهيم - عليه الصلاة
والسلام - وهم يعلمون ذلك لكنهم جحدوا وأنكروا {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ
فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ} [البقرة: ١٤٦ - ١٤٧] فلما حولت
القبلة قالوا إنه تحول عن القبلة التي أمر الله باستقبالها وهذا يريد أن يخالفنا في كل شيء، وهذا وهذا، وارتد من
ارتد من بعض المسلمين ضعاف الإيمان.

والله - جل وعلا - طمأن رسوله صلى الله عليه وسلم لأن هذا دأبهم ليس هدفهم الحق إنما هدفهم اتباع أهوائهم
{وَلَكِنَّ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} لأن ما هم مقصودهم الحق حتى تنفع فيهم الآيات،
الآيات إنما تنفع فيمن يريد الحق وهؤلاء لا يريدون الحق وهذا كل صاحب هوى فهو كذلك؛ لا يريد الحق مهما
أقمت عليه من الأدلة؛ لأنه يريد اتباع هواه، ومن يريد اتباع هواه فلن تملك له من الله شيئاً قال الله - جل وعلا -:
{أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا} [الفرقان: ٤٣]، {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ
وَحْتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ} [الجاثية: ٢٣]

فالذي يتبع هواه هذه سبيله؛ لا يقنع بالآيات ولا الأحاديث وهذا شيء مشاهد الآن أن أهل الضلال والفرق
الضالة مهما أقمت لهم من الأدلة لا يعبؤون بها؛ لأنها تخالف أهوائهم، وإذا جئت بحديث مكذوب أو حديث
ضعيف أو حكاية أو منام (رؤيا) وهي توافق أهوائهم فرحوا به وجعلوه دليلاً قاطعاً لا يقبل الشك، وإذا جئتهم

بآية أو بحديث صحيح أو حتى متواتر وهو يخالف أهوائهم فلن يقبلوه ولن يعبثوا به أبداً، فهذه طريقة أهل الأهواء وأهل الضلال.

{وَلَيْنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ} [البقرة: ١٤٥] والدليل على ذلك أنهم هم مختلفون بينهم، النصارى يستقبلون المشرق، وهؤلاء يستقبلون بيت المقدس، فدل على أنهم يتبعون أهوائهم حتى فيما بينهم، فكيف تطمع أنت في أن يتبعوك {وَلَيْنُ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ} [البقرة: ١٤٥]

وهذا تئيس لهم من أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- قد عصمه الله من أن يتبع أهوائهم فلا يطمعون في هذا {وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ} [البقرة: ١٤٥] كما ذكرنا أن النصارى لهم قبله واليهود لهم قبله لماذا هذا؟ أليس الدين واحد، أليس العبادة لله وحده، وقد أمرهم أن يستقبلوا بيت المقدس، فلماذا يستقبلون المشرق؟! فهذا دليل على أنهم يتبعون أهوائهم {وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ} [البقرة: ١٤٥] ثم قال لنبيه {وَلَيْنُ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ} يعني هذا من باب الفرض، وهو تحذير للأمة التي يمكن أنها تتبعهم أو يتبعهم أحد منها، أما الرسول فلا يمكن لأن الله عصمه بذلك، لكن هذا من باب الافتراض والتحذير {وَلَيْنُ أَتَبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [البقرة: ١٤٥]

والظلم وضع الشيء في غير موضعه لأنك وضعت القبلة في غير موضعها الذي شرعه الله سبحانه وتعالى وهذا ظلم، لأن الظلم أنواع: منه ظلم بين العبد وبين ربه، ومنه ظلم بين العبد وبين نفسه، ومنه ظلم بين العبد وبين الناس.

فهذا من الظلم الذي بين العبد وبين ربه {إِنَّكَ إِذَا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} ثم بين الله لرسوله أنهم لم يخالفوك عن جهل وإنما خالفوك عن علم ومعرفة، لكنهم خالفوك حسداً وتكبراً {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ} يعني اليهود

والنصارى {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} يعرفون هذا الرسول -صلى الله عليه وسلم-، ويعرفون أين يستقبل في صلاته، هذا يعرفونه، ليس غريبا عليهم حتى يستنكروه، بل كما يعرفون آبائهم كما يعرفون آبائهم، هذا أدق شيء، نعم، ولكن قال عبدالله بن سلام رضي الله عنه وهو من أحبار اليهود قال: "والله إننا لا نعرف محمدا صلى الله عليه وسلم أكثر مما نعرف آبائنا" لأننا معرفتنا بأبائنا بناء على الثقة بأمهاتنا، أما هذا الرسول صلى الله عليه وسلم فنحن نعرفه بناء على وحى الله -سبحانه وتعالى-، فنحن نعرفه أكثر مما نعرف آبائنا.

{كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: ١٤٦] هذا هو الذي حملهم على هذا؛ الكتمان كتمان الحق تكبرا وحسدا لهذا الرسول ولأمته، والكبر والحسد كما حصل لإبليس بسبب الكبر وبسبب الحسد، تكبر على آدم وحسده، فماذا صار له من العاقبة والعياذ بالله! هو الذي سبب له هذا الطرد والإبعاد عن رحمة الله، وكذلك اليهود إنما منعهم من قبول الحق واستقبال الكعبة هو الحسد والاستكبار والعياذ بالله، نعم، ثم إن الله أمر نبيه بعد أن بين له نفسية اليهود والنصارى، وأنهم لم يخالفوه عن جهل وإنما خالفوه عن عناد، وأنه لا مطمع في إقناعهم، ولا مطمع في رجوعهم، بدليل أنهم هم أنفسهم مختلفون في القبلة فلو كانوا على حق لما اختلفوا؛ لأن أهل الحق لا يختلفون ثم قال لنبيه: {وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} [البقرة: ١٤٨]، فهذا وعد ووعد؛ وعد للمؤمنين الذين تمسكوا بوحي الله واستقبلوا الكعبة بأنهم سيواجهون الله عز وجل ويجازيهم على إيمانهم، وسيأتيه الذين خالفوا أمره وعتوا عن أمره وسيجازيهم على إعراضهم، ما هي المسألة مسألة دنيا وتنتهي! وكل يتبع ما يشتهي وينفذ رغباته وتنتهي الأمور! لا، هناك تصفية حساب يوم القيامة، كل يواجه ما عمله وما قدمه لنفسه.

{وَلِكُلِّ وِجْهَةٍ هُوَ مَوْلِيهَا فَاسْتَبِقُوا الْحَيَاتِ} يعني بادروا إلى امتثال الطاعات لأنها تفوت {أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا} الله -جل وعلا- يجمع الخلائق يوم القيمة، ويحشرهم في مكان واحد للعرض والحساب والجزاء، وكل يلقى حسابه، فلا يظن هؤلاء أنهم إذا نفذوا رغباتهم وأهوائهم أنهم سيهملون ويتركون، ولا يقع في نفس

المؤمن أن عمله سيضيع قال الله -جل وعلا- في أول الآيات **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** أي صلاتكم إلى بيت المقدس؛ لأنه لما نزلت هذه الآيات وحولت القبلة إلى الكعبة تأسف بعض المسلمين على الذين ماتوا وهم يصلون إلى بيت المقدس؛ فالله طمأنهم قال **{وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}** لأن صلاتهم إلى بيت المقدس قبل الناس صلاة صحيحة ومقبولة عند الله -سبحانه وتعالى- فلا تخشوا عليهم **{إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}** [البقرة: ١٤٣].

ثم إنه بعد ذلك أمر نبيه أمرا جازما فقال: **{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** [البقرة: ١٤٩]، هذه تطمين للرسول وتطمين للمؤمنين في أنه لا تضرهم مخالفة اليهود والنصارى بل الواجب عليهم ذلك؛ أن يتبعوا الحق وأن لا يعبتوا باليهود والنصارى ولا بغيرهم.

ثم قال مكررا ومؤكدا: **{وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ}** يعني في أي جهة كنت من الأرض **{فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}** ولهذا قال العلماء الفرض على من يرى الكعبة استقبال عينها ومن لا يراها أن يستقبل الجهة التي فيها الكعبة ولو انحرف يمينا أو شمالا لا يضر هذا ما دام أنه مستقبل للجهة التي فيها الكعبة وهذا من تيسير الله -سبحانه وتعالى- ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ما بين المشرق والمغرب قبلة، فالانحراف اليسير لا يضر ما لم يتعمده الإنسان فإنه لا يضر؛ لأن القبلة في الجهة التي يستقبلها ولهذا قال: **{شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}** ما قال المسجد الحرام قال: (شطر) أي: الجهة التي فيها المسجد الحرام **{فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ}** في بر أو بحر أو جو أو أي مكان **{فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ}** ثم قال: **{لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ}** يعني اليهود والنصارى **{عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ}** أتم لو ترتك استقبال الكعبة احتجوا عليكم وقالوا خالفوا ما عندنا لأن عندنا أنهم يستقبلون الكعبة فهم لم يعملوا بهذا، وطعنوا عليكم سواء وافقتموهم أو خالفتموهم **{لِتَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}** [البقرة: ١٥٠]

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



حلقات برنامج/ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة
أصحاب الجحيم

الدرس الخامس عشر

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وحياكم الله، إلى حلقة جديدة في برنامجكم (اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم)، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله. ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة بالإفتاء). في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(١١٥) توجه المسلمون إلى القبلة الأولى والثانية محض استسلام لله

وليس موافقة لليهود أو للمشركين

المذيع: وقفنا في الحلقة الماضية عند قول المؤلف - رحمه الله تعالى - في قول الله جلّ وعلا: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ}. قال رحمه الله: قال غير واحد من السلف: معناه لئلا يحتج اليهود عليكم بالموافقة في القبلة فيقولوا: قد وافقونا في قبلتنا فيوشك أن يوافقونا في ديننا، فقطع الله بمخالفتهم في القبلة هذه الحجة؛ إذ الحجة اسم لكل ما يحتج به من حق وباطل. وقوله: {إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ} هم قريش؛ فإنهم يقولون: عادوا إلى قبلتنا، فيوشك أن يعودوا إلى ديننا، فيبين سبحانه أن من حكمة نسخ القبلة وتغييرها مخالفة الناس الكافرين في قبلتهم؛ ليكون ذلك أقطع لما يطمعون فيه من الباطل. ومعلوم أن هذا المعنى ثابت في كل مخالفة وموافقة؛ فإن الكافر إذا أتبع في شيء من أمره كان له في الحجة مثل ما كان أو قريب مما كان لليهود من الحجة في القبلة.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد، فلا شك أن حدث تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المشرفة أنه حدث عظيم، حصل بسببه اعتراضات، واستشكالات كثيرة من المعاندين والمعارضين والجهال وضعاف الإيوان، والواجب على المؤمن أن يتبع أوامر الله جلّ وعلا؛ حيث وجهه يتوجه من غير اعتراضٍ سواءً وجهه إلى بيت المقدس، أو وجهه إلى الكعبة {وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَجْهَ اللَّهِ}. و{لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}. ومن الإيوان بالله واليوم الآخر اتباع ما أمر الله به، وترك ما نهى الله عنه دون اعتراضٍ أو انتقادٍ؛ فإن هذا ليس شأن المؤمنين {وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا}. فالؤمن يدور مع أمر الله سبحانه وتعالى، حيثما وجهه يتوجه؛ ولذلك لما حُولت القبلة وصلى ناسٌ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر إلى الكعبة، وخرجوا إلى مسجد بني زريق وجدوهم يصلون إلى بيت المقدس، لأنه لم يبلغهم تحويل القبلة، فلما أخبروهم استداروا وهم في الصلاة، استداروا وهم في الصلاة من اتجاه بيت المقدس إلى اتجاه الكعبة؛ امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى، دون اعتراض، ودون أي استشكال؛ لأنهم مؤمنون بالله عز وجلّ ومؤمنون برسوله صلى الله عليه وسلم، فهم يدورون مع أمر الله جلّ وعلا. أما اليهود فإنهم فرحوا في الأول لما توجه النبي صلى الله عليه وسلم إلى قبلتهم، وقالوا: إنه سيوافق ديننا، وليس هذا هو ليس هذا كما تصوروا؛ فإن الرسول صلى الله عليه وسلم يتمشى مع أمر الله، فحيث لم يأمره الله بتحويلٍ عن بيت المقدس بقي على ذلك. بقي على ذلك. فلما أمره الله بالتحويل إلى الكعبة توجه إلى الكعبة دون أي توقف، وتوجه معه المؤمنون دون أي اعتراضٍ أو أي استشكالٍ؛ لأنهم عبادٌ لله يأتمرون بأمره، فهو لم يستقبل بيت المقدس من أجل أن يتبع اليهود، وإنما استقبل بيت المقدس لأنه لم يؤمر بالتحويل عنه بعد. ولما تحوّل إلى الكعبة فنفس الاعتراض الذي قاله اليهود قال المشركون: تحوّل إلى قبلتنا يعني الكعبة

المشركون من العرب **تحوّل** إلى قبلتنا فيوشك أن يتحول إلى ديننا، يعني دين المشركين، وهو عبادة الأصنام، حاشا وكلا، فهو لا يلمس رضا **أحد** من الناس،

المذيع: صلى الله عليه وسلم.

الشيخ صالح: أو موافقة **أحد** من الناس وإنما يتمشى مع أمر الله سبحانه وتعالى. ولهذا قال جل وعلا: { **لِنَلَّا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةً** }، لو بقيتم على الصلاة إلى بيت المقدس لاحتج عليكم اليهود؛ لأن قبلكم الكعبة كما هو عندهم في التوراة. وكذلك الذين ظلموا منهم وهم المشركون ظنوا أن تحوله إلى الكعبة أنه سيتحوّل إلى دين المشركين، والله **جلّ** وعلا وصفهم بالظلم، { **إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ** } أي من الكفار، فهؤلاء لا عبرة لقولهم، أو توقعاتهم؛ فإن الرسول **صلى الله عليه وسلم** لا يتمشى مع رغبات الناس.

المذيع: صلى الله عليه وسلم.

الشيخ صالح: أو استرضاء الناس، وإنما يتمشى حسب أوامر الله سبحانه وتعالى، فلا مَطْمَع لأحد لا من اليهود ولا من المشركين أن الرسول **صلى الله عليه وسلم** سيوافقهم على ما هم عليه، أو يترضاهم في دينهم، وإنما هو يدور مع أمر الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: { **فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** } فلا تخشوا اليهود، ولا تخشوا المشركين، وإن قالوا ما قالوا فإنكم مع الله سبحانه وتعالى، وفي طاعته وامثال أمره، ومن كان كذلك فإنه لا يخشى أحداً في تنفيذ أوامر الله سبحانه وتعالى، وإن اعترض المعترضون.

(١١٦) النهي عن التشبه بأهل الكتاب في افتراقهم، وإخبار النبي صلى

الله عليه وسلم بافتراق أمته من دلائل نبوته

المذيع: نعم. أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: قال سبحانه: **{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ**

مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ}. وهم اليهود والنصارى الذين اختلفوا على أكثر من سبعين فرقة؛ ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن متابعتهم في نفس التفرق والاختلاف، مع أنه صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن أمته ستفرق على ثلاث وسبعين فرقة.

الشيخ صالح: نعم. ومن جملة ما نهانا الله عنه من التشبه بالكفار التشبه بأهل الكتاب، من جملة ذلك تفرقهم؛

فإنهم تفرقوا (اختلفت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، واختلفت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة)، بسبب اتباع الأهواء، وما كان لهم أن يفرقوا لو تمسكوا بكتاب الله (التوراة والإنجيل)، لكانوا صفاً واحداً، فهم اختلفوا تبعاً لأهوائهم، فالله ينهى هذه الأمة أن تشبه بهم في التفرق والاختلاف، وترك ما أنزل الله عليهم.

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران: ١٠٥]. وأنتم قد جاءكم البيِّنات وهو القرآن الكريم والسنة النبوية، فلا فلا تفرقوا، حسب الأهواء والرغبات والعصبيات، وإنما وإنما تكونون أمة واحدة، **{إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}** [الأنبياء: ٩٢]، والله جلّ وعلا يريد لنا الاجتماع.

{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]. التفرق والاختلاف شرّ، ولكن مع هذا مع نهي الله عن التفرق، وعن مخالفة اليهود والنصارى في تفرقهم، فإنه حصل في هذه الأمة تفرق واختلاف، لكن بعدما بلغتهم الحجة، وقامت عليهم البيّنة، فلا عذر لمن تفرق وخالف، فإن هذا عن هوى، والتفرق إذا كان عن هوى، فإنه لا عبرة به، فهذا هو السرّ في إيراد المصنّف - رحمه الله - لهذه الآيات؛ لأن الكتاب موضوعه كله النهي عن التشبه باليهود والنصارى [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم]، ومن جملة ذلك التفرق، فإنهم تفرقوا في

دينهم، فالله نهى هذه الأمة أن تتفرق في دينها، وأن تكون، وأمرها أن تكون أمة واحدة على كتاب الله. والذي يعصم من التفرق هو التمسك بكتاب الله **{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا}**. فمن اعتصم بحبل الله فلن يتفرق، وإنما

يتفرّق من خالف حبل الله سبحانه وتعالى، كما حصل لليهود والنصارى، أمّهم لما خالفوا كتاب الله تفرّقوا، كذلك من ضلّ من هذه الأمة فإن تفرّقه وضلاله إنما هو بمخالفة الكتاب والسنة. وأمّا من اعتصم بالكتاب والسنة فإنهم لا يتفرّقون أبداً، بل يكونون جماعةً واحدةً.

١١٧) عدد أصول فرق المسلمين

المذيع: جزاكم الله خيراً، العدد المذكور في الفرق يا شيخ إحدى وسبعين اثنتين وسبعين مثلاً سبعين.

المقصود منه التحديد؟ أو ليس التحديد؟

الشيخ صالح: ليس المقصود التحديد؛ فالفرق أكثر من هذا، ولكن يقول العلماء: هذي أصول الفرق، هذه الأعداد هي أصول الفرق وتشعبت وتفرّقت إلى فرقٍ أخرى.

١١٨) تفاوت التشبه وبيان أنه كله منهي عنه

المذيع: جزاكم الله خيراً. قال رحمه الله مع أن قوله صلّى الله عليه وسلّم: "لا تكن مثل فلان"، قد يعم مائلته بطريق اللفظ أو المعنى، وإن لم يعم، دلّ على أن جنس مخالفتهم وترك مشابعتهم أمرٌ مشروعٌ. ودلّ على أنه كلّما بعد الرجل عن مشابعتهم فيما لم يُشرع لنا كان أبعد عن الوقوع في نفس المشابهة المنهيين عنها. وهذه مصلحةٌ جليلة.

الشيخ صالح: نعم التشبه يختلف، قد يكون تشبهاً كثيراً، وقد يكون تشبهاً قليلاً. وكلّه منهي عنه؛ لأن التشبه القليل يجرّ إلى التشبه الكثير، الكثير. وأيضاً هو مخالفة ولو كان قليلاً؛ فالإنسان لا يتساهل في أمر التشبه، التشبه منهي عنه سواء كان قليلاً أو كثيراً، سواء كان في العبادات أو في العادات الخاصة بهم؛ فإننا منهيون عن التشبه بهم في أيّ شيءٍ من خصائصهم.

١١٩) بيان أن متابعة أمر الله وطرح ما سواه هو طريق الأنبياء، وأن

الفساد هو مخالفة أمر الله في أي زمان ومكان

المذيع: وقال سبحانه لموسى وهارون: {..... فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [يونس: ٨٩].

وقال سبحانه: { وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ } [الأعراف: ١٤٢].

وقال تعالى: { وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ

وَسَاءَتْ مَصِيرًا } [النساء: ١١٥] إلى غير ذلك من الآيات.

الشيخ صالح: الآية الأولى؟

المذيع: { فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ }.

الشيخ صالح: نعم الله جلّ وعلا أمر موسى وهارون عليهما السلام بالاستقامة على كتاب الله التوراة. وما

أوحى الله إليهما، ونهاهما عن اتباع سبيل الذين لا يعلمون، فدلّ على أن من خالف ما أنزل الله فهو جاهل، وإن

ادّعى أنه عالم. و.... فليس بعد.... والله جلّ وعلا يقول: { فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصِرُّونَ } . فأبي

إنسان يأتي بشيء يظن أو يعتقد أنه خير وهو مخالف لما في كتاب الله، فإنه فإنه ضلال، ولو كان يظن أنه أنه هدى،

وهو شرٌّ وإن كان يظن.

المذيع: أنه خير.

الشيخ صالح: أنه خير، **{وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ}**، وهذا منهج يجب أن يسلكه المؤمنون في كل زمان ومكان، وهو التمسك بما أنزل الله وترك سبيل المخالفين؛ لأنهم على جهل، ما داموا ليسوا على منهج كتاب الله فإنهم على جهل وعلى ضلال.

المذيع: **{وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}** [الأعراف: ١٤٢].

الشيخ صالح: لما أراد موسى عليه السلام أن يذهب إلى موعد الله الذي واعدته أن يعطيه أن يعطيه صحائف التوراة، **{وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فِتْمٍ مِيقَاتٍ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً}**. لما تم الموعد وحان الذهاب إلى مكان الموعد الذي وعده الله، فإنه أوصى أخاه هارون. وهكذا ينبغي لولي الأمر، أنه إذا أراد أن يغيب عن رعيته أنه يوصي ويخلف من يقوم مقامه، **{وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي}** {اخلفني} يعني: كن خليفة بعدي في سياسة بني إسرائيل، **{اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}**. هذه وصايا، فينبغي لولي الأمر إذا أراد أن يستخلف لعارض من العوارض أن يستخلف غيره أن يوصيه ويرسم له المنهج الذي يسير عليه من بعده، **{اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ}**، أصلح فيهم، والإصلاح إنما يكون وفق كتاب الله وسنة رسوله؛ ولهذا قال: **{وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}** فإن سبيل المفسدين فساد وليس إصلاحاً، فعليك أن تتمسك بهدي الوحي، ولا ترجع إلى أهواء الناس ورغباتهم فإن كثيراً من الناس لا يريدون التمسك بالشرع. وإنما يريدون تحقيق رغباتهم وأهوائهم، فهؤلاء لا عبرة بهم، ولا ولا بقولهم، مهما كانوا من الكثرة أو من الغنى أو من الثروة أو من المكانة، فإنهم لا عبرة بهم ما داموا مخالفين لمنهج الله سبحانه وتعالى؛ ولهذا قال: **{وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}**. لا يكن عندك من المستشارين من المفسدين، بل اتخذ وساطة صالحة.

أهل رأي وتدبير وحسن سياسة. اختر البطانة الصالحة، وتجنب البطانة السيئة؛ لأنهم من المفسدين.

المذيع: وقال تعالى: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ}.

الشيخ صالح: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ} يكون في شقِّ والرسول في شقِّ، يعني يخالف يخالف الرسول بحيث يكون هو في شقِّ والرسول، والرسول في شقِّ آخر، {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ}، فهو لم يخالف الرسول عن جهل؛ وإنما خالفه عن هوى، أما من خالف الرسول من غير قصد، وإنما أخطأ في ذلك وهو يريد الحق، يريد الحق، لكنه أخطأ فهذا يُعذَر حتى يتبين له الحق فيجب عليه الرجوع إليه.

ولهذا قال سبحانه وتعالى في هذه الآية نعم: {وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ}، فإنه إذا تبين له الهدى وبقي على شقاقه فإنه يكون متبعاً لهواه؛ لأنه قامت عليه الحجة. ففي هذا دليل على أن الجاهل يُعذَر حتى تقوم عليه الحجة. {مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ}، كذلك، بعد كتاب الله وسنة رسوله، يتبع الإجماع فإن الإجماع أصل من أصول الاستدلال؛ لأن أصول الأدلة الكتاب والسنة والإجماع، فإذا فبعد الكتاب وبعد السنة يؤخذ بما عليه الإجماع، فمن خالف إجماع المسلمين فإنه قد ضلَّ، ويتبع غير سبيل المؤمنين، توعدده الله بقوله: {نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا}. فإن الله جلَّ وعلا يتركه وضلاله يهيم في الضلال عقوبة له؛ لأنه خالف كتاب الله وخالف سنة رسول الله وخالف إجماع المسلمين، ففي هذا دليل على حجية الإجماع. وقد استدل الأصوليون بهذه الآية على حجية الإجماع إجماع المسلمين إجماع علماء المسلمين، وأن من خالف الإجماع فإنه قد ضلَّ، وأنه معرض للوعيد، بل قالوا: إن من خالف الإجماع يكفر، إن من خالف الإجماع، نعم، فإنه يكفر.

المذيع: نعم، أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: وما هم عليه من الهدى والعمل هو من سبيل غير المؤمنين، بل ومن سبيل المفسدين، والذين لا يعلمون.

الشيخ صالح: نعم. ما عليه المخالفون لما أنزل الله عز وجل في كل وقت في وقت موسى نعم ومن بعده،

المخالفون لما أنزل الله فإنهم يكونون ضالين، ويكونون مفسدين وإن كانوا يزعمون أنهم مصلحون؛ ولهذا قال

جل وعلا: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ} [البقرة: ١١]

{أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ} [البقرة: ١٢]؛ فالإصلاح والصلاح إنما هو باتِّباع ما جاء في كتاب الله

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. وأما ما خالف الكتاب والسنة فإنه إفساد، وإن كان أصحابه يزعمون أنه

إصلاح. نعم.

١٢٠) بيان أن المنهي عنه ليس من شرطه أن ينص عليه بل قد يكون

داخلا في عموم منهي عنه

المذيع: قال -رحمه الله-: وما يقدر عدم اندراجه في العموم فالنهي ثابت عن جنسه فيكون مفارقة

الجنس بالكلية أقرب إلى ترك المنهي ومقاربتة مظنة وقوع المنهي عنه.

الشيخ صالح: نعم الأدلة من الكتاب والسنة جاءت على أنواع منها ما هو نص، منها ما هو نص ومنها ما هو

ظاهر ومنها ما هو عام ومنها ما هو خاص، ومنها ما هو مطلق ومنها ما هو مقيد، أو مقيد، فأدلة الشرع على هذا

النمط، فليس من ضرورة المنهي عنه أن يكون منصوباً عليه، بل قد يكون داخلاً في عموم النهي. داخلاً في

عموم النهي، فيتجنب المنصوص عليه من باب أولى، ويتجنب ما يدخل في عموم، في عموم النهي، ويتجنب

المخالفة الكثيرة والمخالفة القليلة، القليلة. فعلى المسلم أن يتنبه لهذا الأمر.

المذيع: قال سبحانه: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم

بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً

وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ

تَخْتَلِفُونَ} [المائدة: ٤٨]. إلى قوله بعدها:

{وَأَنْ أَحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا

فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ} [المائدة: ٤٩].

ومتابعتهم في هديهم هي من اتباع ما يهوونه أو مظنة لاتباع ما يهوونه، وتركها معونة على ترك ذلك، وحسم لمادة
متابعتهم فيما يهوونه.

الشيخ صالح: قوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا} فأنزلنا عليك الكتاب الذي هو القرآن،

{مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ} يعني لما سبقه من الكتب السماوية، فإن هذا القرآن يوافقها ويصدقها. {وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ}،

مهيمناً على الكتب السابقة، بمعنى أنه يبين ما وقع فيها من التحريف والتبديل والتغيير وما نسخ منها وما لم

ينسخ، فهو هذا الكتاب القرآن الكريم مهيمن على الكتب السابقة، بمعنى أنه يصحح الصحيح الذي لم يُغَيَّرْ،

ويبين المبدل والمغيَّر والمنسوخ، {وَمُهَيِّمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ}، أمر الله نبيه أن يحكم بين الناس بين

اليهود والنصارى وغيرهم، بما أنزل الله من الكتاب والسنة، فالحكم بين الناس إنما يكون بالشرع، لا يكون

بالقوانين، لا يكون بالأنظمة البشرية، ولا يكون بالعادات والأعراف القبلية، وحكم الجاهلية، وإنما يكون

بالشرع المنزل؛ لأنه هو الكفيل لمصالح العباد وقطع النزاع وصلاح القلوب ورد المظالم وغير ذلك وقطع الأهواء

والرغبات؛ فالكتاب كفيلٌ بذلك كله.

المذيع: الله أكبر.

الشيخ صالح: ولا تتبع أهواءهم وأن يحكم بينهم بما أنزل الله **{لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا}**. لكل

جعلنا منكم أي الرسل شرعة ومنهاج، فالرسل دينهم واحد وهو التوحيد، والاسلام لله عز وجل، وإن اختلفت شرائعهم فإن الله يشرع لكل أمة ما يصلحها في وقتها، ما يصلحها في وقتها، ثم ينسخ ذلك بشريعة ثانية تصلح للوقت المتأخر، إلى أن جاء القرآن الكريم، الله جعله صالحاً لكل زمان ومكان،

المذيع: الحمد لله.

الشيخ صالح: لا يغيّر ولا يبدل إلى أن تقوم الساعة؛ لأن الله ضمنه كل ما يحتاجه البشر في كل زمان ومكان

إلى أن تقوم الساعة وهو العليم الخبير، فيما يصلح عباده سبحانه وتعالى؛ فهذا القرآن لا ينسخ، وأما ما قبله من الشرائع فإنها يجري فيها النسخ.

فهذا منزلة القرآن والإسلام من الأديان والكتب السابقة. **{لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ**

لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} لجعلكم على شريعة واحدة ولم تختلفوا، ولكن أمر الله جلّ وعلا نافذ في وقوع الاختلاف

من باب الابتلاء والامتحان. **{وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ}**. ليلوكم يعني

ليختبركم فيما آتاكم، فالله قادر على أن يجعل الناس كلهم مؤمنين موحدين، ولكنه سبحانه وتعالى أراد أن يتليهم

ويمتحنهم، ويكون إيمانهم عن اختيار، عن اختيار وعن قبول، ولا يكون إيمانهم عن إجبار، وإنما عن اختيار

ومشيئة لهم، **{فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ}** هذا من باب التهديد لا من باب الإقرار كما يحتج بعض

الناس؛ لأن الناس أحرار من شاء أن يؤمن ومن شاء أن يكفر، ويقولون: هذي حرية الرأي وحرية العقيدة. لو

كان الأمر كذلك ما احتاج إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب، الكتب. كل يأخذ رأيه وخلاص، لكن الله جلّ

وعلا يريد طريقاً واحداً، من سلكه نجا، ومن خالفه هلك، فالله جلّ وعلا أراد أن الناس يكونون يأتون الأشياء

عن اختيار وعن إرادة، وعن مشيئة منهم، فإن كانت خيراً حازوا على الصلاح والفلاح، وإن كانت شراً حازوا

على الخسار، وهذا فعلهم هم، وهذا اختيارهم هم، جعل الاختيار لهم في هذا الأمر، جعل الاختيار لهم في هذا الأمر ولكن المؤمن لا يختار إلا ما يرضي الله سبحانه وتعالى. وأما المنافق والكافر فيختار ما ترضاه نفسه ولو أسخط الله عز وجل.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس عشر

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم اقتضاء صراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية -رحمه الله-. ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء. في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(١٢١) الوصية باتباع ما أنزل الله والمسارعة في تنفيذه، وترك الأهواء كلها

المذيع: وقفنا في الحلقة الماضية عند بيان قول الله تعالى: (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَيْتُكُمْ فَاسْتَبِقُوا ۗ الْغَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهٍ تَخْتَلِفُونَ) إلى قوله: (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَأَحْذَرْتُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ). وأن متابعتهم في هديهم من اتباع ما يهوونه وتركها معونة على ترك ذلك.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. ما زلنا في الكلام على قوله سبحانه وتعالى أن الله جل وعلا قال لنبيه (صلى الله عليه وسلم): (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ). أمر الله نبيه أن يحكم بين الناس من يهود ونصارى ومسلمين وكل من تحاكم إليه يحكم بينهم بما أنزل الله لأنه هو الشرع المطهر وهو الذي تطمئن إليه القلوب والنفوس أرضى به نفوس المؤمنين. وهو الذي يقطع النزاع وينهي الأهواء، لأنه من حكيم حميد لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ). لا تتبع أهواء اليهود أو النصارى فتحكم لهم بما يرضيهم ويوافق رغباتهم، بل

احكم بينهم بما أنزل الله عز وجل. وهذا عام في كل نزاع سواء كان بين اليهود والنصارى أو غيرهم. ولا تتبع أهواءهم، فدل على أن من أعرض عن الكتاب والسنة فإنه متبع لهواه، وأن من تحاكم إلى الكتاب والسنة فإنه متحاكم إلى الهدى. وماذا بعد الحق إلا الضلال. أما (وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جِل) وبيننا هذا في الحلقة السابقة (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً). لو شاء الله لم يختلف الناس وجعلهم كلهم على دين واحد، ولكنه أراد أن يختبرهم، وأن يجعل لإرادتهم ومشيتهم دور في أعمالهم وفي أقوالهم وفي تدينهم، فمن كان هواه تبعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فهذا هو السعيد، ومن كان هواه تبعاً لرغباته وشهواته فهذا هو الشقي. وليتميز هذا من هذا. ولكن ليلوكم بما أتاكم، ثم قال جل وعلا: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ). أي: بادروها بادروا الخيرات قبل أن تفوت، لأن الدنيا تنتهي والأيام تنطوي والساعات تنطوي، فإذا أخرت العمل فقد لا تدركه. فعليك أن تبادر، (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) استبقوها قبل أن تفوت. ولا تؤجلوا إلى الغد أو ما بعد الغد أو إلى العام القادم. فإنك قد لا تدركه، ولو أدركت قد لا توفق، قد لا توفق وقد يعرض لك ما يعرض من الحوائل أو تعجز عن ذلك، فبادر ما دمت متمكناً. (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ) ثم قال جل وعلا: (أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا). الله يجمع الخلائق يوم القيامة على اختلاف أجناسهم وأعمالهم ويجازيهم بها، كل بحسب عمله. فلا يظن الظانون أن الناس مهملين في هذه الدنيا يسبحون ويمرحون ويختلفون ويعرضون عن كتاب الله ويتركون، بل لا بد أن يكون لهم موعد مع الله جل وعلا يجازيهم بأعمالهم ويحاسبهم عليها (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا) بأي مكان وفي أي زمان عليك بالمبادرة (يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا).

المذيع: في الآية الأخرى في آية البقرة في هذه الآية قال: (فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا

فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ).

الشيخ صالح: هذا الاختلاف هذا حصل في الدنيا ولم يُحسم بالرجوع إلى الكتاب والسنة، فإنه يوم القيامة يحكم فيه أحكم الحاكمين. وإن دخله في الدنيا الأهوى والتغيير واتباع الأهوى، فإنه في يوم القيامة لابد أن يحكم الله فيه بالحق ويرد الباطل. **(إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ)** يعني يخبركم، فيجازي المحق بالخير ويجازي المسيء بالشر. نعم.

المذيع: قال إلى قوله: **(وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)** ومتابعتهم.

الشيخ صالح: نعم، ثم كرر سبحانه وتعالى: **(وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ)**. هذه وصايا من الله جل وعلا لنبيه وأن احكم بينهم بما أنزل الله وهو القرآن والسنة. ولا تتبع أهواءهم، لأن ما خالف الكتاب والسنة فهو أهوى ورغبات. فعلى الحاكم ألا يراعي أهواء الناس ورغباتهم وإنما يراعي ما أنزل الله سبحانه وتعالى فيحكم بينهم بذلك. ولا تتبع أهواءهم واحذرهم، هذا تأكيد، لا ترتب واحذر، الانسان وإن خالفهم حكم بينهم بما أنزل الله لكن لا يطمئن إليهم بل يحذر، يحذر في المستقبل، واحذرهم سيفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليه. فعليك بالثبات ولا يغروك بمخالفة ما معه ويطمعونك في أشياء، فإن هذا من ترك الحق إلى الباطل. الله جل وعلا يقول: **(وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينا إِلَيْكَ لَيَفْتَرِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذَا لَا تَلْحَظُوكَ خَلِيلاً* وَكَذَلِكَ كِدَتْ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً* إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ)**. فدائماً المشركون والكفار والمنافقون يحاولون مع العلماء ومع ولاة الأمور، يحاولون استمالتهم إلى رغباتهم وإلى شهواتهم بالأحكام والعمل بالقوانين والأنظمة المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله، هذا ديدنهم، فعلى المسلمين ان يحذروا وخصوصاً العلماء وخصوصاً الذين يحكمون بين الناس عليهم أن يحذروا من تغريرات هؤلاء، أن يصرفوهم عن الحق. **(واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا)،** يعني **أعرضوا ولم يقبلوا، (فاعلم أنها يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم)**. فهذا فيه دليل على أن من ترك الحق فإنه يعاقب باتباع الباطل، لأن الله يطمس على قلبه ويعاقبه فيتبع الباطل. **(فاعلم أنها يريد الله أن يصيبهم ببعض**

ذُنُوبِهِمْ) وهذا أعظم المصيبة، مصيبة القلب أعظم المصيبة، لو أنه أصيب بهاله أو أصيب بيده لكان أسهل من إصابته في قلبه لأنه إذا أصيب في قلبه زاع وضل، والقلب إذا ضل وزاع فلا فائدة فيه؛ لأنه قد انحرف. **(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)** فلا يرجع إلى الحق بعد ذلك.

(١٢٢) التشبه بأهل الكتاب إما متابعتاً لأهوائهم أو مظنةً لذلك

المذيع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: ومتابعته بهديهم هي من اتباع ما يهوونه أو مظنةً لاتباع ما يهوونه، وتركها معونةً على ترك ذلك وحسمٌ لمادة متابعتهم فيما يهوونه.

الشيخ صالح: نعم. اتباع أهوائهم هو شرٌ كله، إما أن يكون اتباعاً صريحاً لما يهوونه أو مظنة ذلك، فعلى المسلم أن يتجنب هذا خصوصاً من ولاة الله أمور المسلمين عليه أن يحذر من تضليل هؤلاء الضالين ودعاة الضلال، فإنهم دائماً جادون في صرف المسلمين عن دينهم دائماً وأبداً لا يفتنون عن ذلك **(وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا) (وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)**. هذا دائماً وأبداً، ما انتهى في وقت الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هو دائم إلى أن تقوم الساعة.

(١٢٣) أمثلة النهي في القرآن عن مشابهة الكفار كثيرة

المذيع: قال رحمه الله: واعلم أن في كتاب الله من النهي عن مشابهة الأمم الكافرة وقصصهم التي فيها عبرةٌ لنا بترك ما فعلوه كثير، مثل قوله لما ذكر ما فعله بأهل الكتاب من المثلات: **(فاعتبروا يا أولي الأبصار)**. وقوله: **(لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ)** وأمثال ذلك.

الشيخ صالح: فالله جل وعلا ذكر في القرآن من النهي عن مشابهة المشركين الشيء الكثير. ولما ذكر ما أحل

باليهود بالمدينة في بني النضير لما خانوا العهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقضوا العهد الذي عاهدوا النبي صلى الله عليه وسلم عليه، حين ذلك سلط الله رسوله عليهم وغزاهم في محلاتهم وحاصرهم وحرّق نخيلهم وأخيراً تصالحوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على أن يجلووا عن المدينة ويأخذوا ما خف معهم ويتركوا الباقي للمسلمين. الله جل وعلا قال في صدر سورة الحشر: **بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ) هذا هو الفوج الأول وتبعهم بنو قينقاع وبنو قريظة. الفوج الأول من اليهود الذين جلوا عن المدينة هم بنو النضير في أول الحشر (مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُجْرِبُونَ بِيُوتِهِمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ). الشاهد في قوله اعتبروا يا أولي الأبصار: يا أصحاب العقول والبصائر اعتبروا بما جرى لهؤلاء، فإنهم أهل كتاب وأهل علم. ولما خانوا الله ورسوله حل بهم ما حل. فعليكم أن تحذروا من طريقتهم والتشبه بهم في ذلك.**

المذيع: قال ومثل قوله تعالى: (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الأبصار).

الشيخ صالح: نعم لما ذكر الله في قصة يوسف عليه السلام في سورة يوسف ذكر ما جرى ليعقوب وما جرى

ليوسف وأخوته وما انتهى إليه أمرهم من الاجتماع وأن يعقوب -عليه السلام- سمح لهم واستغفر لهم وأن يوسف -عليه السلام- سمح لهم وقال: (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم). الله جل وعلا لما ذكر هذه القصة العظيمة في هذه السورة قال في ختامها: (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِأُولِيَ الْأَبْصَارِ). الله قص علينا قصص هؤلاء الرسل وهؤلاء الأنبياء وقص قصص غيرهم في القرآن من أجل أن نعتبر بذلك، عبرة لأولي الأبصار، لأصحاب العقول. أما الذين لا عقول لهم فإنهم تمر عليهم هذه القصص ولا يلتفتون إليها ولا يعتبرون بما فيها.

(ما كان حديثاً يُفتري): ما كانت هذه القصص مثل قصص التاريخ التي أكثرها كذب وافتراء وإنما هذا وحيٌ من الله سبحانه وتعالى، وحيٌ منزل لا يتطرق إليه أي احتمال وهو (ما كان حديثاً يُفتري).

١٢٤) تنوع الأدلة الدالة على النهي عن مشابهة غير المسلمين

المذيع: قال رحمه الله: ومنه ما يدل على مقصودنا ومنه ما فيه إشارة وتسميمٌ للمقصود.

الشيخ صالح: نعم ما يذكره الشيخ رحمه الله في هذا الكتاب من الآيات والأحاديث منه ما هو نصٌ في

المقصود وهو تحريم التشبه بالكفار عموماً، من اليهود والنصارى والأعاجم والمشركين وأهل الجاهلية منه ما هو نصٌ في ذلك وهو النص هو ما لا يحتمل غيره. والظاهر هو ما يحتمل، منه ما هو نصٌ ومنه ما هو ظاهر وعموم واحتمال. فهذا يحصل به المقصود من التنبيه على تحريم التشبه إما نصاً وإما ظاهراً وإما عاماً وإما خاصاً. نعم.

المذيع: قال رحمه الله: ثم متى كان المقصود ببيان أن مخالفتهم في عامة أمورهم اصلح لنا فجميع الآيات دالةٌ على ذلك. وإن كان المقصود أن مخالفتهم واجبةٌ علينا فإن هذا إنما يدل عليه بعض الآيات دون بعض.

الشيخ صالح: نعم. هذا الذي يذكره من الآيات والأحاديث لمخالفة أهل الكتاب فهو كله يتفق في المنع من

التشبه بالكفار عموماً وأن المسلمين يستقلوا بشخصيتهم الإسلامية التي أكرمهم الله بها. فمن ذلك كما سبق ما هو نصٌ لتحريم التشبه بهم في القليل والكثير ومنه ما هو ظاهرٌ وعمامٌ في منع التشبه وكلا الأمرين مكروه في الشرع. فما كان من نصٍ فهو واجب، والتشبه بهم فيه حرام. وما كان من عمومٍ أو شمولٍ، فإنه على أقل الأحوال يكون مكروهاً. والتشبه بهم فيه مكروه. نعم.

المذيع: قال: ونحن نذكر ما يدل على أن مخالفتهم مشروعةٌ في الجملة.

الشيخ صالح: مشروعة في الجملة يعني، وإن كان بعضها أنكد من بعض. بعضها حرام وبعضها مكروه.

نعم.

المذيع: إن كان هو المقصود هنا. أما تمييز دلالة الوجوب أو الواجب عن غيرها وتمييز الواجب عن غيره

فليس هو المقصود هنا.

الشيخ صالح: إي نعم، لأن المقصود ذكر قواعد في التشبه، ليس المقصود الاستقصاء بجميع أفراد التشبه.

فإن هذا كما سبق لكلامه رحمه الله أن هذا يستدعي كلاماً طويلاً فيستدعي مؤلفات كثيرة، ولكنه يقعد قواعد في

هذا الكتاب في التشبه الممنوع. نعم.

النهى عن مشابهة أهل الكتاب في أعيادهم (١٢٥)

المذيع: قال رحمه الله: وسنذكر إن شاء الله أن مشابهتهم في أعيادهم من الأمور المحرمة وإنه هو المسألة

المقصودة بعينها، وسائر المسائل إنما جلبها تقرير القاعدة الكلية العظيمة المنفعة.

الشيخ صالح: نعم. ومن الأمور التي يحرم التشبه بهم فيها وهي المقصودة تشبه بالكفار في أعيادهم، والعيد

اسمٌ لما يتكرر ويعود إما على مدار السنة أو على مدار عددٍ من السنين أو مدار الأسبوع أو غير ذلك. هو ينقسم

إلى قسمين، عيدٌ زمني، وعيدٌ مكاني، فما يعود ويتكرر فإنه يسمى بالعيد. والكفار لهم أعياد، لهم أعيادٌ يعتبرونها

من شعائر دينهم. والمسلمون لهم أعياد من شعائر دينهم، وهما عيدان عيد الفطر وعيد الأضحى. قد قدم النبي

صلى الله عليه وسلم المدينة والمشركون لهم أعياد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: [إن الله قد أبدلكم بها خيراً

منها، عيد الفطر وعيد الأضحى]. يجب على المسلمين أن يقتصروا على هذين العيدين، عيد الفطر وعيد

الأضحى، ولا يجعلوا لهم أعياداً تشبه أعياد أهل الكتاب، المناسبات، عيد المولد، عيد الجلوس، عيد كذا وعيد كذا، لأن هذه أعياد جاهلية.

١٢٦) أوصاف النفاق وأقسامه

المذيع: قال رحمه الله: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ) إلى قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ). قال رحمه الله: بين سبحانه وتعالى في هذه الآيات أخلاق المنافقين وصفاتهم وأخلاق المؤمنين وصفاتهم وكلا الفريقين مظهر للإسلام. ووعده المنافقين المظهرين للإسلام مع هذه الأخلاق والكافرين المظهرين للكفر نار جهنم. وأمر نبيه بجهاد الطائفتين، ومنذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم..

الشيخ صالح: الله سبحانه وتعالى قال في سورة التوبة في سياق ذم المنافقين، قال تعالى: (الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ

بَعْضُهُمْ مِّنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمْ

الْفَاسِقُونَ). المنافقون والمنافقات دل على أن في النساء منافقات مثل الرجال، المنافقون والمنافقات. والنفاق هو:

إظهار الإيمان وإبطان الكفر، هذا هو النفاق الاعتقادي الكفري، وصاحبه في الدرك الأسفل من النار، وهو الذي

يظهر الإيمان ويظهر الإسلام، يبطل الكفر اقتداءً ومكراً (يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا

يُحَادِثُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ). وهناك نفاق عملي وهو يصدر من بعض المؤمنين، وهو أن يتصف بصفة من

صفات المنافقين لكن قلبه مؤمن. هو مؤمن في قلبه لكن قد يصدر منه قولٌ أو فعلٌ يشبه صفات المنافقين، هذا

نفاق عملي ويسمى بالنفاق الأصغر. وهذا هو الذي خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه، قال صلى عيه

وسلم: [أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً وإن كانت به خصلة منهن كانت فيه خصلةً من النفاق حتى يدعها،

إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر]. وقال صلى الله عليه

وسلم: [آية المنافق ثلاث، إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان]. فهذه صفات قد تصدر من بعض المؤمنين لضعف إيمانهم، لكنهم لا يكفرون بها، وتسمى بالنفاق الأصغر، وهي خطيرة جداً، لنتها قد تجر إلى النفاق الأكبر والاتصاف بها مشابهة للمنافقين. وإن كانت مشابهة جزئية لكنها خطيرة جداً ومرص عظام حتى يتوب الانسان منها. المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض. ما قال أولياء بعض، لأنهم أعدى فيما بينهم، اي نعم. وإن كانوا يظهرون أنهم جميع وأنهم، لكن هم فيما بينهم.. (تَحَسَّبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ). نعم. قال: بعضهم من بعض، يعني يشبهوا بعضهم بعضاً في المكر والخداع والسلوك السيء. بعضهم من يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، دائماً هذه صفة المنافق. يأمرون بالمنكر، والمنكر كل ما تنكره العقول السليمة والفطر المستقيمة، هذا هو المنكر، وهو كل ما حرم الله سبحانه وتعالى، كل ما نهى الله عنه وحرمه فإنه منكر لأنه تنكره العقول السليمة والفطر المستقيمة. فهؤلاء يأمرون بالمنكر، هذه صفاتهم أنهم يأمرون بالمنكر، دائماً يدعون إلى الرذيلة، دائماً يدعون إلى العري والتفسخ وقلع الحجاب وإخراج المرأة من بيتها الى مخالطة الرجال. يدعون إلى تغيير الشرع والحكم بالقوانين والأنظمة ومسايرة الكفار، هذه دعاياتهم دائماً واردة، هذه صفات المنافقين. وما اشبه الليلة بالبارحة، الدعاة الآن من هؤلاء على قدم وساق، دائماً يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ينهون عن التمسك بالكتاب والسنة. ويسمون هذا من الغلو والتطرف والتشدد والتزمت إلى غير ذلك. يزهّدون في طباع الكتاب والسنة والاستقامة. نعم إنكار الغلو والتشدد والتزمت هذا أمر واجب، ينكر، لكن ليس التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتقيد بالحلال والحرام، ليس هذا هو التشدد، وليس هذا هو التزمت، بل هذا هو الحق وهو المنهج السليم. ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم، يقبضون أيديهم كناية عن البخل، أنهم يمنعون الزكاة ولا يتصدقون ولا ينفقون لنتهم لا يؤمنون بالله ولا يرجون ثواب الله ويحبون المال ويبخلون به، ويخشون الفقر، ما عندهم أمل بالله عز وجل واعتماد على الله، ويظنون أنهم إذا انفقوا أنه ينفذ ما لهم ويصيبهم الفقر. فهم يقبضون أيديهم عن النفقات الواجبة والمستحبة، هذه صفات المنافقين والعياذ بالله. نسوا الله فنسيهم، نسوا الله: أي تركوا طاعته جل وعلا وارتكبوا ما حرم عليهم،

فَنَسِيَهُمُ اللَّهُ: تركهم الله، وإلا فالله جل وعلا لا ينسى. النسيان الذي معناه الذهول. وإنما معنى النسيان هنا الترك، النسيان يأتي بمعنى الترك، كما انه يأتي بمعنى الذهول، الله منزّه عن ذلك، (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا). (في كتاب **لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى**). الله منزّه عن النسيان الذي هو الذهول، وعدم الإدراك، وإنما المراد بالنسيان هنا: الترك. نسوا الله: تركوا أوامره وأعرضوا عن ذكره فنسيهم، يعني تركهم من فضله وإحسانه، تركهم في العذاب. إن المنافقين هم الفاسقون: أي الخارجون عن طاعة الله، لأن الفسق هو الخروج، الفسق في اللغة: هو الخروج، والمراد بها هنا: الخروج عن الدين. والفسق ينقسم إلى قسمين؛ فسق أكبر وهو فسق المنافقين، وفسق أصغر وهو ما يحصل من المؤمن من بعض المعاصي، هذا فسق، لكنه فسق أصغر لا يُخرج من الملة.

المذيع: شيخنا عذراً لإرجاء بيان هذه الأنواع من الفسق وإتمام شرح الآيات في لقاءنا القادم إن شاء الله.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع عشر

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم الى حلقة جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام/ أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ.

ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله.

١٢٧) فسق المنافقين أعظم من فسق الكفار، ومجاهدة الطائفتين

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ تعالى-: [في وجه آخر من المشابهة بين هذه الأمة وأهل الجحيم، قال تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧]، في آخر هذه الآيات قد بين سبحانه وتعالى أخلاق المنافقين وصفاتهم وأخلاق المؤمنين وصفاتهم، وكلا الفريقين مظهر للإسلام، ووعد المنافقين المظهرين للإسلام مع هذه الأخلاق، والكافرين مظهرين للكفر نار جهنم وأمر نبيه بجهاد الطائفتين].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله

وصحبه أجمعين، في الحلقة السابقة كنا في آخر الآية وهي قوله تعالى: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾

[التوبة: ٦٧]، وصلنا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

الله -جل وعلا- حصر الفسق بالمنافقين، والفسق معناه الخروج عن طاعة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فهم خارجون عن طاعة الله نهائياً، وإن كانوا يتظاهرون في طاعة الله، في الظاهر فهذا لا يفيد شيئاً، يقولون بأفواههم، ﴿يَقُولُونَ بِالْأَيْدِيَّتَيْنِ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [الفتح: ١١]، والله يشهد أنهم لكاذبون، ﴿يُحَادِّثُونَ اللَّهَ وَالدِّينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ٩، ١٠].

فلذلك حصر الله الفسق فيهم، إن المنافقين مؤكداً بأن المنافقين هم الفاسقون، أي لا أحد أفسق منهم، فهم أفسق من الكفار الأصليين، لأن الأصليين وإن كانوا فساقاً عن أمر الله -جل وعلا- إلا أنهم أظهروا ذلك، وصرحوا به، فكان المسلمون على بينة من أمرهم، لكن هؤلاء خدعوا المؤمنين فأظهروا الإيـان والإسلام وهم في الباطن أعداء للمؤمنين، وأعداء للإسلام، فلذلك صار فسقهم أشد من فسق الكفار الأصليين، ثم أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- بعدما ذكر المنافقين ذكر صفات المؤمنين، فقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ [التوبة: ٧١]، انظر الى المقابلة، هؤلاء ساهم المنافقين والمنافقات، ولم يقل المؤمنين مع أنهم يتظاهرون بالإيـان لأن العبرة ليست بالمظاهر، ولكن العبرة بالحقيقة، فلم يعطهم اسم الإيـان، وإنما أعطاهم اسم النفاق، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ [التوبة: ٧١]، الذين استوى ظاهرهم وباطنهم في الصدق مع الله -جل وعلا-.

هؤلاء هم المؤمنون والمؤمنات، والإيـان هو قولٌ باللسان واعتقادٌ بالقلب وعملٌ بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص للمعصية، وهذه صفة هؤلاء، ولذلك قال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ﴾ [التوبة: ٧١]، يعني أن الإيـان أن أهل الإيـان يكونون الرجال ويكونون من النساء، ففي هذا اعطاء المرأة مسؤولية عظيمة نحو دينه، وأنها مثل الرجل في هذا، فهي إما أن تكون كافرة أو مشركة، وإما أن تكون منافقة، وإما أن تكون مؤمنة، فلتنظر لنفسها أي مكان هي فيه، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، هذا في مقابل قوله في المنافقين: ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧]، لم يقل المنافقون والمنافقات بعضهم أولياء بعض، وإنما قال: ﴿بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٦٧].

يعني يشبه بعضهم بعضاً بالكفر والنفاق والكذب، ولا يتولى بعضهم بعضاً، وإنما هم أعداءٌ فيما بينهم؛ لأنهم لا يجمعهم دين ولا ينطوون تحت عقيدة، فهم فيما بينهم، أما المؤمنون فإنهم بعضهم أولياء بعض بالمحبة والنصرة والتعاون على البر والتقوى، ويتألم بعضهم لألم بعض، ويسر بعضهم لسرور الآخر، هذا معنى الإخوة الإيمانية، بعضهم أولياء بعض، وفي ضمن ذلك قطع الولاية بينهم وبين المنافقين والمنافقات والكافرين والكافرات، بعضهم أولياء بعض، هذه صفاتهم بعضهم يتولى بعضاً بالمحبة والنصرة والتعاون، والمشاركة في الآمال والآلام، كما قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد>. وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً>، وشبك بين أصابعه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وقال - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ -: <والله في عون العبد كما كان العبد في عون أخيه>.

﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، هذه صفة.

الصفة الثانية: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، أما المنافقون فهم بالعكس: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧]، المعروف المراد به كل ما أمر الله به سمي معروفاً؛ لأنه تعرفه العقول السليمة والفطر المستقيمة، والمنكر كل ما نهى الله عنه، سمي منكراً؛ لأنه تنكره العقول والفطر، يأمرون بالمعروف فهم يأمرون بما أمر الله به أو أمر به رسوله، ينهون عن المنكر وهو كل ما نهى الله عنه أو نهى عنه رسوله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أعظم دعائم الإسلام، قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإياد>، وهذا في الحقيقة داخل في قوله - تعالى -: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]؛ لأن من موجب الولاية لما بينهم أنهم يتأمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر؛ لأنهم يحرصون على ما ينفع الجميع، ويتجنبون ما يضر الجميع، ولا يقتصر أحدهم على نفسه فقط، وإنما يحرص على ما ينفع إخوانه ويدفع الضرر عنهم.

﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، هذه صفات المؤمنين، وأما ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإنه من صفات المنافقين، ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ [التوبة: ٧١]، هذا من صفاتهم أنهم يحرصون على إقامة الصلاة، فرضها ونفلها، يقيمونها لم يقل يصلون، بل قال يقيمون الصلاة؛ لأن المقصود إقامة الصلاة، وذلك بأن يؤتى بها قائمة على أركانها وواجباتها، وشروطها وخشوعها، هذا هو المقصود من الصلاة، أنهم يقيمونها كما أمر الله -جل وعلا- بذلك، وليس المقصود مجرد الركوع والسجود والقيام والعود.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: ٧١]، الركن الثالث من أركان الإسلام الزكاة وهي قرينة الصلاة، فمن علامة الإيثار أنهم يؤتون الزكاة، من صفات المؤمنين بمعنى أنهم يدفعون زكاة أموالهم التي أوجبها الله عليهم حقاً للسائل والمحروم، وأولئك المنافقون على العكس لا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى، ولا ينفقون إلا وهم كارهون، وقال الله فيهم: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، عن النفقة، أما المؤمنون فإنهم يبسطون أيديهم بالنفقة في طاعة الله لا سيما إخراج الزكاة.

﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١]، هذا تعميم بعد تخصيص، يطيعون الله فيما أمر ويطيعون رسوله فيما أمرهم، ويتركون ما نهى الله عنه ورسوله، هذه صفات أهل الإيثار، ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦]، ثم أن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ذكر جزاءهم، قال: ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١]؛ لأنهم أتوا بأسباب الرحمة، فأتوا بأسباب الرحمة، فالله وعدهم الرحمة، إن الله لا يخلف وعده -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فإذا قاموا بهذه الصفات فإنهم جاؤوا بأسباب الرحمة، والله وعدهم بذلك، والله لا يخلف وعده.

﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، إن الله عزيز يعني قوي، حكيم يضع الأمور في مواضعها، فيضع الثواب فيمن يستحقه، ويضع العقاب فيمن يستحقه، ولا يعذب من لا يستحق العذاب ولا يثيب من لا

يستحق الثواب، بل هو يضع الأمور في مواضعها، ﴿أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٧١]، وأيضاً هو عزيز لا يعجزه شيء، فإن بعض الناس أو -بعض الخلق- وإن أراد أن يعمل شيئاً لكنه قد يعجز، أما الله -جل وعلا- فإنه لا يعجزه شيء.

﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ٧٢]، لما ذكر جزاء المنافقين هناك قال: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ [التوبة: ٦٧، ٦٨]، نار جهنم هذا جزاؤهم، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ٦٨]، يعني باقين إلى الأبد، لا يخرجون منها، ولا يخفف عنهم العذاب، بل هم أشد للنار عذاباً؛ لأنهم في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً، خالدون فيها وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار الأصليين نار جهنم خالدون فيها يعني باقين إلى الأبد ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾، أي كافيتهم في العذاب، كافيتهم في الآلام والأحزان والمصائب، ليس بعد النار شقاء -والعياذ بالله-، ليس بعد النار عذاب، ليس بعد النار تعب، وكل الهموم وكل الأحزان وكل الآلام والالوجاع كلها تجتمع في النار، ﴿هِيَ حَسْبُهُمْ﴾.

وأشد من ذلك ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾، يعني طردهم وأبعدهم من رحمته، فلا مطمع لهم في رحمة الله، فإن المؤمن العاصي وإن دخل النار فإنه يطمع في رحمة الله، في أنه يخرج من النار ويدخل الجنة كما صحت بذلك الأدلة، أما هؤلاء فقد لعنهم الله، يعني طردهم وأبعدهم من رحمته فلا مطمع لهم بما من الخروج من النار.

﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]، يعني دائماً أبداً، لا يستريحون منه ولا يخفف عنهم، فهو عذاب ومقيم، أيضاً قد يكون العذاب ساعةً أو أياماً أو سنين ثم يزول، لكن هؤلاء عذابهم مقيم، لا يرجون منه خلاصاً أبداً، والعياذ بالله، حتى ولو كان العذاب يسيراً إذا كان دائماً فإنه شديد، فكيف إذا كان العذاب شديداً ودائماً؟ فالأمر أشد -والعياذ بالله-

في مقابل ذلك قال الله: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، ولم يقل جنةً، بل قال جنات، يعني جنات متعددة، ومتنوعة وواسعة، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، وفي هذا دليل على أن المرأة كالرجل في العمل الصالح والعمل السيء والجزاء عند الله يوم القيامة، وإن كانت تختلف عنه في الدنيا بخواص تليق بها، فإنها في الثواب والعقاب هي مثل الرجل وشريكة الرجل.

﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة: ٧٢]، والجنات جمع جنة، وهي الشجر الملتف، والخضرة النضرة، سمي جنةً من الاجتنان، وهو الاستتار، لأنها ملتفة تستر ما وراءها في شجرها وخضرتها، ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾، زيادةً في النعيم، فهي جنات خضرة ومناظر جميلة وتحتها أنهارٌ جارية مما يمتع الأبصار، ويفرح النفوس، تجري تحتها الأنهار، ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ [التوبة: ٧٢]، يعني ليس إقامتهم فيها مؤقتة، حتى يجزئوا من الرحيل، وإنما تفر أعينهم بأنهم لا يخرجون منها، ولا يموتون ولا ينتقلون منها، ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَالًا﴾ [الكهف: ١٠٨]، يعني لا يملون منها، فإن العادة أن الانسان إذا أقام في المكان فإنه يمل، لكن هؤلاء لجمالها ولرونقها ولذتها ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَالًا﴾.

﴿خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، جعل الله لهم مساكن يسكنون فيها هم وأزواجهم وذرياتهم، يسكنون في هذه المساكن ومساكن طيبة ليست مساكن مؤقتة أو مساكن بسيطة يعني مساكن محل، محل إقامة يسيرة، وإنما هي مساكن طيبة، ولا يعلم صفتها إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- فهي طيبة من جميع النواحي، طيبة من ناحية بنائها، وطيبة من ناحية رائحتها، وطيبة من ناحية سكانها، طيبة النواحي.

النواحي: في جنات عدن، هذه المساكن في جنات عدن، والعدل الإقامة، يقال عدن في المكان، إذا أقام، فهم مقيمون فيها، أبد الأبد في جنات عدن، ذلك هو الفوز العظيم، فختم الله جزاءهم بقوله ذلك؛ أي ما هم فيه من النعيم المقيم والجنات والسرور هو الفوز، والفوز هو النجاة من المحذور، فهم فازوا يعني نجوا من الهلاك، ذلك هو الفوز العظيم الذي لا أعظم منه، نعم.

الفرق بين المؤمنين والمنافقين (١٢٨)

المذيع: ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التوبة: ٧٣].

الشيخ صالح: والشاهد من هذه الآيات أننا نستخلص منها صفات المنافقين، وصفات المؤمنين، ونعرف فرق بين صفات الفريقين، وذكر الله فيها جزاء المنافقين وجزاء المؤمنين، ونعرف الفرق بين الجزاءين، وهذا مما يحث المؤمن على الإيثار وعلى تجنب النفاق.

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ -: بين -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في هذه الآيات أخلاق المنافقين وصفاتهم، وأخلاق المؤمنين وصفاتهم.

الشيخ صالح: كما ذكرنا وكلا الفريقين مظهر للإسلام، كلا الفريقين مظهر للإسلام، لكن المؤمنون مظهرون للإسلام حقيقة، ظاهراً وباطناً، وأما المنافقون فهم يظهرونه في الظاهر ويبطنون خلافه وضده، نعم.

المذيع: ووعد المنافقين المظهرين للإسلام مع هذه الأخلاق، والكافرين مظهرين للكفر نار جهنم.

الشيخ صالح: لم يفرق بين المنافقين مع إنهم يدعون الإسلام وبين الكفار؛ لأنهم كفار في الباطل، وإن تظاهروا بالإسلام في الظاهر، فالعبرة ليست بالمظاهر، وليس العبرة بالخداع والمكر؛ وإنما العبرة بالحقائق والصدق مع الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، فهم صاروا مع الكفار، لا فرق بينهم، وإن كانوا تسموا بالإسلام، فالتسمي بالإسلام لا يفيد شيئاً، وهذا مما يرد به على الذين يقولون يكفي أن المسلمين يسمون بالإسلام، ولا يقال هذا مؤمن وهذا من أهل السنة والجماعة، وهذا مستقيم وهذا على مذهب السلف، بل يقولون يكفي تسمى تحت مظلة الإسلام، وإن فعل الإنسان واعتقد ما اعتقد من والكفر يكفي انه يتسمى بالإسلام، فهؤلاء المنافقون

تسموا بالإسلام، وصلوا وصاموا وخرجوا في الجهاد مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ولم ينفعهم ذلك، لم ينفعهم التسمي بالإسلام، لما لم يكن هذا حقيقة، ولم يكن هذا عن صدق مع الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

١٢٩) أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بجهاد الكفار

والمنافقين

المذيع: قال: وأمر نبيه بجهاد الطائفتين.

الشيخ صالح: ثم أمر الله نبيه بجهاد الطائفتين الكفار والمنافقين، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣]، والخطاب لمحمد - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ومن كرامته على الله أنه لا يناديه باسمه، وإنما يناديه باسم النبي، يا أيها النبي، يا أيها الرسول، ولم يناده أبداً بقوله يا محمد، إكراماً له - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بينما كان ينادي الأنبياء قبل بأسمائهم يا موسى، يا عيسى، الله ينادي الأنبياء الأولين - عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ السَّلَامُ - بأسمائهم، يا إبراهيم، أما هذا النبي؛ فإن الله لم يناده باسمه أبداً، وإنما قال: يا أيها النبي، يا أيها الرسول، وإذا جاء الخبر عنه، فإنه يسميه باسمه، محمد رسول الله والذين معه وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم، فإذا جاء الأخبار عنه ذكر اسمه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وإذا نودي إنما ينادى باسم النبوة واسم الرسالة، (يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين).

الكفار يجاهدون بالسلاح، والمنافقون يجاهدون بالحجة والبيان والرد على شبهاتهم؛ لأن المنافقين شغلهم الشاغل هو الطعن في الإسلام والمسلمين دائماً وأبداً، فيجب على النبي وعلى أتباع النبي - عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ - أن يكونوا بالمرصاد، لهؤلاء المنافقين يردون شبهاتهم، ويدمغون حججهم، ويبتلون كيدهم، وكم في القرآن من الآيات التي ترد على المنافقين وتفضح المنافقين وتبين كيدهم ومكرهم وخداعهم للمسلمين، فهذا هو الجهاد، جهاد المنافقين بالحجة واللسان، ولا يقاتلون بالسلاح لأنهم يظهرون الإسلام.

أما الكفار الأصليون؛ فإنهم يقاتلون بالسلاح إذا لم يقبلوا الدعوة، يدعون إلى الله أولاً فإن استجابوا فالحمد لله، وإلا فإنهم يقاتلون؛ لأن لا ينشروا الكفر في الأرض؛ ولأن لا يصدوا عن سبيل الله؛ ولأن لا يضايقوا عباد الله المؤمنين ويتناول عليهم، ﴿جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾، ثم قال: ﴿وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾، يعني لا تتساهل معهم، أو تلين في القول معهم، أي ما داموا أظهروا العداوة لله ولرسوله، فإنهم يغلظ عليهم، ويوبخون لأجل كف شرهم وقمعي عنادهم، ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ﴾، مأواهم أي مقرهم ومصيرهم المحتوم الذي ينتظرهم، جهنم وهي النار- والعياذُ بالله- والنار تسمى بأسمى جهنم وسقر والهاوية، والقارعة تسمى بأسمى، فمنها جهنم، وقد اختلف العلماء جهنم هل هو اسمٌ اعجمي أو عربي؟ الله اعلم.

المهم أن هذا من أسماء النار-والعياذُ بالله- ﴿وَمَا وَاهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ الْمُصِيرُ﴾، بس المصير مصيرهم الذي ينتهي أمرهم إليه، والمستقبل الذي يسرون إليه، ومستقبلهم النار-والعياذُ بالله- وإن تمتعوا في الدنيا واستقالوا في الدنيا، فإن هذا يزول عما قريب سوء المصير، سوء المنقلب، نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن عشر

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم اقتضاء الصراط المستقيم، اصحاب الجحيم لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة -رَحْمَةُ اللهِ-، يشرحه في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بضيفنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: وحياكم الله وبارك فيكم.

١٣٠) أقسام الناس بعد بعث النبي صلى الله عليه وسلم

المذيع: ذكر المؤلف وكنا معه في الحلقة الماضية آيات المنافقين والمؤمنين وصفاتهم في سورة التوبة من قوله تَعَالَى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١]، إلى قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [التوبة: ٧٣].

ثم قال -رَحْمَةُ اللهِ-: ومنذ بعث الله محمداً -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهاجر إلى المدينة صار الناس ثلاثة أصناف: مؤمن ومنافق وكافر، فأما الكافر....

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى إله وصحبه أجمعين.

لما بعث الله نبيه محمدٌ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في مكة ودعا الناس إلى الإسلام، انقسم الناس في مكة إلى قسمين: مؤمنين وكافرين، مؤمنين به وكافرين به، ولما هاجر إلى المدينة وقوي الإسلام ظهر صنفٌ ثالث، وهم المنافقون، فصار الناس بعد هجرة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثلاثة أقسام: مؤمنون كافرون، ومنافقون.

والنفاق إنما يظهر عند قوة الإيمان مع قوة المسلمين، يظهر النفاق أما مع ضعف المسلمين فإنه لا حاجة إلى النفاق يصرحون بكفرهم، لكن إذا قوي المسلمون وخافوا منهم أظهروا الإسلام اتقاءً ولأجل أن يعيشوا مع المسلمين ويتخذونه جنة يستترون من ورائهم، كما قال - تَعَالَى -: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٦]، هذه صفة المنافقين.

النفاق إنما بعد الهجرة لما قوي الإسلام، صار هناك قومٌ لا يجرؤون على أن يواجهوا المسلمين، ويقاوموا المسلمين، فأظهروا الإسلام لأجل الخديعة، وبقوا على كفرهم في الباطل، ونحن ليس لنا إلا الظاهر نحكم على الظاهر، وأما الباطن فإن الله يتولاه، قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دمائهم، وأموالهم وحسابهم على الله>، فالله هو الذي يتولى السرائر؛ وأما نحن نقبل الظاهر، ولذلك قبل النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إيمانَ المنافقين؛ لأن المقصود هو كف شرهم وأما الإيمان فهو بيد الله يؤتیه من يشاء، والرسول لا يمنح الإيمان، ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، فإذا كف شرهم وبقوا على كفرهم في الباطن فهذا ضرره عليهم.

المذيع: قال: فأما الكافر وهو المظهر للكفر فأمره **يِّن**.

الشيخ صالح: أي نعم المسلمون على معرفة منه ويعرفون أنه عدوهم وأنه كافر.

(١٣١) أقسام النفاق: اعتقادي، وعملي

المذيع: وإنما الغرض هنا متعلق بصفات المنافقين المذكورة في الكتاب والسنة.

الشيخ صالح: فالمنافقون هم الذين أظهروا الإيمان والكفر وهؤلاء أخطر من الكفار الأصليين؛ لأن الكفار الأصليين يعرفهم المسلمون ويأخذون حذرهم منهم، أما المنافقون فالمسلمون ينخدعون بهم، وهم يخدعون المؤمنين، فيعملون الكيد لهم في الباطل، وينشرون الشر والفتن فهم أشد خطرًا من الكفار الأصليين؛ ولذلك قال **تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرُوهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾** [المنافقون: ٤]، نعم.

المذيع: يا شيخ حتى في هذا الزمان وفي زمن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لم يكن أحد الا ما أخبر الله به الرسول له ثم أسر بها حذيفة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- من أسمائهم، لم يكن يعرف أن فلانًا منافق بشخصه، يعني ممكن يقول المسلم أو السامع الآن يسمع حديثه؟ نحن قد نظن بأحد خيرًا أو نظن به سوءً، والظن لا يغني من الحق شيئًا، لكن كيف؟ هل لأحد أن يقول هذا منافق أو هذا غير منافق؟ أو يحكم عليه من قوله او من فعله؟ أو متخلف عن الصلاة كما قال ابن مسعود: [لا يتخلف عنها إلا منافق] معلوم النفاق؟

الشيخ صالح: مسألة النفاق الاعتقادي لا يعلمه إلا الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ لأنه عمل قلبي، أما النفاق العملي فهذا يظهر من أنه يتعاطى شيئًا من صفات المنافقين مثل تأخره عن صلاة الجماعة هذه علامة نفاق، مثل كراهيته للصدقة هذه علامة نفاق وتظهر عليه يعرف ذلك منه، ومثل الكذب: <إذا حدث الكذب وإذا وعد أخلف وإذا أوْتَمَنَ خان>، هذه آية المنافق يعني علامة يعرف بها.

الله -جل وعلا- يقول: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكُمْهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيَئَاتِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، فيظهر على فلتات ألسنتهم وصفحات وجوههم ما يبطنون من النفاق، لكن نحن ليس لنا إلا الظاهر، نعم.

المذيع: أحسن الله إليك، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [فإنها أي صفات المنافقين المذكورة في الكتاب والسنة هي التي تخاف على أهل القبلة].

الشيخ صالح: نعم صفات النفاق العملي هي التي تخاف على أهل القبلة، المؤمن لا يمكن أن ينافق نفاقاً اعتقادياً أبداً، الحمد لله، وإنما قد يأتي منه النفاق العملي، وذلك بالكذب في الحديث وإخلاف الوعد، والفجور في الخصومة؛ فهذه علامات المنافق، وهي من صفاته وقد تصدر من المؤمن، قد يصدر من المؤمن النفاق العملي، نعم.

١٣٢) مشابهة المنافقين لبعضهم ومشابهة المؤمنين لبعضهم

المذيع: فوصف الله سبحانه المنافقين بأن بعضهم من بعض وقال في المؤمنين بعضهم أولياء بعض.

الشيخ صالح: نعم، الفرق بينهما ظاهر، أن بعضهم من بعض أن يشبهوا بعضهم بعضاً في الكذب، والخبث، والنفاق، والمؤمنون بعضهم أولياء بعض، بمعنى أنهم يجب بعضهم بعضاً ويعطف بعضهم على بعض، ويتولى بعضهم أمور البعض الآخر إذا عجز عن بعض الأمور، فإن أخاه يساعده هكذا.

المذيع: وذلك لأن المنافقين تشابهت قلوبهم وأعمالهم، وهم مع ذلك تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى.

الشيخ صالح: لأن المنافقين يتظاهرون بالإسلام، فتحسبهم جميعاً في الظاهر لكن قلوبهم شتى متفرقة؛ لأنها ليس فيها إيمان، ولا يجمع القلوب إلا الإيمان بالله - عز وجل -.

المذيع: يعني ممكن يكون أيضاً مثل ما ذكر الشيخ من الصفات المنافقين التي على أهل القبلة أن نجد في بعض المشتغلين بالدعوة والإسلام والتدين أنهم لا يكونون متوادين، أو تكون قلوبهم شتى إذا غاب إخوانه يقع فيهم، أو لا يحوطهم بنصحهم؟

الشيخ صالح: هذا نتيجة أحد أمرين: إما كبر وإما حسد، وهذه من صفات المنافقين، فالمؤمنون الصادقون في إيمانهم لا يمكن أن يقع بعضهم في عرض بعض أبدأ، فإن وقع فإنه دليل على حسد أو على كبر، أو على إعجاب في الشخص، أو بغض لأخيه، وهذه من صفات المنافقين بلا شك، نعم.

المذيع: قال: [فليست قلوبهم متوادة متواليّة إلا ما دام الغرض الذي يؤمنون به مشتركاً بينهم، ثم يتخلى بعضهم عن بعض].

الشيخ صالح: أي نعم لا يتحدثون إلا عندما يكون القمع واحداً، وهم يتحدثون في طلب هذا الطمع، وإذا حصل فإنهم يتفرقون؛ لأنه حصل المقصود الذي جمع قلوبهم فإذا انتهى عادت القلوب وهم إلى التفرق والتشتت، نعم.

المذيع: قال: [بخلاف المؤمن فإنه يجب المؤمن وينصره بظهر الغيب، وان تناءت بهم الديار وتباعد الزمان].

الشيخ صالح: المؤمنون بعضهم أولياء بعض، سواء كانوا متعاصرين أو كان بعضهم متقدماً ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ [الحشر: ١٠] سواءً أكانوا مجتمعين في الزمان أو متفرقين في الزمان، وسواءً أكانوا مجتمعين في المكان أو متفرقين في المكان - في أقطار الأرض -، فهم إخوة متحابون، قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، فالمؤمنون إخوة، على الزمان واختلاف المكان، نعم.

المذيع: قال: [ثم وصف - سبحانه - كل واحدة من الطائفتين بأعمالهم في أنفسهم وفي غيرهم].

الشيخ صالح: أي نعم وصف الله كلاً من الطائفتين الطائفة المنافقين، وطائفة المؤمنين بصفاتهم المميزة، فالمنافقون والمنافقات ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، هذه صفاتهم، ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١]، هذه صفات المؤمنين،

المذيع: قال: [وكلمات الله جوامع، وذلك أنه لما كانت أعمال المرء المتعلقة بدينه قسمين أحدهما أن يعمل ويترك، والثاني: أن يأمر غيره بالفعل الترك ثم مضى يذكر ذلك].

الشيخ صالح: نعم، أعمال المؤمن على قسمين: أعمال خاصة به، في نفسه يعملها ويقوم بها وأعمال عامة له ولغيره، مثل: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإيتاء الزكاة: الصلاة مثلاً، هذي خاصة بالمصلي عملٌ بدني، خاصٌ بالمصلي، لكن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هذا يتعدى نفعه إلى الغير، تعليم العلم النافع يتعدى نفعه إلى الغير، الصدقة، يتعدى نفعها إلى الغيب، فالمؤمنون يعملون الأعمال الخاصة بهم، والأعمال العامة لهم ولغيرهم؛ لأنهم يجوبون لغيرهم ما يجوبون لأنفسهم، قد قال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: < لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه >.

المذيع: قال: [أحدها ما يقوم بالعمل ولا يتعلق بغيره كالصلاة مثلاً، والثاني ما يعمله لنفي غيره كالزكاة، والثالث ما يأمر غيره أن يفعله، فيكون حظ العامل منه هو الأمر به].

الشيخ صالح: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ هذا يتعدى نفعه إلى الغير نعم.

المذيع: [وقال تعالى بصفة المنافقين: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾، وقال بإزائه في صفة المؤمنين ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾].

الشيخ صالح: بالعكس، فأولئك يأمرون بالمنكر، وهو كل فعل قبيح وعمل شنيع، وينهون عن المعروف وهو كل خير وكل طاعة، ينهون عن ذلك وينهون عن التمسك بالدين، وهذه الصفة لا تزال باقية في الخلق، فالذين يظهرون الإسلام تظهر عليهم هذه الصفات؛ لأنهم يمقتون أهل الخير ويمقتون فعل الخير، ويصفونه بالرجعية والتأخر إلى غير ذلك، -كما هو معلوم الآن هذا ظاهر-، والنفاق لم ينقض، هذه الصفات باقية، وهذه الأمور باقية إلى أن تقوم الساعة

المذيع: قال: [والمعروف: اسم جامع لكل ما يحبه الله من الإيمان والعمل الصالح].

الشيخ صالح: المعروف: ما تعرفه العقول السليمة والفطر المستقيمة، وهو كل ما أمر الله به من الخير والبر والإحسان.

المذيع: [والمُنْكَر: اسم جامع لكل ما نهى الله عنه].

الشيخ صالح: والمنكر: كل ما نهى الله عنه فهو منكر، سُمِّيَ منكرًا؛ لأنه تُنكره العقول السليمة والفطر المستقيمة.

المذيع: ثم قال: [﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، قال مجاهد: "يقبضونها عن الإنفاق في سبيل الله"،

وقال قتادة: "يقبضون أيديهم عن كل خير".

الشيخ صالح: ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ﴾، معناها أنهم يبخلون بالصدقة والإنفاق في سبيل، لأن الإنفاق بسطٌ

لليد، والبخل قبض لليد، فهذه صفة اليهود وصفة المنافقين، أنهم يقبضون أيديهم عن الصدقات، وقيل أعم من ذلك، يقبضون أيديهم عن كل خير.

المذيع: [وقبض اليد: عبارة عن الإمساك كما في قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا

تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء: ٢٩]، وفي قوله: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيَهُمْ وُلِعُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ

مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤] وهي حقيقة عرفية ظاهرة من اللفظ، أو هي مجاز مشهور.

الشيخ صالح: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾ المقصود النهي عن البخل، البخل قد غلَّتْ يده وقبضت

يده عن الإنفاق، والمنفق هذا قد بسطت يده في الخير، وفي قوله -تعالى-: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾

يعني لا تقبضها عن الخير، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾، قال المقصود الوسط بين القبض وبين البسط أي يتوسط

الإنسان ويعتدل في الإنفاق، فلا يبخل ولا يسرف، وفي صفات عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ

يَقْتَرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

المذيع: قال: [وبإزاء قبض أيديهم قوله في المؤمنين: ﴿وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [التوبة: ٧١]، فإن الزكاة - وإن

كانت قد صارت حقيقة عرفية في الزكاة المفروضة - فإنها اسم لكل نفع للخلق: من نفع بدني، أو مالي.

فالوجهان هنا كالوجهين في قبض اليد].

الشيخ صالح: المنافقون يقبضون أيديهم، يؤتون الزكاة، هذا في مقابل هذا، فالمؤمنون يؤتون الزكاة، والزكاة

على قسمين: زكاة الأموال، وزكاة الأعمال والأنفس، في طاعة الله - عز وجل - في تزكيتها بطاعة الله وعبادة الله،

بمعنى وتكميلها في طاعة الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، فالمؤمنون يفعلون الزكاتين، زكاة المال وزكاة البدن وزكاة

النفس،

المذيع: ثم قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، ونسيان الله ترك ذكره وبإزاء ذلك في صفة المؤمنين].

الشيخ صالح: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ نسوا ذكر الله - جل وعلا-، ولهذا قال: ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[النساء: ١٤٢]، فعلامة المنافق أنه لا يذكر الله إلا قليلاً، وهذا نسيانٌ لله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، الله جازهم نسيهم يعني تركهم، ليس المراد بالنسيان في حق الله الذهول، وليس المراد النسيان أيضاً نسيان المنافقين أنهم ذهلوا، الذي يذهل لا يؤاخذ، وإنما المراد أنهم تركوا ذكر الله - عز وجل -.

فلما تركوا ذكر الله تركهم الله من فضله؛ لأن الجزاء من جنس العمل وهذا من باب المقابلة يسمونه من باب المقابلة، والافإن الله لا يوصف بالنسيان، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]، فالله لا ينسى - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - بمعنى أنه يغفل أو يذهل عن الشيء؛ لأنه منزّه عن ذلك ﴿فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، فالله منزّه عن ذلك وإنما هذا من باب الجزاء، مثل قوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وكذلك في ومكروا، ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمَكُرُ اللَّهُ﴾ [الأنفال: ٣٠]، هذا من باب الجزاء والمقابلة، نعم.

١٣٤) معنى الصلاة وفضلها

المذيع: قال: [وبإزاء ذلك في قول: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾]، قال: في صفة المؤمنين: ﴿وَيَقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾

[التوبة: ٧١]، فإن الصلاة أيضاً تعم الصلاة المفروضة، والتطوع، وقد يدخل فيها كل ذكر الله: إما لفظاً وإما معنى].

الشيخ صالح: لما كان المنافقون نسوا الله يذكرونه؟ قال في إزاء ذلك في حق المؤمنين وقيّمون الصلاة، الصلاة

ذكرُ الله - عز وجل -، قال تَعَالَى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾، وقال - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الصلاة فيها فائدتان:

- الفائدة الأولى: أنها ذكرُ الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -، ذكر الله أكبر.
- والفائدة الثانية: أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر.
- والفائدة الثالثة: أنها تعين على المشاق وعلى المصاعب ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

المذيع: قال: ويدخل فيها كل ذكر الله: إما لفظاً وإما معنى، قال ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: "ما دمت تذكر الله فأنت في صلاة وإن كنت في السوق"، وقال معاذ بن جبل: "مدارسة العلم التسييح".

الشيخ صالح: الصلاة تطلق ويراد بها العبادة المعروفة المبدوءة بالتكبير المختتمة بالتسليم ذات القيام والركوع والسجود والدعاء وتلاوة القرآن، فهذه الصلاة مجموعة من الأعمال القولية والعملية والقلبية، مبدوءة بالتكبير مختومة بالتسليم، ويطلق عليها الصلاة؛ ويراد بها ذكر الله عموماً بالتسييح والتهيل والتكبير، الصلاة عامة.

١٣٥) ثمار النفاق، وثمار الإيمان

المذيع: ثم ذكر ما وعد الله به المنافقين والكفار: من النار ومن اللعنة، ومن العذاب المقيم وبإزائه ما وعد المؤمنين: من الجنة والرضوان، ومن الرحمة.

الشيخ صالح: يعني ثلاثة أمور: النار واللعنة والعذاب المقيم، كلها - والعياذ بالله - عقوبات شديدة، نعم.

المذيع: وبيازاته ما وعد المؤمنين: من الجنة والرضوان والرحمة.

الشيخ صالح: أي نعم، ثلاثة أمور وعد المؤمنين في مقابل ما وعد به المنافقين ثلاثة أمور، جنات، ورضوان ورحمة، وأولئك لعنة، بدل الرحمة، لعنة، واللعنة هي الطرد والإبعاد من الرحمة، نعم.

المذيع: ثم في ترتيب الكلمات وألفاظها أسرار كثيرة، ليس هذا موضعها.

الشيخ صالح: -رَحْمَةُ اللَّهِ-، وما أغزر علمه، يعتذر عن أنه لم يبين كل ما تشتمل عليه الآيتان من الأسرار العظيمة، وإنما ذكر إشارة خفيفة منها، نعم.

المذيع: قال: وإنما الغرض تمهيد قاعدة لما سنذكره إن شاء الله.

الشيخ صالح: من مشابهة المغضوب عليهم والضالين، نعم.

المذيع: وقد قيل: إن قوله: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]، إشارة إلى ما هو لازم لهم في الدنيا والآخرة من الآلام النفسية.

الشيخ صالح: يعني أعم، ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨]، يفسر ويراد به عذاب الآخرة، وقد يفسر ويراد به ما هو أعم، وهو ما هم عليه في الدنيا من ضيق النفس، وتفكير البال فإن المنافق دائماً في همٍ وغمٍ، إذا رأى نصرة المؤمنين ورأى ما فيه المسلمون من الخير؛ فان ذلك يغمه ويسوئه، فهو دائماً في همٍ وقلقٍ وعذابٍ نفسي في الدنيا، وفي الآخرة في عذابٍ جسيمي.

المذيع: فإن للكفر والمعاصي من الآلام العاجلة الدائمة ما الله به عليم

الشيخ صالح: وهذا شيءٌ مشاهد، فتجد الكافر تجده من أشد الناس ضيقًا في الدنيا، ضيقًا في نفسه وضيقًا في تصرفاته، وتجده مهمومًا وتجده مغمومًا دائمًا وأبدًا ولا يجب أن ينزل الخير على المسلمين أبدًا، لا يسره ذلك، ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، فدائمًا الكفار في همٍ وغمٍ وقلق؛ وإن ظهروا في نعيمٍ وفي بسطةٍ من العيش؛ لكن العبرة بنعيم القلب لا بنعيم البدن والمظاهر: فقد يكون الإنسان في مآكل طيبة وفي ملابس طيبة ومساكن فاخرة لكن هو في نفس به في عذاب، وفي قلق، وقد يكون الإنسان مسرورًا في قلبه وفي نفسه، ولو كان ليس عليه ثياب جميلة وليس عنده أكلٌ يعني لذيد وليس هو في مسكنٍ مريح، فإنه في راحةٍ في قلبه، وقد قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: <من بات معافي في جسمه آمنًا في سربه عنده قوت يومه فكأنما سقت له الدنيا بحذافيرها>، فالعبرة ما هي بكثرة الغنى وكثرة الثروة وكثرة الزهرة في الدنيا، إنما العبرة بنعيم القلب وسروره، ولهذا يقول بعض الصالحين: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف"، فالملوك في أهبته وفي لكنهم في أنفسهم في ضيقٍ وحسرة، وأما أهل الإيمان وأهل التقوى وإن كان ما بأيديهم شيء؛ فهم في نعيم وسرور القلب ونفسه.

المذيع: حين قال -رَحِمَهُ اللهُ-، قال: [ولهذا تجد غالب هؤلاء لا يطيِّبون عيشتهم إلا بما يزيل العقل، ويلهي القلب: من تناول مسكر، أو رؤية مُلِهٍ، أو سماع مطرب ونحو ذلك].

الشيخ صالح: مما يدل على أن هؤلاء الكفار في همٍ، والمنافق في همٍ وغمٍ، أنهم يتعاطون ما يريحهم من هذا الهم والغم ولو بالمحرمات والمفسدات، فيتعاطون المسكرات والمخدرات، لأجل أن يستريحوا مما هم فيه من الهم، ويسمون الشراب الروحي، يسمونه الشراب الروحي؛ لأجل أن يطردها ما هم فيه من الهموم والأحزان، ولا يدرون أن الراحة في ذكر الله -عز وجل-، وطاعة الله -عز وجل-، ويتلذذون بأصوات الملاحى والمزامير، والأغاني؛ لأنهم في همٍ وغمٍ، ولا يتلذذون بسماع ذكر الله وبتلاوة القرآن الكريم الذي يغذي الروح والبدن

ويقوي النفس ويزيد الإيمان، محرومون من هذا، وقد يؤول الأمر بهم إلى أن يتتحروا - وهذا مُشاهد-، تضيق الدنيا بما رحبت حتى يتحدر ليستريح بزعمه يظن انه إذا مات يستريح، مع أنه إذا مات ينتقل إلى ما هو أشد، - والعياذ بالله-.

المذيع: إذا ما دمنا نتابع هذه الصفة يا شيخ وهذه صفة المنافقين والكفار- كما ذكرت- توجد عند المسلمين أنه يحس بهذا الضيق والألم ويطلب ما يلهيه في بزوال عقله أو رؤية ملهي أو سماع مطرب، أن ذلك قد يكون بسبب قلة الإيمان أو النفاق في القلب.

الشيخ صالح: حتى المؤمن قد يحصل منه ضعف في الإيمان أو نقص في الإيمان فيريد أن يعود عن هذا النقص بهذه الأمور التي تزيده شراً، تفسد عليه عقله، تفسد عليه جسمه، وفي النهاية تكون شقاء له، فهذا ليس خاصاً بالكفار والمنافقين، حتى في المؤمنين الذين عندهم فسق وعندهم ضعف إيمان، فإنهم قد يتعاطون هذه الأشياء لما يجدونه في أنفسهم من الوحشة ومن الضيق بسبب ذنوبهم ومعاصيهم؛ لأنها ترهبهم وتخوفهم. **المذيع:** أحسن الله اليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع عشر

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم شرح كتاب اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام / ابن تيمية - رحمه الله.

ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحب بضيفنا الكريم، فحيّاكم الله شيخ / صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

١٣٦) غزارة علم ابن تيمية، ومعنى الخلاق

المذيع: قال المؤلف - رحمه الله تعالى - : "ثم قال الله - سبحانه - في تمام خبر المنافقين: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَآكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخِلَافِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخِلَافِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ

قَبْلِكُمْ بِخِلَافِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْحَاقِسُونَ﴾ [التوبة: ٦٩]

ثم مضى - رحمه الله - في مباحث لغوية قد لا تفيد السامع غير المتخصص كثيراً.

الشيخ صالح: نعم. بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد. من عادة

الشيخ - رحمه الله - غزارة علمه، أنه يدخل في مباحث تعترض في طريقه فلا يتركها بل يفصلها ولكن هذه قد لا

يستفيد منها إلا المتخصصون، وأما عامة الناس المبتدئون في طلب العلم فقد لا يستفيدون من هذه المباحث،

فلذلك نحن نتجاوزها.

المذيع: أحسن الله إليكم. قال بعد ذلك: **أما قوله: (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ)** ففي تفسير عبد الرزاق عن معمر عن الحسن في قوله: **(فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ)** قال: بدينهم، ويروى ذلك عن أبي هريرة- رضي الله عنه- وروي عن ابن عباس: أي بنصيبهم من الآخرة في الدنيا.

الشيخ صالح: نعم. قوله تعالى: **(فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ)** الخلاق فيه معنيان قيل: معناه الدين. الخلاق هو الدين، وقيل معناه النصيب كما في قوله تعالى: ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]

يعني من نصيب، وكلا المعنيين حقّ فإنّ الأوّلين من الكفّار والمنافقين استمتعوا بدينهم، بنصيبهم من هذه الدنيا. فهؤلاء استغلّوا الدّين لمصالحهم. أهل النفاق أظهروا الإيّان وأظهروا الدين، ليستمتعوا به في الدنيا ويسلموا من القتل والتشريد، لأنّه لو صرّحوا بكفرهم لناهم ما ينال الكفّار الأصليين فهم بدلاً من ذلك لجأوا إلى الخديعة لأجل أن يستمتعوا بهذه الخديعة. والنصيب كذلك فالدين هو النصيب، هو نصيب الإنسان من الدنيا والآخرة. المعنيان لا يتغيّران. نعم.

المذيع: قال: والآية تعمّ ما ذكره العلماء جميعهم.

الشيخ صالح: أي نعم. الذين قالوا: أنّه الدّين والذين قالوا: أنّه النّصيب. فالآية تعمهم، وإنّ الكفّار منافقون. الأوّلون استمتعوا بدينهم أو بنصيبهم في هذه الدنيا. فهؤلاء المنافقون مثلهم استمتعوا بخلاقهم ونصيبهم ودينهم في هذه الدنيا. نعم.

المذيع: وذكر قوله تعالى: ﴿مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]

وقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنّما يلبس الحرير من لا خلاق له في الآخرة".

الشيخ صالح: يعني نصيب.

معنى الاستمتاع وأقسامه (١٣٧)

المذيع: قال: فإن الآية تعم ما ذكره العلماء جميعهم، فإن الله سبحانه قال: **(كأنوا أشدَّ منكم قوَّةً وأكثرَ أموالاً وأولاداً)** فتلك القوة التي كانت فيهم كانوا يستطيعون أن يعملوا بها للدنيا والآخرة، وكذلك أموالهم وأولادهم وتلك هي الخلاق.

الشيخ صالح: نعم. هذا إذا فسّر الخلاق بالنصيب من الدنيا. فالدنيا هي نصيبٌ أعطاه الله لمن يشاء من عباده. فمن الناس وهم الموفقون من استعملوا ما أعطاهم الله في الدنيا، واستعانوا به على طاعة الله فكان زاداً لهم إلى الآخرة، ومن الناس من استمتع به عاجلاً ونسي الآخرة وهم المنافقون الذين انشغلوا بالملذّات والمشتهيات وتركوا العمل للآخرة. الاستمتاع على قسمين: استمتاعٌ حسن، واستمتاعٌ سيء. الاستمتاع الحسن الذي يستعين بما أعطاه الله من الدنيا على عمل الآخرة. والاستمتاع السيء هو الذي يستمتع به عاجلاً وينسى الآخرة. نعم.

المذيع: قال: فاستمتعوا بقوتهم وأموالهم، وأولادهم في الدنيا، ونفس الأعمال التي عملوها بهذه القوة، والأموال: هي دينهم وتلك الأعمال، لو أرادوا بها الله والدار الآخرة، لكان لهم ثوابٌ في الآخرة عليها.

الشيخ صالح: نعم. فهؤلاء قصر نظرهم على الدنيا فنالوا الدنيا، ولكن الدنيا فانية، وأمّا المؤمنون فإنهم نظروا إلى الآخرة فاستعانوا بقوتهم وما أعطاهم الله من المال، استعانوا به على الأعمال الصالحة فكان نصيبهم في الدنيا والآخرة لهم مستمراً نعم.

المذيع: قال: فتمتعهم بها أخذ حظوظهم العاجلة بها، فدخل في هذا من لم يعمل إلاّ لدنياه، سواءً أكان جنس العمل من العبادات أو غيرها.

الشيخ صالح: من لم يعمل إلا لدنياه سواء استمتع بأمواله وشهواته في الدنيا ولم يستعملها للأخرة، أو أنه أراد الدنيا بعمل الأخرة وهذا أشد.

الذي يستمتع بالملذات والمشتهيات والمحرمات وإن كان مجرمًا وضارًا لنفسه؛ لكنه أخف من الذي يختل الدنيا للدنيا. الذي يعمل الأعمال مثل: المنافقين فإنهم يعملون العبادات لا لأجل الثواب والأجر؛ وإنما لأجل نيل الدنيا والعيش فيها، ولهذا قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦]

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميصة" سمّاه عبدًا لهذا المال "إن أعطي رضي وإن لم يعط لم يرض"

١٣٨) معنى الخوض وأقسامه

المذيع: قال: - رحمه الله - ثم قال سبحانه: (فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) وفي "الذي" وجهان: قيل كاخوض الذي خاضوه، وقيل: أي كالذين خاضوا. وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلق وبين الخوض، لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق. والأول: هو البدع، والثاني فسق الأعمال.

الشيخ صالح: نعم. الخوض على قسمين: (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) أي خوض كالذي خاضوا، فيكون صفة للمصدر، أو أنّ "الذي" بمعنى الذين (وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) أي كالذين خاضوا من قبلكم. والخوض على قسمين: خوضٌ في العقيدة، وخوضٌ في الشهوات.

خوض في العقيدة ويسمى الشبهات، وخوض في الملذات والمشتهيات؛ وهذا يسمى بالشهوات. فالذين من قبلنا خاضوا الخوضين: خاضوا في عقيدتهم فصار منهم الكفار والفساق والمبتدعة، وخاضوا أيضًا في أموالهم

وشهواتهم فصاروا فساقًا فسقًا عمليًا لأنّ الفسق على قسمين: فسقٌ اعتقادي، وفسقٌ عملي. والخوض كذلك: خوضٌ اعتقادي كالذين يخوضون في مسائل العقيدة المعتبرة والجهمية والأشاعرة وغيرهم ممن خاضوا في أمور العقيدة، وما كان لهم ذلك. الواجب أن يستسلموا ويسلموا لما جاء عن الله ورسوله في أمور العقيدة دون تدخل بأفكارهم.. وأهوائهم وخوضهم ولم يتوصلوا إلى شيء؛ تعبوا ولم يتوصلوا إلى شيء. في حين أنهم لو سلموا وقبلوا ما جاء عن الله ورسوله ولم يتدخلوا لكان هذا أسلم لهم، وأحسن عاقبة كما فعل أهل السنّة والجماعة. هؤلاء خاضوا في العقيدة فهذا خوض الشبهات - والعياذ بالله - وهذا أشد. والفساق وأصحاب المذات خاضوا في الشهوات، والأعمال المحرّمة. والشهوات المحرّمة وأعطوا نفوسهم ما تشتهي فهذا خوض عملي ليس اعتقاديًا، وهو أخف. صاحبه يسمّى فاسقًا فسقًا عمليًا ينقص به إيمانه.

١٣٩) العالم الفاجر والعابد الجاهل

المذيع: قال: ولهذا كان السلف يقولون: احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه.

الشيخ صالح: وهذا هو القول في العقيدة. الذي يقول في العقيدة هذا صاحب هوى.

المذيع: وصاحب دنيا أعمته دنياه.

الشيخ صالح: وهذا القول في الشهوات. صاحب دنيا استعمل دنياه لشهواته، وملذاته ونسي الآخرة. نعم.

المذيع: وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإنّ فتنتها فتنة لكل مفتون. فهذا

يشبه المغضوب عليهم وهذا يشبه الضالين.

الشيخ صالح: نعم. وفتنة العابد الجاهل. هذه هي فتنة الضالين الذين يعبدون الله على جهلٍ وضلال. في مقدمتهم

النصارى - كما سبق -. وفتنة العالم هذه فتنة المغضوب عليهم، وهم الذين أعطاهم الله العلم ولم يعملوا به، بل

باعوه بثمنٍ بخس واشتروا به ثمنًا قليلًا؛ وهم اليهود ومن سار على نهجهم من علماء الضلال الذين لم يبينوا

للناس، وكنتموا ما أنزله الله لأجل مصالحهم. نعم.

١٤٠) فضل الإمام أحمد

المذيع: قال: - رحمه الله - ووصف بعضهم أحمد بن حنبل فقال: رحمه الله، عن الدنيا ما كان أصبره، وبالماضين ما كان أشبهه، أته البدع فنفاها، والدنيا فأباها.

الشيخ صالح: هذا الإمام أحمد - رحمه الله - إنه كان أشبه بالماضين لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتابعين لهم. فكان الإمام أحمد ينزع إلى الصحابة والتابعين في سلوكه وأعماله، ويقتدي بهم. هذا في أمور العقيدة، وفي أمور الدنيا كان يصبر على دينه، ولهذا امتحن وضرب ولم يتنازل عن شيء من دينه فصبر - صبر على دينه - ولم يعطهم شيئاً من التنازل أبداً فهو أته الدنيا فأباها فيعني عرضت عليه الدنيا والوظائف ولكنه أباه، لأنه لا يريد طمع الدنيا، وأته البدع فنفاها، ولم يستسلم لها ويضعف أمامها، بل ثبت أمامها ثبات الجبال. نعم.

المذيع: قال: وقد وصف الله أئمة المتقين فقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

فبالصبر تُترك الشهوات، وباليقين تُدفع الشبهات.

الشيخ صالح: نعم. والله جلّ وعلا يقول: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا

يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]

لَمَّا صَبَرُوا؛ هذا هو السبب. صاروا أئمة بسببين: السبب الأول، الصبر. أنهم صبروا عما حرم الله، وأمسكوا أنفسهم عما حرم الله. (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ) يعني يؤمنون بها ولا يشكون فيها، ولهذا يقول الشيخ في عبارة أخرى: بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين، وهذا أخذاً من هذه الآية: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤]، فالصبر يمنع من الشهوات المحرمة، واليقين يمنع من الدخول في

الشبهات، وَيُصَبِّرُ الْإِنْسَانَ عَلَى عَقِيدَتِهِ، وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَمَا سَبَقَ. فَإِنَّهُ صَبَرَ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَأَيَّقَنَ بِمَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ. وَمَا أَمَرَ بِهِ وَنَهَى عَنْهُ فَلِذَلِكَ ثَبَتَ عَلَيْهِ وَلَمْ يَتَنَازَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ.

(١٤١) تفسير سورة العصر

المذيع: قال: ومنه قوله: في سورة العصر ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]

الشيخ صالح: نعم. الذين آمنوا، الله جلّ وعلا قال في سورة العصر: بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالْعَصْرِ﴾ [العصر: ١] ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ [العصر: ٣]

فوصف الإنسان كله جميع أجناسه: عرباً وعجماً وأحراراً وعبيداً وذكوراً وإناثاً وملوكاً وصعاليك وأغنياء وفقراء لأنهم في خسارة إلا من اتصف بأربع صفات: الصفة الأولى: الإيمان، الصفة الثانية: العمل الصالح، الصفة الثالثة: التواصي بالصبر والتواصي بالحق. التواصي بالحق وهذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الصفة الرابعة: صبر على ما ينالهم في مقابل ذلك من الأذى والمشقة. أنهم يصبرون على ذلك؛ فمن اتصف بهذه الصفات الأربع فإنه ينجو من هذه الخسارة المحققة، والشاهد الأخير: أنهم تواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، فهم ثبتوا على الحق، وأمروا غيرهم بالثبات عليه، ونهوا غيرهم عن العدول عن الحق، وأوصوا بالصبر لأن الذي يأمر وينهى لا بد أن يتعرض لمشقة وهذا كما قال لقمان لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]

فالذي يأمر وينهى ويدعو إلى الله؛ لا بد أن يقابل بالأذى وما يفعله نحوه الفساق والجهلة من القدح والذم أو النيل باليد أو حتى بالقتل، فيصبر على ذلك.

(١٤٢) البصيرة والعمل بها

المذيع: وقوله: ﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥]

الشيخ صالح: أولي الأيدي يعني القوة في الحق، والأبصار أي: البصيرة النافذة، وهذا هو صلاح العقيدة.

المذيع: ومنه الحديث المرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم: " **إنَّ الله يحبُّ البصرَ - الناقد عند ورود الشبهات، ويحبُّ العقل الكامل عند حلول الشهوات** "

الشيخ صالح: أي نعم الله يحبُّ البصير الناقد عند حلول الشبهات، فينقد الحق، والباطل ويأخذ بالحق، ويترك الباطل ويحبُّ العقل الكامل عند ورود الشهوات، فالعاقل لا يقدم على الشهوات إذا كانت تفضي- إلى عاقبة سيئة. بل ينظر إلى العواقب ولا ينظر إلى الحاضر، ينظر إلى العاقبة والمآل. فإذا كان تناول الشهوات يعقب حسرة تركه. ترك هذه الشهوات. وإن كان فيها لذة عاجلة، فهو يتركها خوفاً من العقوبة العاجلة. هذا هو العاقل البصير.

وأحزم الناس من لومات من ظمياً == لم يقرب الورد حتى يعرف الصدرا

هذا العاقل الحازم.

أصحاب الشهوات وأصحاب الشبهات (١٤٣)

المذيع: فقله سبحانه: (**فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ**) [التوبة: ٦٩] إشارة إلى اتباع الشهوات، وهو داء العصاة.

الشيخ صالح: أي نعم فاستمتعتم يعني: بنصيبيكم من الدنيا، ونسيتم العمل للأخرة. هل استغرقتم في الدنيا وملذاتها؟ وهذا طريق العصاة الذين هم كالبهائم، إنما همهم ما يضعونه في بطونهم ويلبسونه على أبدانهم وظهورهم. نعم.

المذيع: وقوله: (**وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا**) [التوبة: ٦٩] إشارة إلى اتباع الشبهات وهو داء المبتدعة وأهل الأهواء والخصومات.

الشيخ صالح: فالعصاة اشتغلوا بالشهوات، ونسوا العمل للأخرة، وأهل الأهواء اشتغلوا بالشبهات، وأفسدوا عقيدتهم. وكان أمر العقيدة مبني على التسليم والانقياد. والعقائد توقيفية لا مدخل فيها للأراء والاجتهادات، بل هي توقيفية. فأولئك لم يقفوا عند الأوامر والعقيدة، بل إنهم أدخلوا عقولهم فيها؛ فلذلك نفوا أسماء الله وصفاته - هذا من جهة المعطلة -، والمشبّهة، قاسوها على صفات المخلوقين، لأنهم لا يعقلون منها إلا هذا، لا يعقلون من صفات الخالق إلا ما هو من صفات المخلوقين. فلذلك شبّهوا الله بخلقه - والعياذ بالله - إنهم لا يفرّقون بين صفة الخالق وصفة المخلوق هذا هو الخوض في العقيدة والشبهات، وكذلك المشركون وعباد القبور فإنهم إنما وقعوا فيما وقعوا فيه؛ لأنهم خاضوا في الشبهات. قيل لهم: أن هؤلاء ينفعون ويضرون وأنهم يجيبون من دعاهم وأنهم يضرون من لم يخضع لهم؛ فاستجابوا لذلك وصاروا يدعون الأموات ويستغيثون بهم، فهم خابوا في أهوائهم بدون سلطانٍ ودليلٍ من الله - سبحانه وتعالى -، وإنما اعتمدوا على: القصص والحكايات، والأحاديث المكذوبة، والوعود الكاذبة، أنه سيحصل لك كذا وتعطى كذا... إلى آخره. فهؤلاء إنهم في عقيدتهم مبنيّة على الهوى، وأهل الحق عقيدتهم مبنيّة على الدليل والقرآن. نعم.

١٤٤) الغالب اجتماع الشهوات والشبهات

المذيع: قال: وكثيراً ما يجتمعان - يقصد أن الخلاق بالنسبة للشهوات وداء العصاة، والخوض نصيب أهل الشبهات والأهواء - قال: كثيرًا ما يجتمعان، فقل من تجدد في اعتقاده فسادًا إلا وهو يظهر في عمله.

الشيخ صالح: نعم. مجتمع الخلاق في الشهوات والخوض في الشبهات يجتمعان بالشخص الواحد. فكثيرًا ممن يقعون في الشبهات يظهر هذا على أعمالهم وأنهم يدخلون في الشهوات، وهو كذلك كثيرًا من يستعملون الشهوات أنهم يقعون في الشبهات أيضًا. فهما متلازمان؛ فتنة الشهوات وفتنة الشبهات متلازمان - والعياذ بالله - والسلامة من سلمه الله منهما.

المذيع: وقد دلت الآية على أن الذين كانوا من قبل استمتعوا وخاضوا، وهؤلاء فعلوا مثل أولئك.

الشيخ صالح: هذا هو التشبه لأن موضوع الكتاب في مخالفة أصحاب الجحيم، فأصحاب الجحيم خاضوا في عقيدتهم، وخاضوا في شهواتهم الدنيوية؛ فكان في هذه الأمة من يفعل ذلك ويتشبه بهم: (وَحُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) [التوبة: ٦٩]؛ الكاف للتشبيه؛ فيكون من خاض في العقيدة فيه شبه من هؤلاء، ومن خاض في الشهوات فيه شبه من هؤلاء.

١٤٥) استمرار الفعل الماضي في كل من اتصف به إلى يوم القيامة

المذيع: قال: ثم قوله: (فَاسْتَمْتَعْتُمْ) وقوله: (وَحُضْتُمْ) خبر عن وقوع ذلك في الماضي، وهو ذم لمن يفعله إلى يوم القيامة، كسائر ما أخبر الله به عن أعمال وصفات الكفار والمنافقين.

الشيخ صالح: استمتعوا وخاضوا أفعال ماضية، لكنها ليست للماضي المنقطع، وإنما هي مستمرة إلى أن تقوم الساعة، مستمرة. ما يقال أن هذه أفعال الأولين وانتهت، بل كل من فعل مثل فعلهم فإنه قد خاض كالذي خاضوا كالذي استمتعوا. فليست الآية في قوم مضوا وانقضوا وإنما هي في كل من سار على هذا المنهج الذميمة إلى أن تقوم الساعة، وإلا لم يكن للقرآن فائدة - حدثنا عن شيء مضى وانقضى ولا يمكن أن يعود - إنما ذكر هذا لنا لأنه سيقع، وسيكرر فنكون على حذر منه، وعلى بصيرة منه.

المذيع: : قال: فإنه ذم لمن يكون حاله كحالهم إلى يوم القيامة.

الشيخ صالح: أي نعم.

المذيع: كما أن جميع الموجودين في وقت النبي صلى الله عليه وسلم وبعده إلى يوم القيامة مخاطبون بهذا الكلام، لأنه كلام الله، وإنما الرسول مبغ عن الله وهذا مذهب عامة المسلمين.

الشيخ صالح: (فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا...)

﴿التوبة: ٦٩﴾ هذا خطاب للذين كانوا معاصرين لنزول القرآن الكريم خطاب لهم. وهو يشمل كل من جاء بعدهم إلى يوم القيامة.

المذيع: قال: وهذا مذهب عامة المسلمين.

الشيخ صالح: أي نعم، إن الفعل الماضي يستمر في كل من أتصف به إلى يوم القيامة، وليس هو في قوم مضوا وانقضوا وانتهت أيامهم. نعم.

المذيع: وقد توعد الله - سبحانه - هؤلاء المستمتعين الخائضين بقوله: (أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) ﴿التوبة: ٦٩﴾ وهذا هو المقصود هنا من هذه الآية .

الشيخ صالح: هذا هو النتيجة مما ذكره الله في هذه الآية العظيمة: أن هؤلاء الذين استمتعوا بخلاقهم وخاضوا في عقيدتهم؛ أنهم حبطت أعمالهم يعني: بطلت، أنها بطلت فلم يكن لهم رصيد من الأعمال في الآخرة لأنهم أبطلوها بهذا الخوض وهذا الاستمتاع. فعلى المسلم أن يحذر من هاتين الخصلتين: الخوض في العقيدة واتباع الشبهات، والخوض في الشهوات واتباع وفعل المحرمات والمعاصي عليه أن يحذر لئلا يحبط عمله في الآخرة.

الذي يستمتع بخلاقه في الدنيا ويخوض في العقيدة هذا لا يكون له في الآخرة نصيب. ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا

وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هود: ١٥]

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٦]

ثم إن قوله تعالى: (نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا) هذا مقيد بالمشيئة.

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٨]

فهو يمكن ما يعطى لا من الدنيا ولا من الآخرة فيخسر الدنيا والآخرة. فهذا مقيد بقوله: (مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ).

المذيع: قال: وهذا هو المقصود من هذه الآية، وهو أن الله قد أخبر أن في هذه الأمة من استمتع بخلاقه، كما استمتعت الأمم قبلهم، وخاض كالذي خاضوا وذمهم على ذلك، وتوعدهم عليه.

الشيخ صالح: نعم هذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم: " لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه " فلما كان في الأمم من قبلنا من استمتعوا بخلاقهم أي بنصيبتهم من الدنيا، وخاضوا في عقيدتهم واتبعوا أهواءهم. فإنه سيكون في هذه الأمة لأنه خاطب هذه الأمة. قال: (فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا) [التوبة: ٦٩] فدل على أن يكون في هذه الأمة من يفعل مثل أفعال الأمم السابقة في فتنة الشهوات وفتنة الشبهات. وهذا خبرٌ معناه التحذير؛ لأن الله قال: (أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) [التوبة: ٦٩] فهذا تحذيرٌ من هذا المسلك الخطر.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس العشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في

برنامج / اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - رحمه الله.

ضيف اللقاء فضيلة الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان .

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم فحيّاكم الله شيخ / صالح.

الشيخ صالح: حيّاكم الله وبارك فيكم.

(١٤٦) الأدلة من السنة على استمتاع هذه الأمة بخلاقها ، وخوف النبي

على أمته من التنافس في الدنيا

المذيع: تحدّث المؤلف - رحمه الله - فيما مضى عن ذكر القرآن لمشابهة هذه الأمة لمن تقدّم للدين والدنيا، وذم ذلك، ثم قال رحمه الله: وأما السنّة فجاءت بالإخبار بمشابهتهم في الدنيا، وذم ذلك، والنهي عنه ، وكذلك في الدين ثم ساق أدلّة.

الشيخ صالح: أي نعم. بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله

وصحبه ومن والاه. أمّا بعد،

فإن الأدلة - والله الحمد - تكون من الكتاب الكريم ومن السنّة النبويّة المنزلة على النبي صلى الله عليه وسلم. فإذا

اجتمع دليل الكتاب ودليل السنّة كان هذا أقوى، وهذا ما حصل في تحريم التشبّه بالكفار أنّه دلّ عليه القرآن ودلّت عليه السنّة النبويّة. نعم.

المذيع: قال : فأما الأول- يعني من أدلة السنة على ذلك- الذي هو الاستمتاع بالخلاق: ففي الصحيحين: عن عمرو بن عوف- رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو صالح أهل البحرين، وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيدة ببال من البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأيهم، ثم قال: " أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين؟ " فقالوا: أجل يا رسول الله. فقال: " أبشروا، وأمّلوا ما يسركم. فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم " قال الشيخ رحمه الله: فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يخاف على أمته فتنة الفقر، وإنما يخاف بسط الدنيا وتنافسها وإهلاكها، وهذا هو الاستمتاع بالخلاق المذكور في الآية.

الشيخ صالح: نعم هذا من الأدلة من السنة على أنه سيحصل في هذه الأمة من يستمتع بخلاقه منها، يعني نصيبه من الدنيا. وهذا في حديث أبي عبيدة بن الجراح- رضي الله عنه- لما بعثه النبي صلى الله عليه وسلم إلى البحرين، والبحرين المراد بها هي بلاد الأحساء في ذلك الوقت. وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد صالحهم على أن يدفعوا من المال ما شرطه عليهم، فأرسل أبا عبيدة يأتي بهذا المال الذي تم الاتفاق بين أهل البحرين ورسول الله- صلى الله عليه وسلم- عليه، ولما علم الأنصار بقدوم أبي عبيدة جاءوا مسرعين في آخر الليل، صلوا مع النبي- صلى الله عليه وسلم- الفجر؛ وليس من عادتهم أنهم يأتون بهذه الكثرة- رضي الله عنهم. هذا يدل على حب الإنسان للدنيا حتى ولو كان من أقوى الناس إيماناً، فإنه يحب الدنيا، ولا يلام على ذلك - لا يلام على محبة الدنيا.. ولكن إذا أسرف في محبة الدنيا وقدمها على الآخرة. هذا هو الذي يذم. أما كونه يحب الدنيا. الله جل

وعلا قال: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠]، ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]:

لحبّ المال يعني. هذه غريزة جعلها الله في الإنسان، ولذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما رأهم تبسّم - عليه الصلاة والسلام- تعجباً من- يعني- حبّ الإنسان للعالم -حتى ولو كان من أهل الإيمان القوي ومن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم-. عند ذلك عجب صلى الله عليه وسلم وتبسّم يعني: ضحك ضحكاً خفيفاً، وهذه عادته صلى الله عليه وسلم أنّه كان ضحكه تبسّم، وإذا بالغ في ذلك بدت نواجذه- عليه الصلاة والسلام- ما كان يقهقه في الضحك، وإنما كان يتبسّم وإذا بالغ بدت نواجذه- عليه الصلاة والسلام- تعجباً من حبهم للعالم مع قوة إيمانهم، ثمّ أنّه بشرهم وقال: أبشروا فلن أبخل عليكم بشيءٍ فيه خيرٌ لكم، ولا أخشى عليكم الفقر لأنّ الفقير يتواضع ويسكن وينشغل بطلب قوته؛ فلا يخشى عليه من الطغيان. الفقر فيه مصلحة من ناحية أنّه يكسب الإنسان التواضع، ويكسبه أيضاً القناعة بما آتاه الله. لكنّ الخشية من كثرة المال؛ لأنّ المال يطغي كما قال جلّ وعلا: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ﴾ [العلق: ٦] ﴿أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٧]

فالغنى فيه خطورة شديدة. "ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم" يعني وفرة المال. فإنّ ذلك فيه خطر لأنّه يحمل الإنسان على الطغيان، ويحمله على اتباع الشهوات. وهو الاستمتاع بالخلق الذي حذر الله منه.

المذيع: قال: "ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم"

الشيخ صالح: تنافسوها يعني تتسابقون إليها. وإذا تسابقوا إليها حصلت الشحناء، وحصلت الخصومات والمنازعات بسبب التنافس على الدنيا. التنافس على الدنيا يسبب محاذير بين المسلمين؛ فهذا الذي خشيته رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهذا فيه دليل على خطر المال، خطر الغنى والثروة. وإنّ المسلم يحذر، وإذا آتاه الله مالاً فليكن على حذر من ذلك؛ لئلا يطغيه هذا المال، أو يحمله على الإنشغال بشهوات وملذّاته، والإعراض عن الآخرة. نعم.

المذيع: قل من يفهم - يا شيخ - التوسط بين التحذير من الطغيان عند الغنى وفوائد الفقر يفهم أنه لا نطلب معاشاً ولا رزقاً نقعد وندع العمل. قلمنا لنا ذلك وأخذوا الكفار الدنيا وقعدنا نحن في المؤخرة؟

الشيخ صالح: ما قلنا يقعدون لكن نقول أن الفقير لا يكون فيه مثل ما في الغني من الطغيان. ولم نقل أنه لا يطلب الرزق، بل يطلب الرزق. الله أمر بطلب الرزق، ولكن هذا من باب مقارنة بين الغنى والفقر؛ لا من باب أن نحث على ترك طلب الرزق، وعلى ترك العمل للدنيا؛ لأن العمل لدنيانا بأن نعمل ما يغنينا عن الدول هذا أمر مطلوب. هذا المقصود. نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: وفي الصحيحين: عن عقبة ابن عامر - رضي الله عنه - أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج يوماً فصلى على أهل أحدٍ صلواته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: "إني فرط لكم، وأنا شهيدٌ عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها" - وفي رواية "ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم" قال عقبة: فكان آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر.

الشيخ صالح: نعم، هذا في آخر حياته صلى الله عليه وسلم، ودّع الأحياء وودّع الأموات خرج إلى أهل أحدٍ يعني الشهداء - شهداء معركة أحد - خرج إليهم ليسلم عليهم، ويودّعهم. وصلى عليهم يُحتمل أنه صلاة الجنائز - مع أنهم شهداء، والشهيد لا يُصلى عليه - أو يُحتمل أن المراد به الدعاء والسلام - الدعاء يُسمى صلاة - خرج إليهم عليه الصلاة والسلام. صلى عليهم، ثم إنه أقبل إلى المنبر. يعني صعد المنبر صلى الله عليه وسلم. وهذا توديعٌ للأحياء. فقال ما ذكره في الحديث. نعم.

المذيع: قال: "إني فرط لكم".

الشيخ صالح: "إني فرط لكم" والفرط في اللغة: السابق هو السابق إلى الماء الذي يسبق قومه ليستقي لهم الماء، والرسول فرطنا أي سابقنا إلى الحوض يوم القيامة. وهذا فيه إثبات الحوض للنبي صلى الله عليه وسلم. فإن الله أعطاه الحوض وأعطاه الكوثر. وترد هذه الأمة على هذا الحوض. - كما جاء في الحديث - ويشربون منه، ومن شرب منه شربة فإنه لا يظمأ بعدها أبدا. ولكن يُردّ عنه أناس يعرفهم الرسول صلى الله عليه وسلم.. يزدون ويُردّون؛ لأنهم أحدثوا بعده ما أحدثوا من الردّة، أو من البدعة. فيمنعون من الحوض عليه - صلى الله عليه وسلم - هذا معنى قوله: "إني فرط لكم" فرطكم على الحوض أي تلقوني على الحوض. نعم.

المذيع: قال: "إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم"

الشيخ صالح: "وأنا شهيد عليكم" بالبلاغ، كما قال جلّ وعلا:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]

فالرسل يشهدون على أممهم بالبلاغ، وأنهم بلغوهم الحجّة، ولم يبق لهم معذرة. وهذا الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذه الأمة تشهد للرسل في السابقين بالبلاغ. (لتكونوا شهداء على الناس) والرسول يشهد لهذه الأمة بالخيرية والعدالة، ويزكيها في هذه الشهادة.

المذيع: قال: "وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن"

الشيخ صالح: نعم هذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم أنه ينظر؛ هو في الدنيا وينظر إلى حوضه في الآخرة فهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم. نعم.

المذيع: "وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض -"

الشيخ صالح: هذا هو محلّ الشاهد. "أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض" يعني أباح الله له المعادن التي في الأرض، وما فيها من من الذهب والفضة وغيرها من المعادن، فإن الله أباح لعباده هذه المعادن وهذه الأرزاق التي أودعها الله في الأرض. نعم.

المذيع: " وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها" - وفي رواية " ولكنني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها وتقتلوا".

الشيخ صالح: ليس معنى هذا أنه لا يقع في هذه الأمة شرك؛ بل إنه سيقع كما يأتي في الأحاديث. ولكن معناه أنه خاف عليهم الدنيا أشدّ مما يخاف عليهم من الشرك. لأنهم فهموا الإسلام وعرفوه. دخل الإيمان في قلوبهم وتمكن من قلوبهم. ووقوع الشرك فيهم قد يكون قليلاً؛ ولكن ليس معناه أنه لا يقع.. فلا يفهم من هذا الحديث ما يفهمه المخرفون. أن هذه الأمة لا يقع فيها شرك أبداً. وأين عبادة القبور الآن وعبادة الأضرحة وغير ذلك؛ حتى عبادة الأوثان. أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه - كما يأتي - سيكون في هذه الأمة من يعبد الأوثان، ومن يعود إلى عبادة الأوثان في آخر الزمان. فالنبي صلى الله عليه وسلم إنما خاف عليهم الدنيا أشدّ من خوف الشرك عليهم. نعم.

المذيع: قال: "وتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم"

الشيخ صالح: هذا وجه الخوف عليهم من الدنيا. أنهم يتنافسون فيها، ثم يحصل بينهم نزاع وخصومات في أمور الدنيا؛ ثم يؤول الأمر إلى حمل السلاح. بعضهم على بعض، وهذا يقع كثيراً. أنهم يتقاتلون على الدنيا. يقتل بعضهم بعضاً على الدنيا. نعم.

المذيع: قال عقبه: فكان آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر.

الشيخ صالح: نعم. وعقبة بن عامر - رضي الله عنه - يقول: أن هذه آخر خطبة خطبها صلى الله عليه وسلم. فهي وداعٌ للأمة ووصية للأمة عند وفاته صلى الله عليه وسلم. تحذير لهذه الأمة أن يستمتعوا كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم. نعم.

١٤٧) الإخبار بالفتح على المسلمين من دلائل نبوته صلى الله عليه

وسلم

المذيع: وفي صحيح مسلم: عن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا فتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم؟" قال عبدالرحمن بن عوف: نكون كما أمرنا الله عز وجل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "تتنافسون، ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون أو تتباغضون، أو غير ذلك ثم تنطلقون إلى مساكن المهاجرين، فتحملوا بعضهم على رقاب بعض"

الشيخ صالح: نعم. هذا نفس الكلام الذي سبق؛ فيه أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر في هذا الحديث أن الله سيفتح لهذه الأمة بلاد فارس، وبلاد الروم وهما أمتان عظيمتان في ذلك الوقت - دولتان كبيرتان - أخبر صلى الله عليه وسلم أنه ستسقط دولة الفرس، ودولة الروم تحت المسلمين، وأن المسلمين سيملكون ما عندهم من الثروات، ولكنه سأل أصحابه ماذا تكونون حينذاك؟ إذا فتحت عليكم الدنيا واستوليتم على ممالك الفرس والروم ماذا تكونون؟ أي قوم أنتم؟ فعبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال قولاً حسناً: نكون كما أمرنا الله ورسوله؛ فهذا دليل على قوة إيمانه - رضي الله عنه - وعلى أنه لا يتغير موقفه من الإيمان بسبب الثروة أو بسبب الدنيا، فهذا من باب حسن الظن بالله عز وجل ولما يجد في قلبه من قوة اليقين، وهو معروف أنه ثري الصحابة وأنه كان عنده ثروة عظيمة، ومع هذا لم تطغه، ولم تنقص من فضله وعبادته؛ لأنه عرف قدر الدنيا. أخذها، ولكنه أخذها ولم يغتر بها، وإنما أخذها لمقاصد حسنة: للإنفاق في سبيل الله عز وجل، والإحسان إلى المحتاجين. فهو أخبر عن ما في نفسه وما يجده - رضي الله عنه - إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم توقع من الأمة أنهم عندما

يحصلون على هذه الثروات أنهم يتنافسون فيها. كل يريد أن يجوزها دون الآخر، ثم ينشأ عن ذلك النزاع بينهم والتباغض، والتحاسد على أمر الدنيا، ثم يؤول الأمر إلى ما هو أشد وهو الاقتتال على تحصيل هذه الدنيا، والمغالبة بالسيف على أمر الدنيا. فدل على أن انفتاح الدنيا على الناس أنه فتنة - قل من ينجو منه - ولهذا قال تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام: ٤٤]

المذيع: قال: "ثم تنطلقون إلى مساكين المهاجرين، فتحملوا بعضهم على رقاب بعض"

الشيخ صالح: هذا هو نهاية التنافس على الدنيا أنه يؤول إلى القتال؛ ليتغلب الأقوياء على الضعفاء، ويجوزوا المال دونهم. نعم.

١٤٨) أنواع طلب الدنيا

المذيع: قال رحمه الله: وفي الصحيحين: عن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، وجلسنا حوله، فقال: "إن مما أخاف عليكم بعدي: ما يفتح من زهرة الدنيا وزيتها" فقال رجل: أويأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ قال: فسكت عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقيل: ما شأنك تكلم رسول ولا يكلمك؟ قال: ورأينا أنه ينزل عليه، فأفاق يمسح عنه الرخصاء وقال: "أين هذا السائل؟" وكأنه حمده. فقال: "إنه لا يأتي الخير بالشر" - وفي رواية - فقال: "أين السائل أنفا؟ أو خير هو؟" - ثلاثاً - "إن الخير لا يأتي إلا بالخير، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم إلا آكلة الخضر، فإنها أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت عين الشمس، فثلثت وبالت، ثم رعت، وإن هذا المال خضر حلو، ونعم صاحب المسلم هو، لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل - أو كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم - وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع، ويكون عليه شاهداً يوم القيامة"

الشيخ صالح: نعم وهذا الحديث حديثٌ عظيم. أنه جلس -صلى الله عليه وسلم- على المنبر، وجلس حوله أصحابه على عاداتهم في تلقي الحديث عنه والتوجيه منه -صلى الله عليه وسلم- عند ذلك أخبر صلى الله عليه وسلم أنه خشي على أمته من زهرة الدنيا وما يفتح عليهم من زهرة الدنيا. فهذا فيه علمٌ من أعلام نبوته صلى الله عليه وسلم حيث أخبر أنها ستفتح على هذه الأمة الدنيا وقد وقع ما توقعه صلى الله عليه وسلم، وأنها فتحت الدنيا على المسلمين بعد ذلك. فالرسول خشي على أمته من هذه الزهرة، أنها تفتنهم، وهذا من كمال شفقتة صلى الله عليه وسلم، وتحذيره للمستقبل. إذا وقع هذا الشيء أن يكون المسلمون على حذر، أن يأخذوا الدنيا لكن يحدرون من شرها، ويضعونها في مواضعها -وقل من يفعل ذلك- قل من إذا أخذ المال وضعه مواضعه الشرعية -والأفان وضعه في مواضعه الشرعية سلم وغنم- لكن المصيبة من لم يضعه في مواضعه الشرعية فهذا يكون المال شراً عليه، ولهذا لما سأل السائل فقال: أويأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ فزهرة الدنيا كأنها خير نعمة فهل تأتي بشر؟ يعني: هذا من باب التعجب والسؤال، فأعرض عنه النبي -صلى الله عليه وسلم-؛ فظن الصحابة أنه أعرض عنه؛ لأنه لم يرض سؤاله، في حين أن الرسول أعرض عنه لأجل أنه انشغل بنزول الوحي. كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي كان يتصبب عرقاً من شدة ما يلقي من ثقل الوحي. فلما سُري عنه -صلى الله عليه وسلم- ومسح العرق قال: **أين السائل؟** حينئذ الرسول لم يهمله، ولم يتركه، عدم اهتمام بسؤاله وإنما تركه لأنه انشغل بالوحي، فلما ذهب عنه ما حصل من آثار الوحي عند ذلك ما نسي السائل، قال: **أين السائل؟** نعم.

المذيع: قال: وكأنه حمده. فقال: "إنه لا يأتي الخير بالشر"

الشيخ صالح: يعني: كأنه حمد هذا السؤال. أي نعم.

المذيع: فقال: "إنه لا يأتي الخير بالشر"

الشيخ صالح: الخير لا يأتي بالشر، ولكن المال خير ولكنه قد يأتي بالشر حين يستعمله الإنسان في غير موضعه، أما إذا استعمله في موضعه فإنه لا يكون شراً. فالمال ليس شراً مطلقاً، وليس خيراً مطلقاً، وإنما على حسب استعمال صاحبه له. وضرب مثلاً للدواب التي ترتع في الربيع والزهر والعشب، فمنها من يحسن الرعي وتصريف ما يأكل، وهي التي تأكل من الخضر ومن النبات ثم تترك الرعي وتبرك وتستقبل عين الشمس من أجل الحرارة؛ حتى يتهضم ما في بطنها وتبول وتثلط يعني تتروث فيخف ما في بطنها، ثم تقوم وترعى. فهذا مثال لمن يستعمل الدنيا بحكمة، ويأخذها برفق. مثل هذه الدابة التي لما شبت بركت، واستقبلت عين الشمس حتى تصيبها حرارة الشمس، ثم تهضم ما في بطنها.

وزهرة الدنيا إنما يكون الخطر فيها؛ لأن مثل الربيع منه ما يهلك حبطاً.. يعني انتفاخاً. تأكل الدابة من أول الربيع وتتفخ بطنها ثم تموت. كذلك طالب الدنيا إذا أسرف في طلبها؛ فإنه حينئذ تقتله هذه الدنيا، أو يلمم يعني: يقارب من الحبط. وضرب لذلك مثل الدابتين، والدابة الثانية التي استغرقت في الأكل والرعي حتى تحمت ومرضت؛ فهذا مثل الذي يطلب الدنيا بنهم. نعم.

المذيع: إذا طلبت الدنيا مثل الدواب ترعى: منها دابة تأكل حتى تموت، ومنها من تأكل قصداً.

الشيخ صالح: أي نعم، كذلك بنو آدم. منهم من يأخذ الدنيا بقدر ويستعملها بحكمة هذه تكون خيراً له لا يأتي هذا الخير بالشر. نعم. وإنما يأتي بالخير، لكن الثاني هو الذي يأتي بالشر. خير أتى بشر وهو سوء الاستعمال. نعم.

المذيع: ولذا في الرواية الأخرى قال: "أين السائل أنفا؟ أو خير هو؟" - ثلاثاً - "إن الخير لا يأتي إلا بالخير"

المذيع: "وإن مما يُنبئ الربيع ما يقتل حبطاً أو يلمم"



الشيخ صالح: حبطاً يعني انتفاخاً. لأنّ الدّابة إذا رعت من أوّل الربيع تنتفخ.

المذيع: نعم. أحسن الله إليكم شيخنا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الحادي والعشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة - رحمه الله - يشرح الكتاب في هذه الحلقات فضيلة الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء. في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

١٤٩) أنواع طلب المال وأنواع التصرف فيه

المذيع: في سياق حديث المؤلف - رحمه الله - عن استمتاع الأمة بخلاقها، كما استمتع الذين من قبلها، ذكر حديث أبي سعيد في الصحيحين، المثال الذي ذكره النبي - صلى الله عليه وسلم - لمن أخذ الدنيا بحققها أو بغير حقها، قال - رحمه الله - وفي الصحيحين عن أبي سعيد - رضي الله عنه - قال: جلس رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على المنبر، وجلسنا حوله؛ فقال: إن مما أخاف عليكم بعدي ما يفتح من زهرة الدنيا وزينتها، فقال رجل: أو يأتي الخير بالشر يا رسول الله؟ قال: فسكت عنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؛ فقيل: ما شأنك تكلم رسول الله ولا يكلمك؟ قال: ورأينا أنه ينزل عليه، فأفاق يمسح عنه الرخضاء، وقال: أين هذا السائل؟ وكأنه حمده، فقال: إنه لا يأتي الخير بالشر، وفي رواية فقال: أين السائل أنفاً؟ أو خير هو؟ ثلاثاً، إنه لا يأتي الخير إلا بالخير، وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حَبَطاً أو يُلِّمُّ إلا آكلة الخضر، فإنها أكلت حتى إذا امتدت خاصرتها استقبلت عين الشمس فثلثت وبالت ثم رعت، وإن هذا المال خضرٌ حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه

المسكين واليتيم وابن السبيل أو كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وإنه من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، ما زال المؤلف - رحمه الله - في سياق الأدلة التي تدل على تشبه بعض هذه الأمة أو كثيرٍ من هذه الأمة بمن قبلها، ومن ذلك تشبه بعض هذه الأمة أو كثيرٍ منها بمن قبلهم في الاستمتاع بالدنيا.

المذيع: نعم.

الشيخ صالح: وهو الاستمتاع بالخلاق، ومن ذلك هذا الحديث فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - جلس على المنبر وجلس حوله أصحابه كعادتهم حينما يتلقون منه التوجيهات، النبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث سألمهم: كيف يكونون؟ فالنبي - صلى الله عليه وسلم - في هذا الحديث أخبرهم أنه إنما يخاف عليهم زهرة الدنيا إذا فتحت عليهم، وأنه لا يخشى عليهم الفقر؛ لأن الله سبحانه وتعالى تكفل بالأرزاق، **(وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها)** [هود:٦]، وكلٌّ مقدرٌ له رزقه لا يموت حتى يستوفيه كأجله، كما في الحديث، فهو لا يخاف عليهم الفقر؛ لأن الله تكفل بأرزاقهم، وأيضاً الفقر لا يحمل على البطر والكبر والإفساد في الأرض، الفقر يسكن الإنسان، ولا يحمل على الصفات الذميمة بخلاف الغنى، فإنه يحمل الإنسان على العتر والبطر والشهوات المحرمة، هذا هو الذي خافه النبي - صلى الله عليه وسلم - في أن الغنى فيه شر، وفيه خوفٌ على صاحبه، فسأل رجلٌ الرسول - صلى الله عليه وسلم - بهذه المناسبة؛ فقال: يا رسول الله، أويأتي الخير بالشر؟ يعني أن الغنى فيه خير، فكيف يأتي بالشر؟

النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يجبه في الأول؛ لأنه كان مشغولاً بما ينزل عليه من الوحي، لكن الصحابة كأنهم فهموا أن الرسول أعرض عنه، وأنه لم يعجبه سؤاله، ثم إن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما ذهب عنه ما

يعتريه عند الوحي لم يهمل هذا السائل، وهذا من تواضعه - صلى الله عليه وسلم - ففي هذا أن المسؤول لا ينبغي له أن يعرض عن السائل، بل يوجهه. كما قال - تعالى - (وأما السائل فلا تنهر) [الضحى: ١٠] فالنبي - صلى الله عليه وسلم - قال: أين السائل؟ وكأنه أعجبه سؤاله، فقال: إن الخير لا يأتي إلا بالخير، لا يأتي بالشر، ولكن إنما يأتي الشر من الاستعمال، استعمال الإنسان، فالإنسان هو الذي يحول الخير شراً بتصرفاته، وذلك أن الإنسان إذا استقبل هذا المال برفق وباكتساب طيب وقناعية؛ ثم إنه إذا حصل على شيء منه تصرف فيه تصرفاً مفيداً لنفسه ولغيره؛ فإنه يكون خيراً له، ونعم المال الصالح للرجل الصالح، أما إذا أخذه بشره ونهم وغامر في تحصيله، ولم يفرق بين الكسب الحلال والكسب الحرام؛ ثم إنه إذا حصل له المال لم يتصرف فيه تصرفاً حسناً فإن هذا يأتي بالشر، هذا خيرٌ سبب له شراً، لا لذات الخير وإنما لتصرفه هو، ثم ضرب - صلى الله عليه وسلم - مثلاً للمال، ومثلاً للإنسان مع المال، ضرب مثلاً للمال بالخضر من النبات والعشب الحلو الطيب.

المذيع: نعم.

الشيخ صالح: هذا مثل المال، وتصرف الناس فيه ينقسم إلى قسمين: أحدٌ يأخذه برفق وبهدوء وبكسبٍ حلال ثم إنه ينفقه فيما ينفعه وينفع غيره، فهذا مثل الناقة التي رعت من هذا العشب الخضر، رعت منه قدر حاجتها ثم إنها بركت واستقبلت الشمس حرارة الشمس؛ حتى يتهضم ما في بطنها، ثم إذا تهضم وجاعت؛ قامت وأكلت مرةً ثانية.

المذيع: نعم.

الشيخ صالح: هذا هو التصرف الحسن، وهذا يكون خيراً، لكن الصنف الثاني مثل البهيمة التي وجدت المرعى الطيب الخصب، وهو غض طري فأكلت منه بدون تقدير؛ حتى انتفخت حبطت، والحبط هو الانتفاخ،

انتفاخ البطن، ثم إنها تضررت بذلك وربما تهلك؛ بسبب ذلك، فهذا مثل الإنسان الذي يأخذ المال بنهم، ولا يفرق بين طريق الكسب الحلال وطريق الكسب الحرام، إنما نهمته جمع المال، ثم إنه إذا حاز عليه لا يتصرف فيه تصرفاً حكيماً، وينفقه في وجوهه، وإنما ينفقه في سبيل الشهوات وسبيل الإفساد، أو هو في نفسه يتكبر ويطر على الناس، فهذا مثل هذه الدابة التي أساءت الرعي ورعت ما يضرها، ثم كان عاقبة ذلك عليها الضرر العظيم، والانتفاخ والتعرض للموت، نعم.

المذيع: قال: وإن هذا المال خضرٌ حلو، ونعم صاحب المسلم هو لمن أعطى منه المسكين واليتيم وابن السبيل.

الشيخ صالح: هذا التصرف الحسن.

المذيع: أو كما قال - صلى الله عليه وسلم - وإن من يأخذه بغير حقه كالذي يأكل ولا يشبع.

الشيخ صالح: بغير حقه يأخذه من كسبٍ حرام، فإن هذا يبتلى بالجشع إذا كان يأخذ المال من كسبٍ حرام؛ فإنه يصاب بالجشع وطلب المال بنهم، ولا يستريح أبداً، نعم.

المذيع: ويكون عليه شهيداً يوم القيامة.

الشيخ صالح: ويكون هذا المال شهيداً عليه، كما في الحديث (يسأل عن أربع) وذكر منها أنه يسأل عن ماله (من أين اكتسبه، وفيم أنفقه).

١٥٠) دنيا الناس، وفتنة النساء، وعظم دونهن

المذيع: وروى مسلمٌ في صحيحه عن أبي سعيدٍ - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الدنيا حلوةٌ خضرة، وإن الله - سبحانه - مستخلفكم فيها؛ فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء؛ فإن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء)

الشيخ صالح: وهذا مثالٌ ضربه النبي - صلى الله عليه وسلم - للدنيا، وتصرف الناس فيها، قد قال الله - جل وعلا - (إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيءٍ مقتدرًا) [الكهف: ٤٥]، وقال (إنما مثل الحياة الدنيا كماءٍ أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهارًا فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس) [يونس: ٢٤]

فالدنيا زائلة وزهرتها زائلة، فالإنسان لا يغرر بها، والله - جل وعلا - مستخلفُ الناس في هذه الدنيا، بمعنى أنه جعلهم يخلف بعضهم بعضاً، كما قال في حق أبيهم آدم (إني جاعلٌ في الأرض خليفة) [البقرة: ٣٠] يعني يخلف من قبله، لا كما يفهم بعض الناس أنه خليفة الله، فإن الله - جل وعلا - ليس له خليفة.

المذيع: سبحانه.

الشيخ صالح: فليس بحاجةٍ إلى الخليفة، وإنما الله هو الخليفة - سبحانه وتعالى - كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - (فالله خليفتي على كل مسلم)، فالله هو الخليفة - سبحانه وتعالى - لا أنه يتخذ خليفةً من الناس، وإنما الناس هم الذين بحاجة لمن يخلفهم، فالله مستخلفُ الناس في هذه الدنيا، كما قال - جل وعلا - (وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) [الحديد: ٧]، (وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات)

[الأنعام:١٦٥] فالله يستخلف العباد في هذه الدنيا، يذهب جيل ويأتي جيل، يموت شخص ويرثه شخص، وهكذا...

(فينظر كيف تعملون) الله - جل وعلا - ليس بغافل عن تصرفاتنا؛ فهو يحصيها علينا ويحيط بها - سبحانه وتعالى - وينظر كيف نعمل؟ يبتلينا بهذا الاستخلاف، ماذا نعمل؟ هل نحسن أو نسيء؟

(فينظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا) أي اتقوا فتنها.

المذيع: نعم.

الشيخ صالح: الدنيا لا تدم لذاتها؛ فإنها مطية الآخرة، فلا تدم لذاتها، وهي مخلوقات وطيبات وأرزاق ومنافع، فهي لا تدم لذاتها، وإنما الذي يدم تصرف الإنسان فيها، فاتقوا الدنيا أي اتقوا فتنها، **(لا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور)** [لقمان:٣٣] اتقوا الدنيا اتقوا فتنها وشرها وخذوا من خيرها، واستعملوها في طاعة الله، واستعينوا بها على طاعة الله وعلى مصالحكم ومنافعكم.

(واتقوا النساء) نص على النساء، النساء لا شك أنها من فتنة الدنيا، وهي أشد فتنة من فتنة المال، المرأة أشد فتنة من فتنة المال.

المذيع: نعم.

الشيخ صالح: لأنها تجر إلى الفاحشة، من افتن بها تجره إلى الفاحشة، والوقوع في فساد الأخلاق وفساد الأعراض، وضياع الأسر واختلاط الأنساب، فالمرأة في الحقيقة هي القاعدة للمجتمع، إذا صلحت صلح المجتمع، وإذا فسدت المرأة فسد المجتمع؛ ولذلك أعداء الإسلام الآن يركزون على المرأة، ويريدون المرأة تتمرد على الأحكام الشرعية، ويقولون: هذا من حقها ومن حريتها وهي مظلومة، يريدون بذلك أن يدمروا بها

المجتمع، فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أن فتنة بني إسرائيل كانت في النساء، وقال - عليه الصلاة والسلام - (ما تركت بعدي فتنةً أضّر على الرجال من النساء)، فالمرأة لا شك أنها هي قاعدة المجتمع وهي أساس الأسرة، فإذا صلحت صلحت الأسرة، وإذا صلحت الأسرة صلح المجتمع.

المذيع: نعم.

الشيخ صالح: فهي الأساس، وأما إذا فسدت المرأة؛ فسد المجتمع كله، فينبغي العناية بها وحفظها والمحافظة عليها، وإعطاؤها ما تستحق من الكرامة اللائقة بها، أما أن تُعطى ما لا يليق بها، فهذا من تضييعها، ومن الإساءة إليها، فالواجب على المسلمين أن يتنبهوا لدسائس الأعداء، وأن يحذروا من فتنة المرأة، كما قال الشاعر:

والأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

فالمرأة عليها دور كبير في المجتمع، فعليها هي في نفسها أن تتقي الله - عز وجل - وأن تحذر من الفتنة والخروج عن دورها اللائق بها، وعلى أوليائها أيضاً أن يصونوها، كما قال - جل وعلا - (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم) [النساء: ٣٤]، ففي نص النبي - صلى الله عليه وسلم - على المرأة في هذا الحديث دليلٌ على خطورتها، وأنها إذا أهملت دمرت المجتمع، وإذا حوفظ عليها فإنها تنفع المجتمع، نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال المؤلف - رحمه الله - فحذر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من فتنة

النساء معللاً بأن أول فتنة بني إسرائيل كانت في النساء.

الشيخ صالح: نعم النبي - صلى الله عليه وسلم - حذر من فتنة الدنيا عموماً، ثم حذر من فتنة النساء

خصوصاً وبين المثل لذلك؛ لما وقع لبني إسرائيل من الفساد ومن الدمار الذي حل بهم بسبب إهمال نساءهم، لما

تجملت وتعطرت وخرجت وواقعت الفساد وتبعها الأشرار، فإن الله أنزل ببني إسرائيل الطواعين والأمراض والأسقام المهلكة، كما يروي ذلك التاريخ، نعم.

المذيع: قال: وهذا نظير ما سنذكره من حديث معاوية رضي الله عنه أنه قال: إنما هلك بنو إسرائيل حين اتخذت هذه نساؤهم، يعني وصل الشعر، والحديث في صحيح مسلم.

الشيخ صالح: نعم، معاوية - رضي الله عنه - لما قدم المدينة في خلافته، وخطب الناس قال: أين علماءكم؟ ثم إنه أخرج كبةً من شعر أو كبةً من شعر؛ فقال: أين علماءكم؟ إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: إنما هلك بنو إسرائيل لما اتخذت نساؤهم هذه، بمعنى أنها تتزين وتتجمل وتظهر للناس، وأنها أيضاً ما تكتفي بزيتها التي أعطاهما الله بل إنها تحاول التزييف ووصل الشعر، وتجعل لها شعراً ليس منها لتغر الناس وتجذب الناس.

فالمرأة سلاحٌ فتاك، إذا لم تحافظ عليه؛ فإنه يقتل ويدمر، هذا الحديث فيه تحريم وصل الشعر بشعر آخر، وقد لعن النبي - صلى الله عليه وسلم - الواصلة والمستوصلة، الواصلة: التي تصل شعرها بشعر غيرها، والمستوصلة: التي تطلب ذلك ممن عمله معها من النساء، نعم.

المذيع: قال: وكثيرٌ من مشابهاة أهل الكتاب في أعيادهم وغيرها إنما يدعو إليها النساء.

الشيخ صالح: نعم، ومن فتن النساء أنها هي التي تحرض على البدع، وعلى مشابهاة أهل الكتاب في أعيادهم وفي غيرها من عاداتهم الضارة التي لا فائدة منها، نعم.

(١٥١) النهي عن التشبه بأهل الكتاب بالخوض في العقائد

المذيع: قال: وأما الخوض كالذي خاضوا فروينا من حديث الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم الإفريقي عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم

- (ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إذا كان منهم من أتى أمه علانية كان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على ثنتين وسبعين ملة، وتفرق أمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة كلهم في النار إلا ملةً واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي).

الشيخ صالح: نعم، لما انتهى الشيخ رحمه الله من الكلام على النقطة الأولى من التشبه بالذين من قبلنا، وهو التشبه بهم في الخلاق والشهوات وطلب الدنيا والتكاثر فيها، وهذا لا شك أنه خطير جدًا، انتقل إلى ما هو شر منه، وهو التشبه بهم في الخوض في عقائدهم، الخوض في العقائد (**خضتم كالذي خاضوا**) [التوبة: ٦٩] في عقائدهم فإن بني إسرائيل أو الأمم قبلنا عموماً إنما هلكوا لما تفرقوا في عقائدهم، الله - جل وعلا - جعل العقيدة عقيدةً واحدة، عقيدة التوحيد واتباع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - هذا طريق النجاة، طريق الحق اتباع الكتاب والسنة، هذا هو طريق الحق وطريق النجاة (**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**) [الأنعام: ١٥٣] فالعقيدة مجالها التلقي والتوقيف، فلا يُحدث فيها شيء ولا يضاف إليها شيء، إلا ما ورد في كتاب الله وفي سنة رسول الله، وهي عقيدة واحدة (**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**) [المؤمنون: ٥٢]، والله أمر بني إسرائيل بذلك، لكنهم تفرقوا واختلّفوا في عقائدهم، وقد نهانا الله - جل وعلا - عن ذلك؛ فقال (**ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات**) [آل عمران: ١٠٥] فمن التشبه بهم أن تفرق في عقيدتنا كما تفرقوا، ولكن قدر الله نافذ والابتلاء واقع، فقد أخبر - صلى الله عليه وسلم - أن اليهود اختلفوا على إحدى وسبعين فرقة، وأن النصارى اختلفوا على اثنتين وسبعين فرقة، وأن هذه الأمة ستفرق على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي من كان على ما عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه. فهذه الأمم الثلاث تفرقت: اليهود والنصارى والمسلمون، وما كان لهم أن يتفرقوا لو أنهم تمسكوا بالكتاب والسنة واتباع الرسل - عليهم الصلاة والسلام - ما كان لهم أن يتفرقوا في عقائدهم ولكن الله يُجري الابتلاء والامتحان؛ فحصل التفرق وتشبهت هذه الأمة بمن قبلها في التفرق والاختلاف، ولكن بقيت

منها - والله الحمد - بقیةٌ ثبتت على الحق ولم تنحرف عنه، وهم أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية، الفرقة الناجية التي سميت ناجية؛ لأنه قال - صلى الله عليه وسلم - **(كل هذه الفرق في النار إلا واحدة)** يعني هذه نجت من النار؛ بسبب ثباتها على الحق وعلى التوحيد وعلى العقيدة الصحيحة، وعلى ما كان عليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، **(هم من كان على ما أنا عليه وأصحابي)**، الله - جل وعلا - يقول **(والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه)** [التوبة: ١٠٠].

فهذا هو الطريق الصحيح أن لا نتفرق وأن نتلقى عقيدتنا من الكتاب والسنة، ولا نتلقاها من عادات الناس أو تقاليد الناس أو استحسان فلان، أو عمل فلان، فإن هذا يشتم الناس ويضيعهم، وكل يتبع شيخه ورئيسه ويحصل بذلك التفرق، نحن ليس لنا قدوة إلا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو إمامنا - عليه الصلاة والسلام - **(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة)** [الأحزاب: ٢١] فهو إمامنا وهو القدوة، وأما العلماء فمن اقتدى به نتبعه ومن خالفه فإننا نرفضه، ولا ننظر إليه.

هذا هو الطريق الصحيح، طريق النجاة، ولكن لما حصل في الأمم السابقة اختلاف، وكان في هذه الأمة من يشبه بهم اختلفت هذه الأمة، كما هو الواقع الآن.

تاريخ الفرق إذا قرأت في تاريخ الفرق تعجبت، مثل الملل والنحل للشهرستاني، والفرق بين الفرق للبغدادي، والفصل في الملل والنحل لابن حزم، والمقالات لأبي الحسن الأشعري؛ تتعجب من هذا الاختلاف وهذا التفرق، وما كان ذلك ليقع لو أنهم تمسكوا بكتاب الله وسنة رسوله.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا، وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني والعشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام/ احمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله.

يشرح الكتاب في هذه الحلقات فضيلة الشيخ/ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع هذا اللقاء نرحب بضيفنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

١٥٢) الافتراق تشبه بأهل الكتاب وحدثه بيننا من نبوءات نبينا

المذيع: أنهينا الحلقة الماضية في حديث المؤلف رحمه الله عن مشابهة هذه الامة للأمم السابقة في الاختلاف في العقائد، وما ذكره الله في قوله تعالى: ﴿وَحُضِّتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩]، وحديث افتراق الامة على ثلاثٍ وسبعين فرقة كما اختلف من قبلهم على إحدى وسبعين واثنتين وسبعين، وذكرت بعض ما حدث للأمم السابقة وأن من اطع عليها عرف ذلك، وأنه لم يكن لهؤلاء أن يختلفوا لو تمسكوا بما جاء من الله - سبحانه وتعالى-.

قال المؤلف رحمه الله تعالى: [وهذا الافتراق مشهورٌ عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من حديث أبي هريرة وسعد ومعوية، وعمرو بن عوف، وغيرهم، وإنما ذكرت حديث ابن عمرو؛ لما فيه من ذكر المشابهة].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

يقول الشيخ -رحمه الله-: إن أحاديث الافتراق مشهورة ومتعددة الروايات فهي ثابتة، وفي هذا ردٌ على الذين يشككون الآن في حديث: <افتترقت اليهود على -إلى قوله- وستفترق هذه الأمة على ثلاثٍ وسبعين فرقة>، فيه من ينكر هذا الحديث، ويقول هذا لم يرد عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ويطعن فيه عن جهل، الشيخ -رحمه الله- يرد على هذا ويقول الحديث هذا مشهورٌ بطرقه ورواياته، فهو ثابتٌ عن النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا بد من حصول الافتراق، ولو فرضنا أن هذا الحديث لم يرد، الواقع يشهد لذلك، الواقع هل المسلمون الآن هل هم على طريقٍ واحد؟ أو على طرقٍ متعددة متنوعة، وفيها ضلال.

النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: <ثلاث سبعين كلها في النار إلا واحدة>، يعني اثنتين وسبعين في النار؛ لأنها مخالفة للطريق الصحيح، ليس على الصحيح إلا واحدة فقط، وهي التي في الجنة، وهذه الفرق في النار كلٌ بحسب مفارقتة، منهم من يكون في النار لأنه كافر، إذا كان افتراقه الردة، ومنهم من يكون في النار لأنه فاسق، إذا كان افتراقه لا يقتضي الردة وإنما يقتضي الفسق، فيكون في النار على حسب جريمته، مثل أصحاب الكبائر، ومنهم من يكون في النار لمعصيته، إذا كان الاختلاف لا يصل إلى حد الضلال فإنه يكون في النار بحسب جريمته، لكنه لا ليس بكافر ولا يخلد في النار.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال -رحمه الله-: [فعن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: <تفترق اليهود على إحدى وسبعين فرقة، أو اثنتين وسبعين فرقة، والنصارى مثل ذلك، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة>. رواه أبو داود].

الشيخ صالح: هذا كالحديث الذي قبله، وكما أشار الشيخ -رحمه الله- في أن هذا الحديث متعدد الروايات، وهو حديثٌ ثابت برواياته عن الرسول -صلى الله عليه وسلم-.

المذيع: قال: [رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

وعن معاوية قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: <إن أهل الكتابين افرقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفرق على ثلاث وسبعين ملة -يعني الأهواء- كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة>].

الشيخ صالح: نعم، وهذا كالحديث كالأحاديث التي قبلها وفيه بيانٌ لما أشار إليه الشيخ من تعدد روايات، هذا الحديث مما يثبت عن النبي -صلى الله عليه وسلم- ثبوتًا لا شك، والواقع يشهد لذلك فإن الأمة الآن متفرقة إلى شيعٍ وأحزاب، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣] إلا الذين ثبتوا على الحق وهم أهل السنة والجماعة، ولو كانوا قليلين، أهل السنة والجماعة يكثرون أحيانًا ويقلون أحيانًا حتى ربما لا يبقى منهم إلا واحد، فهو أهل السنة والجماعة، ولهذا قال -صلى الله عليه وسلم-: <بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء>.

الإسلام أول ما بدأ، بدأ من واحد وهو الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثم تبعه الأفراد، ثم تكاثروا حتى صارت الامة، وسيعود الإسلام غريبًا في آخر الزمان لكثرة من يخالفه وقلة من يثبت عليه، حتى ربما لا يثبت عليه إلا الأفراد، ويكونون غرباء في الناس، يكونون غرباء بين الناس، والغريب هو الذي يعيش بين ظهرائي غير أهله وغير بلده، هذا هو الغريب، فالتمسك بالسنة يكون غريبًا في آخر الزمان؛ لأن أكثر الناس على خلافه، وإن كانوا أنهم يدعون الإسلام وأنهم على الإسلام، فتشتد الغربة في آخر الزمان.

هذا فيه أن المسلم يثبت على الحق، مهما كلفه الأمر، حتى ولو لم يكن على الحق غيره، فإن الله -جل وعلا- يقول إنه رفيقٌ للنبين والصدّيقين والشهداء والصالحين، ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

يعني وإن خالفك أكثر الناس فلا تستوحش لأنك مع من؟ مع النبي -صلى الله عليه وسلم-، مع النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين لا تستوحش، بل اثبت على الحق، نعم.

١٥٣) اتباع الهوى هو سبب افتراق هذه الأمة وغيرها من الأمم

المذيع: أحسن الله اليكم، قال: [وقال: <إنه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، فلا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله، والله يا معشر العرب لئن لم تقوموا بما جاء به محمد لغيركم من الناس أحرى أن يقوم به.>].

الشيخ صالح: نعم، بين -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث السبب الذي من أجله تفرّق الناس في الأمم السابقة وفي هذه الأمة، هل السبب خفاء الحق؟ لا والله، الحق واضح، ولكن السبب اتباع الهوى، فإن كثيراً من الناس لا يريد الحق، وإنما يريد هواه، فلذلك تفرقوا بسبب اتباع أهوائهم، ولهذا قال -جل وعلا-: ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]، وقال ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُمَا يُتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص: ٥٠].

فالحق واضح، ولم يكن تركهم له عن جهل، وإنما تركوه؛ لأنه يخالف أهواءهم، وهم يريدون أهواءهم، والأهواء لا تنتهي كل له هوى، فلذلك لا يجتمعون، كل يختلف هواه عن هوى غيره، كل يريد أن يحقق رغبته، فلذلك تفرقوا، ولا يرجعون أيضاً والعياذُ بالله؛ لأن صاحب الهوى لا يرجع، مهما فعلت معه من بيان الأدلة لا يرجع؛ لأنه لا يريد الأدلة، وإنما يريد هواه، هذا هو السبب في التفرق هو اتباع الأهواء.

أما من ترك الحق عن جهل، ثم بين له وعاد فهذا لا يُذم بل يمدح، نعم، أو تركه عن اجتهاد ظن أنه على حق، واجتهد في طلب الحق ولم يوفق له، لكن لو تبين له الحق لرجع إليه، هذا أيضًا لا يُذم.

قال -صلى الله عليه وسلم-: **"إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران، وإذا اجتهد فأخّر فله أجر واحد"**، فإذا كان الاختلاف ليس عن هوى، وإنما هو عن جهل أو عن اجتهاد طلب الحق، ولم يصبه فهذا لا يُذم، لكن الذي يُذم هو الاختلاف من أجل اتباع الهوى، ثم أخبر -صلى الله عليه وسلم- أن هذا الهوى مرض كمرض الكلب، والكلب هو المرض الذي ينشأ عن عضّة الكلب؛ لأن فيه من الكلاب من يصاب بداء، فإذا عض أحدًا أصابه هذا الداء وانتقل إليه ثم فتك به إلى أن يموت، يسميه العوام المغلوف، نعم، الغلات المغلوث، أو يسمونه السعار، فالهوى والعياذُ بالله يشبه داء الكلب، الذي يصيب الكلاب وتعض الناس، تقتلهم أو تُمرضهم مرضًا شديدًا.

وهذا فيه التحذير من الهوى، ويتجارى ما يترك عرق من الجسم إلا دخله، وكذلك الهوى والعياذُ بالله يتخلل في الانسان، كما يتخلل داء الكلب وهذا شيءٌ مُشاهد، فأصحاب الأهواء تجدهم دائمًا في صراع، وفي عراك فيما بينهم، وإذا بين لهم الحق أبغض ما يسمعون كلمة قال الله وقال رسوله، وقال الصحابة، فإن أبغض ما يسمعون هذا، نعم؛ لأنه يخالف فهوأهم، والله -جل وعلا- يقول في عبّاد الأصنام ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَخِدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

إذا وافق ذلك أهواءهم استبشروا وفرحوا، وإذا خالف أهواءهم اشْمَأَزَّتْ، اشْمَأَزَّتْ قلوب الذين نعم، لا يؤمنون بالآخرة، وهذا مثال لأهل الضلال الآن، فإنهم لا يريدون سماع قال الله وقال رسوله، وإنما يرغبون في قال فلان وفلان من أئمتهم أو قادتهم، نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، [قال الراوي معاوية-رضي الله عنه-، والله يا معشر العرب؛ لأن لم تقوموا بما جاء به محمد لغيركم من الناس أخرى ألا يقوم به].

الشيخ صالح: هذه كلمة عظيمة من أمير المؤمنين معاوية -رضي الله عنه-، يقول إن أحق الناس أن يقوم بهذا الدين هم العرب، لماذا؟ لأن الرسول -صلى الله عليه وسلم- منهم؛ ولأن القرآن نزل بلغتهم، فهم المكلفون به أولاً قبل غيرهم، وهم الشهداء على الأمم يوم القيامة،-جل وعلا- يقول في هذا القرآن، ﴿وَأِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف:٤٤]، ذكرٌ يعني شرف، تُذكرون به ولقومك يعني العرب، الذين نزل بلغتهم، أما الأعاجم فإنهم تبعٌ للعرب الأعاجم تبعٌ للعرب، فإذا ضل العرب وفسد العرب فسدت بقية الأمم؛ لأن الناس يقلدون هذه الأمة، يقلدون العرب الذين منهم الرسول ونزل القرآن بلغتهم فهم يقلدونهم، دائماً وأبداً، فالمسؤولية على العرب لا شك أنها أغلظ من المسؤولية على بقية الأمة؛ لأن الله خصهم بأن جعل الرسول منهم والقرآن بلغتهم.

المذيع: أحسن الله اليكم، ثم مضى المؤلف-رحمه الله- كما أشرتكم يؤكد صحة، يقول: [إنه محفوظٌ من حديث صفوان بن عمرو عن معاوية، ورواه عنه غير واحد منهم أبو اليمان وبقية رواه أبو داود وابن ماجه، وغيرهم قال ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي].

الشيخ صالح: نعم، المؤلف-رحمه الله- لكونه متمكناً في علم الحديث، وهو متمكن في كل العلوم، تقريباً ما من علمٍ إلا وهو له باعٌ فيه، فمن ذلك علم الحديث، فهو مبرزٌ في علم الحديث، فهو يقول إن هذا الحديث افتراق الأمة الى ثلاثٍ وسبعين، حديثٌ ثابت متعدد الروايات، رواه الجماعة من الصحابة وخرجه جماعة كثيرة من الحفاظ، فلا مجال للطعن فيه، وهذا صفةٌ في وجوه هؤلاء الذين يطعنون في هذا الحديث الآن، يريدون أن يبقوا على ما هم عليه؛ لأن هذا الحديث يفضحهم.

وهم يريدون أن يبقوا على ما هم عليه، وأن كل من قال أنا مسلم فإنه من المسلمين، ولو فعل ما فعل من الشرك والكفر والإلحاد، يكفي أن يقول إنه مسلم، بل يقولون من قال لا إله إلا الله، نعم من قال: لا إله إلا الله صار مسلماً، ولكن إذا صدر منه ما يخالف لا إله إلا الله ارتد عن هذه الكلمة، فلا إله إلا الله ليست مجرد لفظ يُقال باللسان، وإنما هي لفظٌ ومعنىٌ ومقتضى فلا بد من ذلك، ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، فلا بد أن يقوها عالماً بمعنى عاملاً بمقتضاها ظاهراً وباطناً، فلا يكفي أن الإنسان يقول أنا مسلم، والمسلمون ولو خالف من خالف ولو هذا كما قال الشاعر:

إذا ما الجرحُ رَمَّ على فسادٍ تبين فيه إهمالُ الطبيبِ

وكون الأمة تبقى على جراحها وعلى الفرق وعلى النحل الباطلة هذا يخرج الأمة عن دينها، إن لم يقم أهل الحق وأهل الاختصاص بدعوة الناس إلى الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله، وإلى ما كان عليه سلف الأمة، فإن هذا سيؤول بهم إلى التفرق والتشتت؛ ولذلك أعداء الإسلام يشجعون الفرق الآن المنحرفة، ويمدوونهم بالمال والخبرات والتخطيط، ليقضوا بهم على الإسلام الصحيح، ويبقى الإسلام المزيف الذي لا يسمن ولا يغني من جوع.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال المؤلف-رحمه الله-: [فقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بافتراق أمته على ثلاث وسبعين فرقة، واثنتان وسبعون؛ لا ريب أنهم الذين خاضوا كخوض الذين من قبلهم].

الشيخ صالح: نعم اثنتان وسبعين فرقة من هذه الأمة في النار، بسبب ماذا؟ لأنهم خاضوا كخوض الذين من قبلهم خاضوا في دينهم وعقيدتهم، فتجد الآن وكثير من الناس يخوضون في مسائل العقيدة، ويشككون فيها ويريدون أن تحل الأهواء محل هذا من الخوف الباطل والعياذُ بالله، وهذا تشبه بمن كان قبلنا، نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال: [ثم هذا الاختلاف الذي أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم إما في الدين فقط، وإما في الدين والدنيا ثم قد يؤول إلى الدماء وقد يكون الاختلاف في الدنيا فقط، وهذا الاختلاف الذي دلت عليه هذه الأحاديث، هو مما نهي عنه في قوله -سبحانه-: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥]،

وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]،

وقوله: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

الشيخ صالح: نعم، الافتراق والاختلاف مذموم على سبيل العموم، لكنه يتفاوت بعضه أشد من بعض، فإذا كان الاختلاف في الدين وفي العقائد فهو أشد؛ لأنه يؤول إلى الضلال وإلى الكفر، وإلى النار في النهاية، أما إذا كان الاختلاف في الدنيا للنزاع في الخصومات والمشاجرات فهذا أيضًا مذموم والمطلوب الإصلاح، وإذا استدعى الأمر فلا بد من البت في القضية على يد القاضي من كتاب الله وسنة رسوله، ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]،

فالاختلاف يشمل الاختلاف في الأموال، ويشمل الاختلاف في العقائد، ويشمل الاختلاف في العبادات، وكله مذموم لا شك، لا شك أنه أسلم وأحوط، وأسلم للقلوب واجتماع الكلمة، ولهذا قال -جل وعلا- ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ثم أيضًا أشار المؤلف -رحمه الله- إلى أن هذا الاختلاف يؤدي أيضًا إلى سفك الدماء، ما يكفي أنه يحدث العداوات والحزازات والتفرق بل يؤول إلى سفك الدماء، واعتداء بعض الفرق على بعض، مع إنهم كلهم يدعون أنهم على الإسلام، والله -جل وعلا- ورسوله نهي عن سفك الدماء وعن قتل المؤمن بغير حق، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مَتَعَمَّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣].

فمن مضار الاختلاف إنه قد يؤول إلى سفك الدماء التي حرم الله -جل وعلا-، فقال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣]، يعني وليه سينصره الله -عز وجل-، وسيمكنه من هذا الظالم فيقتص منه، ولو على المدى البعيد.

١٥٥) بيان أن هذه الأمة لا تهلك بآفتها؛ إلا أن يكون بأسها بينها

المذيع: أحسن الله اليكم، قال: [وهو موافق لما رواه مسلم في صحيحه، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أنه أقبل مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في طائفة من أصحابه، من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلا، ثم انصرف إلينا فقال: [سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها وسألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها، وسألته ألا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها].

الشيخ صالح: نعم، هذا الحديث فيه أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في نفرٍ من أصحابه، فأراد أن يصلي، فمر على مسجدٍ في طريقه، صلى فيه صلاة في المسجد أفضل بلا شك؛ لأن هذا المسجد له خاصية كما يظن الخرافيون، نعم، وإنما لأنه كان في طريقه، وقريبا منه -صلى الله عليه وسلم-، فصلى فيه ودعا ربه، فهذا فيه أنه يستحب أن يكون الدعاء بعد صلاة، صلى فيه يعني نافلة ثم دعا ربه -عز وجل- بثلاث.

المذيع: [قال: سألت ربي ثلاثا فأعطاني اثنتين، ومنعني واحدة: سألت ربي ألا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها].

الشيخ صالح: يعني بالجدب، وانحباس المطر، فأعطاه الله -عز وجل-؛ لان الأمة لا ينحبس عنها المطر كلها، وإنما قد ينحبس عن جهةٍ دون جهة.

المذيع: [وسألت ربي ألا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها].

الشيخ صالح: ألا يهلك أمته بالغرق العام، كغرق السيول وغرق الأنهار الماء الجارف نعم، فما أهلك كما أهلك فرعون، وأهلك قوم نوح، الغرق العام الذي يستأصل الناس، لكن قد يحصل الغرق لبعضهم، وقد يحصل لبعضهم أو لبعض القرى، أو لبعض البلاد، لكنه لا يعم الناس كلهم.

المذيع: [وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها].

الشيخ صالح: أما هذه فلم يجبه الله -عز وجل-، وهي ألا يجعل بأس الأمة بينهم، بل أنه سيقع بينهم كما قال -جل وعلا- ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥].

هذه أشد من أن ينزل عليهم عذاب من السماء، أو من تحت أرجلهم، نعم، فالله منعه من هذا؛ لأن الله جعل لأن الله من حكمته أنه يجري الاختلاف بين الناس للامتحان والابتلاء، نعم.

وأيضًا العقوبات، فإن من العقوبات أن الله يُوقع الخلاف بين الناس ثم يتشاجرون ويتقاتلون عقوبة لهم، في مخالفتهم للكتاب، وأما لو تمسكوا بالكتاب والسنة لم يحصل اختلاف ولا قتال، لكن إذا خالفوا الكتاب والسنة عاقبهم الله، فجعل بأسهم بينهم، وفي الحديث: <ما لم تحكم ائمتهم بكتاب الله الا جعل الله بأسهم بينهم>، هذه سنة الله -سبحانه وتعالى- وهذه عقوبة، والله لا يظلم أحدًا.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال -رحمه الله-: [وروى أيضًا في صحيحه يعني مسلمًا -رحمه الله-، روى في

صحيحه عن ثوبان قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: <إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقتها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها، وأعطيت الكثرين: الأحمر والأبيض وإني سألت ربي لأمتي:

أن لا يهلكها بسنة بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستريح بيضتهم وإن ربي قال: يا محمد إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة بعامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم، فيستريح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضها، ويسبي بعضهم بعضاً >].

الشيخ صالح: نعم وهذا حديث عظيم، فيه معجزات للنبي -صلى الله عليه وسلم- وأخبار عظيمة، وهو حديث إخباري، لكنه نهي في الحقيقة، نهي وتحذير، قال -صلى الله عليه وسلم- <أن الله زوى لي الأرض > يعني قبضها وقارب بين أقطارها، حتى إن رآها النبي -صلى الله عليه وسلم- كاملة في مرآه -صلى الله عليه وسلم-، وهذا من معجزاته -عليه الصلاة والسلام-، رأى من بمشارقتها ومن؟ بمغارها، هذي واحدة.

<وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها >، وهذه هي الحكمة في كون الله -جل وعلا- زوى له فرأى مشارقتها ومغارها؛ لأن أمته سيبلغ ملكها مشارق الأرض ومغارها، وقد حصل هذا في جهاد الصحابة -رضي الله عنهم- لما جاهدوا في عهد الخلفاء الراشدين، والذين جاؤوا من بعدهم في الدولة الأموية، والدولة العباسية، بلغ سلطان هذه الأمة وملكها المشارق والمغرب ودخل تحتها الدولتان العظيمتان، دولة الفرس ودولة الروم، وسيطر المسلمون على جميع أقطار الأرض، وهذا الذي رآه النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذه القضية التي زوى له الله الأرض وأراه مشارقتها ومغارها.

<وأعطيت الكنزَيْن الأحمر والأبيض >: الكنزَيْن يعني المراد بالكنزَيْن الأبيض الفضة، وهذا كناية عن مُلك الفرس؛ لأن نقودهم من الفضة غالباً، والأحمر الذهب، وهذا للروم؛ لأن كنوزهم من الذهب في الغالب، فهذا إشارة أو كناية، إلى أن الله سيعطي كنوز هؤلاء وممتلكات، هاتين الأمتين للمسلمين حصل هذا، استولى

المسلمون على بلادهم، وصرّفوا هذه الكنوز وهذه الثروات في سبيل الله - عز وجل -، وأنفقوها في سبيل الله، لم يأخذوها لهم، نعم.

المذيع: أحسن الله إليك.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثالث والعشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

أجمعين. أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في

برنامجكم/ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام/ **ابن تيمية** - رحمه الله - يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ **صالح**

بن فوزان الفوزان.

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء.

في مطلع لقائنا نرحّب بضيفنا الكريم فحياكم الله شيخ/ **صالح**.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(١٥٦) بيان أن بلاء هذه الأمة من نفسها

المذيع: وقفنا عند قول المؤلف - رحمه الله تعالى - في ذكر خطر الاختلاف وما يسببه. وروى مسلم أيضاً

في صحيحه عن ثوبان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن الله زوى لي الأرض ، فرأيت مشارقتها ،

ومغاربتها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ، وأعطيت الكنزين الأحمر ، والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي

أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يسلب عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم "

بلغنا في الشرح - فضيلة الشيخ - إلى هذا.

نبدأ اليوم من قوله: " وإن ربي قال : يا محمد ، إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإني أعطيتك لأمتك : أن لا

أهلكهم بسنة بعامة ، وأن لا أسلب عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من

بأقطارها - أو قال: من بين أقطارها - حتى يكون بعضهم يهلك بعضها ، ويسبي بعضهم بعضاً "

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله رب العالمين. صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

تقدم الكلام على أول هذا الحديث ، وهو حديث عجيب وفيه معجزات من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه أنه دعا لأمته ، وهذا من نصحه وشفقته ورحمته بأمته عليه الصلاة والسلام. دعا لهم بثلاث دعوات: أن لا يهلكهم الله بسنة بعامة يعني جذب عام ، يعني ينحبس المطر عن جميع المسلمين ، ودعا بأن لا يسلب عليهم عدواً خارجياً يستبيح بيضتهم. يعني أرضهم ، ويستولي على جميع بلاد المسلمين ، ودعا بأن الله لا يوقع الخلاف بينهم ، فاستجاب له في دعوتين: أن لا يهلكهم بسنة عامة ، وأن لا يسلب عليهم عدواً خارجياً يستأصلهم ، وهذا من فضل هذه الأمة أن الله يبقّي فيها بقية تستمر وإن كان قد يجري على بعضها أو كثير منها من الابتلاء والامتحان والقتل والتشريد.

وكانت الأمم السابقة يهلكهم الله عن آخرهم ، كما في قوم نوح ، وقوم هودٍ وصالح والأمم السابقة. إلا أن هذه الأمة - والله الحمد - الله لا يهلكها هلاكاً عاماً ، وإن كان يهلك بعضها منها بذنوبهم ، وأما الثالثة فلم يجبه الله وهو أن يرفع الخلاف بينهم ، بل إن هذا واقع ، وأنه يمكن أن يهلك بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً. وهذا هو المحذور العظيم.

فقد قال الله جلّ وعلا: ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْضِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنعام: ٦٥]

فهذه الأخيرة هي الخطر العظيم. أن الأمة تختلف فيما بينها وتتقاتل ، ويسفك بعضهم دم بعض ، وهذا هو المذموم ، وهذا هو المنهوي عنه ، وهذا هو المحرم. فإن الله - جلّ وعلا - أمر المسلمين بأن يكونوا أمة واحدة ، وجماعة واحدة . وهذا فيه التحذير من الاختلاف ، والتفرّق فإنه يؤدي إلى هذا - التفرّق يؤدي إلى القتال وإلى سفك الدماء - وأما اجتماع الكلمة فإنه يؤدي إلى حقن الدماء ، ويؤدي إلى حفظ الأنفس والأموال والأعراض ، وغير ذلك من مصالح الجماعة. ولهذا حث الله على الجماعة ونهى عن الفرقة. قال الله تعالى :

﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]

إلى غير ذلك. فالله نهى هذه الأمة أن تقع فيما وقعت فيه الأمم السابقة ، ولكن سيكون في هذه الأمة من يتشبهه بالأمم السابقة؛ وهذا هو الخوض في العقيدة . قال الله تعالى :

﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ

الْحَاسِرُونَ﴾ [التوبة: ٦٩]

هذا هو الذي وقع في هذه الأمة أنها تشبهت بالأمم السابقة في الأمرين: في الخوض في العقائد مما أدى إلى الاختلاف والتناحر.

والاستمتاع بملاذ الدنيا وشهواتها والانشغال بها عن الأعمال الصالحة.

فهذا الأخير.. الله - جلّ وعلا- لم يجب نبيه صلى الله عليه وسلم إلى منعه؛ بل إنه واقع في هذه الأمة ، وذلك من باب الابتلاء والامتحان.

بيان من يصبر على الحق ومن يتزحزح عن الحق. نعم.

(١٥٧) معنى الأئمة المضلين وأقسامهم وبعض إفسادهم

المذيع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله:

ورواه البرقاني في صحيحه، وزاد: " وإننا أخاف على أمتي الأئمة المضلين، وإذا وقع عليهم السيف لم يُرفع إلى يوم القيامة "

الشيخ صالح: النبي صلى الله عليه وسلم خاف في هذه الرواية على أمته من شيئين: الشيء الأول الأئمة يعني

القادة من العلماء المضلين ، أو من السلاطين - الأئمة يكونون من السلاطين ويكونون من العلماء - لأن الناس يقتدون بهم ، ويأتمون بهم .

فإذا كانوا مضلين فإنهم يضلون أتباعهم . وهذا خطرٌ عظيم ، وما وقعت الفتن في هذه الأمة ، والشُرور إلا بسبب هذا . بسبب اتباع الأئمة المضلين في كلا النوعين: في الأمراء ، وفي العلماء - والعلماء أخطر - العلماء الضالون أخطر على الأمة ، لأنهم يُزيّنون للناس المخالفات .

والناس يثقون بهم لأنهم علماء فيضلون من أتبعهم ، واقتدى بهم - فهذا فيه التحذير .

كون النبي صلى الله عليه وسلم خاف على أمته . هو لا يخاف إلا على شيءٍ متوقع ، وفيه التحذير من اتباع الأئمة المضلين ، فلا يجوز أن تتبع إلا من تثق بعلمه ، وبدينه . أما من لم يكن عنده علم فلا تتبعه كالمُتصوفة والمُتعبدة على جهل ، أو العلماء الذين لا يعملون بعلمهم ، وهم من المغضوب عليهم كما سبق .

فيجب أن نحذر من هاتين الفتنتين: العابد الجاهل ، والعالم الذي لا يعمل بعلمه - العالم المغضوب عليه - فنحذر من هاتين الطائفتين .

والأمر الثاني الذي خافه الرسول صلى الله عليه وسلم على أمته:

أنه إذا وقع فيهم السيف فإنه لا يُرفع ، فإذا تقاتلوا فيما بينهم استمر القتال فيهم إلى أن تقوم الساعة . وهذا حصل بمقتل عثمان - رضي الله عنه - فإنه لما قُتل مظلوماً شهيداً بغير حقّ وقع القتل في المسلمين ، فكانت الحروب التي أعقبت مقتل عثمان - رضي الله عنه - ، واستمرت وتستمر إلى أن تقوم الساعة ، وهذا مما خافه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته .

وقد وقع ما تخوفه صلى الله عليه وسلم . وعلى كلِّ فالحديث فيه التحذير من هاتين الفتنتين: فتنة العالم الضال ، وفتنة الاقتتال بغير حقّ . نعم .

المذيع: قال: " ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيي من أمتي بالمشركين ، وحتى يعبد فئام من أمتي

الأوثان"

الشيخ صالح: وهذا في رواية البرقاني أن مسألة ثالثة: وهي أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أخبر أنه

سيرتد من هذه الأمة فئات كانوا على الإسلام ثم ارتدوا ولحقوا بالمشركين وليسوا أفراداً بل فئام يعني أعداداً،

وجماعات كثيرة ترتد عن دين الإسلام. لماذا؟ لأنها ترتكب ناقضاً، أو عدة نواقض من نواقض الإسلام،

فيصيرون مرتدين عن الإسلام، ويلحقون بالمشركين؛ لأن من خرج عن الإسلام لحق بأهل الشرك، وأهل

الكفر. فهذا إخبارٌ معناه التحذير من أن يقع الإنسان فيما يفسد دينه وهو لا يشعر. فعلى المسلم أن يعرف أمور

دينه، وأمور عقيدته ويعرف التوحيد والشرك والإسلام والكفر والنفاق؛ حتى يتجنب هذه الأشياء وعليه أن

يحذر أيضاً من القادة والأئمة المضللين الذين يدعون إلى الخروج من الإسلام باسم الإسلام. لا يدعون إلى

الخروج إلى الكفر صراحة، وإنما يدعون إلى خروج من الإسلام باسم الإسلام، ويسمّون الإسلام الصحيح

بالتشدد، والغلو، والتطرف، ويسمّون الخروج من الإسلام بالتقدم والرقى، والحضارة إلى غير ذلك.

فهذا مما تخوفه الرسول -صلى الله عليه وسلم-؛ بل إنه أخبر أنه سيعبد فئام من أمته الأصنام- يعبدون الأصنام-

وقال: " لا تقوم الساعة حتى تضطرب آليات دوس عند ذي الخلصة " وهو صنمٌ معروف حول الطائف.

فأخبر صلى الله عليه وسلم أنه في آخر الزمان يحصل في المسلمين من يرتد عن دين الإسلام ويرجع إلى عبادة

الأصنام، أو يلحق بالمشركين وينعزل عن المسلمين، وهذا خبرٌ معناه التحذير، وهوراجع إلى الاختلاف الذي

نُهِينا عنه.

فالاختلاف يسبب سفك الدماء، يسبب الخروج من الدين، يسبب الردة عن الإسلام. كل هذا يترتب على

الفرقة والاختلاف، والله أمرنا أن نكون أمة واحدة، وجماعة واحدة، مصدرنا كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله

عليه وسلم-، والرجوع إلى الكتاب والسنة فيما اختلفنا فيه، والصدور عنهما.

١٥٨) نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وشريعته هي الخاتمة

المذيع: أحسن الله إليكم. قال صلى الله عليه وسلم:

" وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي "

الشيخ صالح: نعم، وهذه مسألة رابعة في رواية البرقاني - رحمه الله - أنه سيظهر في هذه الأمة من يدعي النبوة

بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - . الرسول هو خاتم النبيين، قال الله جلّ وعلا :

﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠]

والخاتم: هو الذي لا يأتي بعده شيء ؛ لأن الناس ليسوا بحاجة إلى نبي يأتي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

لأن الله أكمل به الدين ، وأتم به النعمة ، ودينه - صلى الله عليه وسلم - صالح لكل زمان ومكان إلى أن تقوم

الساعة ، فلسنا بحاجة إلى نبي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولسنا بحاجة إلى شريعة بعد شريعة الإسلام ،

لأنها صالحة لكل زمان ومكان. فلا مجال لبعثة نبي جديد .

إنما كان الأنبياء يبعثون في الأمم السابقة إذا اندرست الشرائع ، أو انتهى أجلها فإنه يبعث نبي آخر، ولما بعث الله

هذا النبي الكريم - محمداً صلى الله عليه وسلم - أرسله إلى الناس كافة ، وكان النبي قبله يبعث إلى أمته خاصة .

بعثه الله إلى الناس كافة ، وليس إلى الناس كافة الذين في زمانه ؛ بل الناس كافة في وقته والذين يأتون من بعده إلى

أن تقوم الساعة .

فرسالته صلى الله عليه وسلم عامة لمن كان في وقته، ولمن يأتي بعده إلى أن تقوم الساعة . قال الله تعالى :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا

بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨]

فرسالته عامّة لكل من في زمانه ومن يأتي بعده إلى أن تقوم الساعة. فلسنا بحاجة إلى بعثة نبي جديد ، أو إلى رسالة، أو إلى شريعة جديدة؛ لأنّ عندنا ما يكفي للعالم كله لا للعرب أو لأمة أو بلدة أو قبيلة فقط ، وإنّما هو صالح للناس كلهم وصالح للأزمنة كلها إلى أن تقوم الساعة.

فلذلك ختم الله الرسالات برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وختم الشرائع بشريعة الإسلام ، فمن جاء يدعي النبوة فهو كذاب؛ لأنّه لا نبي بعد محمد - صلى الله عليه وسلم - خاتم النبيين .
وهذا في القرآن، وفي السنّة " وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي "

قوله: "أنا خاتم النبيين" معناه أنّه لا يأتي بعده نبي لكنّه أكّد ذلك مرة ثانية فقال: " لا نبي بعدي ". فالذين يأتون من بعده، يدعون لا شك أنّهم كفرة ومن صدّقهم فهو كافر - من صدّق المتنبئين فإنّه كافر - لأنّه مكذب لعموم رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، ومكذب لله ورسوله في أنّ النبوة ختمت بمحمد - صلى الله عليه وسلم - .

ومع هذا ظهر - حتّى في آخر عهد النبي صلى الله عليه وسلم - من يدعي النبوة وهم: مسيلمة الكذاب ، والأسود العنسي .

مسيلمة الكذاب في اليمامة ، والأسود العنسي في اليمن ، فقتل الأسود العنسي في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم ، وأمّا مسيلمة فإنّه بقي بعد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أن قاتله أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - ومن معه من الصحابة - رضي الله عنهم - حتّى قضوا على فتنته . وأراح الله المسلمين منهم ومن شرهم ، ثم جاء متنبّئون ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال: إنّهم ثلاثون، وكلهم يدعي أنّه نبي ولا نبي بعده. - عليه الصلاة والسلام - وقد جاء هذا العدد أو أكثر حتّى الآن، ولكن الرسول أعطانا خبر بحيث لا ينظلي علينا تصديقهم ، أو ترويح باطلهم .

فنحن نكفر بهم ، ولا نتوقف في ذلك أبداً ، لأنهم كذبه- والكذاب لا يُصدق. من آخر من عُرف الآن وله أتباع القادياني- غلام أحمد القادياني - الذي ظهر في الباكستان، وله أتباع يُسمون بالقاديانية والأحمدية. ولذلك حكم المسلمون بالإجماع بكفر هذه الطائفة، ومنعوها من دخول بلاد المسلمين؛ لأن الله - جلّ وعلا- أخبر أنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ، والنبي كذلك أخبر أنه لا نبي بعده ، وأن كل من جاء يدعي النبوة؛ فإنه كذاب يجب قتاله ، واعتقاد كفره ، وكفر من أمن به. نعم.

١٥٩) بيان أن الحق باقٍ في هذه الأمة إلى قيام الساعة

المذيع: أحسن الله إليكم. قال صلى الله عليه وسلم: " ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصوره ، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى " انتهى. ورواه أيضاً أبو داود والترمذي وابن ماجه.

الشيخ صالح: وهذه أيضاً مما جاء في زيادة رواية البرقاني- رحمه الله. وهي المسألة الخامسة . وهي بشرى بعد هذه الطوام والمخاطر والمهالك فإن الرسول صلى الله عليه وسلم بشر أمته. أن الدين سيبقى، وسيبقى له حملة وأتباع - مع هذه المصائب ومع هذه الفتن - لأن الله تكفل بحفظه.

قال سبحانه: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]

فلا يزال هذا الدين باقياً، كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يزال له أتباع وحملة يصدقون في حملهم ، وإيمانهم ، لا يضرهم من خذلهم ، ولا من خالفهم. وهذا لأن الله - جلّ وعلا- تكفل بحفظهم وحمائتهم ، وأنه مهما تناول عليهم المتطاولون ، وتكلموا فيهم وهددوهم فإنهم لا يتزحزون عن هذا الدين ، بل يثبتون عليه إلى أن تقوم الساعة، وذلك من أجل أن تبقى حجة الله على خلقه لا أحد يدعي يوم القيامة أنه ما جاءه من نبي ولا جاءه من رسول ولا كتاب ، فإن الله جلّ وعلا يقول: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فِتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة: ١٩]

فإن الله جلّ وعلا أبقى هذا الدين مهما اعترضه من المشاكل والمشاق ، ومهما حاول المحاولون صدّه والقضاء عليه؛ فإن الله يردّ كيدهم في نحورهم ، ولا يضرون إلا أنفسهم.

قال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]

١٦٠ الحث على التمسك بهذا الدين، مع وقوع الاختلاف قضاءً وقدرًا

المذيع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله: وهذا المعنى محفوظٌ عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه، يشير إلى أنّ التفرقة والاختلاف لا بدّ من وقوعها في الأمة ، وكان يُحذّر أمته لينجو منه من شاء الله له السلامة.

الشيخ صالح: نعم. فمضمون هذا الحديث الطويل بروايته عند البرقاني وغيره مضمونه : أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم يُحذّر من الاختلاف. لا لأجل أن يمتنع الاختلاف نهائياً - الاختلاف واقع قضاءً وقدرًا وابتلاءً وامتحاناً - ولكن من أجل أن يُحَثّ من يريد الله له النجاة يحثّه على الصبر، والتمسك بهذا الدين ، وإن حصل اختلافٌ ، وحصل مُشادةٌ فهؤلاء يثبتون على دينهم ، ولا يتزحزون عنه ويصبرون على ما أصابهم في سبيله. الرسول صلى الله عليه وسلم حينما حذّر من الاختلاف. ليس معناه طلب منع وقوع الاختلاف نهائياً ، وأصلاً ، وإنّما معناه التحذير من الانزلاق مع المختلفين ، والصبر والثبات على الحقّ ، وترك ما تنازعا فيه واختلفوا فيه.

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع والعشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم، اصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية -رَحْمَةُ اللهِ-، يشرحه في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بضيفنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: وحياكم الله وبارك فيكم.

(١٦١) بعض أدلة النهي عن الاختلاف، وكراهيته

المذيع: بعد ما ذكر المؤلف -رَحْمَةُ اللهِ تَعَالَى- تحذير النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من الخلاف وذكره أنه سيقع.

قال -رَحْمَةُ اللهِ-: [وهذا المعنى محفوظ عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من غير وجه، يشير إلى أن التفرقة والاختلاف لا بد من وقوعها في الأمة، وكان يحذر أمتة؛ لينجو منه من شاء الله له السلامة، كما روى النزال بن سبرة عن عبد الله بن مسعود قال: "سمعت رجلاً قرأ آية سمعت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقرأ خلفها، فأخذت بيده، فانطلقت به إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فذكرت ذلك له، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: <كلاهما محسن، ولا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا>.

قال شيخ الاسلام رَحْمَهُ اللهُ رَواه مسلم، قال المحقق -حفظه الله- لم أجده في مسلم وانا وجدته في البخاري ومسند أحمد].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه أجمعين، كما سبق في الحلقة في آخر الحلقة الماضية أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، حينما حذر من الاختلاف لم يكن معنى ذلك أنه يحذر من شيء لا يقع، فهو إنما حذر من شيء متوقع، وغرضه -عليه الصلاة والسلام- من ذلك لينجو من أراد الله نجاته، هذا هو الغرض من إخباره -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن وقوع الاختلاف، ومما يدل على كراهية النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للاختلاف، ما وقع في هذا الحديث من ابن مسعود مع الرجل الذي قرأ آية من القرآن على وجه يخالف ما يعرفه ابن مسعود، أمسك به وذهب به إلى النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فسمع قراءة ابن مسعود وسمع قراءة الرجل وقال كلاهما محسن، وكره -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما حصل بينهما من الاختلاف، فالاختلاف إذا كان بسبب جهل المخالف ما مع الطرف الآخر من الحق، فإنه ينبغي أن يتثبت، ذلك المنكر يتثبت ولا يتسرع إلى الإنكار؛ لأنه ربما يكون مع الطرف الآخر حجة ومعه حق، فلا شك أن القرآن الكريم كما قال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أنزل على سبعة أحرف.

وذلك من تيسير الله لهذا القرآن ليقراه كل على لغته ولهجته، وهذا من باب التيسير؛ لأنهم لو ألزموا بحرف واحد، بالقراءة على حرف واحد حق ذلك عليهم، والقراءات كما هو معلوم بينها اختلاف في الاداء، وفي بعض الحروف لكن المعنى لا يختلف، المعنى لا يختلف، كل تلقى عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قراءة القرآن، كل تلقى عنه، فهذه القراءات ليس من ابتكار الناس وإنما هو مروى عن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، ولهذا قال كلاهما محسن، لكن لما كان ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لم يعلم مع الطرف الآخر من القراءة صحيحة، أنكر عليه، الرسول منع أن ينكر الإنسان بدون أن يتثبت من الأمر، ولأن هذا يؤدي إلى النزاع وإلى الشقاق وسوء التفاهم، فإذا كان الاختلاف له مسار فلا أن يحمل ذلك على التقاطع والتهاجر والتدابير.

١٦٢) أنواع الاختلاف وحكم كل نوع

المذيع: قال: <ولا تختلفوا فان كان قبلكم اختلافوا فهلكوا>.

الشيخ صالح: نعم، لا تختلفوا، هذا نهي من الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والمراد بذلك الاختلاف الذي

ليس له وجه، وأما الاختلاف الذي له وجه وله مستند فهذا سيأتي بيانه - إن شاء الله -؛ لأنه سيقسم الاختلاف

الى قسمين:

▪ اختلاف تنوع.

▪ واختلاف تضاد.

فهذا الذي وقع مع ابن مسعود - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -؛ إنما هو من اختلاف التنوع، وليس من اختلاف التضاد.

المذيع: قال - رَحِمَهُ اللهُ -: [نهى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن الاختلاف الذي فيه جحد كل واحد

من المختلفين ما مع الآخر من الحق].

الشيخ صالح: هذا الاختلاف المذموم، الذي فيه أن أحد الطرفين يجحد ما مع الطرف الآخر من الحق،

ويجكم عليه بالبطلان، مع أنه قد يكون له وجه من الصواب، فالواجب قبول الحق، ولو كان مع المخالف، يقبل

الحق ولو كان مع من؟ خالفك لأن قصدك الحق، وليس قصدك الانتصار للنفس، قصدك الحق، والله ذم اليهود

لما: ﴿قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ﴾

[البقرة: ٩١]، فهم أنكروا ما مع غيرهم من الحق، تكبر وعناد وقصروا الحق على أنفسهم وما معهم، فهذا هو المذموم

من الاختلاف، أن تجحد ما مع مخالفك من الحق، لا شك أن مخالفك قد يكون معه حق ومعها باطل، فأنت تقبل

ما معه من الحق وترد ما معه من الباطل، أما أن ترفض كل ما معه فهذا لا يجوز، نعم.

المذيع: أثابكم الله، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [لأن كلا القارئ كان محسناً فيما قرأه].

الشيخ صالح: كلا القارئ كان محسناً فيما قرأه، كلا القارئ ابن مسعود والرجل الآخر كان محسناً فيما قرأه

لأنه قرأه كما سمع من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، نعم.

المذيع: [وعلى ذلك: بأن من كان قبلنا اختلفوا فهلكوا].

الشيخ صالح: والمحسن معناه المتبع، المحسن معناه المتبع، ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ﴾ [التوبة: ١٠٠]، الله -جَلَّ

وَعَلَا- يقول: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [البقرة: ١١٢]، وهو محسن يعني متبع للرسول -صلى عليه

وسلم-، فكلا القارئ محسنٌ لأنه قرأ بما سمع من الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، نعم.

المذيع: [ولهذا قال حذيفة لعثمان: "أدرك هذه الأمة، لا تختلف في الكتاب كما اختلف فيه الأمم

قبلهم"، لما رأى أهل الشام والعراق يختلفون في حروف القرآن، الاختلاف الذي نهى عنه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ-].

الشيخ صالح: هذا الاختلاف الذي حصل بين ابن مسعود -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- والرجل الآخر، هذا ليس من

الاختلاف المذموم، لأن كلا منهما قرأ بما سمع من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لكن حصل بعد وفاة الرسول -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لما تفرق المسلمون في الأقطار وانتشر الإسلام، فصاروا يختلفون في قراءات، يختلفون في

القراءات اختلافاً يُخشى منه وقوع الفتنة فيما بينهم، وإن كان هذه القراءات مسموعة من الرسول -صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لكن قد يكون بعضها لم يثبت عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وحتى لو ثبت فإذا كان

الاختلاف عليها سيؤدي الى الفتنة، فإن الأولى جمعهم على قراءة واحدة، درءاً للفتنة.

فلما خشي حذي ابن البيان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وكان حذيفة ممن يجذر من الفتن -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وكان يسأل النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الشر مخافة أن يقع فيه، من شدة حذره من الفتن، لما رأى اختلاف الناس في الأنصار في تلاوة القرآن اختلافًا إلى التصارع فيما بينهم وجحد ما مع الآخر من الحق، وربما يؤدي إلى قتال أو إلى تكذيب، فجاء إلى أمير المؤمنين عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- فطلب منه المبادرة في حسم هذا النزاع وأن يجمع المسلمين على مصحفٍ واحد.

وكان المسلمون لهم مصاحف متعددة فيها مخالفات، قراءات، واختلاف في الترتيب -ترتيب السور-، فحذيفة خشي من هذا الاختلاف أن يؤول إلى فتنة وإلى شر، فأمر عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أو أشار على عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أن يجمع الناس على مصحفٍ واحد، فجمع المصاحف التي في الأمصار وشكل لها لجنة من العلماء -من علماء الصحابة- وقراء الصحابة، وأمرهم أن يكتبوا مصحفًا واحدًا محتملاً للقراءات السبع أو العشر، يعني الرسم واحد، لكنه يحتمل قراءات، يحتمل القراءات، فأمرهم فاجتمعوا بعد ترددٍ وبعد تثاقلٍ؛ لأن الأمر هذا ما هو سهل، هذه قضية ليست سهلة، ولكن عثمان -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لقوة إيمانه وقوة حرصه على جمع الأمة أقدم عليها بمشورة حذيفة بن البيان، فكتبوا مصحفًا واحدًا على رسمٍ واحد يسمى الرسم العثماني.

ثم أمر ببقية المصاحف فأحرقت، ونسخ من هذا المصحف نسخ بعدد الأقاليم، ووزعها على الأقاليم فبقي هذا المصحف، وكان هذا من حفظ الله لهذا القرآن، كما قال -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فبقي هذا المصحف بأيدي الأمة والله الحمد، ويسمى بالمصحف العثماني والرسم العثماني.

المذيع: شيخنا طبعًا مع الاختلاف بين القرآن والسنة، هل لأحد أن يتمنى أن الصحابة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُم- أيضًا كتبوا السنة؟ نعم، هل لأحد أن يتمنى ذلك؟ كيف؟ أنه ليت عمر -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- أو عثمان قام عمر شهرًا يستخير الله أن يكتب السنة.

الشيخ صالح: الرسول منع من كتب الأحاديث في عهده - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لئلا يختلط القرآن بالسنة، فلما توفي النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أمن هذا المحذور؛ لأن الوحي انقطع وانتهى، انتهى الوحي وانتهى نزول القرآن للمحذور فلذلك بدأوا يدونون السنة ويكتبونها، وكان في عهد النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من يكتب لكنه يكتب لنفسه خاصة، أما الكتابة العامة فإنما حدثت بعد وفاة الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لأن المحذور انتهى، لأن الوحي انتهى، والقرآن والله الحمد تكامل، والدين تكامل، فحين إذ زال المحذور، ولما خشوا على السنة من الضياع قاموا بجمعها وتدوينها وترتيبها.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال - رَحِمَهُ اللهُ -: [فأفاد ذلك بشيئين:

أحدهما: تحريم الاختلاف في مثل هذا.

والثاني: الاعتبار بمن كان قبلنا، والحذر من مشابهتهم].

الشيخ صالح: أي نعم، تضمن أمرين:

- الأمر الأول: الاختلاف في الأشياء التي لا تحتمل الاختلاف، مثل هذه المسألة بين ابن مسعود والرجل الآخر ما تحتمل الاختلاف؛ لأن كلاً منهما على حق، فلا مجال لأن ينكر أحدهما على الآخر.
- والأمر الثاني: الحذر من أن تقع فيما وقع فيه المختلفون، من كان قبلنا من الذين ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وهذا من التشبه، والكتاب هذا كله بتحريم التشبه بالكفار، ومن ذلك تشبه بهم في الاختلاف، نعم.

(١٦٣) غالب ما يقع من الخلاف في هذه الأمة هو من إنكار ما مع الآخر

من الحق

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [واعلم أن أكثر الاختلاف بين الأمة الذي يورث الأهواء؛ تجده من هذا الضرب، وهو: أن يكون كل واحد من المختلفين مصيباً فيما يثبت، أو في بعضه مخطئاً في نفي ما عليه الآخر، كما أن القارئ كل منهما كان مصيباً في القراءة بالحرف الذي علمه، مخطئاً في نفي حرف غيره].

الشيخ صالح: فإن الذي وقع في الأمة غالبه من هذا النوع، وهو إنكار ما مع الآخر من الحق، ولو أن كل طرفٍ اعترف بما مع الآخر من الحق ما حصل اختلاف، إنما الاختلاف حصل لما ظهر للطرف أن الآخر مخطئ، وأنه ليس على صواب، فلذلك حصل الاختلاف المذموم، فالاختلاف إذا كان من اختلاف التنوع، فإنه لا يجوز الوقوع فيه؛ لأن كلا الطرفين محق، وقد يكون طرفٌ محق من وجه ومخطئ من وجه، والطرف الثاني كذلك محق من وجه ومخطئ من وجهٍ آخر؛ فنقبل ما هو صواب، ولو كان مع المخالف، نقبل الصواب ونرد الخطأ، هذا هو الطريق الصحيح، نرد ما معه من الخطأ ونقبل ما معه من الصواب، وبهذه الطريقة لا يحصل نزاع يؤدي إلى المحذور، نعم.

المذيع: قال: [فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب].

الشيخ صالح: الذي وقع من ابن مسعود والرجل الآخر هو من هذا أن كلاً منهما مُصِرٌّ على ما معه من الحق، ومنكرٌ لما مع غيره من الحق، وهذا هو الآفة.

المذيع: قال: [فإن أكثر الجهل إنما يقع في النفي الذي هو الجحود والتكذيب، لا في الإثبات، لأن إحاطة الإنسان بما يثبت أسير من إحاطته بما ينفيه].

الشيخ صالح: نعم، فالإنسان مما يجب عليه أنه يتوقف عما لا يعلم؛ لأنه لا يعلم كل شيء، فإذا خفي عليه شيء فإذا لا ينكر، لكن يثبت أولاً، لا يتسرع يعني في الإنكار حتى يثبت؛ لأنه ربما يكون مع المخالف وجهٌ من

الصواب، فإذا أنكرت ما معه أنكرت الحق، فالواجب في هذه الأمور التؤدة والتثبت، والتروي، قبل أن تنكر ما مع الآخر، نعم.

١٦٤) الأمر باتباع المحكم، والنهي عن اتباع المتشابه

المذيع: قال: [ولهذا نُهِيتْ هذه الأمة أن تضرب آيات الله بعضها ببعض؛ لأن مضمون الضرب: الإيذان بإحدى الآيتين والكفر بالأخرى - إذا اعتقد أن بينهما تضادا - إذ الضدان لا يجتمعان].

الشيخ صالح: نعم الله - جَلَّ وَعَلَا - يقول: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]،

فالله قَسَمَ القرآن الى محكم ومتشابه، وأمر برد المتشابه الى المحكم، ولكن بعض الناس يأخذ طرف ويترك الطرف الآخر، وهذا هو الزيغ - أعود بالله -، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، فأهل الزيغ لا يردون المتشابه إلى المحكم، بل يأخذون المتشابه لأجل الفتنة، ولجهلهم أيضا بالشرع، فهذا هو الذي أوقع كثيرا من الناس في هذه المصائب، أنهم يأخذون بطرف من النصوص ويتركون الطرف الآخر والقرآن يفسر بعضه بعضا ويوضح بعضه بعضا؛ لأنه من عند الله، والذي من عند الله لا يختلف أبدا.

ولهذا الراسخون في العلم يردون المتشابه إلى المحكم، ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ * رَبَّنَا لَا تَرِغْ قُلُوبَنَا﴾ [آل عمران: ٧، ٨]، يعني كما زاع أولئك فأخذوا بالمتشابه، أخذوا بطرف وتركوا الطرف الآخر، والنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما خرج على أصحابه في هذه القصة التي ذكرها المؤلف - رَجَمَهُ اللهُ -، وهم يتنازعون في القرآن كل واحد يحتج بآية، قال: < لا تضربوا كتاب الله بعظه ببعضه إنا أهلك من كان قبلكم... كذا وكذا >.

الواجب أن المسلمون يعتقدون أن كلام الله كله حق، وأنه لا يتعارض، ولا يتناقض وأن كلام الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كذلك كله حق لا يتعارض ولا يتناقض.

فإذا أشكل عليك شيء من النصوص أو من الأدلة فإنك لا بد أن تراجع النصوص الأخرى، ربما يكون هذا الذي معك منسوخاً، ربما يكون مطلقاً وهناك ما يقيد، ربما يكون هذا عام والذي معك عام، وهناك ما يخصه، فهذه الأمور لا يتفطن لها إلا الراسخون في العلم، وأما الجهلة وأما المتعاملون فهم يأخذون ببعض النصوص ويتركون البعض الآخر، ويقولون نحن نحتذي بكتاب الله أو بسنة رسول الله وقد كذبوا، لم يستدلوا بكتاب الله، إذا أخذت طرفاً وتركت الطرف الآخر، فأنت لم تستدل بكتاب الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وإنما أخذت المشابه، فالذي يستدل بكتاب الله يجمع بين النصوص، ويفسر بعضها ببعض، ويقيد مطلقها، ويبين مجملها ومشكلها، هذا هو الراسخ في العلم، نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال - رَحِمَهُ اللهُ -: [ومثل ذلك: ما رواه مسلم - أيضاً - عن عبد الله بن رباح الأنصاري أن عبد الله بن عمرو قال: "هجرت إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوماً، فسمع أصوات رجلين اختلفا في آية، فخرج علينا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يعرف في وجهه الغضب، فقال: <إنها هلك من كان قبلكم من الأمم باختلافهم في الكتاب>".

قال - رَحِمَهُ اللهُ -: فعلم غضبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأن الاختلاف في الكتاب سبب هلاك من كان قبلنا، وذلك يوجب مجانبة طريقهم في هذا عيناً، وفي غيره نوعاً].

الشيخ صالح: الله - جَلَّ وَعَلَا - يقول: ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، فلا

يجوز الاختلاف في القرآن بأن نقول هذه الآية تدل على كذا والآية الأخرى تدل على نقيض ما دلت عليه هذه الآية وتخالفها، هذا لا يجوز في كلام الله - عَزَّ وَجَلَّ -؛ لأن كلام الله لا يتناقض فإذا أشكل عليك شيء فلا تقدم

على تسرع بالبت بالحكم، فإن كنت تحسن الرجوع إلى الآيات الأخرى والنصوص الأخرى، فإنك يجب عليك الرجوع إليها، ليزول ما عندك من الإشكالات، وإن كنت لا تحسن الرجوع فتوقف واسأل الراسخين في العلم، وأما أن كل واحد يأخذ بآية يقول هذه تدل على تحريم كذا، ويقول الآخر الآية الأخرى تدل على حل هذا الشيء، ما يمكن شيء يكون حلال في آية وحرام في آية أخرى أبداً.

لابد هناك ما يزيل هذا الإشكالات، وذلك بالجمع بين النصوص، ربما تكون هذه الآية التي أخذت بها منسوخة، والآية الأخرى ناسخة لها، ولا يجوز البقاء على المنسوخ، بل يجب الأخذ بالناسخ ربما تكون هذه الآية مطلقة وهناك آية مقيدة لها، ولا يجوز الأخذ بالمطلق دون نظرٍ إلى المقيد، بل يجب حمل المطلق على المقيد، تكون هذه الآية مثلاً عامة، وهناك آية خاصة، فيحمل العام على الخاص، وهذه طريقة لا يحسنها إلا أهل الرسوخ في العلم، ولذلك دون الفقهاء العلماء والمفسرون -رحمهم الله- دونوا أصول التفسير، يعني التفسير ما هو باعتباري وعفوي تفسير له قواعد وله ضوابط لابد أن يتقنها المفسر قبل أن يدخل في التفسير.

ولذلك قعدوا قواعد سموها: (أصول التفسير) يقرأها طالب العلم، طالب التفسير حتى يتمشى عليها، فهي تزول عنه هذه الإشكالات، ولشيخنا الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رَحِمَهُ اللهُ- رسالة اسمها "دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب"، وهي مطبوعة ومتداولة فيها إعانة لطالب العلم تعطيه طريقة صحيحة يتمشي عليها وتزيل عنه الإشكالات التي ترد على الجهال والمتعلمين في كتاب الله -عزَّ وَجَلَّ- نعم.

المذيع: إذا المراد "بالاختلاف المنهي عنه" أن يأخذ كل من المختلفين آية يزعم أنها ضد الأخرى؟

الشيخ صالح: أي نعم، أن يأخذ طرف ويترك الطرف الآخر، لأنه ما أخذ بالقرآن إذا أخذ طرف وترك الطرف بالقرآن، نعم.

١٦٥) بيان أن اختلاف أهل الكتاب في الكتاب سبب لهلاكهم، وهذا

يوجب مجانبته طريقتهم

المذيع: [ثم عقد المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - على هذه العبارة لبيان سير الكتاب بأن الصراط المستقيم يقتضي مخالفة أصحاب الجحيم.

قال: فعلى غضبه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بأن الاختلاف في الكتاب سبب هلاك من كان قبلنا، وذلك يوجب مجانبته طريقتهم في هذا عينا، وفي غيره نوعا].

الشيخ صالح: نعم، هو هذا، الله - جَلَّ وَعَلَا - يقول: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٧٦]، نعم، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، ويقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فالله حذرنا، والرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حذرنا أن نقع فيما وقع فيه من كان قبلنا من الاختلاف في كتاب الله، مع أن كتاب حق كله، لا يعارض بعضه بعضا، ولا يناقض بعضا، بل يحتاج إلى من عنده بصيرة وعنده علم وعنده معرفة لأسرار القرآن، وأسلوب القرآن، حتى يُرْجَع بعض الآيات إلى ويظهر المقصود منها جميعا.

أما إذا قطعت آية وتركت الآية الأخرى ما ظهرت بنتيجة، بل ظهرت بخطأ، ظهرت بضلال وإن كنت تزعم أنك تستدل بالآية، والآية لا تدل على ما أردت؛ لأنها ما يصلح الاستدلال وحدها إلا مع الآية الأخرى التي تبينها وتوضحها، والله - جَلَّ وَعَلَا - أحكم هذا القرآن: ﴿كِتَابٌ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، لا يمكن أن يتعارض كلامه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى - إلا على من لم يُعْطِ العلم، أو أنه صاحب هوى، يريد تضليل الناس ويوجب آية من المتشابهة ويقول هذا القرآن يدل على كذا، فنقول له كذبت، القرآن لا يدل على كذا،

القرآن يفسر بعضه بعضاً، نحن نرجع إلى الآية الأخرى، فهي تفسر هذه الآية، ونفسر كلام الله بكلام الله -عزَّ وجلَّ-، أو بكلام رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الذي وَكَّلَ اللهُ له بيان القرآن، نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس والعشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامجكم اقتضاء الصراط المستقيم، اصحاب الجحيم لشيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-، يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

١٦٦) بداية الاختلاف في الكتاب، واستمرار الخلاف عقوبة لعدم

الرجوع للكتاب

المذيع: تحدث المؤلف -رحمه الله تعالى- عن الاختلاف في الكتاب، وسبق الحديث عن ذلك في حلقتنا

السابقة، وقفنا عند قوله: [والاختلاف على ما ذكره الله في القرآن قسماً]:

أحدهما: يذم الطائفتين جميعاً، كما في قوله: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، ولذلك

خلقهم، فجعل أهل الرحمة مستثنين من الاختلاف، وكذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ

الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، وكذلك قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوْتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ

بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩]، وذكر آيات لذلك في الصلب الأول من هذا الاختلاف المذموم.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله

وأصحابه أجمعين، أما بعد:

فإن الله - سبحانه وتعالى - خلق الخلق لعبادته، كما قال - تعالى -: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

[الذاريات: ٥٦]، وأرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان التوحيد، وإفراد الله بالعبادة، وكانوا على التوحيد من بعد آدم وعلى شريعة آدم إلى مُضَيِّ عشرة قرون، وهم على التوحيد، ثم حدث الشرك في قوم نوح، لما غلوا في الصالحين، ود وسواع ويعقوب ونسرا.

فعبدوهم من دون الله - عز وجل -، فكان هذا أول اختلاف في كتاب الله - عز وجل - يعني مخالفة للكتاب، ليس اختلافًا في الكتاب وإنما هو مخالفة للكتاب.

قال - تعالى -: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ

النَّاسِ فِيمَا اختلفُوا فِيهِ وَمَا اختلفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أوتوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا

لَمَّا اختلفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فهؤلاء بقوا على الكتاب

والعمل به، وأولئك خالفوا الكتاب، وعبدوا الأولياء والصالحين، واختلفوا فيما بينهم، ونشأ الخلاف، ففرقت المعبودات؛ لأنهم لما تركوا التوحيد ففرقوا في معبوداتهم، فكل يعبد ما راق له، واستهواه مما يستحسنه بعقله، والعقول لا شك أنها تختلف، والاستحسانات تضطرب، فلما تركوا الكتاب بلوا بالاختلاف.

ولهذا قال - سبحانه وتعالى -: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود: ١١٨]، لما حدث فيهم الاختلاف في الأول، واستمر

عقوبة لهم، لما لم يرجعوا إلى الكتاب، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، وهم الذين

بقوا على الحق، فهؤلاء رحمهم الله - سبحانه وتعالى - فبقوا على الحق، وهذا كما في الحديث: "وستفترق هذه الأمة

على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة"، قالوا: من هي يا رسول الله؟ فقال - صلى الله عليه وسلم -:

"مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي"، فالذين تمسكوا بالكتاب وبقوا عليه وثبتوا عليه هؤلاء هم أهل الرحمة، وأما الذين اختلفوا في الكتاب فهم أهل العذاب والشقاق البعيد، ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اختلفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، يعني ليس قريباً، وهذا دأب كل من خالف الكتاب والسنة، في كل زمانٍ ومكانٍ، فإنه يُبتلى بالاختلافات الكثيرة والمشادات والمنازعات والخصومات، ولا ينتهي أمرهم إلى شيء؛ لأنهم لم يبنوا على أصل، لما تركوا الحق ابتلوا بالباطل، والله - جل وعلا - يقول: ﴿فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُضْرَفُونَ﴾ [يونس: ٣٢].

فالذي يُريد الوفاق والاتفاق يتمسك بكتاب الله، ولذلك أهل السنة والجماعة لم يختلفوا بينهم - والله الحمد - في أمور العقيدة وأمور الإيمان، وأما الاختلاف في الاجتهادات الفقهية؛ فهذا أمر مطلوب إن الإنسان يبذل وسعه لتحري الحق، واستنباط الفقه من الأدلة، فإن أصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجرٌ واحدٌ، والخطأ مغفور. لكن إذا تبين له الخطأ أو لغيره فعليه الرجوع إلى الصواب.

١٦٧) النهي عن الاختلاف كله والتشديد في الاختلاف المبني على

التعمد والعناد

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: [وقوله: ﴿لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختلفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾]

[آل عمران: ١٠٥]، وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

الشيخ صالح: الله - جل وعلا - ينهانا عن التشبه بهم، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاختلفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، هذا نهي من الله - سبحانه وتعالى - أن نتفرق في أمور

الدين والعبادة والعقيدة، كما اختلف الذين من قبلنا ولم يختلفوا عن جهلٍ أو عن اجتهادٍ، وإنما اختلفوا عن تعمد وعناد من بعد.

ولهذا قال: ﴿مَنْ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ يعني ليسوا على جهل، وإنما قد بين الله لهم طريق الصواب كلهم لم يقبلوه، وإنما اتبعوا أهواءهم، فالله هنا أن تشبه بهم في ذلك، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾، هذه الآية بعد قوله - تعالى -: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

المذيع: وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩].

الشيخ صالح: قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الأنعام: ١٥٩]، يعني فرقا متناحرة، لست منهم أيها الرسول في شيء يعني إنك بريء منهم، وهم ليسوا على طريقتك ولا على سنتك، فهذا فيه النهي عن التفرق والاختلاف الذي سببه الهوى واتباع الظنون الكاذبة.

﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾، يعني فرقا؛ لأن المطلوب أن نكون أمة واحدة، وأن نكون جماعة واحدة، لا نكون متفرقين؛ لأن الفرقة عذاب والخلاف عذاب، إذا كان في أمور الدين وأمور العبادة والعقيدة فهو عذاب، وأما الاجتماع اجتماع الكلمة واتحاد الصف، فإنه رحمة يحصل به التعاون على البر والتقوى، يحصل به التراحم والتواصل، تزول به الشحناء وهكذا فيه من المصالح ما لا يعملها إلا الله - عز وجل -، فالاجتماع رحمة والافتراق عذاب، نعم.

١٦٨) صفة اختلاف اليهود والنصارى فيما بينهم

المذيع: أحسن الله إليكم، قال في ذم القسمين المختلفين أيضا وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله:

﴿فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]، ووصف

اختلاف اليهود بقوله: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

الشيخ صالح: نعم، الله -جل وعلا- وصف اختلاف اليهود، الله وصف اختلاف النصارى فيما بينهم، فقال

- سبحانه وتعالى -: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾

[المائدة: ٦٤]، فالله -جل وعلا- توعدهم لأن المفروض ألا يختلفوا وأن لا يتفرقوا، وأن يتبعوا الأنبياء ويتركوا الخلاف والفرقة فيما بينهم؛ لأن فعل لهذا الافتراق ليس هو البحث عن الحق، وإنما هو اتباع الأهواء والرغبات، فالله ذم على هذا وتوعد عليه، ومن أقرب العقوبات وأشدّها أن الله أغرى بعضهم ببعض بالعداوة: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [المائدة: ١٤].

لا ينتهي هذا ليس في يومٍ أو في شهرٍ أو في سنةٍ، وإنما يستمر ما استمر هذا الاختلاف وهذا التنازع الذي ليس له أساسٌ إلا الهوى واتباع الرغبات، فهذا لا ينتهي إلا بالتوبة إلى الله، لكن صاحب الهوى قل أن يتوب، وقل أن يرجع إلى الصواب؛ لأنه لم يترك الحق عن جهل حتى يرجع إليه، إذا تبين له، وإنما الحق متاح له من الأول، ولكنه لا يريدُه وإنما يريد اتباع هواه، فلذلك لا يرجع إلى الصواب، ولذلك يستمر الخلاف بين النصارى إلى يوم القيامة، ولا يزال الآن الواقع يشهد لهذا.

النصارى الآن مختلفون الأرثوذكس وكاثوليك والبروستانت، مختلفون ومتناحرون فيما بينهم، من أن المفروض ألا يختلفوا، أن يجتمعوا على كتابهم، وفي النهاية أن يتبعوا محمداً -صلى الله عليه وسلم- الذي هو خاتم الرُّسل والذي أمرُوا باتباعه، والدخول في دينه لكنهم اتبعوا أهواءهم، فالله -جل وعلا- ذمَّ النصارى على هذا، وذم اليهود، فقال: ﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾، ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وصفوا الله بالبخل، قال -جل وعلا-: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾.

فالله ألقى عليهم هذه الصفة وهي البخل؛ فلا يكون من اليهود إلا من هو من أبخل الناس، وما يكون من اليهود إلا وهو من أطمع الناس، وأجشع الناس، فهم يأخذون ولا يعطون، والآن هذا مُشاهد في اقتصادياتهم وفي تجاراتهم، أنهم يأخذون ويمتصون أموال الناس، ولكن لا ينفقون في وجوه الخير، أو وجوه البر أو الإحسان. النصرارى أكثر منهم تسامحا، وأجود منهم في الإنفاق على ما فيهم من الضلال والكفر، لكن اليهود هم أبخل الناس؛ لأنهم لما وصفوا الله بالبخل الله ألقى هذا عليهم، وعاقبهم به، ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة: ٦٤]، هذا الشاهد: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾ [المائدة: ٦٤] هذا الشاهد وهذا نتيجة اختلافهم .

وهذا نتيجة الاختلاف، هذا نتيجة اختلافهم في دينهم واختلافهم على الأنبياء، يعني مخالفتهم هذه نتيجة فعلهم، ولذلك نهانا الله عن التشبه بهم في الاختلاف، وقال في الآية الثالثة: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [المؤمنون: ٥٣]، كل أمرهم بينهم زبرا، الله -جل وعلا- يقول: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ * ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾ [المؤمنون: ٥٢، ٥٣]، يعني اختلفوا، ما أخذوا بوصية الله - سبحانه وتعالى-، وكانوا أمة واحدة يعبدون رباً واحداً.

خالفوا ذلك فتقطعوا أمرهم بينهم يعني اختلفوا. زبرا كل عنده مؤلفات وكتابات يؤم الآخر ويمدح نفسه، وإنه على الحق ويرى الباطل، وهذا من تمام الفتنة، أن أهل الاختلاف يتلون بجداول عقيم، حتى يُخيل إلى كل منهم أنه هو الذي على الحق والآخر على الباطل، ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]،

وهذا من تمام الابتلاء والامتحان؛ لأن الإنسان لما لم يكن على ثقة مما هو عليه قد يرجع إلى الصواب، لكن إذا كان على ثقة مما هو عليه إلى حد الفرح به أنه هو على الحق وغيره على الباطل مع أنه أصلاً ليس على حق، وإنما هو شيء هو الذي يحدث، ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا﴾، هم الذين أحدثوا هذا، يعني بدل القرآن وبدل الكتب المنزلة، جعلوا كتباً من عندهم يتمسكون بها، فلذلك فرحوا ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ [غافر: ٨٣].

١٦٩) النهي عن مسلك الأمم السابقة، وعن مخالفة الكتاب والسنة

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: [وكذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- لما وصف أن الأمة تفرق على ثلاث وسبعين فرقة؛ قال: <كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة>، وفي الرواية الأخرى: <من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي>، فبين: أن عامة المختلفين هالكون من الجانبين، إلا فرقة واحدة، وهم أهل السنة والجماعة].

الشيخ صالح: نعم، النبي -صلى الله عليه وسلم- أخبر خبراً معناه النهي والتحذير، فقال -عليه الصلاة والسلام-: <افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافتترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة>، ووقع ما أخبر به -صلى الله عليه وسلم- فحصل الاختلاف في هذه الأمة، تشعبت بهم الأهواء، وانحازوا عن الحق، وكل ذهب إلى طريق، كل ذهب إلى مذهب، وكل ذهب إلى رأي، ويرى أنه محق وإنما وأن غيره على الباطل ولا الحق أن كل أنهم كلهم على الباطل، ولهذا قال كلها في النار؛ لأنهم لما ترك الحق في النار إلا واحدة، ما هي الواحدة؟ بينها النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: <من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي>، فدل على أنه لا نجاة من النار إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة، ولهذا بالفرقة الناجية من النار.

لأن الله وصف الفرق كلها بالنار إلا هذه الفرقة الناجية، فهي ناجية من النار، وهم أهل السنة والجماعة، وهم أهل الحق في كل زمان ومكان، فلا إلا بهذا، فهذه الأمة مثل الأمم السابقة، من بقي منها على الحق فإنه ينجو، ومن خالف الحق فإنه يهلك، والهلاك يختلف، <كلها في النار إلا واحدة>، كلها في النار إما لضلالها وإما لفسقها وإما لكفرها، فكونهم في النار لا يدل على كفر الجميع، بل يدل على أنهم كلهم في النار لكن منهم من يكون في النار؛ لأنه كافر مخلد فيها، ومنهم من يكون في النار؛ لأنه مرتكب لكبيرة من كبائر الذنوب، ومنهم من يكون في النار؛ لأنه عاصٍ معصية دون الكبيرة، وكلهم في النار بحسب مخالفاتهم، وبحسب ضلالهم، المهم أن الفرقة عذاب، وهذا معني ما قاله ابن مسعود -رضي الله عنه- يقول: يا ابن أخي الفرقة شر"، لا شك أنها شر، وأنها عذاب؛ فلهذا النبي -صلى الله عليه وسلم- في هذا الحديث أخبر خبراً معناه التحذير.

ثم أن الفرق التي تنتسب إلى الإسلام أكثر من ثلاث وسبعين، كما هو موجود الآن في كتب الفرق والملل والنحل أكثر من ثلاث وسبعين، لكن هذه فروع، وأما الأصول فهي لا تخرج عن ثلاث وسبعين كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

الحاصل من هذا كله: أن الله نهانا أن نسلك مسلك الأمم قبلنا من الاختلاف. وثانياً، أن من ترك الكتاب والسنة فإنه هالك إلا أن يتوب، ويرجع إلى الكتاب والسنة.

١٧٠) أسباب الاختلاف المذموم

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله-: [وهذا الاختلاف المذموم من الطرفين يكون سببه تارة: فساد النية؛ لما في النفوس من البغي والحسد وإرادة العلو في الأرض ونحو ذلك، فيحب لذلك ذم قول غيرها، أو فعله، أو غلبته لتمييز عليه، أو يحب قول من يوافق في نسب أو مذهب أو بلد أو صداقة، ونحو ذلك، لما في قيام

قوله من حصول الشرف والرئاسة وما أكثر هذا من بني آدم، وهذا ظلم، ثم ذكر سبباً آخر غير فساد النية، وهو الجهل.

الشيخ صالح: نعم، هذا الاختلاف المذموم أهله كلهم الذين خالفوا الحق ورفضوه اختلفوا؛ لأنهم لما تركوا الحق تاهوا في الباطل، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، والله -جل وعلا- يقول: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدْ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٣٧].

هذا الاختلاف المذموم أهله كلهم لا طرف دون طرف له أسباب:

أولها وأخطرها اتباع الهوى واتباع رغبات النفس، فهذا هو أخطر أنواع الخلاف الذي يكون الدافع إليه الهوى، اتباع الهوى والدافع إليه، طلب الرئاسة وطلب الاستعلاء على الناس، والكبرياء على الناس، هذا هو أخطر أنواع الاختلاف، وهؤلاء هم الذين يريدون علواً في الأرض فساداً -نسأل الله العافية-، نعم.

المذيع: قال: [وهذا ظلم].

الشيخ صالح: وهذا ظلم؛ لأنه مخالفة للحق، وضلال، وظلم؛ لأنه على التظام بين المختلفين، وكل طائفة تبغي وتطغى على الأخرى وتريد أن تستبد بالأمر من دونها، فهذا يحمل على البغي والعدوان، نعم.

المذيع: [ويكون سببه -تارة- جهل المختلفين بحقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر].

الشيخ صالح: وهذا سبب من أنواع الاختلاف المذموم، وهو الجهل وأخف من الأول، لكنه مذموم أيضاً؛ لأن المفروض في الجاهل أن يسأل أهل العلم، ولا يعتمد على رأيه، ينحاز إلى طريق غير صحيح، يظنه هو

الصحيح، فإن الله -جل وعلا- يقول: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء:٧]، فالواجب على الجاهل أن يسأل العالم، وأن يأخذ بما يرشد إليه، فلما لم يسألوا أهل العلم وركبوا رؤوسهم وجهلهم وظنوا أنهم علماء، وهذا هو واقع كثير من الناس اليوم؛ خصوصاً المتعلمين الذين نشأوا على الورق وعلى الكتب، دون أن يأخذوا عن العلماء، وعن المقررات الدراسية المنضبطة، لما أخذوا بهذا اختلفوا واستغنوا عن العلماء اختلفوا بينهم وتناحروا، حتى آل الأمر بهم إلى التقاتل، والظلم والعدوان -نسأل الله العافية-.

فالواجب على الجاهل أن يتوقف، وألا يمضي في طريقه؛ حتى يسأل أهل العلم، الواجب عليه أولاً أن يتعلم، الواجب عليه أولاً أن يتعلم حتى يعرف الحق، والتعلم ميسور والله الحمد.

ثانياً: إذا لم يمكنه التعلم أن يسأل أهل العلم.

ثالثاً: إذا لم يمكنه التعلم ولا سؤال أهل العلم يتوقف، يعترف بجهله ويتوقف إلى أن يبسر الله له البيان، نعم.

المذيع: قال: [يكون بجهل حقيقة الأمر الذي يتنازعان فيه لا يعرفان الحقيقة، أو الجهل بالدليل الذي يرشد به أحدهما الآخر].

الشيخ صالح: أي نعم، وهذا له سبب أن الجهل له سببان:

السبب أنه يجهل القول الذي يقول به هل هو صواب ولا خطأ؟ مما يعني يكون عنده شك في قوله هذا أنه صواب، وأنه، فهذا هو حمله على المضي في الضلال، وإلا لو كان عنده شك لما تسرع في هذا الأمر، أو الجهل بالدليل الذي يبيّن عليه، لأن الرأي وحده لا يكفي، لا بد أن يكون مربوطاً بالواجب، ومن ارتبط بالدليل؛ فإنه لا يضل، قال -تعالى-: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨]،

﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾.



المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس والعشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة -رَحِمَهُ اللهُ-، يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور/ صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(١٧١) الجهل والظلم أساسا كل شر

المذيع: ذكر المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- أن الاختلاف يكون سببه أحيانا الاختلاف في الكتاب، سببه أحيانا فساد النية، قال: [وهذا ظلم]، وأحيانا يكون سببه الجهل، قال: [والجهل والظلم: هما أصل كل شر، كما قال -سبحانه-: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، صلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، قال الله -تعالى-: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

يخبر - **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** - أنه عرض الأمانة، وهي التكاليف الشرعية، عرض تخيير لا عرض إلزام على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملن، اخترن العافية والسلامة، وأشفقن منها، يعني الذي حمل الأرض والسماوات والجبال على عدم تحمل الأمانة الإشفاق منها، يعني الخوف من تبعاتها.

(١٧٢) تحذير الله من الظلم. ويجب التروى في الحكم

فهم آثروا السلامة على الغنيمة، لذلك أبين أن يحملنها، وحملها الإنسان - آدم وذريته - طمعاً في الأجر والثواب، فآثروا الغنم والرجاء على الخوف.

ثم انقسموا إلى أقسام، منهم من رفض القيام بالأمانة ظاهراً وباطناً وهم المشركون والمشركات، ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [الأحزاب: ٧٣]، انقسموا بعد تحمُّ لهم للأمانة إلى ثلاثة أقسام:

- قسم رفضوها ظاهراً وباطناً وهم المشركون.
- وقسم تحملوها ظاهراً دون البغي وهم المنافقون والمنافقات وأظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر.
- وقسم تحملوها ظاهراً وباطناً وهم المؤمنون.

ولهذا قال: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٣]، الشاهد من هذه الآية ما ذكره الشيخ: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾، فهذا الذي سبب له أنه يتحملها، وأنه يخاطر طلباً للأجر، فهذا الذي أوقعه الظلم والجهل، فهما داءان خطيران في الإنسانية، فلا يكون الشر إلا من هذين الوصفين، إما الظلم وإما الجهل.

فهذا فيه التحذير من الظلم، وهو الاعتداء على الناس، التعدي عليهم.

والظلم ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- ظلم الشرك: وهو ما بين العبد وبين ربه بالشرك.
 - وظلم الناس: وهو التعدي عليهم.
 - وظلم النفس: وذلك بالمعاصي والذنوب التي لا تتعلق بالناس، وإنما تتعلق بالنفس.
- فالإنسان فيه أنواع الظلم الثلاثة: إما ظلم الشرك، وإما ظلم الناس، وإما ظلم النفس.
- والجهل أيضًا، والمراد بالجهل هنا ليس عدم العلم، وإنما الجهل عدم الحلم.

ألا لا يجهلن أحد علينا== فنجهل فوق جهل الجاهلين

فالجهل يُطلق ويُراد به عدم الحلم، وعدم التأني التروي في الأمر، والنظر في العواقب؛ هذا هو الجهل، ولهذا قال:

﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، ليس الجهالة معناها المعرفة بالحكم الشرعي، لا،

الجهالة معناها المراد بها عدم التأني والحلم والتروي في الأمر.

١٧٣) أقسام الاختلاف

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [أنواع الاختلاف

أما أنواعه: فهو في الأصل قسمان: اختلاف تنوع واختلاف تضاد]، ثم ذكر منها.

الشيخ صالح: نعم، الاختلاف ينقسم إلى قسمين:

- اختلاف تنوع: وهو أن يختلف العلماء في مسألةٍ من المسائل؛ نظرًا لأن الدليل يحتمل أكثر من وجه، فكل يأخذ بوجه من وجوه الآية أو الحديث، فهذا اختلاف تنوع، وهذا لا يُذم فيه، إلا إذا تبين الدليل فإنه يجب الرجوع إلى الدليل.

▪ الثاني: اختلاف تضاد: وهو أن يكون كل من المختلفين ليس معه وجه من الدليل، كل منهم خارج الدليل، هذا اختلاف تضاد، وهو المذموم.

المذيع: قال: [واختلاف التنوع على وجوه: منه ما يكون كل واحد من القولين أو الفعلين حقاً مشروعاً، كما في القراءات التي اختلف فيها الصحابة، حتى زجرهم رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وقال: <كلاهما محسن>].

الشيخ صالح: نعم، سبق في حديث ابن مسعود أنه سمع قارئاً يقرأ بعض الآيات على غير ما يعلمه ابن مسعود، فأخذه إلى الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسمع قراءة ابن مسعود، وقراءة الرجل لهذه الآية، قال: <كلاهما محسن>، يعني متبع؛ لأن القرآن جاء على سبعة أحرف، وجاءت القراءات السبع والعشر كما هو معلوم، وهذا من تيسير الله لهذا القرآن، وكلهم تلقوا عن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكل قراءة من هذه القراءات حق، ولها سند إلى الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهي لا تختلف فيما بينها، المعني واحد، وإن اختلفت بعض الحروف، وإن اختلفت بعض الحروف، فهذا لا يغير المعنى.

هذه القراءات السبع أو العشر، وهي إن اختلفت بعض الحروف فإن المعني واحد، مثل (يعلمون وتعلمون)، ونحو ذلك يعني بالياء أو بالتاء، المعني واحد، لكن وإن اختلفت الحرف بالياء أو بالتاء.

١٧٤) الاختلاف المبني على روايات لا يذم

المذيع: قال: [ومثله اختلاف الأنواع في صفة الأذان، والإقامة، والاستفتاح، والتشهدات، وصلاة الخوف، وتكبيرات العيد، وتكبيرات الجنائز إلى غير ذلك مما قد شرع جميعه، وإن كان قد يقال إن بعض أنواعه أفضل من بعض].

الشيخ صالح: نعم، ومن ذلك اختلاف الروايات في المسألة الواحدة، فبعض العبادات جاءت على صفات: مثل الأذان، مثل الإقامة، مثل تكبيرات العيد، التي في الخطبة أو في صلاة فيها، ومثل مسائل كثيرة وردت فيها روايات وأحاديث، فدل على أن كل من أخذ بصفة من هذه الصفات فهو على حق؛ لأن معه دليلاً من الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلا وجه للإنكار في ذلك، نظراً لتعدد الأدلة، وكل أخذ بدليل. فالاختلاف المبني على الروايات، هذا لا يُذم؛ بل هو عملٌ بجميع هذه الروايات، نعم.

المذيع: قال: [ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف؛ ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيثارها، ونحو ذلك، وهذا عين المحرم].

الشيخ صالح: نعم، وهذا كما ذكرناه أو كما ذكر الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ-، هذا لا يُذم عليه؛ لأن من أخذ بدليل لا يعترض على الآخر الذي معه دليل آخر، وهذا يدل على سعة التشريع، الحمد لله، المهم الدليل، وكثرة الروايات تدل على التخيير بين هذه الصفات، فمن فعل صفةً منها فإنه على حق، وليس للطرف الآخر أن يُنكر عليه، أنت معك دليل وهو معه دليل.

١٧٥) لا إنكار في مسائل الاجتهاد

مثلاً أنواع الاستفتاح في الصلاة، ورد في رواية: "فمن أخذ باستفتاح لا ينكر عليه من أخذ باستفتاح آخر مما ورد"، مثلاً وضع اليدين في القيام في الصلاة: "من وضع يديه على صدره، من وضع يديه على سرتة، من أرسل يديه، كل منهم له احتمال وله دليل"، والمسألة سنة ما هي واجب ولا ركن، فيها سعة الحمد لله، فلا وجه للإنكار على... مثلاً: الذي يدخل المسجد وقت النهي، إن جلس لا يُنكر عليه؛ لأن الرسول نهي عن الصلاة في هذا

الوقت - صلاة النافلة-، ومن صلى لا يُنكر عليه؛ لأن معه دليل وهو: <إذا دخل أحدكم المسجد، فلا يجلس حتى يصلي ركعتين>، فلا يُنكر الواحد على الآخر.

ولهذا قالوا: لا إنكار في مسائل الاجتهاد.

المذيع: قال: [ثم نجد لكثير من الأمة في ذلك من الاختلاف؛ ما أوجب اقتتال طوائف منهم على شفع الإقامة وإيثارها، ونحو ذلك].

الشيخ صالح: على شفع الإقامة: يعني يكرر مرتين الله أكبر الله أكبر، أشهد أن لا إله إلا الله أشهد أن لا إله إلا الله، بينما المشهور الإيثار، إيثار الإقامة وشفع الأذان، فمن أخذ بالشفع لا يُنكر عليه؛ لأنه ورد في بعض الأدلة، ومن أخذ بالإيثار لا يُنكر عليه، فكلٌ منهم أخذ بدليل، فدل على أن الأمر واسع، نعم.

المذيع: قال: [ومن لم يبلغ هذا المبلغ؛ فتجد كثيرا منهم في قلبه من الهوى لأحد هذه الأنواع والإعراض عن الآخر أو النهي عنه، ما دخل به فيما نهى عنه النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -].

وإن لم يبلغ حد الاقتتال.

الشيخ صالح: وشاهدوا هذا الواقع الآن فكثير من المتعاملين يتصارعون الآن على المسائل التي من هذا النوع، التي يسوغ فيها الاختلاف المبني على أدلة وعلى روايات كل أخذ برواية، كل أخذ بحديث، والأمر واسع في هذا، وهم يقتتلون على هذا، ويتعادون ويتقاطعون.

أنت ما تقبض في الصلاة، أنت ترسل في الصلاة، أنت كذا، أنت مُخَالِف، أنت مبتدع إلى غير ذلك، وهذا لجهلهم، وضيق أفقهم العلمي؛ والواجب على الإنسان ألا يُنكر حتى يتحقق من الأمر، ويتثبت من الأمر، ويعرف ما مع المخالف من الدليل أو عدم الدليل.

١٧٦) أقسام اختلاف التنوع

المذيع: أحسن الله اليكم قال: [ومنه: -أي اختلاف التنوع- ما يكون كل من القولين هو في معنى قول الآخر؛ لكن العبارتان مختلفتان، كما قد يختلف كثير من الناس في ألفاظ الحدود وصيغ الأدلة، والتعبير عن المسميات، وتقسيم الأحكام، وغير ذلك].

الشيخ صالح: النوع الأول: ما يكون الاختلاف فيه بحسب الأدلة والروايات، هذا فرغنا منه،

المذيع: يكون كل من القولين حقاً مشروعاً.

الشيخ صالح: إي نعم، النوع الثاني: أن يكون المعنى واحداً، والألفاظ مختلفة، فكل يأخذ بلفظ وينكر على الآخر، مع أن المؤدى واحد، نعم.

١٧٧) الجهل بالأدلة يؤدي للتعصب

المذيع: قال: [ثم الجهل أو الظلم يحمل على حمد إحدى المقالتين وذم الأخرى].

الشيخ صالح: أي نعم، الجهل أو الظلم، أما الجهل بالأدلة التي مع الآخر أو الظلم وهو التعصب؛ لأن التعصب نوع من الظلم، فبعضهم يقول: "ولو كان معه دليل، أنا لا أعترف بما معه؛ لأن إمامي أعرف بالأدلة"، ولذلك "يروى أن بعض الحنفية يصلي بجانبه واحد يشير بسبابته في التشهد، كسر إصبه"، الحنفي كسر إصبع الذي بجانبه؛ لأنه من الجهل والظلم في هذا، نعم.

المذيع: قال: [ومنه ما يكون المعنيان غيرين، لكن لا يتنافيان؛ فهذا قول صحيح، وهذا قول صحيح وإن لم يكن معنى أحدهما هو معنى الآخر، وهذا كثير في المنازعات جداً].

الشيخ صالح: نعم، هذا كما سبق في الوجه الأول تقريباً، أن يكون المعنيان متغايرين لكن مع كل معنى دليل، مما يدل على أنك فعلت هذا أو فعلت هذا كله مشروع.

(١٧٨) الاجتهاد أمره واسع

المذيع: [ومنه ما يكون طريقتان مشروعتان، ورجل أو قوم قد سلخوا هذه الطريق، وآخرون قد سلخوا الأخرى، وكلاهما حسن في الدين].

الشيخ صالح: أي نعم، ومنه ما يكون كلا الأمرين مشروع من النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكل أخذ بطريق مشروع، فلا ينكر أحدهما على الآخر ويحصر الحق فيما معه؛ لأن الأمر في هذا واسع، والمدار على الدليل، سواءً أكان الدليل محتملاً لعدة معاني أو هناك أدلة لكل قول مما يدل على أن الأمر واسع، نعم.

المذيع: قال: [ثم الجهل أو الظلم: يحمل على ذم إحداهما أو تفضيلها بلا قصد صالح، أو بلا علم، أو بلا نية وبلا علم].

الشيخ صالح: أي نعم الذي يحمل على هذا هو فقدان هذه الصفات، عدم العلم، عدم التأنى والنظر والعجلة، أو التعصب أو يحمله التعصب على أن يبطل للمخالف أو يبغضه، لا يبطل به لكن يبغضه ويهجره، نعم.

(١٧٩) اختلاف التضاد قولان متضادان

المذيع: [وأما اختلاف التضاد فهو: القولان المتنافيان].

الشيخ صالح: انتهى خلاف التنوع، مثلاً خلاف التنوع، ذكروا له قول الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وأظنه سيأتي: < لا يصلين أحدٌ منكم العصر إلا في بني قريظة >، لما انتهت غزوة الأحزاب ﴿وَرَدَّ اللهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا﴾ [الأحزاب: ٢٥]،

وكانت اليهود قد خانت وانضمت إلى الأحزاب، ولما ذهب الأحزاب وانقمعوا، بقي العدو الثاني وهم اليهود، فأمر الله نبيه ألا يضع أحدٌ سلاحه بعد الكفار إلا في بني قريظة حتى يغزو بني قريظة، فخرجوا بسلاحهم، وقال لهم النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: < لا يصلين أحدٌ منكم العصر إلا في بني قريظة >، فحانت صلاة العصر وهم في الطريق، فبعضهم قال: مراد الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المبادرة؛ وليس المراد أن تؤخر صلاة العصر إلى أن نصل إلى بني قريظة فصلى في الطريق، البعض الآخر أخذ بالعكس، قال: مراد الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ألا نصلي إلا إذا وصلنا؛ فلم يصلوا في الطريق، فبلغ ذلك النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فأقر الطائفتين؛ لأن كلاً منها معه احتمال والدليل يحتمل القولين.

١٨٠ المتضادان لا يجتمعان ولا يرتفعان

المذيع: [وأما اختلاف التضاد فهو: القولان المتنافيان: إما في الأصول، وإما في الفروع].

الشيخ صالح: نعم، التضاد هو المخالفة، كلٌّ من القولين خلاف الآخر. لا يجتمع معه بوجهٍ من الوجوه هذا التضاد والضدان - كما يقولون - لا يجتمعان ولا يرتفعان، هذا هو التضاد، نعم.

المذيع: قال: [عند الجمهور].

الشيخ صالح: أما في الافق. وهو يكون في الأصول وفي العقائد، ويكون في وهو مسائل الفقه، نعم.

(١٨١) كل مجتهد مصيب في اختلاف التنوع فقط

المذيع: [عند الجمهور الذين يقولون: "المصيب واحد"، وإلا فمن قال: "كل مجتهد مصيب" فعنده: هو من باب اختلاف التنوع، لا اختلاف التضاد].

الشيخ صالح: اختلف الأصوليون هل كل مجتهد مصيب؟ عند بعض المعتزلة: أن كل مجتهد مصيب؛ لأنه فعل ما بوسعهم، وعند الجمهور لا، المصيب واحد من الطرفين لكن المخطئ مغفورٌ خطأً مغفورٌ له خطأه، هذه مسألة أصولية، نعم.

المذيع: قال: [فهذا الخطب فيه أشد؛ لأن القولين يتنافيان].

الشيخ صالح: وهذا اختلاف التضاد الخطب يعني المصيبة فيه أشد من المصيبة التي تحصل في اختلاف التنوع؛ لأن القولين يتنافيان، لا يجتمعان.

(١٨٢) لا يجوز للمخالف أن يجحد كل من معه

المذيع: لكن نجد كثيرا من هؤلاء قد يكون القول الباطل الذي مع منازعه فيه حق ما، أو معه دليل يقتضي حقا ما، فيرد الحق في الأصل هذا كله، حتى يبقى هذا مبطلا في البعض كما كان الأول مبطلا في الأصل، كما رأيت لكثير من أهل السنة في مسائل القدر والصفات والصحابة، وغيرهم.

الشيخ صالح: نعم، هذا كما سبق أنه قد يكون مع المختلفين - مع كل واحدٍ منهما شيءٌ من الحق -، فلا يجوز للمخالف أن يجحد كل ما معه بل يقبل ما معه من الحق ويرد من الخطأ، هذا هو الواجب والإنصاف، فلا أحد من الطرفين يدعي أنه هو المحق وحده، وإن مخالفه ليس معه حقٌ أصلاً، هذا من الظلم، بل الواجب أن ينظر في

قول مخالفه، فإن كان لبس معه حق؛ فإنه ينكره كله، وإن كان معه شيء من الحق؛ فإنه يقسمه؛ يقول هذا خطأ، وهذا فهو صواب، هذا هو الأصل العدل، نعم.

١٨٣) وجوب تغطية وجه المرأة عن الرجال

المذيع: شيخ في الحديث في التضاد والتنوع، الخلاف في حجاب المرأة غطاء وجه المرأة، تصنف من اختلاف التنوع أو التضاد؟

الشيخ صالح: حجاب المرأة مبني على أدلة للطرفين، وهذه الأدلة إما أدلة الذين يقولون بالسفور وعدم ستر الوجه لهم أدلة، لكن هي إما منسوخة بالحجاب؛ لأنه كان في أول الأمر كانت النساء تكشف وجوهها، مرخص لهن بكشف الوجوه، ثم أمرنا بالحجاب، ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

وفي قصة عائشة -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا- لما حصل ما حصل من تأخرها عن بسبب ما ذكر أنها ذهبت تقضي حاجتها، فجاءت وجدت القوم قد سافروا يظنون أنها في الهودج وبقيت في المكان، وأخذها النوم، حتى جاء صفوان بن المعطل -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- وقف عليها، قال وكان يعرفني قبل أن يفرض الحجاب قالت: "استيقظت باسترجاعه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وكان يعرفني قبل أن يفرض الحجاب"، عرف أنها عائشة، لماذا عرف أنها عائشة؟ لأنه كان يعرفها قبل أن يفرض الحجاب -يعرف وجهها-، فعرف أنها أم المؤمنين، فلذلك استرجع.

الشاهد من هذا أنه دل على أن الحجاب إنما فرض أخيراً وأن الذين أخذوا بكشف الوجه أخذوا أدلة منسوخة، أخذوا بأدلة صحيحة لكنها منسوخة، هذا قسم.

القسم الثاني: بنوا على أدلة غير صحيحة، على أحاديث غير صحيحة، أو صحيحة لكنها غير صريحة محتملة، فهم هذه وجهة نظر، **إِذَا أَتَاهُمْ بِنَاوَى عَلَى أَدْلَةٍ صَحِيحَةٍ مَنسُوخَةٍ، وَإِنَّمَا أَتَاهُمْ بِنَاوَى عَلَى أَدْلَةٍ صَحِيحَةٍ غَيْرِ صَرِيحَةٍ يَعْنِي بِلِ مَحْتَمَلَةٍ، وَإِنَّمَا أَتَاهُمْ بِنَاوَى عَلَى أَدْلَةٍ ضَعِيفَةٍ لَا تَصْلُحُ لِلِاحْتِجَاجِ، هَذَا وَجْهُ الْخِلَافِ بَيْنَهُمْ فِي الْحِجَابِ، أَمَّا الَّذِينَ يَرُونَ سِتْرَ الْوَجْهِ فَإِنَّمَا أَخَذُوا بِالْأَدْلَةِ الصَّحِيحَةِ الْمَتَأَخَّرَةِ الصَّرِيحَةِ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا لِبَسْ، مِثْلُ ﴿يُذْنِبِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيْبِهِنَّ﴾، أَيَشُ مَعْنَى يَذْنِبِينَ؟ عَلَيْهَا الْجِلْبَابُ مِنَ الْأَصْلِ، أَيَشُ مَعْنَى تَذْنِي؟ يَعْنِي تَغْطِي وَجْهَهَا كَمَا بَيْنَهُ عُبَيْدَةُ السَّلْمَانِيُّ لَمَّا سُئِلَ عَنِ الْآيَةِ، أَخَذَ بِطَرَفِ ثَوْبِهِ وَاضْفَأَهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَقَالَ هَكَذَا، هَذَا تَفْسِيرُ تَلْقَاهُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا -، فَبَيْنَ أَنَّ الْآيَةَ صَرِيحَةٌ فِي تَغْطِيَةِ الْوَجْهِ، وَبِتَفْسِيرِ عُبَيْدَةَ السَّلْمَانِيِّ عَنِ أَمَامِهِ وَمُعَلِّمِهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا -، وَقَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، أَيَشُ مَعْنَى الْحِجَابِ؟ يَعْنِي حِجَابَ لِبَعْضِهَا وَلَا حِجَابَ لِجَمِيعِ الْحِجَابِ لِجَمِيعِ حِجَابِ لِبَعْضِهَا، الَّتِي يَقُولُ إِنَّهُ لِبَعْضِهَا يَأْتِي بِدَلِيلٍ، فَالْأَصْلُ أَنَّهُ لِلْجَمِيعِ، ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾، إِذَا ثَوْبٌ وَإِنَّمَا حَائِطٌ وَإِنَّمَا بَابٌ، ﴿مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ﴾. وَحَدِيثُ عَائِشَةَ صَرِيحٌ: "كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُحْرِمَاتٍ، فَكَانَ إِذَا مَرَّ بِنَا الرَّجَالَ سَدَلَتْ إِحْدَانَا خِمَارَهَا مِنْ عَلَى رَأْسِهَا، فَإِذَا جَاوَزْنَا كَشَفْنَاهُ"، هَذَا صَرِيحٌ، مَا هُوَ بِمَحْتَمَلٍ، صَرِيحٌ فِي تَغْطِيَةِ الْوَجْهِ عَنِ الرَّجَالَ، نَعَمْ.**

١٨٤) اختلاف التضاد يقع كثيراً عند المبتدعة

المذيع: أحسن الله لكم وجزاكم خيراً، قال - رَحِمَهُ اللَّهُ -: [وَأَمَّا أَهْلُ الْبِدْعَةِ: فَالْأَمْرُ فِيهِمْ ظَاهِرٌ وَكَمَا رَأَيْتَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ، أَوْ لِأَكْثَرِ الْمَتَأَخِّرِينَ فِي مَسَائِلِ الْفِقْهِ، وَكَذَلِكَ رَأَيْتُ الْاِخْتِلَافَ كَثِيرًا بَيْنَ بَعْضِ الْمُتَفَقِّهَةِ].

الشيخ صالح: نعم؛ اختلاف التضاد واقع، ويكون أكثر ما يقع عند المبتدعة الذين كلهم ليسوا على دليل، كلهم مبتدعة والبدعة معناها ما ليس له دليل من كتاب الله ومن سنة رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فهم أصلاً

كلهم ليس لهم دليل؛ وإنما هم مبتدعة، أو بين الفقهاء الذين اجتهدوا في المسائل الفقهية، وأحد قال بالتحريم، وأحد قال بالإباحة، مع أن التحريم والإباحة متضادان، فلا يمكن أن يكون كل واحد معه دليل صحيح؛ لأن هذا تضاد ولا يمكن أن يكون كلٌّ معه دليلٌ صحيح، فإن كان مع أحدهم دليلٌ صحيح فهو: إما منسوخ، وإما مجمل، وإما له احتمال، نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع والعشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج

[اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رحمه الله.

يشرحه في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء

وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائي نرحب بشيخنا الكريم، فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(١٨٥) لا يدرك الإنسان أنواع الاختلاف إلا بتتبع نصوص الكتاب

والسنة

المذيع: لما ذكر المؤلف - رحمه الله - شيئاً من اختلاف التنوع والتضاد، وأتينا عليه في الحلقة السالفة

قال -عظم الله أجره-: (ومن جعل الله له هدايةً ونوراً، رأى من هذا ما يتبين له به منفعة ما جاء في الكتاب

والسنة من النهي عن هذا واشباهه)؛ أي: اختلاف التضاد، (وإن كانت القلوب الصحيحة تنكر هذا ابتداءً لكن

نورٌ على نور).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله

وأصحابه أجمعين، وبعد؛

فمراد الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ- من هذا الكلام، أن الانسان لا يعرف هذه المباحث العظيمة وهي الوقوف على أنواع الاختلاف السائغ والاختلاف الممنوع، لا يدرك هذا الا من تتبع نصوص الكتاب والسنة بتدبر وتفقه، فهذا فيه الحث على تدبر كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا سيما في مثل هذه المواقف الصعبة التي هي مضلة أفهام ومذلة أقدام، فإنَّ غالب المختلفين إنما وقع أكثرهم في الضلال بسبب الجهل بأنواع الاختلاف، وما يسوغ منه وما لا يسوغ، وما هي الآداب التي يتحلّى بها المختلفون فيما بينهم؟.

وهذا لا شك أنه أمرٌ يحتاج إلى اهتمام وإلى تأمل وطول نظر، قال -رَحْمَةُ اللهِ- وإن كان هذا واضحاً لكن هذا يزيد وضوحاً عند من يفهم كلام الله وكلام رسوله، إنما يزيده هذا وضوحاً، وإن كان واضحاً له من الأول، ولا شك إن زيادة العلم تفيد الإنسان وكل ما زاد علم الانسان زادت استفادته.

ولهذا قال الله جَلَّ وَعَلَا لنبيه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]،

فالإنسان بحاجة إلى الزيادة من العلم، وإذا كان هذا في العلماء وأنهم بحاجة إلى الزيادة من العلم، فكيف بالجهّال؟ وكيف بالمتدينين في طلب العلم؟ وكيف بالمتعلمين؟ فإنهم أشد حاجة في أن يتوقفوا عن هذه الأمور، ولا يدخلوا فيها إلا بروية وبصيرة وفقه في دين الله، لئلا يضلوا ويضلوا.

١٨٦) الذنب في اختلاف التنوع واقع على من بغى على الآخر فيه

المذيع: نعم، أحسن الله اليكم، قال -رَحْمَةُ اللهِ- (وهذا القسم الذي سمّيناه اختلاف التنوع، كل واحد من المختلفين مصيبٌ فيه بلا تردد، لكن الذنب واقع على من بغى على الآخر فيه).

الشيخ صالح: اختلاف التنوع هو كما سبق؛ أن يكون الدليل محتملاً لعدة وجوه، أو يكون في المسألة عدة أدلة، وكل أخذ بدليل، أو كل أخذ بوجه من وجوه الدلالة، فكل منها محق، لا الذي أخذ بوجه من وجوه الدلالة، ولا الذي أخذ بدليل من الأدلة المتنوعة في المسألة الواحدة، كل منها محق، حتى يتبين له أنه على خطأ،

فليس لخصمه أن يظلمه، وأن يحكم عليه بالضلال أو بالبدعة أو أشد من ذلك بالتكفير كما يقع من كثير من جهال المتسيين إلى طلب العلم.

١٨٧) كل من أخذ بوجه من وجوه الدلالة في الدليل الواحد

فهو على حق

المذيع: قال: (وقد دل القرآن على حمد كل واحدة من الطائفتين في مثل ذلك) في اختلاف النوع (إذا لم يحصل بغي كما في قوله: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥] وقد كانوا اختلفوا في قطع الأشجار فقطع قوم وترك آخرون).

الشيخ صالح: نعم، فكل من أخذ بوجه من وجوه الدلالة في الدليل الواحد كل منهما على حق وكل منهما محمود ومأجور، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا اجْتَهَدَ الْحَاكِمُ فَأَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا اجْتَهَدَ وَاخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ»، وضرب الشيخ لذلك مثالا في القرآن الكريم، وهو أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما غزا بني النضير، من اليهود لما خانوا العهد، وكانوا قريبين من المدينة، لم يحتاجوا إلى خيل وركاب، بل مشوا إليهم بأقدامهم، فلما وصلوا إليهم بعضهم قطع الأشجار والنخيل نكايَةً باليهود، وبعضهم لم يقطع، فاختلفوا في هذا فكل منهما مُحَقٌّ، وقد صَوَّبَ اللهُ الطائفتين، قال: ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ﴾ واللينه: هي النخلة، ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥]؛ أي: بشرعه، بإذن الله الشرعي، لأن الإذن على قسمين:

- إذن كوني: كما في قوله: ﴿وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي: بإذنه الكوني القدري.

- والإذن الشرعي: الذي يأمر الله به وينهى؛ هذا هو الإذن الشرعي.

فكل من الطائفتين مُحَقٌّ، الذين قطعوا نكايَةً بالعدو، والذين لم يقطعوا لأجل الابقاء على الأشجار النافعة المفيدة، ولهذا قال ﴿مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٥] فصَوَّبَ اللهُ الطائفتين وإن كانتا مختلفتين؛ لكن لما كان لكل من الطائفتين وجهٌ حقٌّ ودلالة فإن الله صَوَّبَ الطائفتين، فهذا دليلٌ على أن اختلاف

التنوع لا يضل فيه.

١٨٨) الاجتهاد في المواطن التي يسوء فيها الاجتهاد لا يلام فيها أحد

الطرفين

المذيع: قال وكما في قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ

شَاهِدِينَ (٧٨) فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء: ٧٨].

فخص سليمان بالفهم، واثني عليهما بالعلم والحكم).

الشيخ صالح: وكذلك قصة داوود وسليمان، عليهما السلام، في قصة الغنم، التي رعت التي أكلت زرع

القوم، ﴿نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ﴾؛ يعني: رعته في الليل، والنفس هو الرعي في الليل، فلما تخاصموا إلى داوود عليه

السلام، حكم بأن الغنم تكون لأصحاب الحرث عوضاً عن حرثهم، فلما جاءوا إلى سليمان عليه السلام، حكم

بأن تدفع الغنم لأهل الحرث يشربون من ألبانها ويستفيدون منها، وحكم على أهل الغنم أن يسقوا الزرع حتى

يتكامل كما كان، ثم تُردّ الغنم إلى أصحابها والزرع إلى أصحابه، فالله -جَلَّ وَعَلَا- صَوَّبَ سليمان، ولهذا قال:

﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، واثني على كل من داوود وسليمان.

فدل على أن الاجتهاد في المواطن التي يسوء فيها الاجتهاد ألا يلام أحد الطرفين وكل يأتي بما أدى إليه فهمه

واجتهاده.

١٨٩) دليل ثالث على اختلاف التنوع

المذيع: (وكما في إقرار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يوم بني قريظة، لمن صَلَّى العصر في وقتها ولمن آخرها

إلى أن وصل إلى بني قريظة).

الشيخ صالح: وهذا مثال ثالث ساقه الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- في اختلاف التنوع وأن كلا من الطائفتين على حق

وأن له الثناء من الله - سبحانه وتعالى -، وذلك أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، لما جاءت الأحزاب من الكفار بقيادة أبي سفيان وتحزبوا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يريدون القضاء عليه، وعلى دعوته، ونزلوا على مشارف المدينة، ومعهم القوات والجنود، وكان النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قد حفر خندقاً حول المدينة، فلم يستطيعوا الدخول إليها بخيلهم، وانتهت القصة بأن الله ردَّ الكافرين بغيظهم لم ينالوا خيراً؛ فأرسل عليهم الريح التي اقتلعت خيامهم وحصدتهم، وأنزل الملائكة فأفزعتهم في قلوبهم، فما استطاعوا البقاء ورحلوا؛ رحلوا خائبين، وسلم الله المسلمين من شرهم.

ولكن بعد الابتلاء والامتحان الشديد والكرب العظيم الذي نزل بالمسلمين، لكن فرج الله عنهم، عند ذلك أمر الله رسوله ألا يضعوا أسلحتهم حتى يغزوا بني قريظة؛ لأنهم خانوا الله ورسوله ونقضوا العهد وانضموا إلى الكفار، في حين أنهم عاهدوا رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على أن يدافعوا عن المدينة، من أرادها بسوء، فلما جاء من يريد المدينة بسوء خانوا العهد وانضموا إلى العدو.

فالله جَلَّ وَعَلَا أمر رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأصحابه في أن يغزوا بني قريظة بعد غزوة الأحزاب مباشرة، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهذا هو محل الشاهد - قال لأصحابه: «**لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ الْعَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قَرِيظَةَ**»؛ حي من أحياء المدينة، فحانت صلاة العصر وهم في الطريق، فبعضهم نظر إلى أن القصد هو الحث على المبادرة، وليس المعنى ظاهر اللفظ، ألا يصلين أحد إلا في بني قريش هذا ظاهر اللفظ، ولكن معناه المبادرة الحث على المبادرة، وليس القصد إيقاع الصلاة في مكان معين، هذا رآه بعضهم ولم يُصلِّ إلا في بني قريظة، عملاً بظاهر النص.

بينما البعض الآخر قال: إن غرض الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو الحث على المبادرة وليس معناه أنه لا توقع الصلاة إلا في بني قريظة وتؤخر عن وقتها، لأن الله قال: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**﴾ [النساء: 103] فإذا حان وقتها تؤدى، فصلُّوا في الطريق، فلما بلغ ذلك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - صوب كلاً من الطائفتين، لأنها أخذت بوجه من وجوه الدليل، هؤلاء أخذوا بالظاهر، وأولئك أخذوا بالمعنى، بمعنى الدليل،

فصوّب النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فدل على أن الاختلاف في التنوع لا يضر وأنه لا لوم على أحدٍ من الطرفين، ما لم يتبين أن الطرف الآخر مخطئ فيرد إلى الصواب ويكون مأجوراً على اجتهاده.

١٩٠) إذا اجتهد الحاكم واختلفاً باختلاف تنوع، فلا لوم على أحدهما

المذيع: نعم، أحسن الله اليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وكما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر»، ونظائره كثيرة).

الشيخ صالح: وكذلك في هذا الحديث، هذا مثال آخر إلى أن اجتهاد التنوع، الاختلاف في التنوع أنه لا يضر، قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا اجتهد الحاكم» يعني القاضي «فأصاب» فأصاب في اجتهاده، أصاب الحكم الشرعي «فله أجران»؛ أجر الاجتهاد، وأجر الإصابة، «وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر واحد» أجر الاجتهاد، ويعفو الله عن الخطأ؛ لأنه لم يقصد الخط وإنما قصده الحق، فهذا أيضاً يدل على أن إذا اجتهد الحاكم واختلفاً باختلاف تنوع أنه لا لوم على واحدٍ منهما.

١٩١) الاختلاف ثلاثة أنواع

المذيع: قال: (وإذا جعلت هذا قسماً آخر)؛ أي: ما يُحمد به الطائفتان (صار الاختلاف ثلاثة أقسام).

الشيخ صالح: إي نعم، اختلاف يُذم أصحابه وهو اختلاف التضاد، واختلاف يُحمد أصحابه وهو اختلاف التنوع، واختلاف يُصوّب فيه أحد الطرفين دون الآخر لكن يعذر الآخر وهو الاختلاف المذكور في هذا الحديث إذا اجتهد الحاكم.

١٩٢) الاختلاف الثاني في آية [البقرة ٢٥٣]، حمد فيه المؤمنين وذم

الفئة الأخرى

المذيع: (وأما القسم الثاني من الاختلاف المذكور في كتاب الله؛ فهو ما حمد فيه إحدى الطائفتين وهم

المؤمنون وذم فيه الأخرى، كما في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَقْتَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فقوله: ﴿وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾؛ حمد لإحدى الطائفتين وهم المؤمنون وذم الأخرى).

الشيخ صالح: نعم، النوع الثاني من الاختلاف وهو اختلاف التضاد وهو الذي يذم فيه أحد الطرفين ويُحمد الآخر، يُحمد الذي على الحق ويُذم الذي على الباطل، منه قوله تعالى في هذه الآية: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ هذا فيه دليل على أن الرسل يتفاضلون، وأن بعضهم أفضل من بعض بلا شك، وأفضلهم الخليلان إبراهيم ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأفضل الخليلين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو أفضل الرسل، الرسل بعضهم أفضل من بعض، منهم من كلم الله؛ وهو موسى عليه الصلاة والسلام، ميزه الله بأن الله كلمه مباشرة بدون واسطة.

وأما بقية الرسل فإنه يوحى إليهم بواسطة الملك، فهذه خصيصة لموسى -عليه السلام-، أن الله كلمه بدون واسطة وسمع موسى كلامه، سمع موسى عليه السلام، كلام ربه -عَزَّ وَجَلَّ-؛ هذه مرتبة لم ينلها إلا موسى عليه السلام، فهذا دليل على أن الرسل يتفاضلون فيما بينهم، ولكن ليس معنى هذا أننا نتنقص المفضول، وإنما نذكر التفضيل من باب التحدث بنعمة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، دون أن نتنقص المفضول، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَفْاضِلُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ»؛ بمعنى: لا تفاضلوا بينهم مفاضلةً تحمل على تنقص المفضول، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَفْضِلُونِي عَلَى يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، فلا شك أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو أفضل الرسل، ومع هذا قال: «لَا تَفْضِلُونِي عَلَى يُونُسَ»، لأن إذا كان هذا من باب تنقيص المفضول فهو لا يجوز، أما إن كان من باب التحدث بنعمة الله وبيان الواقع، وأن الرسل يتفاضلون وأن المؤمنين يتفاضلون، وأن الصحابة يتفاضلون فيما بينهم؛ فهذا شيء واقع، لكن لا يحمل هذا على تنقص المفضول، والمفاخرة بالفاضل، فإن هذا شيء، لا يجوز.

﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ هذا مما فضل

الله به عيسى بن مريم عليه السلام، إِنَّهُ رُوحُ اللَّهِ وكلمته ألقاها إلى مريم، وَأَنَّ اللَّهَ أَيَّدَهُ بِجِبْرِيلَ بَرُوحِ الْقُدُسِ، وَأَنَّهُ يُجِيبِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ يُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُجِيبِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، هذه من خصائص عيسى عليه الصلاة والسلام، ﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾، ثم قال سبحانه وتعالى - وهذا محل الشاهد -: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، لو شاء الله جَلَّ وَعَلَا ما حصل بين الذين جاءوا من بعد الرسل قتال فيما بينهم، فوقع القتال هذا بإذن الله، وإرادته الكونية ومشيتته الكونية؛ لأنَّ المشيئة لا تكون إلا كونية، بخلاف الإرادة؛ فإنها تكون كونية وتكون شرعية، فالمشيئة لا تكون إلا كونية.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾ [البقرة: ٢٥٣]، فدل على أن اقتتالهم انما هو بقضاء وقدر من الله، وأن الله قَدَّرَ ذلك عليهم عقوبة لهم، ليه؟ لأنهم اختلفوا، اختلفوا، فلما اختلفوا سلَّطَ اللهُ بعضهم على بعض، فهذا فيه ذم الاختلاف، الذي هو من نوع الثاني الذي هو اختلاف التضاد، أن هذا ذم؛ لأن الله لما اختلفوا اختلافاً غير مأذون به شرعاً، لأنهم جاءتهم البيّنات فما كان لهم أن يختلفوا لو أنهم اخذوا بالبيّنات، ما كان لهم ان يختلفوا؛ لكنهم تركوا الشرع واخذوا بأرائهم وعقولهم فاختلّفوا ثم أدى هذا إلى القتال فيما بينهم، وأن يقتل بعضهم بعضاً، فهذا دليل على أن اختلاف التضاد يؤدي إلى القتال وسفك الدماء.

ولهذا نهى النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن التفرق والاختلاف وأمر بالجماعة والسمع والطاعة؛ لأجل حقن الدماء واجتماع الكلمة، ﴿وَلَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾؛ هذه مصيبة عظيمة دل على أن اختلاف التضاد يؤدي إلى الكفر، يؤدي إلى الكفر، وأن من ثبت على الحق فهو مؤمن، ومن ترك الحق وذهب معه فهو كافر.

﴿وَلَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾؛ كرر الله سبحانه وتعالى ليؤكد أن ما يقع في هذا الكون من خيرٍ أو شرٍّ أنه بإرادة الله ومشيتته، وأنه بقضائه وقدره، وأنه لا يُقَدَّرُ إلا ما فيه الحكمة، وأنه هو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها.

فلو إنهم اتبعوا البيئات واتبعوا ما شرع الله؛ ما حصل بينهم اختلاف، اللهم إلا خلاف التنوع وهذا لا يضر، أما اختلاف التضاد فلا يقع مع التمسك بالكتاب والسنة أبداً.

المذيع: أحسن الله اليكم، يا شيخ قبل أن نغادر الآية، في حديث الإسراء هل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ محمد سمعها من كلام الله؟

الشيخ صالح: نعم لكن هذه واقعة واحدة، وأما موسى عليه السلام فقد سمع كلام الله في كل فترة رسالته.

١٩٣ (قصة مبارزة رؤساء قريش للصحابة)

المذيع: نعم، أحسن الله اليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وكذلك قوله: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ نُيُوبٌ مِّنْ نَّارٍ﴾ [الحج: ١٩] إلى قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ﴾ [الحج: ٢٣]، مع ما ثبت في الصحيحين عن أبي ذرٍّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أنها نزلت في المقتلين يوم بدر: علي وحمزة وعبيدة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، والذين بارزوهم من قريش وهم: عتبة وشيبة والوليد.

الشيخ صالح: نعم، هذا أيضاً دليل على أن اختلاف التضاد أنه مذموم، قال سبحانه وتعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩]، يعني اختلفوا بالكفر والإيمان، لما بعث الله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الناس من آمن به واتبع الحق، ومنهم من كفر به واتبع الباطل، وهم كفار قريش.

ولما جاءت غزوة بدر جاء نفرٌ من رؤساء قريش يطلبون المبارزة؛ والمبارزة أن يبرز المقاتلان الشجاعان بسيفيهما، يتبارزان ويتضاربان بالسيف أيها يغلب الآخر لتظهر قوة الغالب وقوة جماعته، فجاءوا من عجبهم وكبريائهم يطلبون المبارزة من الصحابة، فقام الأنصار، ليارزوهم، قالوا: "إنا لا نقبل إلا من إخواننا"، يعني من قريش، فبرز لهم عليٌّ وحمزة وعبيدة -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- من قريش؛ فبارزوهم فقتل عليٌّ وحمزة خصميهما وتبادل عبيدة مع خصمه ضربةً ورجع سيفه عليه -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، فاستشهد -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، ثم إن حمزة وعلياً لما فرغا من خصميهما جاء وقتلا خصم عبيدة؛ فقتلوا على الكفار، فبذلك ظهرت قوة المسلمين على الكفار، وأذلهم الله -عَزَّ

وَجَلَّ-؛ هذا أول نكبة حصلت على الكفار.

ثم ذكر الله ذلك في هذه الآية: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ﴾ هم المتبارزون، خصمان من المؤمنين ومن الكفار ﴿اِخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الحَمِيمُ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (١٩) وَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (٢٠) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الحَرِيقِ (٢١)﴾ [الحج: ١٩-٢١]،

هذا فيه صنف الكفار، وأن هذا مأهم -والعياذ بالله- بعد موتهم.

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هذا الطرف الثاني، المؤمنون، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٣]،

فهذا من اختلاف التضاد وهو اختلاف الكفر والإيمان.

المذيع: أحسن الله اليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن والعشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله إلى حلقة جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع لقاء بشيخنا نحيبه، فحياكم الله الشيخ صالح وبياكم.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

١٩٤) وقوع الاختلاف بين الأمة

المذيع: بعد ما ذكر المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - اختلاف التضاد، قال: [وأكثر الاختلاف الذي يؤول إلى الأهواء بين الأمة من القسم الأول، وكذلك آل إلى وسفك الدماء، واستباحة الأموال والعداوة والبغضاء؛ لأن أحد الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا توصفها.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد:

لما قرر الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ - فيما سبق أنواع الاختلاف المذموم والاختلاف المحمود، وذكر أمثلة للخلاف المذموم من الآيات والأحاديث، ذكر ما وقع في هذه الأمة، أن هذه الأمة ستتشبه كثير منها بمن قبلها، فالذين قبل هذه الأمة وقع فيهم اختلاف التضاد والفرق، والافتتال فيما بينهم، فلا بد أن يقع في هذه الأمة، وقد وقع ما أخبر به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في قوله: < وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله! قال: من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي >، فوقع ما أخبر به - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

من التفرق الذي هو نتيجة الاختلاف المذموم وهو اختلاف التضاد، ما وقع هذا إلا بسبب الاختلاف، اختلاف التضاد فلو أن هؤلاء بقوا على الكتاب والسنة ما حصل اختلاف؛ لأن الله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله هو القرآن، فهو يعصم من الاختلاف؛ وكذلك في قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <من يعيش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا فعليكم بستتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي>.

١٩٥) التمسك بالكتاب والسنة يقي من اختلاف التضاد

فهذا دليلٌ أيضًا على أن الاعتصام بسنة الرسول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وسنة خلفائه يقيان من اختلاف التضاد، أما اختلاف التنوع فهذا يقع وهو غير مذموم كما سبق، لكن اختلاف التضاد فما حصل في هذه الأمة من الافتراق والتباغض والافتتال، وسفك الدماء، إنما هو نتيجة اختلاف التضاد، الذي هو خلاف الكتاب والسنة، فأما من بقي على الكتاب والسنة؛ فإنه لا يحصل فيه هذا المحذور، وهو التباغض والافتتال، وإنما هذا في باختلاف التضاد، الذي هو الأخذ بالأهواء هو الأخذ بالآراء الخاطئة، والتعصب للفرق، والتعصب للمذاهب، التعصب للرؤساء، هذا هو الذي يوقع في الاختلاف في التضاد، ويقوع بالتالي بسفك الدماء.

١٩٦) اختلاف التنوع كل طائفة تعترف بالأخرى

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللَّهُ-: [لأن إحدى الطائفتين لا تعترف للأخرى بما معها من الحق ولا تنصفها].

الشيخ صالح: بخلاف اختلاف التنوع، فإن إحدى الطائفتين تعترف للأخرى، ولهذا والله الحمد مثلاً أهل السنة عندهم المذاهب الأربعة، ومع هذا لم يحصل بينهم اقتتال ولم يحصل بينهم سفك دماء؛ لأن كل واحدة تقر للأخرى بما هي عندها من الصواب، وتعذرها بما يقع من الخطأ؛ لأنه عن اجتهاد؛ لأن اختلاف المذاهب السنية؛

إنما اختلف تنوع وليس اختلاف تضاد، أما اختلاف الفرق المخالفة للسنة؛ فإنه اختلاف تضاد، ولهذا يقع بينها ما يقع من التكفير والتبديع فيما بينها والتفسيق، وأخذ السلاح أحياناً، فيما بين الفرق المختلفة، فهذا نتيجة اختلاف التضاد وهو مذموم؛ لأنه لم يكن عن اجتهادٍ مطلوب، وإنما هو عن اتباع هوى وتعصب، وغير ذلك من المحاذير.

١٩٧) اختلاف التضاد ينتج عنه إنكار كل طائفة للأخرى

المذيع: أثابكم الله، قال: [لا تعترفوا للأخرى بما معها من الحق بل تزيد على ما مع نفسها من الحق زياداتٍ من الباطل والأخرى كذلك].

الشيخ صالح: هذا نتيجة اختلاف التضاد، أن كل واحدة لا تعترف بما مع الأخرى من الحق، بل تضللها وتكفرها، وتبدعها وتفسقها، وأخيراً تحمل السلاح عليها، هذا نتيجة اختلاف التضاد، وأنه يؤول إلى هذا المصير المؤلم، وهو شاهد هذا واقع في الأمة، فالواجب على المسلمين أن يرجعوا إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله، ولزوم جماعة المسلمين حتى يسلموا من هذا البلاء الذي لا ينتهي أمده.

١٩٨) وقع البلاء بنا بسبب ترك حرية التفكير وعدم ضبطها بالشرع

المذيع: الحل يكون ببيان الحق وجوب السنة، أو بصرف ذلك كله، وإشغال الناس بالشهوات، أو إقبال حملهم على الكتاب والسنة لمعرفة الواجب].

الشيخ صالح: أحسنت هذا تنبيه طيب، وهو بعض الناس اليوم يقول نتيجة ما يحصل من هذه الصراعات، وهذه الأهواء وهذا الاقتتال، إنما هو نتيجة التحجير على الناس في أفكارهم، وفي تصوراتهم، فأعطوا الناس الحرية والسعة كل يذهب إلى ما يريد، وكل يفكر فيما يريد، حتى إن الناس يأتلفون ولا يحصل بينهم شقاق ولا نزاع.

المذيع: [بزعم أن ما حصل إلا لدراستهم الدينية].

الشيخ صالح: إي نعم، فهم يحملون أهل الحق وأهل الخير أنهم هم السبب؛ لأنهم يجبرون على الناس في أفكارهم، ويقولون: هؤلاء كأنهم أوصية على الناس وهكذا، فهؤلاء المخذولون يفكرون هذا التفكير، ولكن بالعكس إنما أوقع الناس في البلاء هو إطلاق الحرية لهم، في تصوراتهم وأفكارهم وعقائدهم، فهم حينئذ كل ﴿كُلُّ جَزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]، كما قال الله تعالى، والأهواء لا تنتهي، والرغبات لا حد لها، والتعصب لا ينتهي أبداً، فليست ضمانه الاجتماع والتألف ليس ضمانته إعطاء الناس الحرية؛ بل بالعكس إعطاء الناس الحرية هو الذي يوقعهم؛ لأن الناس محكومون بالكتاب والسنة.

١٩٩) العاصم من الاختلاف التمسك بالكتاب والسنة

لو أن الأفكار والعقول تكفي حاجتنا إلى إرسال الرسل وإنزال الكتب، ولكن الله برحمته -سُبْحَانَهُ- ما وكلنا إلى أفكارنا وعقولنا وآرائنا، فليس الذي ينهي النزاعات والصراعات هو إعطاء الحرية لكل من هب ودب، في أن يقول ويفعل ما يريد، وإنما الضمان هو اتباع الكتاب والسنة؛ لأنها العاصمان من الاختلاف، والتفرق، والنزاع، فعلى العكس مما يطالب به هؤلاء، فنحن ليس أوصياء على الناس، إلا بوصاية الله -جَلَّ وَعَلَا- هو الذي أوصانا، وقال -سُبْحَانَهُ-: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، فهل يقولون: إن الله أيضاً وصي على الناس؟ وأن الناس ليس عليهم وصاية، إذا قالوا هذا انتهى كفرهم ولم يبقى بعد هذا كفر، فالله -جَلَّ وَعَلَا- أوصانا والرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أوصانا، والعلماء يوصونا، فهو أوصى على الناس؛ لأنهم ورثة الأنبياء، فهذا هو الحق وهذا هو الواجب.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [وكذلك جعل الله مصدره البغي في قوله: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ

إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]؛ لأن البغي مجاوزة الحد، وذكر هذا في غير

موضع ليكون عبرة، لهذه الأمة

الشيخ صالح: قال تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ

بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾

[البقرة: ٢١٣]، فالله أنزل الكتاب لأجل هداية الناس للحق فيما اختلفوا فيه].

٢٠٠) المختلفون أكثرهم على باطل

لأن المختلفين ليسوا كلهم على حق، وإنما يكون على الحق بعضهم والكثير على الباطل، من هو الذي على الحق؟

هو الذي وافق الكتاب، الذي أنزل الله ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾

[البقرة: ٢١٣]، فإذا أردنا أن ننهي النزاعات والخصامات؛ فإننا نرجع إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ

فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فهدى الله الذين آمنوا، ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا

الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾، يعني ليس لهم عذر؛ لأنهم ما تركوا الحق عن خفاء في الدليل، بل

الدليل واضح وإنما تركوه لاتباع أهوائهم، وإعراضهم عن الدليل ﴿وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا

جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ﴾.

٢٠١) لماذا أهل الإيمان يحدث بينهم اختلاف تنوع؟

ما هو السبب؟ بغياً بين بغى بعضهم على بعض، والبغى هو التعدي، فما كان لهم أن يبغى بعضهم على بعض لو

أنهم رجعوا إلى ما أنزل الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ ولهذا قال: ﴿فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ

بِإِذْنِهِ [البقرة: ٢١٣]، فالله -جَلَّ وَعَلَا- وفق أهل الإيمان بأن بقوا على الكتاب؛ فلذلك لم يحصل بينهم اختلاف تضاد، نعم، يحصل بينهم اختلاف تنوع واجتهاد، وهذا لا يفرق بينهم، كما هو معلوم ومشاهد، فإن المسلمين ما زال بينهم الاختلاف في المسائل والفقهية، والاجتهادية، ما زال الاختلاف موجود؛ ومع هذا لم يوقع بينهم شقاقاً وقتالاً ونزاعاً، وإنما الذي يوقع في ذلك هو اختلاف التضاد، وهو أن يأخذ طرفٌ بغير الحق، ويريد أن الناس يوافقوه على مذهبه، يترك الكتاب والسنة ويذهب معه إلى الباطل؛ فلذلك يحصل الاختلاف والاقتيال.

٢٠٢) أهل النزاعات يريدون اتباع الشهوات لا الوصول للحق

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [هذا في غير موضع من القرآن ليكون عبرة لهذه الأمة.

الشيخ صالح: ذكر الله هذا أن الناس إنما اختلفوا عن أهواء، ولم يختلفوا عن خفاء في الحق؛ لأن الله بينه بإرسال رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وإنزال كتابه. فالحق موجود في كتاب الله وفي سنة رسول الله، ولو أن المختلفين رجعوا إلى الكتاب والسنة لانتهى النزاع وانتهى الخلاف، الصحابة-رضي الله عنهم- كان يحصل بينهم خلاف، فيرجعون إلى كتاب الله فينتهي النزاع، اختلفوا في ولاية الأمر بعد وفاة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ وسرعان ما رجعوا إلى الحق لما أخذوا بالأدلة وبايعوا أبا بكر الصديق؛ لأنه أفضلهم؛ ولأنه خليفة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في الصلاة، في مرضه، رجعوا إلى الحق وانتهى النزاع، فالصحابه يختلفون ولكن يرجعون إلى الكتاب والسنة، فينتهي النزاع.

وكذلك المسلمون في مختلف عصورهم يحصل بينهم اختلاف، لكن يرجعون إلى الكتاب والسنة فينتهي الأمر، أما أهل الأهواء وأهل النزاعات والنزاعات؛ فهؤلاء لا يرجعون إلى الحق؛ لأنهم لا يريدونه، وإنما يريدون تحقيق رغباتهم، وإتباع شهواتهم وأهوائهم، والأهواء والرغبات لا تنتهي أبداً، ولا تنضبط بضابط، وكل له رغبة تخالف رغبة، وكل له هوى يخالف هوى الآخر، ولهذا جاء في الحديث، -وإن كان فيه مقال وصححه بعضهم-، قوله -

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: < لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به >، وهذا يصدقه قول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّهُ يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠]

٢٠٣) كثرة السؤال تهاك صاحبها

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [وقريبٌ من هذا الباب ما خرجاه الصحيحين أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: <ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم >].

الشيخ صالح: هذا الحديث جاء في الحج أن النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خطب الناس وقال: <أيها الناس أن الله كتب عليكم الحج فحجوا > فقال رجلٌ جاء في الرواية أنه الأقرع بن حابس -رضي الله عنه- قال: يا رسول الله! أكلُّ عام، فسكت النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: <أن أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا >. فأعاد الرجل السؤال، فتركه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ثم أعاد -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فعاد الرجل يسأل، فقال النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- <ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم، الحج مرة واحدة، فمن زاد فهو تطوع، ذروني ما تركتكم، فإنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم >، فهذا فيه دليلٌ على أن الواجب أن نتبع الكتاب والسنة، ولا نفترض المسائل والافتراضات التي ما بينها الله لنا، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- <إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمورٌ مشتبهات لا يعلمهن كثيرٌ من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه

وعرضه، ومن في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى >، فالواجب أن نأخذ الحلال البين نترك الحرام البين، وأن نتوقف عن المشتبه حتى يتبين أمره.

(٢٠٤) الأخذ بالشيء الواضح وترك المشتبه

ولا نتساهل في المشتبهات، والنبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول: <دع ما يريبك إلى ما لا يريبك>؛ فإذا أشكل عليك أمر فخذ بالشيء الواضح، واترك الشيء المشتبه، حتى يتبين لك، وأيضاً الجاهل ليس له أن يدخل، ولهذا قال: <لا يعلمهن كثير من الناس>، فالجاهل ينبغي ألا يدخل في الأمور المشتبهة، ويقول: هذا حلال ولا حرام، ما يدخل فيه؛ لأنه ليس مؤهلاً لذلك، وإنما هذا شأن العلماء؛ فيرجع إلى العلماء.

قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <وما نهيتكم عنه فاجتنبوه، ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم>، شوف كيف فرق النبى - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بين الأمر والنهى، فقد يكون في صعوبة يعني امثاله كله، قد يشق على الإنسان ويمرض ويسافر، ويأتي عليه أعداء فلا يستطيع القيام بكل الأوامر، فيأتي منها قصر ما يستطيع، أما النهي فإنه ترك، والترك سهل ما هو بمثل الأمر، الأمر يحتاج فعل، يحتاج حركة، يحتاج كلفة، خلاف النهي فإنه ترك الشيء فقط، ولهذا قال: <ما نهيتكم عنه فاجتنبوه>؛ لأنه أيضاً لا ينهي إلا عن ما فيه مضرة، مضرة راجحة، أو مضرة مساوية، فما كان ضرره مساوياً أو أكثر من نفعه؛ فإنه يجتنب، وما كان نفعه راجحاً، فإنه يفعل.

(٢٠٥) النهي عن سؤال التكلف

المذيع: أحسن الله إليكم، قال - رَحِمَهُ اللهُ -: [فأمرهم بالإمساك عما لم يؤمروا به، معللاً بأن سبب هلاك الأولين إنما كان كثرة سؤا لهم، كثرة السؤال ثم الاختلاف على الرسل بالمعصية].

الشيخ صالح: هذا فيه النهي عن سؤال التنطع وسؤال التكلف، والسؤال عن شيء لا يحتاجه الإنسان أي نعم، يحتاج عما يسأل عما يحتاج إليه، أما الشيء الذي لا يحتاج إليه، فإنه يكف عنه؛ لأنه ربما لو بين له لتركه، ولهذا قال: <فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم>، فهم سألوا ولما سألوا وأجيبوا، لم يفعلوا ما أمروا به، فدل على أن الإنسان لا يتكلف في السؤال، ولا في الأشياء، وإنما ما بين له أخذ به، وما لم يبين له تركه.

ولهذا جاء في الحديث: <أن الله فرض فرائض فلا تضيعوها وحد حدوداً فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان وهو فلا تسألوا عنها>.

٢٠٦) بنو إسرائيل من سمتهم التكلف وكثرة السؤال، وشدد الله

عليهم لذلك

المذيع: قال: [كما أخبرنا الله عن بني إسرائيل من مخالفتهم أمر موسى في الجهاد وغيره، وفي كثرة سؤا لهم عن صفات البقرة].

الشيخ صالح: بنو إسرائيل من شأنهم التكلف، كثرة مسائلهم واختلافهم على ما أمرهم الله في قصة القتل في بني إسرائيل، قتل قتيل فجعل أقاتله، جهل قاتله من هو؟

ويقال إنه كان الرجل ثرياً، فأراد ابن عمه أن يستعجل موته فقتله من أجل يأخذ ماله وأن يرثه، لكنه قتله خفية ما يعلم من هو قاتله، فاختم فيه بنو إسرائيل عند موسى -عليه السلام- فأوحى الله إلى موسى أن يأمرهم أن يذبحوا بقرة، وأن يضربوه بجزء منها، يضربوا القتل بجزء منها، وسيئطقه الله ويبين من هو الذي قتله، فلو أنهم بادروا بذبح بقرة -أي بقرة-؛ لحصل المقصود، لكنهم تعنتوا وأكثروا الأسئلة فشدد الله عليهم، ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى

لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقْرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [البقرة: ٦٧]، فأول

موقف لهم أنهم سخروا من نبيهم -عليه الصلاة والسلام-، وظنوا أنه يسخر منهم، فهل الأنبياء يسخرون من الناس؟!

هذا دليل نعم هذا دليل على سوء أدبهم مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، **﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا﴾**، يعني كأنهم ما وثقوا به، كان الواجب أن يمتثلوا ويبادروا؛ لأنه رسول الله هذا هو الواجب، هذا أول موقف لهم، **﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**؛ لأن السخرية بالناس والسخرية بالمؤمنين إنما هي فعل الجهال، وهذا لا يليق بالرسول -عَلَيْهِمُ السَّلَامُ-، لا يليق فضلاً عن المؤمن، فضلاً عن الكليم -عليه الصلاة والسلام-، **﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُؤًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾**، **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾** [البقرة: ٦٨]، شوف هذه أول مشقة.

متى يجدون هذه؟ لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك، بين الفارض والبكر، والبكر يعني الصغيرة المسنة، **﴿فَأَفْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾** [البقرة: ٦٨]، نصحهم بأن يبادروا يتركوا الأسئلة، لكنهم لم يمتثلوا، **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْ هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوُثٌ تَسْرُّ النَّاطِرِينَ﴾** [البقرة: ٦٩]، شوف ضيق عن الأول، بسبب السؤال، **﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهُ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾** [البقرة: ٧٠]، يقول العلماء لولا أنهم قالوا: إنا إن شاء الله، لما اهتدوا أبداً، إنا إن شاء الله لمهتدون.

﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا﴾ [البقرة: ٧١]، متى يجدون هذه؟ ليس فيها لون آخر غير السواد، ليس لاشية فيها، يعني ليس فيها عيب الله أعلم، أو أنه ليس فيها لون غير لونها، غير لون معين، **﴿لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾** [البقرة: ٧١]، يعني الأول ما جاء بالحق، شوف يعني تهكمهم بالأنبياء، وهذه طبيعة بني إسرائيل إلى الآن، نسأل الله العافية، مع البشر كلهم، فكيف مع الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-، **﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبِّحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾** [البقرة: ٧١]، تشدد الأمر عليهم بسبب أسئلتهم، فلو أنهم بادروا من أول الأمر وأخذوا أي بقرة؛ لأنه قال: **﴿أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾** ولم يحدد لا سنًا ولا

لونا ولا صفة، أي بقرة لو أنهم ذبحوها من الأول وسهلوا على أنفسهم لسهل الله عليهم، لكنهم شددوا فشدد الله عليهم، ﴿فَذَبِحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١].

﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضَهَا﴾ [البقرة: ٧٣]، لما ذبحوها ضربوه بجزء منها، فقال: قتلني فلان، وهذا من المعجزات، من معجزات الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا، جزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع والعشرون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه اجمعين، أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله إلى حلقة جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية -رَحْمَةُ اللهِ- يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان بن الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع لقاء بشيخنا نحيبه، فحياكم الله الشيخ صالح وبياكم.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٢٠٧) النهي عن كثرة السؤال

المذيع: كنا مع المؤلف -رَحْمَةُ اللهِ- في الحلقة الثالثة في حديث: <إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم>، وقفنا عند قوله -رَحْمَةُ اللهِ-: [لكن هذا الاختلاف على الأنبياء هو -والله أعلم- مخالفة الأنبياء، كما يقول أختلف الناس على الأمير إذا خالفوه، وقد يكون مخالفة بعضهم بعضاً، وإن كان الأمران متلازمين، أو أن الاختلاف عليه هو الاختلاف فيما بينهم، فإن الله يحتمله].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه، هذا تميم لما ذكره الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ- فيما سبق من نهى الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، عن كثرة السؤال، وأنه يسبب المخالفة، فإن المسلم في سعة، فيعمل ما أمر به، ويترك ما نهى عنه، ولا يسأل عما لم يرد فيه أمر ولا نهى، فإن السؤال عما لم يرد في الكتاب والسنة فيه شيء، إنما يوقع الحرج على الناس، وفي الحديث <أن الله سكت عن أشياء رحمة بكم من غير نسيان فلا تسألوا عنها>، وفي القرآن: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تُبَدَّ

لَكُمْ تَسْؤُكُمْ وَإِنْ تَسَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَّلُ الْقُرْآنُ تُبَدِّلْ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ * قَدْ سَأَلْنَا قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ
ثُمَّ أَصْبَحُوا بِهَا كَافِرِينَ ﴿ [المائدة: ١٠١، ١٠٢]، فهو مثل قوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في الحديث <إننا أهلك من كان
قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم>.

يعني أنهم إذا بين لهم الحكم لا يمثلونه، ويتشاقلون عنه فيهلكون بسبب مخالفتهم، فهم سألوا ولما أجيبوا لم
يُنفذوا، وهم الذين سببوا على أنفسهم هذا الحرج، لو أنهم سكتوا من الأول واقتصروا على ما أمروا به ففعلوه،
وما نهوا عنه فاجتنبوه؛ كان ذلك خيراً لهم، فدل هذا على ذم كثرة الأسئلة التي لا حاجة إليها وأنها قد تفضي إلى
الحرج، وتفضي إلى عدم التنفيذ والتثاقل عن تنفيذها، وهذا الدين - والله الحمد - دين اليسر والسماحة، والله - جل
وعلا - رحيم بعباده، يشرع لهم ما يناسبهم، يأمرهم بما يستطيعون، وينهاهم عما يضرهم، فهو لم يترك شيئاً -
سبحانه وتعالى - فيه نفع إلا أمرهم به، ما ترك شيئاً فيه مضرة نهاهم عنه، فما الداعي للسؤال عما لم يرد الأمر به
ولا النهي عنه؟

وكما قال الشيخ أن اختلافهم على أنبيائهم يحتمل اختلافهم على أنبيائهم أي مخالفة أنبيائهم، فلما خالفوا أنبيائهم
هلكوا، ويحتمل اختلاف اختلافهم فيما بينهم من اختلاف التضاد كما سبق اختلافهم فيما بينهم وكلا الأمرين
والدة مهلك، لا مخالفة الأنبياء، ولا الاختلاف بين أصبح بين اتباع الأنبياء، الاختلاف الذي هو من اختلاف
التضاد.

٢٠٨) اختلاف أحرف القرآن ولا تعارض بين الكتاب والسنة، ولا يُفسر

كلام الله إلا المختصين به

المذيع: أحسن الله إليكم، قال - رَحِمَهُ اللَّهُ -: [ثم الاختلاف كله قد يكون في التنزيل والحروف كما في
حديث ابن مسعود، وقد يكون في التأويل كما يحتمله حديث عبد الله بن عمر، فإن حديث عمرو بن شعيب يدل

على ذلك أن كانت هذه القصة، وذكر حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده، أن نقرأ كان جلوسا بباب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ وقال بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا؟ فسمع ذلك رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فخرج فكأنما فُقي في وجهه حب الرمان، فقال: <أبهذا أمرتم أو بهذا بعثتم؟ أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض؟ إنما ظلت الأمم قبلكم في مثل هذا، إنكم لستم مما هاهنا في شيء، انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، والذي نُهيتم عنه فانتهوا عنه> [٧].

الشيخ صالح: هذا عودٌ ما سبق في أن الاختلاف قد يكون في الحروف كما في قصة ابن مسعود مع الرجل الذي سمعه يقرأ قراءة مخالفة لقراءته، فذهب به إلى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فاستمع - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلى قراءتهما، وقال: <كلاهما حق>، فاختلاف الحروف يعني في القراءات مثل يعملون وتعملون، والصرط والزراط، والسيراط بالسین، هذا اختلاف بالحروف لا يضر، وكله جاء به عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، جاء به أن الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قرأ به وعلمه لغيره، وهذا من باب التيسير على الناس في القراءة.

ويحتمل أنه اختلاف في التأويل، يعني يتفقون على القراءة وعلى الحروف، لكن يختلفون في تأويل الآية، والاختلاف في التأويل - كما سبق - إذا كان له وجه من الآية كل واحد له وجهة من الآية، واحتمال من الآية فهذا اختلاف تنوع لا يضر، وإن كان الاختلاف في ضرب كتاب الله بعضه ببعض؛ كما في حديث عمرو بن شعيب الذي ساقه الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ -، وهو أن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - سمع قوماً من أصحابه يقول بعضهم: ألم يقل الله كذا وكذا، ويقول الآخر: ألم يقل الله كذا وكذا؟ مما يظهر أن فيه تعارضاً بين الآيات، وكل أخذ بآية، فالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غضب عند ذلك، وقال: <لا تضربوا كتاب الله بعضه ببعض>، وذلك كما سبق أن الله - جل وعلا - أنزل القرآن: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، فالراسخون في العلم يردون المتشابهة إلى المحكم، ويُفسرون القرآن ببعض؛ لأن القرآن

يفسر بعضه بعضاً، ويبين بعضه بعضاً، ولا يتعارض أبداً، لكن هذا يحتاج إلى رسوخ في العلم وفقه، فقه في العلم، وأما غير الراسخين في العلم، فإنهم يأخذون، كل منهم يأخذ بطرف من الأدلة ويترك الطرف الثاني الذي يبينه ويوضحه، وهذا هو الظلال وهو هو الزيغ.

كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، فإذا ظهر لنا بين آيتين أو بين حديثين، أو بين حديث وآية شيئاً من التعارض، فإننا لا نتسرع في الحكم بل نترث ونرد كتاب الله [بعضه إلى بعض]، وأحاديث رسول الله [بعضها إلى بعض]، فسنجد حيثئذ أنه لا تعارض بين الآيات والأحاديث، فإن كلام الله يفسر بعضه بعضاً، كلام الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يفسر بعضه بعضاً، وإنما يأتي الغلط من التسرع، وإن كل واحد يأخذ بدليل ويترك الدليل الآخر، الذي يفسر ويوضح، فقد يكون هذا الدليل منسوخاً بدليل آخر، والعمل بالدليل الآخر. قد يكون هذا الدليل عاماً، والآخر مخصص له، قد يكون هذا الدليل مطلق، والدليل الآخر مقيد له؛ فلا بد من اعتبار هذه الأمور، وهذا لا يقدر عليه إلا الراسخون في العلم، الذين يعرفون مدارك الأحكام، ويعرفون كتاب الله وسنة رسوله، وفقهه فيها.

وأما أهل الزيغ وأهل الضلال؛ فإنهم يعمدون إلى قطع القرآن بعضه عن بعض، ويأخذون ما يوافق أهواءهم، ويتركون ما يخالف أهواءهم، أو الجهال الذين ليس عندهم زيغ، لكن عندهم جهل وعدم فقه، ويدعون أنهم علماء، فيأخذون طرف من النصوص، ويستدلون به ولا يدرون أن هناك طرف آخر يبين هذا ويوضحه، فهم لجهلهم قصر علمهم عن هذا، فهذا دليل على أنه لا يجوز الدخول في تفسير كلام الله أو كلام رسوله، لأهل العلم المختصين.

٢٠٩) اختلاف الصحابة في القدر، وكل ميسر لما خلق له، ومن الناس

من عطل العمل بالقضاء والقدر

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ- : [وقال حدثنا يونس حدثنا حماد بن سلمة عن حميد ومطر الوراق وداوود ابن أبي هند، أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فذكر الحديث].

الشيخ صالح: خرج على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فيقولون: ما دام الله قدر علينا هذه الأشياء، وأنه لا بد من وقوعها فما الفائدة من العمل؟ فهذا فيه المعارضة القدر وبين الشرع، فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غضب عند ذلك، وقال: <اعملوا فكل ميسر لما خلق>، وغضب -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ لأن هذا فيه تظليل للناس؛ لأنهم يزعمون أن هناك تعارضاً بين أن الله أمر بالطاعة ونهى عن المعصية، أمر بالإيمان ونهى عن الكفر، فيقولون ما دامت هذه الأشياء مقدره وأنه لا بد من وقوعها، فما الفائدة من العمل؟ نتكل على كتابنا إن كان الله كتب لنا السعادة فسنكون سعداء، وإن كان الله كتب لنا الشقاء فسنكون أشقياء، فالرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غضب عند ذلك؛ لأن هذا جهل بكتاب الله -عَزَّ وَجَلَّ-، فلا تعارض بين القدر والشرع، والله قدر نهي عن الكفر، وحرم الكفر ولكنه قدره -سبحانه وتعالى- وأنه سيقع، وأمر بالطاعة مع أن الإنسان قد لا يفعل الطاعة، قد يكون مقدرًا له أنه لا يفعلها.

فنحن لا نخاصم الله -عَزَّ وَجَلَّ- سبحانه الله! في قضائه وقدره، وإنما نخاصم أنفسنا فنحن نقدر على العمل وعلى الترك، فالواجب أن نقوم بما يختص بنا، نحن أمرنا نمتثل الأمر نهينا نمتثل النهي، وعندنا القدرة على ذلك، نحن نقدر إننا نفعل نصلي نصوم، نحج نتصدق، نجاهد نقدر على أن نترك شرب الخمر، الكفر، الزنا، عندنا قدرة على ذلك، فلماذا نجحد ما بجانبنا؟ ونعتمد على قضاء الله وقدره؛ ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-:

<اعملوا فكل ميسر لما خلق لما خلق>، ثم أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى * فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى * وَصَدَّقَ

بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى * وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى * فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٤: ١٠].

فالسبب من قبل العبد، والقدر من قبل الله -جل وعلا-، فنحن لا نتعلق بالقدر وما يختص بالله -عز وجل-، وإنما نتعلق بما يختص بنا، فنحن قد مكنا من العمل وبين لنا طريق العمل، فلماذا نترك العمل ونعتمد على القضاء والقدر، كما يقوله من قاله من الجهال.

وزعم المعارضة بين القضاء والقدر، لا يطردون هذا في أعمالهم، فلذلك لو دني على أحدهم لو ضرب، لو قتل ابنه لو طالب بالقصاص، طالب بالعدل فلماذا لا يقول أن هذا مقدر؟ لماذا لا يقول إن هذا أمر مقدر ولا لوم على الفاعل؟ هذا مقدر عليه، وأيضا لماذا يتزوج؟ يطلب الذرية ولا يتكل على القدر، يقول: إن كان الله قاسم لي ذرية سيأتي، ولماذا يخرج يطلب الرزق يبيع ويشترى ويسافر يطلب الرزق؟ لماذا لا يقول إن كان الله قدر لي الرزق يبي يدخل على يطق الباب ويدخل، ولماذا يأكل ويشرب؟ أليس هذا من فعل الأسباب؟ بلى، لماذا لا يقول إن كان الله قادر لي أن مقدر لي أي أحبي سألحي، ولو ما أكلت وشربت، فلماذا؟ هو يأخذ ما يصلح له ما يخالف هواه، يأخذ ما يصلح له ويوافق هواه ويترك فهو لا يطبق هذه القاعدة عنده في جميع تصرفاته.

(٢١٠) لا يجوز الجدل في القرآن، والقرآن لا يتعارض مع بعضه البعض

ولا يفسره إلا المختص

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [وقال أحمد حدثنا أنس بن عياض، حدثنا أبو حازم عن عدن ابن شعيب عن أبيه عن جده، قال: لقد جلست أنا وأخي مجلسا ما أحب أن لي به حمر النعم، أقبلت أنا وأخي وإذا مشيخة من صحابة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- جلوس عند باب من أبوابه، فكر هنا أن نفرق بينهم فجلسنا حجرة إذ ذكروا آية من القرآن فتماروا فيها، حتى ارتفعت أصواتهم، فخرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مغضبا قد أحمر وجهه، يرميهم بالتراب، ويقول: <مهلا يا قوم، بهذا أهلك الأمم من قبلكم باختلافهم على أنبيائهم، وضربهم الكتب بعضها ببعض، إن القرآن لم ينزل يكذب بعضه بعضا، وإنما أنزل يصدق بعضه بعضا، فما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه>].

الشيخ صالح: نعم، وهذا حديثٌ عظيم، هذا الحديث أيضًا فيه منهج رسمه النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فلما رأى من أصحابه أنهم تجادلوا في آية من القرآن، وارتفعت أصواتهم أنكروا عليهم وحثوا عليهم التراب إنكاراً عليهم؛ لأنه لا يجوز الجدل في القرآن. والتخاصم في القرآن وإذا أشكل شيءٌ من القرآن؛ فإنه يرد إلى بعضه بعضاً ويفسر بعضه بعضاً، إذا كان عند الإنسان مقدرة، وإن لم يكن عنده مقدرة، فإنه يسأل أهل العلم، وإذا لم يكن عنده مقدرة ولا عنده أحد من أهل العلم يسأله، فإنه يتوقف، ولا يدخل في شيء لا يُحسنه، فهذا هو سبيل السلامة، لأن الإنسان لا يجادل في كتاب الله، <فإن الأمم السابقة إنما هلكت باختلافهم على كتبهم>، إن الذين اختلفوا ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق، ﴿وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاقٍ بعيدٍ﴾ [البقرة: ١٧٦]، فالقرآن كله حق؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد.

لا يمكن أن يتعارض بعضه مع بعض، لا بد أن بعضه يفسر بعضاً، أو تفسره سنة الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، الموكول إليه البيان -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ-، السنة تفسر القرآن، فالقرآن يفسر بالقرآن، فإن لم يوجد تفسير في القرآن يفسر بالسنة، فإن لم يوجد في السنة يفسر بأقوال الصحابة، الذين تتلمذوا على النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فإن لم يوجد يفسر بأقوال التابعين، الذين أخذوا عن الرسول -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فإن لم يوجد يفسر بمقتضى اللغة التي نزل بها، هذه أوجه التفسير كما ذكرها الإمام ابن كثير -رَحِمَهُ اللهُ- في مقدمة تفسيره، فالقرآن لا يفسر بالبداهة، أو بالفكر كما يفعله كثيرٌ من الجهلة الآن، يفسرونه بأفكارهم بما يرونه، أو يفسرونه بما يسمونه بالإعجاز العلمي. القرآن لا يفسر إلا بهذه الأوجه الصحيحة الأربعة، لا يفسر بالرأي أو يفسر الحوادث التي تحدث ويقال هذا تفسير للآية، لكن يمكن أن يقال: هذا والله أعلم تحتمله الآية، وأما أن يجزم من هذا التفسير للآية هذا لا يجوز، أما أن يقال هذه الحادثة والله أعلم أنها يتناولها القرآن، أو دل عليها القرآن من باب التوقع؛ لا من باب الجزم، أما الجزم لا يجوز أن يفسر القرآن إلا بالمصادر الصحيحة للتسيير، وألا يكون قولاً على الله بغير علم.

فهذا هو المنهج الأسلم في تفسير القرآن الكريم، ولا يدخل في تفسيره إلا هو متخصص في التفسير، وعنده معرفة بوجوه التفسير الصحيحة، وما أشكال ليتوقف فيه، ولا يدخل فيه بفكره أو بعقله، بل يكله إلى عالمه وهو الله - سبحانه وتعالى -، وهكذا منهج الأئمة -رحمهم الله-، بل كان الرسول -صلى الله عليه وسلم- يسأل عن المسألة، ليس لم ينزل عليه فيها وحى، فيتوقف إلى أن ينزل الوحي، الصحابة -رضي الله عنهم- والأئمة كانوا يتوقف في الأمور التي لم يظهر لهم فيها حكم شرعي وهم أئمة، سئل الإمام مالك -رحمه الله- عن أربعين مسألة، فأجاب عن أربع مسائل، وقال في ست وثلاثين: "لا أدري"، فقال له السائل: جئتك من كذا أتعبت راحلتي وتقول: "لا أدري"، قال: "اركب راحلتك واذهب إلى البلد الذي جئت منه، وقل سألت مالكا فقال: لا أدري".

(٢١١) النظريات الحديثة تجدد ويكذب بعضها بعضاً

المذيع: أحسن الله إليكم، وجزاكم خيراً، أصبح هناك مثل ما أشرتُم يا شيخ مصدر خامس ليس له أصول في تفسير القرآن، هو ما يكشفه الكفار، زعم أحدهم أن الأرض كذا، والأفلاك كذا، قالوا هذا تفسير للقرآن، كما ذكرت وإن لم تقبل الأمة فهو تخلف منها وجهل.

الشيخ صالح: هذا -كما ذكرنا- أنه لا يُفسر القرآن بالنظريات الحديثة؛ لأن النظريات تجدد ويكذب بعضها بعضاً هذا واقع، وكثير يعني نظريات الناس وأفكار الناس، ما تجعل تفسير لكلام الله -عزَّ وجلَّ- ولكن -كما ذكرنا- أن يقال ربما أن الآية دلت على أو أن هذا من مدلول الآية لا من باب الجزم، فهذا قد يكون له وجه، مع أن تركه أحسن.

(٢١٢) كل مختص بعلمه، ورد الفكر المخالف للكتاب والسنة

المذيع: قوله في الحديث: <فردوه إلى عالمه> قلتُم هو الله -سبحانه وتعالى-؟

الشيخ صالح: إي نعم، أو عالمه من الناس، يعني العالم يشمل الله -جل وعلا-، ويشمل العلماء الذين ورثوا العلم من الأنبياء.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: [وقال أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا داوود بن أبي هند عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده، قال: خرج رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذات يوم والناس يتكلمون في القدر، قال: فكأننا تفقاً في وجهه الرمان من الغضب، قال فقال له: <ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض لهذا هلك من كان قبلكم>، قال: فما غضبت نفسي بمجلس فيه رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لم أشهده ما غضبت نفسي بذلك المجلس أني لم أشهده].

الشيخ صالح: هذا كما سبق أن أناساً تكلموا في القدر، وهل يتعارض مع الشرع أو لا يتعارض؟ ولماذا نعمل وقد سبق القدر ونحواً من هذا؟ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- غضبه غضباً شديداً -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ السَّلَامُ-، فهذا دليل على الغضب عند إنكار المنكر، ولا سيما المنكر الذي يتناول كتاب الله -سبحانه-، فيجب الغضب عند ذلك والإنكار، وعلى من دخل فيما لا يحسنه؛ لأنه يقول على الله بغير علم.

وفي هذا ردُّ على الذين يقولون بحرية الرأي الآن، ينادون بحرية الرأي، وحرية الفكر، وأنه لا حجر على الناس، نقول: نعم للإنسان أن يفكر، للإنسان أن يبدي رأيه ما في مانع، لكن ما خالف، إذا خالف الرأي أو الفكر خالف الكتاب والسنة، فإنه يجب رده، أما أن يقال أنهم كلهم مصيبون وكل له رأيه، وكل فهذا لا يجوز، هذا من الخروج على كتاب الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- نقول: نعم أبدوا أفكاركم أبدوا آراءكم، ما في مانع، لكن نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله، الآراء الله -جل وعلا- يقول: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر خيراً وأحسن تأويلاً.



المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجيم" لشيخ الإسلام/ أحمد ابن عبد الحليم ابن تيمية -رَحِمَهُ اللهُ-

ضيف اللقاء فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

المذيع: وقفنا مع المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ- في حديثه عن نهي النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أصحابه أن يضربوا بعض القرآن ببعض.

٢١٣) النهي عن اختلاف التضاد

قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [وقد كتب أحمد في رسالته إلى المتوكل هذا الحديث، -قوله: <مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم>، وجعل يقول لهم في مناظرته يوم الدار "إنا قد نهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض"، وهذا لعلمه -رَحِمَهُ اللهُ- بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم].

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

ما زال الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ- في سياق النهي عن الاختلاف، الذي هو اختلاف التضاد الذي يؤدي إلى الهلاك، واختلاف التضاد ومخالفة الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام-؛ لأنها يؤديان إلى الهلاك، والغرض من سياق الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ- هذه المسألة والإطالة فيها، نهي هذه الأمة أن تسلك مسلك الأمم السابقة في اختلافها على كتاب الله وعلى أنبيائها، فهذه الأمة يجب أن تحذر من هذا المسلك الخطر، والمنعطف الصعب، وفي المثل: "خيركم من وعظ بغيره"، فهذا قصد الشيخ -رَحْمَةُ اللهِ-.

يقول إن هذا الحديث كتب به الإمام أحمد إلى المتوكل، الخليفة المتوكل، الإمام أحمد -رَحْمَةُ اللهِ- جرى عليه من الامتحان في هذا الأمر الشيء المعروف، لا سيما القول بخلق القرآن، فإن المأمون أراد أن يجبر الناس على القول بأن القرآن مخلوق غير منزل، وذلك بتأثير من جلساء السوء من المعتزلة؛ لأنه استوزر المعتزلة أملاوا عليه هذا المذهب الخبيث، وأغروه بمعاينة أهل السنة الذين يقولون القرآن منزل من عند الله وأنه كلام الله حقيقة، والمعتزلة تبعاً للجهمية يقولون القرآن مخلوق كغيره من المخلوقات، والله لا يتكلم، وليس بيننا كتاب من الله نزل من عند الله، وإنما بيننا مخلوق كسائر المخلوقات -قبهم الله-.

٢١٤) اختلاف التضاد يؤدي إلى الهلاك

فأملاوا على الخليفة المأمون هذا الفكر الخبيث واقتنع به وأراد أن يجبر الناس عليه، وقتل من قتل من الأئمة وامتنح من امتحن وعلى رأسهم الإمام أحمد -رَحْمَةُ اللهِ-، فقد عذبه بالضرب والسجن، ولما مات خلفه من بعده المعتصم -أخوه المعتصم-، فسلك نفس المسلك -مسلك المأمون- وعذب الإمام أحمد، ثم جاء الواثق بن المأمون، فسلك هذا المسلك وعذب الإمام أحمد وهو صابر محتسب، يصبر على الضرب وعلى السجن، ويقول القرآن مُنْزَلٌ غير مخلوق، وإذا قالوا له: قل مخلوق، قال هاتوا لي شيئاً من كتاب الله أو من سنة رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فثبت إلى أن جاء المتوكل بن هارون الرشيد -رَحْمَةُ اللهِ- فأفرج عن الإمام أحمد وناصره، وناصر

أهل السنة وقمع أهل البدع، فكتب إليه الإمام أحمد من جملة مناصحاته هذا الحديث، وخير ما يُنصح به كتاب الله وسنة -رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-.

(٢١٥) القرآن مُنزلٌ من عند الله وليس مخلوقاً

المذيع: قال: [وقد كتب أحمد في رسالته إلى المتوكل هذا الحديث]، نعم، قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: <ما لكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض، بهذا هلك من كان قبلكم>.

الشيخ صالح: كتب إلى المتوكل بهذا الحديث، وجعل يقول لهم بأن يمنع الاختلاف ضرب كتاب الله بعضه ببعض، ويمنع قول المعتزلة والجهمية، فالقرآن واضحٌ في أنه مُنزلٌ من عند الله، وأن الله تكلم به حقيقةً، وليس في القرآن آية تدل على أن الله خلق القرآن -كما يقولون-، نعم.

المذيع: قال: [وجعل يقول لهم في مناظرته يوم الدار "إنا قد نهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض"].

الشيخ صالح: نعم مناظرته للمخالفين يوم الدار يعني دار الوزير -وزير الدولة- إبراهيم بن فلان، ما أدري، لكن هو كانت جرت المناظرة في هذه الدار، فيقول الإمام أحمد إننا نهينا أن نضرب كتاب الله بعضه ببعض، يشير إلى هذه الأحاديث التي نهى فيها النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يُضرب كتاب الله بعضه ببعض، بل يجمع بين نصوصه وبين آياته، ويفسر بعضه ببعض، نعم.

(٢١٦) لا يحصل الاجتماع إلا باتباع الكتاب والسنة

المذيع: قال المؤلف شيخ الاسلام -رَحِمَهُ اللهُ-: [وهذا لعلمه -رَحِمَهُ اللهُ- بما في خلاف هذا الحديث من الفساد العظيم].

الشيخ صالح: أي نعم، هو كتب به إلى المتوكل لعلمه بما في الاختلاف من الفساد العظيم، وما في الاتفاق واجتماع الكلمة من الخير العظيم، ولا يحصل الاجتماع إلا باتباع الكتاب والسنة، أما إذا اختلفنا في الكتاب والسنة وكل ركب رأسه وأخذ رأيه؛ حصل التفرق، وبالتالي يحصل التناحر والتضارب بين الأمة وسفك الدماء، نعم.

المذيع: قال: [وقد روى هذا المعنى الترمذي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقال: "حديث حسن غريب" وقال: "وفي الباب عن عمر وعائشة وأنس"].

قال المؤلف -رحمه الله-: [وهذا باب واسع لم نقصد له ههنا، وإنما الغرض التنبيه على ما يخاف على الأمة من موافقة الأمم قبلها].

الشيخ صالح: نعم، هذا الحديث وإن كان غريباً والغريب هو ما تفرد بروايته واحد، ولكن له شواهد كما قال الشيخ -رحمه الله- تؤيده وتقويه، ثم أن الشيخ أبدى مناسبة أنه أطال في هذا الموضوع، وأورد فيه من النصوص لأهمية هذا الموضوع، لأهميته، وإن كان أصل الكتاب وهو "اقتضاء الصراط" ليس القصد منه هذه المسألة فقط حتى يطيل فيها، لكن لأهميتها أطال فيها؛ لأن سبب هلاك الأمم هو في اختلافهم، فلذلك نبيت هذه الأمة أن تشبه بالأمم السابقة في الاختلاف، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فالحاصل أن الشيخ أطال في هذا واستفدنا منه فائدة عظيمة فيما أورد من هذه الأدلة، وما أورد من التوضيح لهذه المسألة، وهي مسألة الاختلاف في القرآن، والاختلاف في السنة، وعدم الأخذ بطرف وترك الطرف الآخر من الكتاب والسنة، وكثيراً ما يحصل هذا الآن؛ فإن كثيراً من المغرضين أو الجهلة، يأخذ من الأدلة ما يصلح لرأيه أو

هواه، ويقول: أنا استدل بالقرآن والسنة، فنقول له: كذبت أنت لم تستدل بالقرآن والسنة، لأنك أخذت طرفاً وتركت طرفاً آخر، فأنت شبيه بالذين قال الله فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ٨٥]، ولهذا غضب الرسول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لما رأى من أصحابه اختلافاً في بعض الآيات، ومشادة بينهم، فالنبي غضب من هذا، وقال لا ينبغي لكم هذا الاختلاف، نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ -: [وإنما الغرض التنبيه على ما يخاف على الأمة من موافقة الأمم قبلها].

الشيخ صالح: هذا هو الغرض، الغرض من هذه الإطالة هو التنبيه، كما هو يعني منهج الكتاب "اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم"، أي نعم التنبيه على ألا تتشبه هذه الأمة بالأمم السابقة، فتختلف في كتاب الله، تضرب بعضه ببعضه لبعض، وكل يأخذ بطرف ويترك الطرف الآخر، نعم.

٢١٧) أتباع النمرود اختلفوا بسبب فكرهم

المذيع: قال: [إذ الأمر في هذا الحديث - كما قاله رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أصل هلاك بني آدم: <إنما كان التنازع في القدر>، وعنه نشأ مذهب المجوس القائلين بالأصلين: النور والظلمة، ومذهب الصابئة وغيرهم، والقائلين بقدم العالم، ومذاهب كثير من مجوس هذه الأمة وغيرهم، وهذا مذهب كثير ممن عطل الشرائع].

الشيخ صالح: نعم، هذا الاختلاف المهلك هو مذهب، هو الذي أهلك الأمم السابقة، كاليهود والنصارى لما اختلفوا في كتابهم، ومثل المجوس، الذين يعبدون النار، المجوس هم أمة يعبدون النار ويقولون بخالقين، خالق

للخير وخالقٍ للشر، فالنور عندهم يخلق الخير، والظلمة تخلق الشر، فهذا اختلافٌ في القضاء والقدر، ولم يقولوا أن القضاء والقدر إنما هو من شأن الله - عز وجل - ولا دخل للنور ولا للظلمة ولا لأي مخلوق في القضاء والقدر؛ وإنما هو سر الله - جَلَّ وَعَلَا - في خلقه.

وكذلك الصابئة وهم أتباع نمرود الذين يعبدون الكواكب وبعث الله إليهم خليله إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - كما ذكر الله ذلك في القرآن.

إنما هلكوا بسبب هذا الأمر وهو أنهم اعتمدوا على فكرهم وآرائهم، وظنوا أن هذه الكواكب أنها هي التي تُدبر الأمر والكون، فبنوا لها هياكل على شكلها في الأرض، وصاروا يعبدونها، من دون الله، ولذلك أنكر عليهم خليل الله، ما هذه التماثيل؟ التي أنتم لها عاكفون، وش حجتهم؟ وجدنا آباءنا كذلك، كذلك يفعلون هذه حجة، فهذا ما جاءوا بحجة إلا التقليد الأعمى والعياذ بالله.

وكذلك مجوس هذه الأمة، مجوس هذه الأمة، وهم القدرية، الذين نفوا القدر، وقالوا: إن كل مخلوقٍ يخلق فعل نفسه، ولم يقدر الله الكفر ولا الإيمان، وإنما العبد هو الذي يخلق هذه الأشياء، فالعبد يخلق فعل نفسه، فزادوا على المجوس، المجوس قالوا بخالقين، وهؤلاء أثبتوا خالقين متعددين مع الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، وأن كلاً يخلق فعل نفسه، ولذلك سُموا مجوس هذه الأمة؛ لأنهم يشبهون المجوس بل زادوا عليهم، نعم.

(٢١٨) نحن منهيون عن الدخول في أفعال الله

المذيع: أحسن الله اليكم، قال - **رَحِمَهُ اللهُ** -: [وهذا مذهب كثير ممن عطل الشرائع.

فإن القوم تنازعوا في علة فعل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى** لما فعله، فأرادوا أن يثبتوا شيئاً يستقيم لهم به تعليل فعله بمقتضى قياسه على المخلوقات، فوقعوا في غاية الضلال].

الشيخ صالح: نعم، هو الأصل الضلال أنهم قاسوا الخالق بال مخلوق، والله -جَلَّ وَعَلَا- لا يُقاسُ بخلقه - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-؛ لا قياس شبه ولا قياس شمول، وإنما يقاس بخلقه قياس الأولى، والله المثل الأعلى، فأما قياس العلة، قياس الشمول، فلا يُقاسُ بخلقه -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٧٤]، فالله -جَلَّ وَعَلَا- لا يُقاسُ بخلقه، وأفعاله في غاية الحكمة وغاية العلم والإتقان.

فنحن لا ندخل في أفعال الله، ونسأل لماذا قال الله كذا؟ لماذا فعل الله كذا؟ نحن منهيون عن الدخول في أفعال الله، وأنا ما نأخذ منها إلا ما عرفنا علته، وعرفنا حكمته، نحن نؤمن بأن الله حكيمٌ عليمٌ -سبحان الله- وأنه لا يشرع شيئاً إلا لحكمة، لكن قد نعلم هذه الحكمة إما بنص بأن نص عليها، أو بدلالة الأثر على ذلك، أو الشواهد على ذلك، وقد لا نعلمها فنحن لا نتوقف على أن نعرف الحكمة، وإلا لا نعمل بشيء، فهذا مذهب الأمم الضالة التي هلكت بسبب ذلك، نعم.

٢١٩) مذهب الجبرية

المذيع: أحسن الله اليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [فوقعوا في غاية الضلال؛ إما بأن فعله ما زال لازماً له، وإما بأن الفاعل اثنان؛ وإما بأنه يفعل البعض، والخلق يفعلون البعض، وإما بأن ما فعله لم يأمر بخلافه، وما أمر به لم يقدر خلافه؛ وذلك حين عارضوا بين فعله وأمره].

الشيخ صالح: هذا الأخير هو مذهب الجبرية، الذين يقولون: ما قدره لا يأمر بخلافه، نعم، فينكرون الشرع؛ يشبثون القدر وينكرون الشرع، والمعتزلة على العكس فأثبتوا الشرع وانكروا القدر، نعم.

أما أهل السنة والجماعة جمعوا بينها، فأثبتوا القدر وأثبتوا الشرع، نعم.

المذيع: قال: [حتى أقر فريق بالقدر بالأمر وكذبوا بالأمر، و أقر فريق بالأمر وكذبوا بالقدر، حين اعتقدوا جميعاً أن اجتماعها محال، وكلٌّ منهما مبطلٌ بالتكذيب بما صدق به الآخر].

الشيخ صالح: كما ذكرنا، حين اعتقدوا جميعاً أن اجتماعها محال وكلٌّ منهما مبطلٌ بالتكذيب بما صدق به الآخر، لما زعموا أن هناك تعارضٌ بين الشرع والقدر بعضهم أثبت القدر ونفى الشرع، وبعضهم على العكس أثبت الشرع ونفى القدر؛ دفعاً للتعارض -بزعمهم-، والواقع أنهما لا يتعارضان، وأن كلاهما حق، نعم.

(٢٢٠) احرص على ما ينفعك واستعن بالله

المذيع: شيخ هل لنا أن نقول في قوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن الله قد كتب الحسنات، وأننا نتكل؟ فقال أنه ما علينا بالقدر إلا من خبره -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فكما يجب التصديق بخبره يجب التصديق بالامثال لأمره، أنه هو الذي أخبر بالقدر وقد أمر بالعمل في قوله: (فاعملوا).

الشيخ صالح: هو ما أخبر بالقدر -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من أجل أن نعطل الأعمال نتكل على ما أخبر بالقدر من أجل ان نؤمن به، ومن أجل ألا نجزع إذا فاتنا شيء بعد فعل السبب، إذا فعلنا السبب ولم يحصل المقصود لا نجزع، ولهذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: < احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن، فإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل >، فأنت عليك فعل السبب، فقط.

واما القدر فهذا من شأن الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- لا تدخل فيه، نعم.

(٢٢١) التفريط لبقية العلم سبب الهلاك

المذيع: أحسن الله اليكم، قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: [وأكثر ما يكون ذلك لوقوع المنازعة في الشيء القليل قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه، ولهذا قال: <ما عرفتم منه فاعملوا به، وما جهلتم منه فردوه إلى عالمه>].

الشيخ صالح: نعم، هذا هو سبب الضلال: أن بعض الباحثين أو بعض المتعلمين أو بعض المغرضين، إنما يتكلمون بدون أن يستقصوا الأدلة ويقارن بينها، وإنما يتزعمون طرفاً ويركزون عليه، ويتركون البقية؛ فهذا هو سبب الهلاك.

فمثلاً الخوارج أخذوا نصوص الوعيد، وحكموا بها وكفروا أصحاب الكبائر، وتركوا نصوص الوعد والرحمة، المرجئة على العكس: أخذوا نصوص الوعد والرجاء وتركوا نصوص الوعيد، أهل السنة والجماعة: جمعوا بين الأمرين -نصوص الوعد ونصوص الوعيد-.

فهو السبب، سبب الهلاك هو التفريط لبقية العلم، وأن يأخذ قسطاً من العلم، ويزعم أنه عالم ويترك الطرف الآخر الكثير من العلم، الذي يوضح ما معه أو يكمل ما معه، هذا هو سبب الضلال، وهو الذي لا يزال في الناس اليوم، التعالم أو التغرض، بعض الناس عنده تعالم واعتداد بنفسه، وبعض الناس عنده تعرض وقصد للت، فنحن منهيون عن هذا الأمر.

وإننا لا نتكلم في مسألة من المسائل العلمية الشرعية، حتى نستقصي ما ورد فيها من النصوص من الكتاب والسنة، حتى نتكلم علم واستقصاء، ولا نأخذ بعض الأدلة ونترك البعض الآخر، هذه قاعدة عظيمة، نعم.

٢٢٢) نصف المتكلم يفسد الأديان، ونصف النحوي يفسد اللسان

المذيع: يا شيخ مما نراه أن هذه الجرأة على كتاب الله وسنة رسوله عند من نال قليلاً من العلم ليس موجوداً في العلوم الأخرى، يعني يعطونه ليس من أدرك قليلاً من الطب زعم أنه طيب ويفتي، ومن أدرك قليلاً

من الهندسة أو الرياضيات أو الجغرافيا أو التاريخ سعى منا له حقًا يقول الكلمة الأخيرة والفصل، في المقابل في أحكام الشريعة لا يسلمون لأهلها المختصين، ويزعمون مثلما ذكر الشيخ أن المنازعة في شيء قليل قبل إحكامه وجمع حواشيه وأطرافه.

الشيخ صالح: نعم، وهو كذلك يعني أن الذي عنده قليل من الطب لا يتوقف عند علمه ولا يدخل في طب لا يعرفه؛ لأن هذا يترتب عليه هلاك الناس، وكذلك الصناعات والمهن والحرف ما يدخل فيها إلا من قنوات، أما مسائل الشرع فعندهم أنها حمى مباح لكل أحد، يتكلم فيها من هب ودب، الجاهل والضال والمغرض يتكلم فيها كل من شاء، وأنها حرية وأن حرية الرأي عندهم من هذا النوع يردوها لآية قالوا تحجرون علينا، وقالوا ما أنتم بأوصياء، يقولون من ها الحين ينادون يقولون ما أنتم أوصي على الناس، طيب نحن نبلغكم رسالات الله، نبلغكم كتاب الله وسنة رسوله، ما نحن أوصية، بل الله وصانا بهذا، الله -جَلَّ وَعَلَا- يقول: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيُحْشِنُونَهُ وَلَا يُخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]، ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٥٩].

فنحن الله وصانا بهذا، وصانا بأن نبلغ وأن للناس، وهذا لأجل الإشفاق عليهم ومصالحتهم هم، ما هو من أجل الرأس عليهم أو احتقارهم أو احتقارهم أو نحوًا من ذلك.

المذيع: ولا يظل بحد ذاق الأطباء والمهندسين، إذا حذروا من المتعلمين أنهم يحجرون على الناس.

الشيخ صالح: هكذا هذا يقول في المثل يقولون "يفسد الدنيا أربعة نصف فقيه ونصف طبيب"، "ونصف نحوي ونصف فيلسوف"، هذا نصف الفقيه يفسد البلدان؛ لأنه يفتي بغير علم، ونصف الطبيب يفسد الأبدان،

ونصف المتكلم يفسد الأديان، ونصف النحوي يفسد اللسان، يفسد الدنيا أربعة: "نصف فقيه، نصف طبيب، نصف نحوي، ونصف متكلم" نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: [والغرض بذكر هذه الأحاديث: التنبيه من الحديث على مثل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وَأَخْضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩].

الشيخ صالح: رجع إلى الاول والشيخ يستطرد، ثم يرجع إلى أصل الكلام الذي قاله، كل هذا كل هذا تفسير لقوله -تعالى-: ﴿وَأَخْضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾ [التوبة: ٦٩]، يعني الأمم التي قبلنا خاضت في عقائدها وفي كتبها المنزلة، فسيوجد في هذه الأمة من يشابهها وقد وقع كما ذكر الله -جَلَّ وَعَلَا-.

٢٢٣) أصل البلاء التقليد والتشبه

المذيع: [ومن ذلك: ما روى الزهري عن سنان بن أبي سنان الدؤلي عن أبي واقد الليثي أنه قال: "خرجنا مع رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينيطون بها أسلحتهم يقال لها: ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط؟ فقال رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: <الله أكبر! إنها السنن قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لتركبن سنن من كان قبلكم"> رواه مالك والنسائي والترمذي وقال: (هذا حديث حسن صحيح) ولفظه <لتركبن سنة من كان قبلكم>].

الشيخ صالح: نعم وهذا الحديث يؤكد ما سبق أن هؤلاء الصحابة لما كانوا حدثاء عهد بالإسلام أسلموا عام الفتح وخرجوا مع النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إلى حنين بعد الفتح مباشرة، رأوا المشركين يعكفون على سدرة

يقال لها ذات أنواط ويعلقون بها أسلحتهم تبرّكاً بها؛ فلقلة علم هؤلاء وحادثة إسلامهم طلبوا من النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أن يجعل لهم شجرة يفعلون عندها مثل ما يفعل الكفار، النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تعجب واستغرب وكَبَّرَ اللهُ -عز وجل-، وقال: <إنها السنن> يعني الطرق، <قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾>، لما مروا على قوم يعكفون على أصنام لهم، قالوا يا موسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾>، فأصل البلاء هو التقليد والتشبه.

فالتقليد والتشبه هما أصل البلاء، التقليد والتشبه بالكفار، والتشبه بأهل الفسق وأهل الأهواء، هذا هو أصل البلاء في الأمم السابقة وفي هذه الأمة.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الحادي والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامجكم؛ اقتضاء الصراط مستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية - رحمه الله - يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ صالح الفوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم حياكم الله شيخ صالح.

(٢٢٤) حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن ضرورة البعد

عن التشبه بالأمر الكافرة.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم،

المذيع: ما زال المؤلف - رحمه الله - يتحدث في النهي عن مشابهة الأمم. ولا سيما في التنازع والاختلاف، قال وقد قدمت ما خرجاه في الصحيحين.، عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضبٍ لدخلتموه، قالوا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال فمن؟ وما رواه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لتأخذن أممي مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع. قالوا فارس والروم؟ قال فمن الناس إلا أولئك.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، يؤكد الشيخ - رحمه الله - في سياق هذا الكلام، أنه سيقع التشبه من هذه الأمة لمن سبقها من

هذه الأمم الكافرة من اليهود والنصارى والأعاجم، وذلك للأحاديث الصحيحة المتوافرة في إثبات ذلك، ومن أدق هذه الأحاديث هذان الحديثين **لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر زبٍ لدخلتموه.** أي أنه سيكون في هذه الأمة من يتشبه بمن كان ويأخذ طريقها في كل شيء، حتى في الأمور التافهة.

ومعلوم أن أعسر الجحور وأضيقها جحر الضب، كما هو معلوم، لكن لو وجد في الأمم السابقة من يدخل في هذا الجهر لو وجد في هذه الأمم من يدخله تقليداً لها وتشبهاً بها.

وكذلك في الحديث الذي بعده أن هذه الأمة في هذا الحديث أن هذه الأمة تأخذ طريق اليهود والنصارى، نعم.

وفي الحديث الذي بعده أن هذه الأمة تأخذ طريق فارس، فارس والروم، وفارس هي الأمة المعروفة، التي تقع في الشرق والروم هي الأمة التي تقع في غرب الأرض وهما أعظم دولتين في وقتها قبل الإسلام.

فيوجد من هذه الأمة بعد الإسلام الذي من الله به على البشرية ورفع المؤمنين فوق غيرهم من الأمم؛ يوجد في هذه الأمة من ينسى هذا الفضل، ويتراجع إلى أن يقلد الأمم السالفة، الفرس يعبدون النار، والروم أيضاً هم أمة كافرة وأغلبهم نصارى يعبدون الصليب، فيوجد في هذه الأمة من يقلدهم، شبرا بشبر وذراعاً بذراع، منهم المقل ومنهم المستكثر فهذا كله خبرٌ معناه النهي، معناه النهي والتحذير.

فلا نقول إن هذا شيءٌ مقدر ولا بد أن يقع ونستسلم بل علينا أن نبعد وأن نحذر من التشبه بهؤلاء وأن نحذر الناس من ذلك. نعم.

(٢٢٥) قصد الرسول صلى الله عليه وسلم إخبار الأمة بالابتعاد

عن التشبه بهذه الأمم السابقة من الفرس والروم.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال - رحمه الله - وهذا كله خرج منه مخرج الخبر عن وقوع ذلك والذم لمن يفعله، كما كان يُخبر عما يفعله الناس بين يدي الساعة من الأشرار والأمور المحرّمات.

الشيخ صالح: نعم الرسول صلى الله عليه وسلم ليس قصده من هذه الأخبار مجرد الإخبار فقط، وإنما قصده من ذلك التحذير. نعم. التحذير من التشبه، وألا ننخدع بمن يُقلد اليهود والنصارى وفارس والروم، ويتسبب إلى الإسلام ألا نقلد هؤلاء، علينا نعتز بديننا وبقيمنتنا، وما أعطانا الله من الكرامة

أن نعتز بذلك، ونتميز بشخصيتنا، الإسلامية، الله جل وعلا يقول ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

المذيع: قال فعلم أن مشابقتها اليهود والنصارى وفارس والروم مما ذمّه الله ورسوله، وهو المطلوب.

الشيخ صالح: نعم. كونه صلى الله عليه وسلم أخبر عن ذلك وحذر وكرّر هذا يعطي أن التشبه بالكفار شديد التحريم ولا يجوز؛ لأن معناه أننا إذا تشبهنا بهم في الظاهر فأنا نشبههم في الباطن، ومشابقتهم في الظاهر...
المذيع: الله أكبر.

الشيخ صالح: تدل على محبتهم في الباطن، وإلا لو كان يبغضهم ما تشبه بهم، نعم.

(٢٢٦) النهي عن التشبه بمن سبق من الأمم الكافرة

المذيع: قال ولا يقال فإذا كان الكتاب والسنة قد دل على وقوع ذلك فما فائدة النهي عنه؟

أن الكتاب والسنة أيضاً قد دل على أنه لا يزال في هذه الأمة طائفة متمسكة بالحق الذي بُعث به محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى قيام الساعة، وأنها لا تجتمع على ضلالة، ففي النهي عن ذلك تكفير هذه الطائفة المنصورة وتثبيتها، وزيادة إيمانها؛ فنسأل الله المجيب أن يجعلنا منها.

الشيخ صالح: هذا عودٌ على ما سبق في الذين زعموا أنه لا فائدة من الأمر والنهي، مع وجود القضاء والقدر.

وأنه إذا كان الشيء مقدراً فلا فائدة من النهي عنه كذا يقولون. وهم (الجبرية). فهذا القول باطل؛ فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر عن ذلك وأنه سيقع.

ولكن علينا أن حذرنا منه وألا نغتر بمن فعله، هذا هو الغرض من الإخبار، الذي أخبر به - صلى الله عليه وسلم - ولا تعارض بين النهي عن التشبه بهم، والإخبار أنه سيكون من يتشبه بهم من هذه الأمة.

لا تعارض بين ذلك كما ظن الجبرية والقدرية؛ لأننا نقدر على ترك التشبه بهم، نقدر على التشبه بهم وعلى ترك التشبه بهم. فالتشبه بهم هو عملنا، وأما وقوعه وحصوله فهذا قدر الله وقضائه.

فنحن لا نحتاج بالقضاء والقدر على فعل المعاصي، وعلى فعل المعاييب؛ لأنه بإمكاننا أن نبتعد عن ذلك ونحذر منه، وفائدة النهي عن ذلك مع تحقق وقوعه هو التحذير منه، ولأن النبي - صلى الله عليه وسلم - أخبر أن سيكون من هذه الأمة طائفة منصوره متمسكة، فإذا ذكرنا هذا وبلغناه للناس؛ فهذا عملٌ على تكثير هذه الطائفة المنصورة وتقويتها. نعم.

(٢٢٧) وجه آخر من أوجه ضرورة الإخبار عن عدم التشبه بالأمر

السابقة:

المذيع: أحسن الله اليكم، قال - رحمه الله - أيضاً لو فرض أن الناس لا يترك أحدٌ منهم هذه المشابهة

المنكرة؛ لكان في العلم بها معرفة القبيح والإيمان بذلك

الشيخ صالح: وهذا وجهٌ آخر من الحكمة في الإخبار عن وقوع التشبه مع التحذير منه، وأن الحكمة والإخبار عن وقوع التشبه هو للعلم، ولا شك أن العلم بالشيء مطلوب، وأن الجهل به مذممة، فالعلم في حد ذاته فيه خير، وفيه نفع. نعم.

المذيع: قال فإن نفس العلم والإيمان بما كرهه الله خير، -وان لم يعمل به-.

الشيخ صالح: نعم، إذا علم الإنسان ما كرهه الله وفهم ذلك؛ فإن هذا خيرٌ -إن لم يعمل به-، وإذا جمع بين العلم والعمل فهذا هو المطلوب، وإذا لم يعمل فإن وجود العلم -في حد ذاته- فيه خير؛ ولهذا ميز الله أهل العلم من اليهود والنصارى على غيرهم من الكفرة والأميين، صار لهم ميزة في الذكر والأحكام على غيرهم، فالعلم له فضل، حتى ولو لم يعمل به، فله فضل، فالعالم خيرٌ من الجاهل، ولأن العالم حريٌّ أن يرجع إلى الصواب وخلاف الجاهل فإنه يتمادى في جهله ولا يدري. نعم.

المذيع: قال بل فائدة العلم والإيمان أعظم من فائدة مجرد العمل الذي لم يقترن به علم.

الشيخ صالح: نعم، ولهذا حكم الله على من يعمل بغير علم أنه من الضالين، وأن عمله ضلال، فوجود العلم وأن لم يعمل به الإنسان فهو فضيلة، أما الجهل فإنه ليس فيه فضل -بوجهٍ من الوجوه-. نعم.

٢٢٨) الكراهية سبب من أسباب وجه الإخبار عن عدم التشبه

بالأمم السابقة:

المذيع: قال فإن الإنسان إذا عرف المعروف وأنكر المنكر خيراً من أن يكون ميت القلب لا يعرف معروفاً وينكر منكراً.

الشيخ صالح: وهذا وجهٌ آخر وهو أن في العلم بذلك أن في العلم بذلك كراهية القلب لهذا الشيء، فإذا كان عند الإنسان علمٌ بالمنكرات، فهو وأن لم ينكرها بلسان ويده، فنه ينكرها بقلبه -على الأقل-. فإذا كان عنده علم فإنه يكره هذه الأشياء ولو بقلبه.

وهذا أضعف الإيـان كما في الحديث، فكونه عنده إيمان ولو ضعيف أحسن من الذي ليس عنده إيمان أصلاً.

(٢٢٩) فضل العلم في معرفة ضرورة عدم التشبه بالأمة الكافرة:

المذيع: قال ألا ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان رواه مسلم وفي لفظٍ ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل.

الشيخ صالح: نعم، هذا يدل على فضل العلم -وأن لم يقترن به عمل-، فإنه إذا كان عنده علم فسينكر هذا الشيء ولو بقلبه؛ لأن قلبه ينكر هذا الشيء بما أعطاه الله من العلم والتمييز.

وان لم يتعد عنه بفعله وبلسانه، فيكون عنده إيمانٌ ضعيف، بخلاف الذي ليس عنده علم، فإنه لا يكون عنده إنكارٌ ولا بالقلب، فلا يكون عنده إيمان. نعم.

المذيع: قال وإنكار القلب هو الإيمان بأن هذا منكر، وكراهته لذلك. فإذا حصل هذا كان في القلب إيمان، وإذا فقد القلب معرفة هذا المعروف وإنكار هذا المنكر؛ ارتفع هذا الإيمان من القلب.

الشيخ صالح: نعم هذا هو الحكمة من النهي عن التشبه بالكفار مع أنه سيقع في هذه الأمة، كما أخبر -صلى الله عليه وسلم-؛ ليكون عند الإنسان علمٌ فيكره هذا الشيء ولو بقلبه، فيكون عنده إيمانٌ ولو ضعيف، خيرٌ ممن ليس عنده إيمانٌ أصلاً. نعم.

(٢٣٠) في استغفار الرجل من الذنب:

المذيع: قال وأيضاً فقد يستغفر الرجل من الذنب مع إصراره عليه أو يأتي بحسناتٍ تحوه أو تحو بعضه، وقد يقلل منه وقد تضعف همته في طلبه إذا علم أنه منكر.

الشيخ صالح: وهذا أيضاً من فوائد العلم، في أن العالم وقع في شيءٍ من الأخطاء فإنه حريٌّ أن يتوب ويرجع ويستغفر، لأن ما عنده من العلم فيحجزه عن هذا الشيء أو يوقع في قلبه كراهية هذا الشيء، فيتذكر ويستغفر ويتوب. فالعلم فيه خير، ولو في المستقبل، ولو خالفه صاحبه في وقتٍ من الأوقات، فإنه يرجع إليه، فإنك تجد من عندهم علم، وإن وقعوا في كثيرٍ من الأخطاء.

إلا أنهم أقل الناس وقوعاً في الأخطاء، وإن وقعوا فيها فإنهم أقرب الناس إلى أن يتوبوا ويرجعوا، بخلاف من لا يعلم فإنه يظن أن ما هو عليه هو الحق؛ فيستمر على ما هو عليه وقد يزيد من ذلك. نعم

(٢٣١) النهي عن التشبه بالأمر الكافرة:

المذيع: قال أو يأتي بحسناتٍ تحوه أو تحو بعضه، ولإن لم يترك هذا الشيء

الشيخ صالح: وإن لم يترك هذا الشيء؛ فإنه يعمل بالصلوات يصلي ويصوم ويحج ويتصدق، وأن كان عنده شيءٌ من المخالفات والتشبه بالأعداء؛ فإن هذه الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان كفارةٌ لما بينهن. الحمد لله، فتكفر هذا التشبه الذي يحصل، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة فالأعمال الصالحات، يكفر الله بها الذنوب والصغائر. ومنها التشبه. نعم.

(٢٣٢) الفرق بين العالم والجاهل في حال حدوث التشبه

والمخالفة:

المذيع: قال وقد تضعف همته في طلبه إذا علم أنه منكر.

الشيخ صالح: وكذلك العالم لا يكون مقدماً على المخالفات، وإن كان يقع في بعضها أو في شيء منها فإنه لا يكون إقدامه مثل إقدام الجاهل. نعم.

(٢٣٣) الوجه الآخر من بيان الحكمة من إخبار الرسول للمسلمين

بضرورة عدم التشبه بالأمة الكافرة.

المذيع: قال ثم لو فرض إنا علمنا أن الناس لا يتركون المنكر ولا يعترفون بأنه منكر لم يكن ذلك مانعاً من إبلاغ الرسالة وبيان العلم، بل ذلك لا يسقط وجوب الإبلاغ.

الشيخ صالح: وهذا وجهٌ أخير في بيان الحكمة في كون الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر أنه سيقع التشبه مع نبيه عنه، أن العلم بذلك يحمل العالم على أن يبلغ العلم ويدعو إلى الله ويبين

المذيع: قال بل ذلك يسقط وجوب الإبلاغ ولا وجوب الأمر والنهي،

الشيخ صالح: نعم فنحن مطلوبٌ منا أن نأمر وأن ننهي وننكر وإن كنا نعلم أو يترجح لدينا أن الناس لا

يتركون هذا الشيء. لكن هذا من باب إقامة الحجة وإبراء الذمة. هذا لما قال جماعةٌ من بني إسرائيل من المؤمنين:

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَدِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ وَكَلَّمَهُمْ

يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤]

فلا يترك الإنكار والإبلاغ، وإن كانت النتيجة ميؤوساً منها أو ضعيفة؛ فإن الإنكار لا يسقط وإبلاغ العلم، لا يسقط عن العالم. نعم.

المذيع: أحسن الله اليكم، قال -رحمه الله- على أن هذا ليس موضع استقصاء ذلك.

الشيخ صالح: نعم، يقول: إن هذا المكان أو هذا الموضوع من هذا الكتاب لا يتسع لاستقصاء ما في بيان الحكمة. من كون الله أو الرسول ينهيان عن شيءٍ مع وقوعه. مع العلم بوقوعه. نعم.

(٢٣٤) هل يجب الإخبار عن المعاصي والمنكرات مع العلم أن

الناس لن تنتصح؟

المذيع: مع أن الشيخ -أحسن الله- إليكم أشار إلى أصول مهمة في الدعوة ومواجهة المنكرات، حتى لا يكون من الداعين والمنكرين يأس. وأحياناً يكون بعض الناس يقول: أنت لن تقابل هذا، وغلب المنكر وفشت المعاصي وإشارات قوية جداً حبذا تفيدني فيها يا شيخ.

بعض الناس قد يأس يقول خلاص يعني نحن في زمن غربة وأخر الزمان وقل المطيع وكثر العاصي.

الشيخ صالح: هو كله في هذا الموضوع هو كله الكلام في هذا الموضوع في الذي. في رد فيه رد الذين يقولون هذه المقالة. أنه لا فائدة من ذكر الأدلة أو من ذكر الوعظ أو التذكير، مع أن هذا شيءٌ واقع، والناس واقعون فيه، فلا تتعبوا أنفسكم، وهذا لا فائدة من ورائه إلى غير ذلك من التخذيل والإرجاف، فإن العالم يمضي في طريقه، وكلما كثرت المنكرات تأكد عليه ان يبين ويبلغ للناس.

أما لو كان الناس صالحين ومستقيمين كلهم محتاج الأمر إلى لكن إنما يحتاج إلى العالم وإلى الإنكار إذا وقع في الناس خلل في الواجبات أو في فعل المحرمات.

حينئذٍ تشتد الحاجة للبيان والتذكير والموعظة حتى ولو كان الناس لا يقبلون هذا؛ فإنه سيأتي من يقبل -بإذن الله- ويبقى العلم؛ لأننا لو تركنا هذا لاندرس العلم ونسي العلم؛ فلا بد من إحيائه وتوارثه وتبليغه للناس، لأنه قد يأتي من يعمل به،

قال الله جل وعلا ﴿هَآأَنْتُمْ هَؤْلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]

فنحن لا نياس، ولا نتوقف إذا كثر الشر والفساد في الأرض لا نتوقف عن الإبلاغ وعن البيان وعن التذكير والوعظ. نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم. قال رحمه الله والله الحمد على ما أخبر به النبي -صلى الله عليه وسلم- من أنه لا تزال من أمته طائفة ظاهرة على الحق، حتى يأتي أمر الله.

الشيخ صالح: نعم، هذه إشارة عظيمة أنه مع كثرة المنكرات، كثرة المخالفين وغلبة الشر؛ فإن الحق لا ينعدم، بل الحق باقٍ وأهله باقون عليه -وإن كانوا قلة- هذا يرد على هؤلاء الذين يقولون إنه لا فائدة من الإنكار، ولا فائدة من البيان ولا فائدة من الوعظ والتذكير، والناس ماضون في طريقهم. هذا مثل قول الطائفة من بني إسرائيل

(لَمْ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا)

فلما جاء العقاب لم يذكر الله نجاة هذه الطائفة التي سكتت، ويحتمل أنها هلكت مع الهالكين؛ لأنهم لم ينكروا. فدل هذا على أنه لا يترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والبلاغ والبيان مهما كثر الفساد في الأرض. بل تشتد الحاجة إلى هذا في هذا الوقت أكثر من غيرها. نعم.

المذيع: قال وليس هذا الكلام من خصائص هذه المسألة. التشبه بل هو وارد في كل منكر قد أخبر الصادق بوقوعه،

الشيخ صالح: نعم ليس هذا الكلام الذي ذكرناه من أنه لا بد من البيان ولا بد من الإبلاغ خاصاً بمسألة التشبه؛ ولكنه عامٌ في كل المناهي والمنكرات، حتى ولو كثرت ولو وقعت فلا يحملنا ذلك على اليأس، والقنوط وعدم البيان؛ بل نمضي في طريقنا ونبين ونبلغ ولا يأخذنا القنوط واليأس كما ذكرنا أنه:

أولاً هذا فيه إبراءٌ وإبلاغٌ للعلم، والله أخذ على العلماء أن يبلغوا ولا يكتموا العلم.

وثانياً لعل هؤلاء يتذكرون أو يتذكر منهم من يتذكر فلا نقنط ولا نياس من رحمة الله، وأيضا ربما يأتي بعدهم، بعد هذا الجيل من يأخذ هذا العلم ويستفيد منه. نعم.

المدبوع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وأهلاً وسهلاً بكم إلى هذه الحلقة الجديدة في برنامج/ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية- رحمه الله- يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان .

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ/ صالح.

٢٣٥) النهي عن مشابهة الكفار بمجرد اللفظ ومعنى قول الله تعالى :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا﴾

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

المذيع: قال المؤلف- رحمه الله تعالى- في الحديث عن مشابهة الكفار والنهي عن ذلك قال: ومما يدل من

القرآن على النهي عن مشابهة الكفار قوله سبحانه: "﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا

وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]

قال قتادة وغيره: كانت اليهود تقوله استهزاء، فكره الله للمؤمنين أن يقولوا مثل قولهم .

وقال أيضا: كانت اليهود تقول للنبي صلى الله عليه وسلم رَاعِنَا سمعك، يستهزئون بذلك، وكانت في اليهود قبيحة.

وروى أحمد عن عطية قال: كان يأتي ناس من اليهود فيقولون: راعنا سمعك، حتى قالها ناس من المسلمين، فكره الله لهم ما قالت اليهود.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤]

راعنا في الأصل من الرعاية أو من الإرعاء أي: أرعنا سمعك ، أقبل علينا حتى نسمع منا وحتى نفهم ما تقول لنا فهو من المراعاة أو من الرعاية أو من الانتظار أو الإنظار والمطلوب من هذه الكلمة أنه يطلب من المخاطب أن يراعي المتكلم في سماع كلامه وفي إجابته وفي إمهاله هذا أصل الكلمة وهو لا بأس به في الأصل ولا بأس باستعمالها ، لكن عرض أن اليهود استغلوا هذه الكلمة بمعنى سيء وذلك أنهم حولوا المعنى إلى الرعونة حولوها عن ظاهرها إلى الرعونة فيقصدون أن النبي صلى الله عليه وسلم راعٍ يعني فيه رعونة فهم يقولونها فيما يظهر أنها طلب من الرسول أن يراعيهم كما يطلب منه المؤمنون ولكنهم يحولون معناها فيما بينهم وفي عرفهم إلى معنى سيء وهو الطعن في الرسول صلى الله عليه وسلم وأن فيه رعونة أي خفة وعدم اتزان .

فالرعونة معروفة أنها كلمة ذميمة بخلاف (انظرننا) فإنها كلمة لا بأس بها لكن لما كانوا يقصدون منها معنا سيئا نهي المسلمون أن يقولوها سدا للطريق على اليهود هذا من ناحية.

الناحية الثانية أن المسلمين إذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم راعنا تشبهوا باليهود - وهذا هو المطلوب في هذا الباب - تشبهوا باليهود في هذه الكلمة فربما يفهم أن المسلمين يقصدون بها ما يقصده اليهود فلذلك منعوا من ذلك.

فهذا فيه مسألتان: المسألة الأولى - تحريم التشبّه بالكفار ولو بالألفاظ، المسألة الثانية - فيه سدّ الذرائع وهي قاعدة عظيمة فلما كان اليهود يقصدون من هذه الكلمة معنى سيئا وكان أصلها مُباحا مُنع منها ففيه أنّ المُباح إذا كان يُفرض إلى محرّم أنّه يُحرّم سداً للذرائع، وهذه قاعدة معروفة عند أهل العلم. نعم

المذيع: أحسن الله إليكم وقال عطاء: كانت لغة في الأنصار في الجاهلية.

الشيخ صالح: أنهم يقولون راعنا بمعنى أرعنا سمعك نعم

المذيع: وقال أبو العالية: إنّ مشركي العرب كانوا إذا حدّث بعضهم بعضا يقول أحدهم لصاحبه: أرعني سمعك فنهوا عن ذلك، وكذلك قال الضحّاك

الشيخ صالح: نهي المسلمون عن ذلك لأن اليهود استغلوا هذه الكلمة الى معنى سيء وان كان أصلها مباحا نعم

المذيع: فهذا كله يبيّن أنّ هذه الكلمة نهي المسلمون عن قولها ، لأنّ اليهود كانوا يقولونها، وإن كانت من اليهود قبيحة، ومن المسلمين لم تكن قبيحة.

الشيخ صالح: كما ذكرنا أنّ هذا فيه سدّ الذرائع وأنّ الحلال إذا كان يُفرض إلى الحرام فإنّ الحلال يُترك سداً للذريعة.

والله جلّ وعلا أعطى البديل عنها وقال: " وَقُولُوا انظُرْنَا "

فهذا فيه أنّ من نهي عن شيء وكان له بديل صالح فإنّه يأتي بالبديل ويوجه إليه هذه الكلمة (انظرنا) ليس فيها احتمال، وأما (راعنا) فهي احتمال لليهود. نعم

المذيع: قال : لأنّ اليهود كانوا يقولونها ، وإن كانت من اليهود قبيحة ، ومن المسلمين لم تكن قبيحة لما كانت في مشابهتهم فيها من مشابهة الكفار، وتطريقهم إلى بلوغ غرضهم .

الشيخ صالح: هذا ما ذكرنا؛ أنها مُنَع منها لأمرين:

الأمر الأول: التَّشْبَهُ بالكفار - ولو في اللفظ - .

والثاني: سدّ الذريعة التي تُفضي إلى الحرام.

وفيه ما ذكرنا أنه إذا كان هناك بديل ليس فيه احتمال للسوء فإنه يُؤخذ بالبديل ويُترك ما هو محتمل لأن كلمة (انظرنا) ليس فيها احتمال خلاف (راعنا) ففيها فلذلك مُنَع منها. نعم

المذيع: إذا يا شيخ هذا النهي الواضح بنص القرآن عن المشابهة في مجرد ألفاظ بين المسلمين والكافرين أصل مهم في النهي عن الاستجابة في غير ذلك .

الشيخ صالح: ما في شك وإن التَّشْبَهُ ممنوع لوجه عام، والتَّشْبَهُ بهم في الكلام، وسيأتي كلام الشيخ في تعلم رطانة الأعاجم من غير حاجة والتَّشْبَهُ بهم في اللباس الخاص بهم، والتَّشْبَهُ بهم في المشية، والتَّشْبَهُ بهم في الأكل والشرب - يعني في صفة الأكل والشرب؛ لا في أصل الأكل والشرب لكن في صفة الأكل والشرب. نعم .

٢٣٦) من أنواع التَّشْبَهُ المنهي عنه التَّشْبَهُ بالكفار التفرق في

الدين

المذيع: قال: وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى

اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

ومعلوم أن الكفار فرَّقوا دينهم وكانوا شيعا، كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]

وقال: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾ [البينة: ٤]

وقال: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى

يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة: ١٤]

الشيخ صالح: نعم ومن أنواع التشبه بالكفار التشبه المنهي عنه.

التشبه بهم في التفرق في الدين لأن الله جلّ وعلا أرسل الرسل وأنزل الكتب ليكون الناس على عقيدة واحدة، وإن اختلفت من شرائع الأنبياء فإن مؤداها واحد وهو عبادة الله وحده لا شريك له لكنه يشرع لكل أمة ما يناسبها في وقتها ثم ينسخ ذلك بالبديل الذي يصلح للوقت الذي هو فيه إلى أن جاء الإسلام فصار صالحا لكل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة.

فلذلك شريعة الإسلام لا تُنسخ فهي الشريعة الباقية إلى أن تقوم الساعة فالله جلّ وعلا يريد من عباده أن يجتمعوا على عبادته وعلى توحيده وأن يعملوا بكتابه.

أي كتاب أنزله في وقته، التوراة في وقتها، الإنجيل في وقته، القرآن في وقته؛ وهو ما تبقى من الدنيا إلى أن تقوم الساعة، ومن عمل بكتاب الله فإنه لا يتفرق؛ لأن الكتاب يجمع ولا يفرق، وإنما التفرق يحصل باتباع الأهواء والتعصب للأراء واتباع الشهوات والرغبات فإذا الناس اعتمدوا على الكتاب والسنة حصل الاجتماع.

قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]

وقال جلّ وعلا: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾

[آل عمران: ١٠٥]

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا

يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]

فالله برأ رسوله صلى الله عليه وسلم من المتفرقين في دينهم لأن الدين ليس محلاً للتفرق، وإنما هو دين واحد.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣]

فالدين ليس محل تفرق، وإنما التفرق في الأهواء والرغبات والانقسامات والجماعات إلى غير ذلك .
فالمسلمون أمة واحدة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]
وقال عليه الصلاة والسلام: " المؤمن للمؤمن كالبنيان "

قال صلى الله عليه وسلم: " مثل المسلمين في توادهم وتراحمهم وتعاضدهم كمثل الجسد الواحد ".
المسلمون جسد واحد وبنيان واحد وأمة واحدة، فالتفرق يحدث العداوة ويحدث سفك الدماء ويحدث ضعف في الأمة، خلاف الاجتماع؛ فإنه رحمة وقوة وعزة.
هذا هو المقصود كما أننا لا نتشبه بهم في الكلام ولا في اللباس ولا في دينهم، وكذلك لا نتشبه بهم في التفرق في الدين، فالواجب على المسلمين أن يبنذوا الخلافات؛ لا نقول إنه لا يحصل اختلاف في مسائل الفقه، والاجتهاد. فهذا أمر مطلوب.

الاجتهاد والبحث عن الحق ولو اختلفت أنا وأنت في مسألة من المسائل الفقهية؛ فهذا لا عيب فيه، ولكن علينا جميعا إذا اختلفنا أن نرجع إلى الكتاب والسنة فنأخذ ما ترجح بالدليل، ونترك المرجوح؛ هذا هو المفروض والواجب على الجميع، أما الاختلاف في العقيدة، والاختلاف في الدين والعبادة فهذا لا يجوز بحال من الأحوال ولا اجتهاد فيه لأنه توقيفي. نعم

(٢٣٧) القدوة الوحيدة هو رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله: قد قال تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام: (كُنْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ)
وذلك يقتضي تبرؤه منهم في جميع الأشياء .

الشيخ صالح: الله جلّ وعلا برّاً رسوله من المختلفين في الدين.

(إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا) هذا يعبد الله على طريقة فلان: على طريقة عبد القادر الجيلاني - وهذا على طريقة النقشبندي، وهذا على طريقة...

المذيع: ميرزا أحمد القادياني-

الشيخ صالح: هذا غير الصوفية - هذا يدعي النبوة. هؤلاء مخالفون للرسول صلى الله عليه وسلم أصلاً ويدعون أن لهم نبيا مصطنعا - والعياذ بالله - هؤلاء أشدّ، لكنّ الكلام في الذين ينتسبون إلى أتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ومع هذا يتفرّقون عليه ويكون قدوتهم فلان ، وعلان .

الواجب أن القدوة هو الرسول صلى الله عليه وسلم وهو القدوة الوحيدة (لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة) ونقلد ونقتدي من العلماء بمن اقتدى بالرسول صلى الله عليه وسلم واتبع الرسول ، أما من خالف الرسول وابتكر طريقة أو عبادة من عنده فإننا نرفضه ونبتعد عنه فالله جلّ وعلا إنّها يُعبد بالشرع وما أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يُعبد بالأهواء والتعصبات ولهذا قال شيخ الإسلام رحمه الله في موضع أو في الرسالة السنّية يقول: " من زعم أنه يجب الاقتداء بمعين غير رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه يُستتاب فإن تاب؛ وإلا قُتل " لأنه لا أحد يجب أتباعه بعينه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم أما غيره فإنه يتبع فيما وافق فيه النبي صلى الله عليه وسلم. نعم

المذيع: قال: وقد قال تعالى: (لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ) وذلك يقتضي تبرؤهم من جميع الأشياء.

الشيخ صالح: كلمة شيء في سياق النفي تعم كل شيء، فالرسول بريء منهم في جميع أمورهم وجميع أحوالهم ما داموا متفرقين في دينهم فليفتنّ لهذا أصحاب النحل الباطلة والفرق الضالّة التي تزعم أنّها على الإسلام وهي تتبّع فرقا منحرفة ومتفرقة.

والإسلام ليس فيه تفرّق وليس فيه اختلاف في العبادة والعقيدة والأمة وإنّما هو دين واحد وأمة واحدة. نعم

بيان مذهب وحدة الوجود الكافرة: (٢٣٨)

المذيع: قال: ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر.

الشيخ صالح: من تابع غير الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولو في بعض أموره فإنه منه - من ذلك المتبوع -

وليس من الرسول صلى الله عليه وسلم في شيء. نعم.

المذيع: لأن قول القائل: أنا من هذا، وهذا مني، أي: أنا من نوعه، وهو من نوعي، لأن الشخصين لا

يتحدان إلا بالنوع، كما في قوله تعالى:

﴿بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾ [آل عمران: ١٩٥]

وقوله صلى الله عليه وسلم لعلي: "أنت مني وأنا منك"

الشيخ صالح: نعم، الإنسان من الإنسان، بمعنى أنه من نوعه لا من عينه؛ فلا يمكن أن يكون عينا واحدة،

وإنما إنسان هو الإنسان في النوع في نوع الإنسانية فقوله صلى الله عليه وسلم لعلي: "أنت مني وأنا منك"

أي أنت تشبهني وأنا أشبهك؛ لا أن عين علي هو عين الرسول صلى الله عليه وسلم هذا مذهب وحدة الوجود

الكافرة. نعم

المذيع: فقول القائل: لست من هذا بشيء، أي: لست مشاركا له في شيء، بل أنا مُتبريء من جميع

أموره.

الشيخ صالح: يختلفون في شيء من جميع الأشياء التي هي خارج الذات لا الذات وحدها. نعم

المذيع: وإذا كان قد برأ الله رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع أمورهم فمن كان متبعا للرسول صلى

الله عليه وسلم حقيقة كان متبرئا كتبرئه، ومن كان موافقا لهم كان مخالفا للرسول بقدر موافقته لهم.

الشيخ صالح: نعم، من كان مُتَّبِعًا للرسول صلى الله عليه وسلم مقتديًا به؛ فإنه بريء من هذه الفرق كلها، كما برأ الله رسوله منها، ومن كان متبعًا لأحد من هذه الفرق فهو بريء من الرسول صلى الله عليه وسلم والرسول بريء منه فلا يجتمع أنك تكون مع الرسول وتكون مع غيره، مع من خالفه. نعم.

من معاني الاختلاف والاتفاق في الدين، والمسلم يتلقى أوامر

الله ورسوله بالتسليم وسرعة الاستجابة.

المذيع: قال: فإنَّ الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما، كلما شابهت أحدهما خالفت الآخر.

الشيخ صالح: فإنَّ الشخصين المختلفين من كل وجه في دينهما ما يجتمع أنك تكون من هذا ومن هذا؛ فإذا كنت مع واحد فأنت بريء من الآخر ومخالف له مخالفة تضاد، أما إذا كان الاختلاف في وجه دون وجه فقد يكون فيه نوع من الاجتماع فيما اتفق عليه وافتراق فيما اختلفوا عليه فيه.

المذيع: وقال الله سبحانه تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ

يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] إلى آخر السورة.

وقد روى مسلم في صحيحه: عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما نزلت على

رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ

اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] اشتد ذلك على أصحاب رسول الله

صلى الله عليه وسلم، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بركوا على الركب فقالوا: أي رسول الله كلفنا ما

نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة وقد نزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها، قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم "أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟

بل قولوا : سمعنا وأطعنا ، غفرانك ربنا، وإليك المصير " فلما اقترأها القوم وذلت بها ألسنتهم ، أنزل الله في إثرها: ﴿أَمَّنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل الله : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قال : نعم : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قال : نعم : ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قال : نعم : ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قال : نعم .

قال المؤلف رحمه الله: فحذَّره النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلقوا أمر الله بما تلقاه أهل الكتابين.

الشيخ صالح: نعم وهذا نوع آخر من التشبه الذي نهينا عنه وهو أن اليهود والنصارى كانوا يتلقون أوامر الله وأوامر رسله بالتثاقل والبطء والاعتراضات الباردة كما حصل من اليهود في ما ذكره الله عنهم في سورة البقرة وغيرها من أنهم إذا أمروا بالأوامر يتثاقلون ويتسائلون ويتكاسلون فالله جلّ وعلا أراد أن يمتحن هذه الأمة هل تكون مثل الأمم السابقة أو لا فأنزل الله هذه الآية : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

ذكر أنه يحاسب العبد حتى على نيته وما في قلبه -ولو لم يعمل-؛ فشق ذلك على صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الصحابة يُبادرون إلى العمل بالقرآن والسنة فإذا نزل عليهم شيء بادروا بالامتثال، لكن لما نزلت عليهم هذه الآية شقت عليهم لأن أحدا لا يسلم من التفكير والهواجس التي في القلوب هذا شيء يعرض لكل أحد فإذا كان الله سيحاسبهم عليه؛ فإنه لا يبقى لهم شيء فلذلك شق ذلك عليهم فذهبوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم مشفقين وجثوا على الركب وقالوا كلفنا ما نطبق فصرنا وإنه نزلت عليك آية لا نطبقها.

فالنبي صلى الله عليه وسلم لامهم وقال: **أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم : سمعنا وعصينا ؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا، وإليك المصير**؛ فعند ذلك الصحابة رضي الله عنهم استسلموا لهذا وآمنوا به وتركوا الاعتراض فلما امتثل الصحابة ذلك واستسلموا لهذا الامر وخضعوا له عند ذلك أنزل الله قوله تعالى: ﴿ **آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ كُتُبَهُ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ** ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

امثلوا قول الرسول صلى الله عليه وسلم لهم قولوا سمعنا وأطعنا يعني ولا تعترضوا وإن كان في هذا مشقة عليكم وأنه شيء غير مألوف لكم ولا تطيقونه فلا يسعكم إلا الامتثال والاستسلام لأمر الله سبحانه وتعالى، وهذه تربية من الله عز وجل لهذه الأمة في أنهم لا يقابلون أوامر الله بالاعتراض أو بالتشاقل وإن كانت شاقة ومكلفة فعليهم الامتثال والصبر. فلما حصل منهم الإيمان والاستسلام وعند ذلك نسخ الله هذه الآية قوله تعالى: ﴿ **لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا** ﴾ وفي الأول فيه أنه يؤاخذهم بالخطأ والنسيان .

﴿ **لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْذُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفُورَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** ﴾ [البقرة: ٢٨٤]

لا تؤاخذنا دعوا ربهم فبدل أن تعترض تدعو الله عز وجل: (**لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ** ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

إصرا يعني ثقلا وحملا ثقيلًا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به فبدل من الاعتراض الدعاء فهم استسلموا أولا ثم دعوا ربهم ثانيا فاستجاب الله لهم ونسخ الآية التي قبلها في أن الإنسان لا يؤاخذ بما أخطأ فيه أو نسيه أو حدثت به نفسه من غير أن يتكلم أو يعمل كما قال صلى الله عليه وسلم: " **عفي لأمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه** " " **عفي لأمتي الخطأ والنسيان وما حدثت به أنفسها ما لم تتكلم أو تعمل** "

وهذا لطف من الله عز وجل وتيسير من الله لكن هذا ما حصل إلا بعد أمرين الأمر الأول : الاستسلام والانقياد لأمر الله وعدم الاعتراض .

الأمر الثاني : الدعاء؛ لأن الله لا يكلفنا ما لا طاقة به وأن يعفو عنا ما حصل منا من الخطأ والنسيان : (لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦]

قال الله - جل وعلا - قد فعلت لأن هذا دعاء والله جل وعلا أجابهم بأنه قد فعل ذلك .

المذيع : قال: فحذّرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتلقوا أمر الله بما تلقاه الكتابين وأمرهم بالسمع والطاعة فشكر الله لهم ذلك حتى رفع عنهم الأصار والأغلال التي كانت على من كان قبلنا.

الشيخ صالح: الحمد لله . نعم

المذيع : أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرا.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الدرس الثالث والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج

اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رحمه الله.

يشرح الكتاب عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة

كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم، فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(٢٤٠) تحذير النبي للمسلمين أن يتلقوا أمر الله بما تلقاه أهل

الكتاب

المذيع: ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - ما جاء في صحيح مسلم ما أخبر به النبي صلى الله عليه

وسلم من قول الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وسبق بعض الحديث الشرح عن هذه، وقفنا مع المؤلف عند قوله بعد ذلك: (فحذرهم النبي صلى الله عليه

وسلم أن يتلقوا أمر الله بما تلقاه أهل الكتابين، وأمرهم بالسمع والطاعة، فشكر الله لهم ذلك حتى رفع عنهم

الآصار والأغلال التي كانت على من كان قبلنا).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

من جملة التشبه الذي نهانا الله ورسوله عنه بإهل الكتاب، التشبه بهم في تلقيهم لأوامر الله ورسوله، أنهم كانوا يتكلمون عند التلقي، ويتكاسلون، فالله سبحانه وتعالى عاقبهم وشدد عليهم، وكما سبق أنهم أيضاً كانوا يكثرون الأسئلة بدل أن يبادروا بالإمتثال، يكثرون الأسئلة والإشكالات، فالله جَلَّ وَعَلَا عاقبهم، حملهم آصاراً وأغلالاً.

وقد أراد الله سبحانه أن يمتحن هذه الأمة، ليظهر الفرق بينها وبين الأمم السابقة في هذا المضمار وغيره، فالله جَلَّ وَعَلَا، أنزل عليهم هذه الآية: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفَوْهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فعند ذلك خاف الصحابة من هذه الآية، لأن الله أخبر أنه يحاسبهم بما في صدورهم وما في قلوبهم، فشق ذلك عليهم شقة شديدة، وجاءوا إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجثوا على الركب، لأنهم أمة يريدون العمل، فهم لو عملوا بهذه الآية لشقت عليهم. لأنه قل من يسلم من الهواجس، وقل من يسلم من الخطأ والنسيان، والله أخبر أنه سيحاسبهم على ذلك، فشق ذلك عليهم.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنكر عليهم هذا، وقال: «عَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» فيما يقابلون به أمر الله سبحانه وتعالى. عليكم بالسمع والطاعة، والإمتثال، والصبر، فعند ذلك اقتنعوا، وقالوا: سمعنا وأطعنا. فأنزل الله تعالى قوله تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، فعند ذلك نسخ الله هذه الآية وخفف عن عباده لما ظهرت طاعتهم وامتثالهم وانقيادهم، خلاف الأمم الذين من قبلهم فالله جَلَّ وَعَلَا نسخ الآية بقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا

تَوَاخِذُنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا نَحْمِلُ عَلَيْنَا إِيْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿البقرة: ٢٨٦﴾.

قال الله سبحانه وتعالى عند كل دعاء: «نعم، نعم» ثم قال: «قد أجبت»، عند ذلك خفف الله عن هذه الأمة، ونسخ عنها الآصار والأغلال واستجاب هذا الدعاء وهذا إنما هو ببركة الإمتثال والسمع والطاعة وعدم مشابهة أهل الكتاب في تلكؤهم عند أوامر الله.

والحاصل من هذا أننا نهيئنا أن نتشبه بأهل الكتاب بالتوقف عند أوامر الله، وكثرة الأسئلة والاستشكالات، وأن الواجب علينا المبادرة والسمع والطاعة، وأن ذلك يفضي إلى يسر بإذن الله عز وجل.

(٢٤١) وصف الله للرسول بأنه يضع عن المسلمين الأغلال والآصار

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله-: (وقال الله في صفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، فأخبر الله سبحانه أن رسوله عليه الصلاة والسلام يضع الآصار والأغلال التي كانت على أهل الكتاب، ولما دعا المؤمنون بذلك أخبر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قد استجاب الله دعاءهم).

الشيخ صالح: نعم، الله سبحانه وتعالى، وصف رسوله محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأنه يضع الآصار والأغلال عن أتباعه، فلو أن أهل الكتاب امتثلوا وأطاعوا هذا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ودخلوا في دينه، لوضع الله عنهم الآصار والأغلال التي كانت عليهم، وذلك في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، يعني: على أهل الكتاب، لو

أنهم آمنوا بهذا الرسول واتبعوه لوضع الله عنهم هذه الآصار والأغلال، لكنهم لما لم يتبعوه بقيت عليهم إلى يوم القيامة، لم تُنسخ في حقهم، وإنما نُسخت في حق من آمن بهذا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم. فهم فاتهم هذا الثواب العظيم في اتباع هذا الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن صفة هذا الرسول أن شريعته يسر وسهولة، ليس فيها آصار ولا أغلال، وأن الله جَلَّ وَعَلَا استجاب دعاء عباده لما طلبوا منه أن يضعوا عنهم الآصار، ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] قال الله: «وَقَدْ فَعَلْتَ».

(٢٤٢) إن الله يُحب أن تُؤخذ برخصه

المذيع: قال: (وهذا وإن كان رفعا للإيجاب والتحريم فإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يكره أن تؤتى معصيته)، وقد صح ذلك عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشيخ صالح: نعم، فالله جَلَّ وَعَلَا يُحب اليسر، وهو رفيق يحب الرفق، فالله جَلَّ وَعَلَا يحب من عباده أن يأتوا برخصه، كما يكره منهم أن يأتوا معصيته كما في الحديث.

هذا دليل على أن الله يحب لعباده اليسر والسهولة، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]

(٢٤٣) زجر النبي أصحابه عن التبتل

المذيع: قال: (كما كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يكره مشابهة أهل الكتابين في هذه الآصار والأغلال، وزجر أصحابه عن التبتل وقال: «لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ»، وأمر بالسحور ونهى عن المواصلة، وقال فيما يعيب أهل الكتابين ويحذر موافقتهم: «فَتِلْكَ بِقَايَاهُمُ الصَّوَامِعُ» وهذا باب واسع جدا).

الشيخ صالح: نعم، الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنكر على بعض أصحابه، أن يحملوا على أنفسهم في العبادة ويتشددوا فيها، وحذَّره مما وقع لمن كان قبلهم من هذا الشيء وما أفضى إليه، الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أخبر عن النصارى وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً﴾ [الحديد: ٢٧]؛ يعني: المسيح عليه السلام ﴿رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، الرأفة والرحمة هذه ثابتة، وهذه من شرع ومن شرع المسيح عليه السلام، ولكن الرهبانية وهي التشدد في العبادة، هذه ليست من دين المسيح، عليه السلام، وإنما أحدثوها، ولهذا قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا﴾ والإبتداع: هو إحداث شيء في الدين ليس منه، فهم ابتدعوا الرهبانية وهي الانقطاع عن الدنيا والتفرغ للعبادة، ولم يستمروا على هذا لأنهم انقطعوا، ولهذا قال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني أن الله لم يفرضها عليهم ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ﴾، يعني: لكن هم إبتدعوها لقصد حسن وهو ابتغاء رضوان الله.

هذا دليل على أن العبرة ليست بالنية والقصد وإنما العبرة بالشرع، فالإنسان يتبع ما شرعه الله ورسوله ويترك ما نهى الله عنه ورسوله، ولا يحدث البدعة ولو كانت نيته فيها حسنة، فإنها سيئة.

ولهذا قال: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧]، مع أنهم ابتدعوها لابتغاء رضوان الله، ما رعوها حق رعايتها، عجزوا، ولهذا نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن التشدد في العبادة. وقال: ﴿إِنَّ الْمُنْتَبِتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى﴾، فالتشدد في العبادة ينقطع، لأنه عبدٌ ضعيف فلا يستطيع الاستمرار مع التشدد، وإنما يستطيع الاستمرار مع اليسر والسهولة كما في هذا الدين الحنيف الذي اختاره الله لهذه الأمة وهو دين اليسر، من غير إفراط ولا تفريط.

فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لما هم طائفة من أصحابه، بأشياء يريدون بها التقرب الى الله، وفيها مشقة على النفوس وحرمان للنفوس، نهاهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنهى عن الخِصاء، من أراد أن يختصي خوفاً من الزنا نهاه عن ذلك

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولهذا قال: «نُهِنَا عَنِ التَّبْتَلِ»؛ وهو الانقطاع للعبادة وترك النساء، «ولو أمرنا به لاختصينا» -أو كما جاء-، فالله جَلَّ وَعَلَا نهاهم عن ذلك رفقا بهم.

وأراد جماعة من أصحابه أن يسألوا عن أعمال الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليقتدوا به فيها، فلما أُخبروا من قبل زوجته -رَضِيَ اللهُ عَنْهَا-، كأنهم تَقَالُوا عبادة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن قالوا: «أين نحن من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فأصلي ولا أنام، وقال الآخر: أما أنا فأصوم ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فلا أتزوج النساء، وقال من قال: وأنا لا أكل اللحم، فلما علم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بذلك، غضب غضباً شديداً، وقال: والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، وإني أصلي وأنام وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء وأكل اللحم، ومن رغب عن سُنتي فليس مني» فناهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذلك، واعتبره رغبة عن سنة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وتبرأ ممن فعله مع أنه يريد الخير، ويريد الزيادة في الخير، لكن الله لم يشرع لنا ذلك، لم يشرع لنا أن نشق على أنفسنا، وأن نحملها ما لا تطيق، فهذا لا يرضاه الله جَلَّ وَعَلَا، وليس فيه أجر ولا ثواب؛ لأنه غير مشروع، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنكر على أصحابه الذين هموا بأشياء من جنس ما كان يعملها أهل الكتاب، وقال: «تلك بقاياهم في الصوامع والديارات رهبانية ابتدعوها ما كتبها الله عليهم».

٢٤٤) نهي النبي أصحابه عن مواصلة الصيام

المذيع: قال: (فنهى عن التبتل وأمر بالسحور ونهى عن المواصلة وقال فيما يعيب أهل الكتابين: «فتلك بقاياهم في الصوامع»).

الشيخ صالح: نعم، ومن ذلك أنه نهى عن الوصال في الصيام، وهو أن الإنسان يصوم الأيام ولا يفطر بينها، يريد التقرب إلى الله بذلك، هذا يشق على النفوس، ويحملها ما لا تستطيع، فلهذا شرع الله الإفطار عند غروب الشمس، والسحور عند الفجر، قال سبحانه وتعالى: ﴿أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]، إلى قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فلما أراد جماعة من أصحابه الوصال نهاهم صلى الله عليه وسلم، عن ذلك؛ رفقاً بهم، وسداً لهذا الباب لئلا يتطور فيما بعد، فترك الشريعة بهذه الطريقة، الناس ما يستطيعون هذا الشيء، فيؤول هذا إلى ترك الشريعة، فهذا من باب سد الذرائع.

ولما قالوا له: «إِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَوَاصَلْ، قَالَ: إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنَّنِي أَبِيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمَنِي وَيَسْقِينِي»، هذا من خواص الرسول صلى الله عليه وسلم، أما نحن فلا نستطيع ما يقوم به الرسول صلى الله عليه وسلم من العبادات، فالرسول له خواص.

٢٤٥) معاداة الله للمنافقين الذين تولوا اليهود

المذيع: أحسن الله اليكم. قال: (وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَّا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ﴾ [المجادلة: ١٤]، يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود، إلى قوله: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ٢٢])

الشيخ صالح: نعم، هذا باب الموالاة؛ باب الولا والبراء من اليهود والنصارى وسائر الكفرة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ﴾، و(الولاية) بفتح الواو معناها: المحبة والمناصرة والمعاونة

لهم والمعاونة للكفار، فإنه لا يجوز، ولهذا قطع الله الموالاة بين المسلمين والكفار في الموارث، وفي المناصرة، وفي المحبة في القلوب لأن محبتهم في القلوب تجر إلى التشبه بهم في الأعمال، فلذلك الله حرم موالاة اليهود والنصارى، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾.

ثم قال: ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾، هم يتولى بعضهم بعضاً في التوارث وفي المناصرة وفي محبة بعضهم لبعض؛ أما أنتم فأنتم منهيون عن موالاتهم، ثم قال: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ من يتولهم يعني: بالمحبة والمناصرة والمتابعة فإنه منهم؛ أي: على دينهم، هذا يدل على أن موالاة الكفار أنها كفر، فإنه منهم بمعنى: أنه مثلهم في الكفر -والعياذ بالله-، وهذا خطرٌ عظيم على المسلم.

والموالاة تختلف: منها ما يكون كفراً، ومنها ما يكون فسقاً، ومنها ما يكون معصية، تختلف باختلاف مواردها، ولكن هي على العموم محرمة من جميع نواحيها.

وفي هذا ردٌ على المنافقين، الذين يُوالون اليهود من دون المؤمنين، قال: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ [المائدة: ٥٢]، يعني: أهل النفاق، ﴿يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾، يعني: في اليهود، ﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾، نخشى أنهم يتصرون ويتقوون، ويكون لنا يد عندهم، إذا انتصروا يكون لنا يد عندهم ما يضرونا، فهم يسيئون الظن بالله، ومحسنون الظن بأعداء الله -والعياذ بالله-، وإلا لو أحسنوا الظن بالله وتوكلوا على الله لم يتخذوهم أولياء ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُواهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾ [المائدة: ٨١].

﴿يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾ قال الله -جَلَّ وَعَلَا-: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ﴾؛ أي: النصر ﴿أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ فَيُضْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسْرُوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢] يصبح المنافقون نادمين على ما حصل منهم، لأنهم اعتمدوا على ضعيف وانهار وانكشف أمرهم، ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِيَّاهُمْ

لَمَعَكُمْ حَيْطَتُ أَعْمَاهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿ [المائدة: ٥٣]، انكشف أمرهم - والعياذ بالله - وافتضحوا، لأنهم كانوا يحسبون الظن باليهود ولا يحسبون الظن بالله، ولا يتوكلون على الله.

وفي سورة المجادلة، قال تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وفي سورة الممتحنة، قال في آخرها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣]، كل سورة الممتحنة في الولاء والبراء - من أولها إلى آخرها -، ختمها بهذه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وقد سبق لنا أن المغضوب عليهم هم اليهود، وأن الضالين هم النصارى.

٢٤٦) عقد الله الموالاتة بين المهاجرين والأنصار وبين من آمن معهم إلى

يوم القيامة

المذيع: أحسن الله اليكم، (وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]، إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٣]، إلى قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥]، فعقد سبحانه الموالاتة بين المهاجرين والأنصار، وبين من آمن بعدهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة).

الشيخ صالح: نعم، هذه كآية المائة، بدأ بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥٢]، إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ (٥٥) وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥-٥٦].

ثم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُؤًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ
وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ كُتُوبَكُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٥٧]، فالآيات في هذا واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار
أنه لا يجوز للمؤمنين أن يحبوا الكفار، أو أن يناصروهم على كفرهم، وعلى شرهم ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدُ
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٥]، يعني في المواريث. فالله قطع التوارث بين المسلمين والكافرين إلى يوم القيامة، ليس هذا
خاصًا بالمهاجرين والأنصار، وليس هذا خاصًا بالكفار في وقت الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل هو مستمر ما
بقي الكفر والإيمان على وجه الأرض.

المدية: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية - رحمه الله - يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

وفي مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٢٤٧) عند الموت: المسلم يتولاه المسلم والكافر يتولاه الكافر

المذيع: ذكر المؤلف - رحمه الله تعالى - الآية الأخيرة في سورة الأنفال، وهي قوله - تعالى - ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥]. ثم قال: فعقد - سبحانه - الموالاة بين المهاجرين والأنصار، وبين من آمن بعدهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

قدم الكلام على هذه الآيات من آخر سورة الأنفال من قوله - تعالى - ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [الأنفال: ٧٢]

قال الشيخ - رحمه الله - إن هذه في المهاجرين والأنصار أن بعضهم أولياء بعض في النصره وفي المحبة وفي المواريث، وحتى في تولي الجنائز، المسلمون يتولون جنازة أخيهم المسلم، فيغسلونه ويكفنونونه ويصلون عليه ويدفنونونه في مقابر المسلمين، ويدعون له ويترحمون عليه ويستغفرون له.

والكافر يتولاه الكفار، ولا يتولاه المسلمون إذا مات.

فيستلمه الكفار ويدفنونونه في غير مقابر المسلمين، فالله - جل وعلا - فرق بين المسلمين والكفار في الدنيا وفي الآخرة، في الدنيا بالموالاة والمناصرة، وفي الموت والجنائز جنازة المسلم يتولاه المسلمون وجنازة الكافر يتولاه الكفار.

وفي المقابر البرزخ، حتى في البرزخ فصل الله بين المسلمين والكفار؛ فالمسلمون يدفنون في مقابر المسلمين مع إخوانهم، والكفار يدفنون مع الكفار مع إخوانهم من الكفار.

وفي الآخرة المؤمنون في الجنة والكفار في النار.

٢٤٨) أخوة الإنسانية لا اعتبار لها مع الكفر، وإنما الاعتبار بأخوة

الإيمان-

فإذا الله مايز بين المسلمين والكفار - في الدنيا والآخرة-، وأما كونهم كلهم من بني آدم أو إخوة في الإنسانية أو نحو ذلك، هذه لا قيمة لها مع الكفر، فالأخوة إنما هي في الإيمان، وليس هناك أخوة بين مسلم وكافر أبداً - لا في الدنيا ولا في الآخرة-، وختم هذه الآيات بقوله (وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا) [الأنفال: ٧٥] يعني من بعد المهاجرين والأنصار، (وجاهدوا معكم فأولئك منكم) يعني هذا يأتي بعدهم إلى يوم القيامة، فهم كلهم حكمهم حكم المهاجرين والأنصار في أن بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة.

والكفار بعضهم أولياء بعض في الدنيا والآخرة، ثم قال **(وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله)** يعني في الموارث، فالمسلمون يرثون المسلم، والكفار يرثون الكافر، ولا توارث بينهم، وكانت هذه الآية ناسخة للإرث بالموالاة والمجاورة كما كان في الأول، نعم.

٢٤٩) الجهاد والهجرة أصلان عظيمان من أصول الإيمان.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال المؤلف - رحمه الله - والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه، والجهاد باقٍ إلى يوم القيامة، فكل شخصٍ يمكن أن يقوم به هذان الوصفان، إذ كثيرٌ من النفوس اللينة تميل إلى هجر السيئات دون الجهاد، والنفوس القوية قد تميل إلى الجهاد دون هجر السيئات؛ وإنما عقد الموالاة لمن جمع الوصفين وهم أمة محمدٍ حقيقةً.

الشيخ صالح: نعم. فهذان الوصفان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله، الإيمان والجهاد والهجرة، والأصل هو الإيمان، هو أصل الأعمال. الجهاد والهجرة تابعان من الإيمان هما من الإيمان؛ لأن الأعمال تدخل في حقيقة الإيمان، فهذان الوصفان باقيان إلى أن تقوم الساعة، من جمع بينهما حقيقة فإنه هو المسلم حقاً، فإن كان قد أكمل هذين الوصفين فهو مؤمنٌ إيماناً كاملاً، وإن كان ناقص من هذين شيئاً فإنه مؤمنٌ ناقص الإيمان، وإن كان فقدهما نهائياً، فليس من أهل الإيمان، نعم.

٢٥٠) في بيان حقيقة الموالاة والمؤادة التي تجب على ال مسلم

المذيع: وقال الله - تعالى - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥] ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]

ونظائر هذا في غير موضع من القرآن، يأمر سبحانه بموالاة المؤمنين حقاً الذين هم حزبه وجنده، ويحذر أن هؤلاء لا يوالون الكافرين ولا يوادونهم.

الشيخ صالح: نعم، هذه من سورة المائدة مع الآيات السابقة، قال سبحانه **(إنما وليكم الله)** لما نهى المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى بين من يوالون؛ فقال: **(إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا)** فالمؤمنون يتولون الله بالمحبة والعبادة والطاعة، ومحبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله، ويتولون الرسول بالمحبة والطاعة والاتباع والافتداء، ويتولون المؤمنين بالمحبة والمنصرة والمعاضدة والتعاون؛ هؤلاء هم الذين يتولّى بعضهم بعضًا وحتى - كما ذكرنا - في الجنائز: المؤمنون يتولون جنازة المؤمن، وما أحسن ما شرع الإسلام في حق الميت المسلم، كما ذكر ابن القيم: أنه شرع في حق المؤمن الميت أحسن الشرائع؛ لأنه يغسل ويكفن ويصلى عليه، ويجمع المسلمون ويصلون عليه ويدعون له ويترحّمون عليه، ثم يدفونه مع إخوانه -أموات المسلمين- ثم يزورونه بعد ذلك، ما تنقطع موالاتهم له؛ بل يزورونه في قبره ويدعون له، أو يدعون له حتى وإن كانوا بعيدين عن قبره. فالحاصل أن ولاية المؤمنين للمؤمنين مرتبطة لا تنفك أبدًا في الدنيا والآخرة، وهذا من كمال هذا الدين الذي جاء به هذا الرسول - صلى الله عليه وسلم - ثم بين الذين آمنوا، من هم؟ **(الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون)** ذكر ركنين من أركان الإسلام؛ لأنها أهم أركان الإسلام العملية؛ فالصلاة عمل بدني، والزكاة عمل مالي، فهم يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راعون، يعني يكثرون من الركوع، عبر عن الصلاة بالركوع؛ لأن الركوع هو أعظم أركانها، أعظم أركان الصلاة هو الركوع والسجود، عبر عن الصلاة بالركوع: **(وهم راعون)**، ثم بين - سبحانه وتعالى - جزاء من يتولّى الله ورسوله؛ فقال **(ومن يتولّى الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله الغالبون)** ساهم حزبه كما قال في آخر سورة المجادلة **(أولئك حزب الله إلا إن حزب الله هم المفلحون)** [المجادلة: ٢٠] فالناس على حزبين: إما حزب الله وإما حزب الشيطان، ولهذا قال قبل هذا: **(استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون)** [المجادلة: ١٩] فحزب الشيطان هم الكفار والمنافقون، وحزب الله هم المؤمنون الذين يطيعون الله ورسوله، فالإنسان لا يعدو إما أن يكون من حزب الله، وإما أن يكون من حزب الشيطان، فلينظر الإنسان لنفسه مع أي الحزبين.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال - رحمه الله - والموالة والموادة وإن كانت متعلقة بالقلب، لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومبايئتهم.

الشيخ صالح: نعم الموالة والموادة وإن كانتا في القلب، يعني الأصل أنها بالقلب - الموالة والموادة - لكن الموالة بالعمل أشد؛ بأن ينصرهم أو أن يكون معهم أو أن ينحاز معهم ضد المسلمين أو يعينهم على المسلمين هذه أشد، نعم.

المذيع: قال: لكن المخالفة في الظاهر أعون على مقاطعة الكافرين ومشاركتهم في الظاهر إن لم تكن ذريعة أو سبباً قريباً أو بعيداً إلى نوع من الموالة فليس من مصلحة المقاطعة والمباينة.

الشيخ صالح: نعم هذا عود على ما ألف الكتاب من أجله وهو اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، عود على التشبه بهم.

المذيع: موضوع الكتاب.

٢٥١) من تولّى الكفار في الظاهر دون الباطن فهو على خطر

عظيم.

الشيخ صالح: إي نعم، فإن التشبه بهم في الظاهر يدل على موافقتهم في الباطن ومحبتهم في الباطن؛ لأن بعض الناس قد يتساهل، ويقول: أنا أوافقهم في الظاهر فقط، وأنا في قلبي لا أحبهم ولا أتولاهم، وهذا - الله أعلم بحقيقته - إن كان يتولاهم في الظاهر مع بغضهم في الباطن؛ فهو عاصٍ لله - عز وجل - وإن كان كذاباً في قوله أنه يتولاهم في الظاهر دون الباطن، وإنما يتولاهم في الباطن أيضاً، فهذا قد يكون كافراً، نعم.

المذموم: نسأل الله العافية، قال مع أنها - أي المشاركة في الظاهر - تدعو إلى نوع ما من المواصلة كما توجبه الطبيعة، وتدل عليه العادة، ولهذا كان السلف - رضي الله عنهم - يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات.

الشيخ صالح: نعم، ولهذا يعني تقرير أن التشبه بهم في الظاهر يدل على موافقتهم ومحبتهم في القلب هذا أمر مؤكد؛ ولهذا الله - جل وعلا - نهى عن التشبه بهم، والنبى - صلى الله عليه وسلم - نهى عن التشبه بهم، لأجل ألا تتعلق القلوب بأعداء الله، ويكون فيها ميلٌ إليهم هذا من باب سد الذرائع، والإنسان إذا تشبه بناس فإنه يميل إليهم؛ إما أن يكون ميلاً كثيراً، وإما أن يكون ميلاً قليلاً، وإذا لم يتشبه بهم؛ فإنه لا يميل إليهم، فالتشبه هو علامة الميل وعلامة الركون إليهم، الله - جل وعلا - يقول ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣]. والميل هو الركون والركون هو الميل - وإن قل -، فالمؤمن يعتز بدينه ويفتخر بقيمته، ولا يتنازل عن كرامته؛ لأن الله رفعه ﴿وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] فلا يهين نفسه، ويتنازل إلى أعداء الله، بل عليه أن يتميز بشخصيته الدينية الإسلامية، ولسنا بهذا نقول: إنه تجب مقاطعة الكفار من كل النواحي، وإنما هو من النواحي الدينية ونواحي العبادة، وأما نواحي التعامل المباح بالبيع والشراء والمعاهدات وعقد الذمة وقبول الرسائل والرسول منهم والتفاوض معهم، فهذا ليس ممنوعاً، هذا فعله النبى - صلى الله عليه وسلم - وفعله الصحابة، هذا شيء، والموالاتة شيء آخر؛ لأن بعض الناس يخلط بين هذا وهذا، فالمتشددون يخلطون بين المحبة في القلوب والموالاتة وبين التعامل المباح، يقولون: كله حرام، ولا يجوز. والمتساهلون يقولون: كل واحد ما دام تعامل معهم في الدنيا يتعامل معهم في أمور العبادات والأشياء هذه. هذا تساهل وتفريط، والأول إفراط وغلو، والواجب التفريق بين المسألتين: مسألة الموالاتة؛ هذه محرمة، ومسألة التعامل؛ هذه مباحة، نعم.

٢٥٢) هل يستعان بالكفار في الولايات والتوظيف على المسلمين:

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: كانوا يستدلون بهذه الآيات على ترك الاستعانة بهم في الولايات، فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قلت لعمر - رضي الله عنه -: إن لي كاتباً نصرانياً. قال: مالك، قاتلك الله! أما سمعت الله يقول ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [المائدة: ٥١] ألا اتخذت حنيفاً! قال: قلت: يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه. قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدينهم إذ أقصاهم الله.

الشيخ صالح: قلنا: إن التعامل معهم فيما أباح الله لا بأس به، وليس هذا من الموالاتة، ولكن لا نمكّنهم من أسرار المسلمين ونوليهم الوظائف، ويكونون رؤساء على المسلمين في الدوائر وأمور الدولة؛ بل نبعدهم عن أسرارنا وعن قياداتنا؛ لأن الله - جل وعلا - حذّرنا من ذلك، قال ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: ١١٨]

يعني من غيركم (لا يألونكم خبالاً) أي إنهم لا يقصرون في الإضرار بكم مهما استطاعوا، ويغشونكم ويطلعون على أسراركم؛ وبينون عليها الكيد لكم، فهم وإن عملوا عند المسلمين إذا احتاجوا إليهم، لكن يكونون بعيدين عن القيادات وعن أسرار المسلمين، فيجب الفهم لهذه المسألة، وهذا هو الذي أنكره عمر - رضي الله عنه - على هذا الصحابي الجليل الذي اتخذ كاتباً نصرانياً؛ فإنه أنكر عليه توليته الكتابة؛ لأن كاتب الإنسان يطلع على أسرارها، لا سيما إذا كان مسؤولاً كبيراً في الدولة؛ فإن هذا الكافر يطلع على أسرار المسلمين.

٢٥٣) إنكار عمر رضي الله عنه على أبي موسى في اتخاذه كاتباً

نصرانياً

المذيع: قال: روى الإمام أحمد باسناد صحيح عن أبي موسى - رضي الله عنه - قال: قلت لعمر - رضي

الله عنه - إن لي كاتباً نصرانياً، قال: مالك، قاتلك الله!

الشيخ صالح: أبو موسى الأشعري - رضي الله عنه - صحابي جليل أنكر عليه عمر أمير المؤمنين، نعم.

المذيع: قال: أما سمعت الله يقول (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء).

الشيخ صالح: اعتبر عمر - رضي الله عنه - توظيفه من الولاية الداخلة في قوله (لا تتخذوا اليهود والنصارى

أولياء)، وفي الآية التي تلونهاها (لا تتخذوا بطانة من دونكم) نعم.

المذيع: قال: ألا اتخذت حنيفاً!

الشيخ صالح: حنيفاً يعني مسلماً، نعم.

المذيع: قال: قلت: يا أمير المؤمنين، لي كتابته وله دينه.

الشيخ صالح: لي كتابته، هذا تأويل أبي موسى - رضي الله عنه - يقول: إن لي كتابته، لكن لم يفتن - رضي الله

عنه - إلى اطلاعه على الأسرار وخيائنه وعدم أمانته، وإنما نظر إلى جودة كتابته وجودة عمله، وهذا ما يدندن به

كثير من الجهال، يقولون: إننا نشوفهم يتقنون الصناعة ويتقنون الأشياء، فنقول: ما دام في المسلمين من يُحسن

العمل هذا، فلا يجوز أنك تأتي بالكافر وتوليه مهام المسلمين، نعم.

المذيع: قال: لا أكرمهم إذ أهانهم الله، ولا أعزهم إذ أذلهم الله، ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله.

الشيخ صالح: إي نعم، لأن جعله كاتباً؛ هذا اتخاذ بطانة ورفعة له، لا سيما اذا كان عند مسؤول من المسؤولين، وقيادي من القياديين من المسلمين؛ لأن هذا فيه رفع للكافر وإعزاز له على المسلمين، نعم.

المذيع: وحتى إن كان في العملات الدونية يعني؟

الشيخ صالح: العملات المنفصلة عن الأسرار والقيادات إذا احتيج إليها لا بأس، نعم.

٢٥٤) المسلم خير من الكافر حتى وإن كان المسلم فاسقاً

المذيع: يا شيخ، بعض الناس قد ينفلت في هذا تبعاً لهواه، ويكون استجلب عمالاً كفاراً، ربما ينفلت بكلام خطير، هم أحسن، أفضل، ..، فينسب أن فيه تفضيلاً مطلقاً للكفار على المسلمين، أحسن مواعيد، أحسن عملاً، أحسن ..، جئنا بمسلمين ما سُرُوا.

الشيخ صالح: الذي يمدحهم بهذا الكلام، الذي يمدح الكفار مطلقاً ويذم المسلمين مطلقاً هذا عليه خوف من الردة.

المذيع: نسأل الله العافية.

الشيخ صالح: عليه أن يتقي الله - سبحانه - فالمسلم خير من الكافر مهما كان، ولو كان ضعيف الإيمان ولو كان فاسقاً، خير من الكافر مهما كان، نعم.

٢٥٥) مخالفة أهل الشرك أمر جاءت به سنة النبي صلى الله عليه

وسلم وسنة الخلفاء الراشدين وأجمع عليه الفقهاء.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال - رحمه الله - ولما دل عليه معنى الكتاب جاءت سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وسنة خلفائه الراشدين التي أجمع الفقهاء عليها بمخالفتهم وترك التشبه بهم.

الشيخ صالح: إي نعم، لما نهى الله - جل وعلا - عن موالاة اليهود والنصارى - وموالاة الكفار عموماً؛ جاءت السنة أيضاً بهذا وجاء عمل الخلفاء الراشدين بعد الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما جاء به الكتاب من عدم موالاة الكفار، نعم.

المذيع: قال: ففي الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم" أمر بمخالفتهم، وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع.

الشيخ صالح: نعم، فالرسول - صلى الله عليه وسلم - أمر بمخالفتهم حتى في لون الشعر، فلما كان اليهود لا يصبغون، يعني لا يصبغون الشيب ولا يغيرون الشيب؛ أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بمخالفتهم بتغيير الشيب، وذلك بصبغه بغير السواد، قال - صلى الله عليه وسلم - "غيروا هذا الشيب، وجنبوه السواد" وقال - صلى الله عليه وسلم - "إن اليهود لا يصبغون فخالقوهم" وهذا الأمر فسره العلماء بأنه أمر استحباب وأن عدم صبغ الشيب مكروه وليس محرماً؛ بدليل أن بعض الصحابة لم يصبغوا؛ فدل على أنهم فهموا أن هذا الأمر أمر استحباب، وأن النهي عن عدم صبغه إنما هو كراهة تنزيه، نعم.

المذيع: قال: وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع.

الشيخ صالح: ولذلك بقي بعض العلماء الربانيين لا يصبغون، ولحاهم تلمع بياضاً؛ لأنهم فهموا من الأمر أنه ليس للإلزام، نعم.

٢٥٦) بيان معني المخالفة في قوله صلى الله عليه وسلم إن اليهود

لا يصبغون فخالفوهم.

المذيع: قال: لأنه إن كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود، وإن كان الأمر بالمخالفة في تغيير الشعر فقط؛ فهو لأجل ما فيه من المخالفة، فالمخالفة إما علة مفردة أو علة أخرى أو بعض علة، وعلى جميع التقديرات تكون مأموراً بها مطلوبة من الشارع.

الشيخ صالح: يعني أن المخالفة لأهل الكتاب مطلوبة، سواء أكانت المخالفة في هذه المسألة الصبغ بالشيب: هل هي علة مفردة، أو أنها بعض علة، أو أنها علة أخرى؟ فالمطلوب حاصل على كل التقادير، نعم.

المذيع: قال: لأن الفعل المأمور به إذا عبّر عنه بلفظ مشتق من معنى أعم من ذلك الفعل؛ فلا بد أن يكون ما منه الاشتقاق أمراً مطلوباً، لا سيما إن ظهر لنا أن المعنى المشتق منه معنى مناسب للحكمة، كما لو قيل للضيف أكرمه، بمعنى أطعمه، أو للشيخ الكبير وقره، بمعنى اخفض صوتك له، ونحو ذلك.

الشيخ صالح: نعم، الأمر قد يكون أمراً عاماً مثل: وقر الشيخ أو وقر الكبير، يعني: وقره بالكلام وبالفعل وبالاحترام، وأما إذا قال: أطعمه فهذا أمر خاص، وعلى كل فالمطلوب هو إجلال هذا الشخص، هذا في الأمر، وكذلك في النهي "إن اليهود لا يصبغون فخالفوهم"، خالفوهم لا يصبغون، فالصبغة التي هي المصدر، ومنه الاشتقاق لا يصبغون، الصبغ أمر مقصود، أمر المخالفة فيه مقصودة، فإذا كانوا لا يصبغون نخالفهم، ولو كانوا



يصبغون خالفناهم؛ فلا نصبغ، المقصود مخالفتهم وعمل ما يخالف عملهم؛ لئلا يجرنا التشبه بهم إلى مولاتهم في
الباطل،

المذيع: أحسن الله إليكم، وجزاكم خيرا.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم في حلقة جديدة في برنامجكم "اقتضاء الصراط المستقيم، مخالفة أصحاب الجحيم" لشيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -، يشرحه عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ الدكتور / صالح ابن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقائنا نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٢٥٧) إذا علق الحكم بصفة كانت علت له، وأمثلة على ذلك

المذيع: كنا مع المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ - فيما ذكر من أن المخالفة: إما أن تكون علة مفردة، أو على أخرى، أو بعض علة، وعلى جميع التقديرات تكون مأموراً بها، قال: [لأن الفعل المأمور به إذا عبر عنه بلفظ مشتق من معنٍ أعم من ذلك الفعل، فلا بد أن يكون ما منه الاشتقاق أمراً مطلوباً كما لو قيل للضيف، أكرمه بمعنى اطعمه، أو للشيخ الكبير وقره بمعنى اخفض صوتك له، قال وذلك لوجوه أحدها: أن الأمر إذا تعلق باسم مفعول مشتق من كان المعنى علة للحكم، كما في قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وقوله: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <عودوا المريض، واطعموا الجائع، وفكوا العاني>، وهذا كثير معلوم.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، يشير الشيخ - رَحِمَهُ اللهُ - في هذا الكلام، إلى ما ذكره الأصوليون، من أن الحكم إذا علق

بوصف، صار ذلك الوصف علة بذلك الحكم، مثل قوله تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، معناه أن الشرك علةٌ من قتلهم، وكما يقال: [اكرم الضيف]، معناه: أن الاستضافة، علة للإكرام، المجد معناه أن الجد في العمل أو الجد في أي شيء سبب لإكرام ذلك الشخص، أو فعل الفعل، هذا هو المقصود أنه إذا علق الحكم بصفة كانت تلك الصفة علةً بذلك الحكم، فإذا قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: <خالفوا اليهود والنصارى>، دل على أن كونهم يهودًا ونصارى، هو العلة من الأمر للأمر بمخالفتهم، خالفوا المشركين، خالفوا المجوس، إلى غير ذلك، نعم.

المذيع: قال: [فإذا كان نفس الفعل المأمور به مشتقًا من معنى أعم منه كان نفس الطلب والاقتضاء قد علق بذلك المعنى الأعم، فيكون مطلوبًا بطريق الأولى].

الشيخ صالح: هذا كما سبق نعم

٢٥٨) جميع الأفعال مشتقة بالتبادل والمأمور به يكون مطلوبًا من

الأمر

المذيع: قال: (الوجه الثاني أن جميع الأفعال مشتقة سواء كانت مشتقة من المصدر أو كان المصدر مشتقًا منها، أو كان كل منهما مشتقًا من الآخر بمعنى أن بينهما مناسبة في اللفظ والمعنى، لا بمعنى أن أحدهما أصل والآخر فرع بمنزلة المعاني المتضايقة كالأبوة والبنوة، أو كالأخوة من الجانبين ونحو ذلك، فعلى كل حال إذا أمر بفعل كان نفس مصدر الفعل أمرًا مطلوبًا للأمر، مقص كما في قوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾، ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١٧٢]، ﴿فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا﴾ [يونس: ٨٤]، فإن نفس التقوى الإحسان والإيمان والعبادة، أمور مطلوبة مقصودة، بل هي نفس المأمور به.

الشيخ صالح: كذلك كل هذا يدور على المعنى الذي سبق ويزيد في هذا في هذا الكلام الأخير أن الله -جل

وعلا- إذا أمر بأمر كالأمر بالتقوى، والأمر بالإحسان، والأمر بالإيمان؛ فإن المأمور به يكون مطلوباً للأمر، الله -جلَّ وَعَلَا- إذا قال: ﴿آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، فهذا يدل على أن الإيمان مطلوب لله -سبحانه وتعالى- (أحسنوا) أن الإحسان مطلوب، ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾، أن التقوى مطلوبة.

٢٥٩) هناك شروط للإعتاق وإلا فلا

المذيع: قال: [ثم المأمور به أدناه لا يمكن أن تقع إلا معيناً وبالتعيين، يقترن بها أمور غير مقصودة للأمر، لكن لا يمكن العبد إيقاع الفعل المأمور به، إلا مع أمور معينة له، فإنه إذا قال: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، فلا بد إذا أعتق العبد رقبة، أن يقترن بهذا المطلق تعيين من سواد أو بياض، أو طول، أو قصر، أو عربية، أو عجمية، أو غير ذلك من الصفات لكن المقصود هو المطلق بين هذه المعينات].

الشيخ صالح: إذا قال الله -جلَّ وَعَلَا-: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾، المقصود هو إعتاق الرقيق، وإخراجه من الرق، إلى الحرية دون نظر إلى كونه أبيض هذا الرقيق أو أسود، أو أحمر، فهذه كما يقولون صفات طردية فردية لا اعتبار لها، وإنما الاعتبار الرقبة السليمة من العيوب، المخلة بالعمل، أما كونه أبيض أو أحمر، أو أسود فهذا لا اعتبار له وإنما هي صفات طردية، أما كونه مريضاً أو كبيرة، أو أعرج، لا يستطيع العمل هذا لا شك أنه أمر ملاحظ؛ ولذلك قالوا: لا يجزئ في الرقبة إلا سليمة من العيوب المحلة في العمل؛ لأن المقصود من الإعتاق هو أن يستقل الرقيق لعبادة ربه، الكسب لنفسه ولمن يمون، إذا كان لا يستطيع الكسب، كان يعتاقه سبباً لضياعه، ويكون عالة على غيره، نعم.

٢٦٠) معنى التقوى، وأنها تارة تكون بفعل واجب أو تركٍ محرّم

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: [وكذلك إذا قيل: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وخالفوا اليهود؛ فإن التقوى تارة تكون بفعل واجب منه أو صيام، وتارة تكون بترك محرم من كفر أو زنا، أو نحو ذلك، فخصوص ذلك الفعل إذا دخلت التقوى لم يمنع دخول غيره، فإذا روي رجل على زنا ف قيل له: اتق الله، كان أمرًا له بعموم التقوى داخلًا فيه الخصوص ترك ذلك الزنا؛ لأن سبب اللفظ العام لا بد أن يدخل فيه].

الشيخ صالح: إذا قيل اتق الله التقوى تكون معناها: أن تعمل بطاعة الله ترضو ثواب الله، وأن تترك معصية الله، تحشى من عقوبة الله -عز وجل-، فإذا قيل: اتق الله؛ فهذا يشمل فعل الواجبات وترك المنيات، وإذا قيل لمن يترك الصلاة: اتق الله؛ فهذا أمر بعموم التقوى، لكن يدخل فيه من باب أولى سبب الأمر، وهو تركه للصلاة، يعني اتق الله ترك الصلاة، اتق الله فلا تترك الصلاة، اتق الله لأن تجتنب ترك الصلاة، وإذا روي من يزي فقيل له: اتق الله؛ فهذا أمر بعموم التقوى، لكن سبب الكلام هو وقوعه في المعصية يدخل دخولًا أوليًا تركه للزنا، ودخولًا أوليًا إقامته للصلاة، النهي عن تضييعها، إلى غير ذلك نعم.

(٢٦١) مخالفة اليهود بتغيير الشيب مما أمر به نبينا، وهو مستحب

المذيع: قال: [إذا قيل إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم كان أمرًا بعموم المخالف داخلًا في المخالفة بصبغ اللحية؛ لأنه سبب اللفظ العام].

الشيخ صالح: عاد الشيخ إلى ما كان بصدده في الأول، وهو إن من جملة ما أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- مخالفة اليهود فيه تغيير الشيب، فإن اليهود والنصارى لا يغيرون الشيب بل يتركونه أبيض، فأمر النبي -صلى الله عليه وسلم- أمته أن يغيروا هذا الشيب وهذا أمر استحباب، لا أمر وجوب بدليل أن بعض الصحابة لم يكونوا يغيروا الشيب؛ لأنهم فهموا من الأمر أنه ليس أمر حتم، وإنما أمر استحباب، وأمر تكميلي وليس أمر إيجابيًا،

فالحاصل إذا قال: خالفوا اليهود غيروا هذا الشيب، فهذا أمر بمخالفتهم على سبيل العموم جميع صفاتهم، وأخلاقهم الخاصة بهم، لكن يدخل دخولاً أولياً ما جاء في سياق الحديث، وهو مسألة صبغ الشعر، صبغ الشيب، نعم.

(٢٦٢) مخالفة اليهود والنصارى فيما كان من خصائصهم وليس لنا فيه

منفعة

المذيع: قال: [وسببه أن الفعل فيه عموم، وإطلاق لفظي ومعنوي، فيجب الوفاء به وخروجه على سبب يوجب أن يكون داخلًا فيه، لا يمنع أن يكون غيره داخلًا فيه].

الشيخ صالح: إذا جاء الأمر أو النهي على سبب، فإن هذا السبب يدخل دخولاً أولياً، ولا يمنع الطلب يدخل دخولاً أولياً في الطلب، ولا يمنع دخول غيره من الأمور الأخرى، فإذا قيل خالفوا اليهود؛ فإنهم لا يصبغون هذا سببه؛ الصبر المخالفة لمسألة الصبر، يدخل دخولاً أولياً مخالفتهم في ترك الشيب بدون تغيير؛ ولكن لا يمنع بل لا يمنع أن نخالفهم أيضاً في الأمور الأخرى، التي هي من خصائصهم؛ لأنه جاء النهي عن التشبه باليهود والنصارى عموماً، وجاء النهي عن التشبه بهم في بعض الأمور كلها تجتمع، فمطلوب منا أن نخالف اليهود والنصارى، بما كان من خصائصهم وليس لنا فيه منفعة، وإنما هو مجرد تقليد محض ليس فيه فائدة، بل أنه يجر إلى محبتهم، أو إلى موالاتهم، أو إلى الانجذاب إليهم.

(٢٦٣) لا يدخل غير السبب مما هو مطلوب للشارع مراعاته

المذيع: قال: [وإن قيل إن اللفظ العام يقصر على سببه؛ لأن العموم هنا من جهة المعنى، فلا يقبل من التخصيص ما يقبله العموم اللفظي].

الشيخ صالح: وأن قيل ذلك هذا إشارة إلى قول آخر في المسألة، وهو أن ما جاء على سبب، فإنه يقتصر على به، ولكن لا يمنع هذا كما سبق أن يدخل غير سبب مما هو مطلوب، أما هو مطلوب للشارع مراعاته، نعم.

(٢٦٤) كون الشيء وارداً على سبب لا يمنع من دخول غير ذلك السبب

في المطلوبية، أمراً أو نهياً

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: [فإن قيل الأمر بالمخالفة أمر بالحقيقة المطلقة، وذلك لا عموم فيه، بل يكفي فيه المخالفة في أمر ما، وكذلك سائر ما يذكرونه فمن أين اقتضى ذلك المخالفة في غير ذلك الفعل المعين، قلت هذا سؤال قد يورده بعض المتكلمين في عامة الأفعال المأمور بها، فيلبسون به على الفقهاء، وجوابه من وجهين].

الشيخ صالح: هذا جواء عن اعتراض وهو أن بعضهم يقول إن الأمر بالمخالفة، أو أي أمر من الأمور العامة، يكفي تحقيقه بمجرد تنفيذ شيء من معانيه، التي يشتمل عليها ولا يقتضي أن عموم كل المعاني التي يحتملها، كما قال الشيخ فيما سبق، يقول: هذا يقوله بعض المتكلمين أي علماء الكلام، الذين يقولون بالجدل وعلم المنطق، وهذا يغلب على الأصوليين المتأخرين، فإنهم غلب عليهم علم المنطق وعلم الجدل، فعرفت هذه المسألة عنهم، ولكن الصواب هو كما سبق، أن كون الشيء المنطق وعلم الجدل، فعرفت هذه المسألة عنهم، ولكن الصواب هو كما سبق إن كون الشيء وارداً على سبب لا يمنع من دخول غيره، غير ذلك السبب في المقلوبية من الأمر، أو أن الشارع يراعي جميع المصالح، ودفع المضار، والمفاسد، وإذا نهى عن شيء معين، فهذا يدل على تأكيد تحقيق هذا الشيء دون أن يمنع من تحقيق غيره، مما فيه تحقيق مصلحة أو دفع مضرّة، نعم.

(٢٦٥) مسألة العام والجنس والنوع

المذيع: قال: [جوابه من وجهين: أحدهما، أن التقوى والمخالفة ونحو ذلك من الأسماء والأفعال المطلقة، قد يكون العموم فيها من جهة عموم الكل لأجزائه؛ لا من جهة عموم الجنس لأنواعه، فإن العموم ثلاثة أقسام: عموم الكل لأجزائه وهو ما لا يصدق فيه الاسم العام ولا أفراده على جزئه، وعموم الجميع لأفراده وهو ما يصدق فيه أفراد الاسم العام على آحاده، وعموم الجنس لأنواعه وأعيانه، وهو ما يصدق فيه نفس الاسم العام على أفراده].

الشيخ صالح: هذا دخول في واستطراد في بحث المسألة من ناحية العموم والخصوص، وهو بحث معروف عند الأصوليين، والشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- كعادته يستقرض ويستقصي بالمسألة التي يعالجها، فهذه المسألة وهي مسألة العام مسألة الجنس، ومسألة النوع، ومسألة الفرض، هذه أمور معروفة الجنس ما يشمل أنواع الجنس، ما يشمل أنواعاً مثل: النخل يشمل جميع أنواع النخيل، والنوع ما يشمل أفراداً مثل: إذا قلت البرحي مثلاً، أو الخضر فعرفنا نحن، فهذا يشمل أنواع هذا أفراد هذا النوع فقط، إذا قلت تصدق بثمره البرحي، أو ثمرة الخضري لا يشمل هذا جميع الحائط والبستان الذي هو جنس النخل، وإنما يشمل أفراد هذا النوع فكل ما في هذا البستان من فأنت مأمور أن تصدق بثمرته، فهذا فرق بين الجنس والنوع.

أما إذا قال لك: تصدق بثمره هذا النخل، فهذا يشمل جميع أفراد النخل الموجود في البستان، وإن اختلفت أنواعه، وإذا قيل: تصدق بهذه النخلة، هذا لا يشمل جميع النوع، ولا يشمل جميع الجنس، من باب أولى وإنما يتعلق الأمر بهذه النخلة فقط، نعم.

المذيع: قال: [فالأول: عموم الكل لا جزائه في الأعيان والأفعال والصفات، كما في قوله تعالى: ﴿فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة: ٦]، فإن اسم الوجه يعم الخد والجبين والجبهة ونحو ذلك، وكل من هذه الأجزاء ليس هو الوجه، فإذا غسل بعض هذه الأجزاء، لم يكن غاسلاً للوجه، لانتفاء المسمى بانتفاء جزءه].

الشيخ صالح: إذا هذا مثال لجنس، إذا الله -جَلَّ وَعَلَا- أمر بغسل الوجه: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾ [المائدة:٦]، والوجه هو كل ما تحصل به المواجهة، فيشمل هذا يشمل الجبهة، والخدين، والذقن، والأنف، ويشمل داخل الفم، وداخل الأنف؛ لأنه في حكم الظاهر، فإذا قيل: اغسل وجهك، لا يكفي غسل الخد، وإذا قيل: اغسل لا يكفي غسل الخد أو غسل الجبهة، أو غسل الذقن فقط؛ لأن هذا جزء من الوجه، وأنت مأمور بغسل الوجه، فلا بد من غسل جميع أجزائه، وكما في قوله: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ [الفتح:٢٧]، هذا هو معناه حلق جميع الرأس، ولا يصدق على حلق بعضه، كما يقول بعض الفقهاء، فمن قصر أو حلق بعض رأسه في النسك، لم يكن أتياً بالمأمور؛ لأن الله قال: ﴿مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ﴾ [الفتح:٢٧] ومقصرين، فكما لا يكفي حلق بعض الرأس، لا يكفي تقصير بعض الناس، فكذلك غسل الوجه، لا يكفي غسل الخد منه، أو غسل الأنف منه؛ لأنه لا يقال: إنك غسلت وجهك، وإنما يقال: غسلت بعض وجهك، وهذا لا يتحقق به المأمور هذا تمثيل للجنس.

٢٦٦) في الصفات والأفعال، هناك فارق بين الحقائق اللغوية والحقائق

الشرعية والحقائق الشرعية

المذيع: [وكذلك في الصفات والأفعال، فإذا قيل: فصلي ركعة وخرج بغير سلام، أو قيل: صم فصام بعض يوم، لم يكن ممثلاً الانتفاع معنى الصلاة المطلقة، والصوم المطلق].

الشيخ صالح: الصوم له حقيقة لغوية، وهو الإمساك عن المشي، الإمساك عن الكلام، كله يسمى الإمساك عن الأكل والشرب كله يسمى صوماً، لكن حقيقة شرعية وهي الإمساك عن المفطرات بنية من طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس، ليس كل إمساك، فلو صام بعض النهار ما صام، وإذا قيل: صلي فصلي ركعة ولم يسلم، لم يكن مصلياً؛ لأن هذه حقيقة لغوية وليست حقيقة شرعية، الحقيقة الشرعية تعني: أن تأتي المشروع على أن تأتي

بالمأمور على الوجه المشروع، الصلاة هي أقوالٌ وأفعالٌ مبتدئةٌ بالتكبير، مختمةٌ بالتسليم، بخلاف الصلاة لغوية؛ فهي مجرد الدعاء، فلو قيل: ودعوت الله، قلنا هذه صلاة لغوية.

والمطلوب منك الصلاة الشرعية، وهي الصلاة المعروفة شروطها، وأركانها، وواجباتها، فهذا يختلف باختلاف المقامات، اختلاف الأحوال، وإذا قيل: صوم فصمت بعض اليوم، أو أمسكت عن الكلام، أو عن المشي، ليس هذا صياماً شرعياً، الصيام الشرعي، هو الإمساك عن المفطرات وقت محدد، ولا بد من نية، قول - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى>، ففي فرق بين الحقائق اللغوية والحقائق الشرعية، والحقائق العرفية، نعم.

٢٦٧) معنى الإكرام المطلق (جائزة الضيف)

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: [وكذلك إذا قيل: اكرم هذا الرجل فأطعمه وضربه، لم يكن ممثلاً؛ لأن الإكرام المطلق يقتضي فعل ما يسره، وترك ما يسوؤه].

الشيخ صالح: إذا قيل: اكرم هذا الرجل، هذا مثال لما سبق أيضاً، فأكرمه وضربه، إذا ما فعل المأمور؛ لأن المأمور هو الإكرام من جميع الوجوه، فإذا ضره لم يكن مكرماً له، وإن كان أطعمه وسقاه، أو أحسن إليه، فإن هذا لم يحقق المأمور به.

المذيع: فلما قال النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه>، فلو أطعمه بعض كفايته وتركه جائعاً، لم يكن مكرماً له؛ لانتفاع أجزاء الإكرام، ولا يقال الإكرام حقيقة مطلقة، وذلك يحصل بإطعام لقمة.

الشيخ صالح: وكذلك هذه أمثلة: النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: <من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه>، والضيف هو الذي ينزل بالإنسان في بادية، أو في قرية ليس فيها أمكنة لبيع الطعام، أو أمكنة للمأوى الاستدفاء، ونحو ذلك، فإذا يجب إكرام الضيف بأن تحقق له جميع ما تتطلبه الضيافة، من الإسكان، والمبيت، والتدفئة، أو غير ذلك، ومن الأغذية، ومن الطعام والشراب يومه وليلته، فلو أنه أعطاه لقمة، قال: مش أكرمناك، وقال: لا ما هو هذا حق الضيف، حق الضيف أن تعطيه جائزته، قيل وما جائزته يا رسول الله؟ قال: <يومه وليته> بأن تحقق له جميع ضرورياته من مبيت تدفئة، وأكل وشرب.

(٢٦٨) (خالفوه) وجميع جزئيات المخالفة والمخالفة المطلقة ضد

الموافقة المطلقة

المذيع: أحسن الله إليكم، قال بعد ذلك - رَحِمَهُ اللهُ -: [كذلك إذا قال خالفوه فالمخالفة المطلقة تنافي الموافقة في بعض، أو في أثرها على طريق التساوي].

الشيخ صالح: ما سبق كل تمهيد الآن، وصل إلى النتيجة التي يريد، رَحِمَهُ اللهُ، فإذا قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: <خالفوا المشركين>، لم تتحقق المخالفة بمخالفتهم في بعض الأمور دون بعض، فهذا أمر عام لا يتحقق إلا بجميع جزئيات المخالفة هذا رد على اللي يقول كما سبق من المتكلمين: إن الأمر العام يكفي حق حقوقه بعضه لتحقيق بعض معانيه.

المذيع: قال: [لأن المخالفة المطلقة ضد الموافقة المطلقة، فيكون الأمر بأحدهما نهيًا عن الآخر].

الشيخ صالح: إذا قال: <خالفوا المشركين>، هذا أمر بالمخالفة، وهو نهي عن الموافقة؛ لأن كل أمر فهو يتضمن النهي، وكل نهي يتضمن الأمر كما ذكروا.

المذيع: [ولا يقال: إذا خالف في شيء ما، فقد حصلت المخالفة].

الشيخ صالح: على الفكرة التي ذكرها فيما سبق.

المذيع: [كما لا يقال: إذا وافقه في شيء ما فقد حصلت الموافقة].

الشيخ صالح: كما أنه إذا وافق المشركين واليهود والنصارى في بعض الأمور، لا يقال: أنه وافقهم في كل الأمور، بل هو موافق لهم في هذه الجزئية، الأمر العام لا تحقق بوجود بعضهم، بل لا بد من وجود جميع محتوياته، كل هذا كلام على قاعدة يقرها -رَحِمَهُ اللهُ- في مخالفة المشركين، نعم.

٢٦٩) اللفظ المطلق ومطلق الشيء والشيء المطلق

المذيع: قال: [وسر ذلك الفرق بين مفهوم اللفظ المطلق وبين المفهوم المطلق من اللفظ، في أن يستعمل مطلقاً ومقيداً].

الشيخ صالح: اللفظ يستعمل مطلقاً، فإذا أُطلق؛ فإنه يشمل جميع احتمالاته، جميع المعاني التي يحملها، وأما مطلق الأمر، فهو يتحقق بمحتوياته ففي فرق بين مطلق الشيء، والشيء المطلق مثلاً الإيذان المطلق يشمل جميع خصال الإيذان، فلا يعطي الإيذان المطلق إلا من أكمل الإيذان، وأما مطلق الإيذان؛ فيعطي لمن أتصف بالإيذان، ولو كان فيه بعض النقص كالفاسق، ومرتكب الكبيرة التي دون الشرك، فهذا يعطي مطلق الإيذان، ولا يعطي الإيذان المطلق، بل يعطي مطلق الإيذان، وهو الإيذان الناقص نعم.

المذيع: أحسن الله إليكم، جزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وأهلا وسهلا بكم إلى حلقة جديدة في برنامج/ اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الإسلام/ **أحمد بن عبد الحليم بن تيمية** - رحمه الله.

يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ/ **صالح بن فوزان الفوزان** عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحّب بفضيلة الشيخ **حياكم الله** شيخ/ **صالح** .

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم .

المذيع: كُنّا في الحلقة الماضية مع المؤلف - رحمه الله تعالى - وقفنا عند بيان الفرق بين مفهوم اللفظ المطلق وبين المفهوم المطلق من اللفظ ،

قال: فإنّ اللفظ يستعمل مطلقا ومقيدا، فإذا أخذت المعنى المشترك بين جميع موارد مطلقها ومقيدها، كان أعمّ من المعنى المفهوم منه عند إطلاقه ، وذلك المعنى المطلق يحصل بحصول بعض مسميات اللفظ في أي استعمال حصل من استعماله المطلقة والمقيدة.

وأما معناه في حال إطلاقه فلا يحصل بعض معانيه عند التقييد، بل يقتضي أمورا كثيرة لا يقتضيها اللفظ المقيد .

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله

وصحبه أجمعين.

مازلنا مع الشيخ - رحمه الله - في بحثه ، في الأمر المطلق ومطلق الأمر وسبق هذا في آخر الحلقة السابقة ، وقلنا فيه فرق بين الأمر المطلق ومطلق الأمر هذا شيء معروف فإذا أمر بالمخالفة: مخالفة الكفار؛ فهذا أمر مطلق يقتضي مخالفتهم في جميع الأمور الخاصة بهم سواء كانت من دينهم أو كانت من عاداتهم وتقاليدهم الخاصة بهم، ولا يقتضي هذا أنك إذا خالفتهم في بعض الأمور يتحقق فيه المخالفة المطلوبة شرعا بخلاف ما لو نُهي عن مخالفتهم في شيء معيّن، فإن هذا الأمر يقتصر على هذا الشيء المعيّن لأنه مطلق أمر وليس أمرا مطلقا. نعم

(٢٧٠) في بيان معني جنس الماء وأنواعه

المذيع: قال رحمه الله: كثيرا ما يغلط الغالطون هنا . ألا ترى أنّ الفقهاء يفرّقون بين الماء المطلق، وبين المائية المطلقة الثابتة في المنّيّ والمتغيّرات وسائر المائعات.

الشيخ صالح: نعم وهذا مثال آخر، الماء. الماء: جنس يدخل تحته أنواع:

منه الماء الذي أنزله الله -جلّ وعلا- من السماء أو أنبعه من الأرض وجعل منه كل شيء حي من الحيوانات والنباتات التي تعيش على هذا الماء. ومنه الماء النازل من الفحول من الحيوانات والأدميين .
(والله خلق كلّ دابة من ماء) ، فهذا الماء يُراد به المنّي النازل من أصلاب الفحول إلى أرحام الإناث وكذلك يطلق الماء على المياه المتغيرة.

فالماء الذي أنزله الله أو أنبع من الأرض أيضا ينقسم إلى أقسام ثلاثة- كما ذكر الفقهاء-:
الماء الطهور وهو الباقي على خلقته.

والماء الطاهر وهو الماء الذي لم يبق على خلقته، وإنّما تغيّر بشيء طاهر والماء النجس وهو الذي خالطته نجاسة فغيّرت أحد أوصافه من الطعم أو اللون أو الريح فالماء جنس تحته هذه الأنواع. نعم

المذيع: قال: فأنت تقول عند التقييد: " أكرم الضيف بإعطائه هذا الدرهم " فهذا إكرام مقيد، فإذا قلت: " أكرم الضيف " كنت أمرا بمفهوم اللفظ المطلق، وذلك يقتضي أمورًا لا تحصل بحصول إعطائه درهماً فقط .

الشيخ صالح: نعم إذا قيل: أكرم الضيف فأعطه هذا الدرهم فهذا يتقيد بإعطائه الدرهم، إكرامه بإعطائه الدرهم فقط؛ ولا يتناول جميع أنواع إكرامه، بخلاف ما إذا قيل: أكرم الضيف بدون تقييد؛ فهذا يشمل جميع أنواع الإكرام المطلوبة كما سبق. نعم

(٢٧١) مَنْ الْمَشْرِكُ الَّذِي يُقْتَلُ وَمَنْ الَّذِي لَا يُقْتَلُ؟

المذيع: قال: وأما القسم الثاني من العموم : فهو عموم الجميع لأفراده ، كما يعمّ قوله تعالى: (**فاقتلوا المشركين**) كل مشرك .

الشيخ صالح: نعم هذا القسم الثاني وهو النوع وهو ما يشمله أفرادا قوله تعالى: (**فاقتلوا المشركين**) هذا نوع يشمل كل مشرك يتصف بهذه الصفة والمراد المشرك الذي يتعدى شركه ويدعو إلى الشرك. هذا هو الذي يُقتل ، أمّا المشرك قاصر شركه على نفسه ولا ينشر الشرك؛ فهذا لا يدخل في الآية وكذلك المشرك الذي يقاتل هذا يدخل في الآية.

أمّا المشرك الذي لا يُقاتل فهذا لا يدخل في قوله: (**فاقتلوا المشركين**)

فلا يشمل المعاهدين والذميين والمستأمنين -وإن كانوا مشركين-؛ لكنهم بحكم العهد والأمان والذمة لا يُقاتلون فلا يجوز لنا أن نقتلهم لأنّ هذا من خيانة العهد وقوله: (**اقتلوا المشركين**) ليس على عمومه من كل وجه بل هو في المشركين الذين ينشرون الكفر ويدعون إلى الشرك والضلال وأيضا لا يشمل المعاهدين والمستأمنين ومن لهم ذمة ، بل هو يشمل الذين يتنشر شركهم وكفرهم ويدعون إلى مذهبهم ويقاتلون المسلمين؛ ولذلك لا

تقتل المرأة لأمتها لا تقاتل، إلا إذا كان لها رأي في الحرب ولها تخطيط، ولا يقتل الشيخ الكبير إلا إذا كان له رأي وتخطيط في الحرب ولذلك قتل الصحابة دريد بن الصمة في وقعة حنين - مع أنه كبير السن -؛ لكنه كان يدبر ويخطط للمشركين في غزوة حنين، وكذلك لا يقتل الصبيان؛ لأنهم ليسوا من المقاتلين، وكفرهم قاصر عليهم.

نعم

المذيع: قال: إذا تبين هذا فالمخالفة المطلقة لا تحصل بالمخالفة في شيء ما، إذا كانت الموافقة قد حصلت في أكثر منه.

الشيخ صالح: نعم هذا كما سبق هو يعني - عود على ما سبق - رد على الذين يقولون: إن الأمر بالمخالفة المطلقة يتحقق بأدنى مخالفة.

هذا كلام أطال الشيخ في رده. نعم

٢٧٢ مخالفة المشركين على وجه العموم تقتضي مخالفتهم في

كل شيء

المذيع: وإنما تحصل بالمخالفة في جميع الأشياء، أو في غالبها، إذ المخالفة المطلقة ضد الموافقة المطلقة؛ فلا يجتمعان.

الشيخ صالح: أي نعم فالأمر بالمخالفة أمرًا مطلقًا يقتضي أن نخالفهم بكل ما هو من دينهم أو من خصائصهم وعاداتهم التي لا فائدة منها؛ فنحن مأمورون بمخالفتهم على وجه العموم ولا يُخصّص هذا العموم إلا بدليل.

المذيع: قال: وهذا تحقيق جيد لكنه مبني على مقدمة وهي: أن المفهوم من لفظ المخالفة عند الإطلاق يعمّ المخالفة في عامة الأمور الظاهرة.

فإن خفي هذا في هذا الموضوع المعين فخذ بالوجه الثاني وهو العموم المعنوي وهو أن المخالفة مشتقة، فإنها أمر بها لمعنى كونها مخالفة، كما تقدم تقريره، وذلك ثابت في كل فرد من أفراد المخالفة، فيكون العموم ثابتاً من جهة المعنى المعقول.

وبهذين الطريقتين يتقرر العموم في قوله تعالى:

﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] وغير ذلك من الأفعال.

الشيخ صالح: نعم هو كما سبق ، هو تقرير للقاعدة بأن الأمر العام بالمخالفة لا يتحقق بوجود بعض الجزئيات المخالفة ؛ بل لا يتحقق إلا بجميع أنواع المخالفة، مثل قوله تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢]، هذا جاء بعد ذكر حالة بني النضير ﴿يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾، يا أولي البصائر والعقول ما جرى لهؤلاء، مع كونهم أهل كتاب وكونهم أهل علم ومعرفة؛ لكن لما لم يعملوا بكتابتهم ولم يعملوا بعلمهم عاقبهم الله -جلّ وعلا- بهذه العقوبة، وهي القتل والتشريد من ديارهم عقوبة لهم عاجلة ما عند الله لهم أشدّ فيعتبر أهل البصائر فلا يسلكون مسلك هؤلاء لأن هذه العقوبة ليست خاصة بهؤلاء؛ وإنما هي عامة لكل من سلك مسلكهم ووافقهم . نعم

المذيع: قال: وإن كان أكثر الناس إنما يفرعون إلى الطريق الثاني وقلّ منهم من يتفطن للطريق الأول ، وهذا أبلغ إذا صح .

الشيخ صالح: أكثر الناس عن جهل أو عن تقليد يأخذون بالاتجاه الثاني، وهو: أن أدنى المخالفة تكفي في تحقيق أمر الرسول -صلى الله عليه وسلم- بمخالفة المشركين، فإذا خالفهم في جزئية يقولون: تحققت المخالفة ودائماً النفوس تميل إلى الأسهل عليها، وتأخذ بالقول الموافق لرغبتها. ولما كان هذا القول يوافق رغبات كثير من الناس صاروا يميلون إليه ويقولون به، ويكتفون بمجرد أي مخالفة لهم ويزعمون أنهم بهذا حققوا الأمر بالمخالفة . نعم .

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله : ثم نقول : هب أن الإجزاء يحصل بها يُسمى مخالفة ، لكن الزيادة على القدر المجزئ مشروعة ، إذا كان الأمر مطلقا، كما في قوله تعالى: ﴿**ازكعوا واسجدوا**﴾ [الحج:٧٧] ونحو ذلك من الأوامر المطلقة.

الشيخ صالح: نعم يقول هب أن المخالفة الجزئية مطلوبة تُنزلا معكم ولكن المخالفة العامة تكون زيادة في الخير حتى لو تنزلنا معكم وقلنا إن الأمر بالمخالفة يتحقق بأدنى جزئية من مخالفة اليهود والنصارى؛ فمخالفتهم في جميع ما يختص بهم فهو مصلحة عامة وترك مضرّة هذا زيادة من الخير. نعم

المذيع: قال: الوجه الثالث في أصل التقرير: أن عدول الأمر عن لفظ الفعل الخاص به إلى لفظ أعمّ منه معنى كعدوله عن لفظ (أطعمه) إلى لفظ (أكرمه) وعن لفظ (فاصبغوا) إلى لفظ (فخالفوه) لا بد له من فائدة ، وإلا فمطابقة اللفظ للمعنى أولى من إطلاق اللفظ العام وإرادة الخاص، وليست هنا فائدة تظهر إلا تعلق القصد بذلك المعنى العام المشتمل على هذا الخاص وهذا بين عند التأمل.

الشيخ صالح: نعم، الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بمخالفتهم على وجه عام بما من دينهم أو من خصائصهم، وأمر بمخالفتهم أمرا خاصا؛ كالأمر بصبغ الشيب مخالفة لليهود ، وكونه أمر بصبغ الشيب مخالفة لليهود لا يدل على أن هذا يكفي لمخالفتهم؛ بل هذا يؤكّد هذه الخصلة فقط؛ لأنّ هذه الخصلة داخلية في العموم، وجاء التأكيد عليها بخصوصها؛ فيكون ذلك متأكّدا من ناحيتين : الناحية الأولى، دخولها في العموم. الناحية الثانية، تخصيصها من الشارع . نعم

(٢٧٣) بيان حول قوله صلى الله عليه وسلم ما أسكر كثيره

فقليله حرام

المذيع: قال رحمه الله: الوجه الرابع: أن العلم بالعام عامًا يقتضي العلم بالخاص ، والقصد العام عامًا يوجب القصد للمعنى الخاص ، فإنك إذا علمت أن كل مُسكر خمر ، وعلمت أن النبيذ مُسكر؛ كان علمك بذلك الأمر العام وبحصوله في الخاص موجبًا لعلمك بوصف الخاص .

الشيخ صالح: نعم، الوصف الخاص داخل في الوصف العام كما سبق في مسألة الصبغ أنها داخله في العموم وأيضا مخصصة بالأمر بها في هذه المسألة.

النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **كلُّ مُسكرٍ خمرٌ** " هذه قاعدة عامة تشمل أن كل مُسكر فهو خمر، بمعنى أنه محرم فيدخل في قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]

فالنبي صلى الله عليه وسلم بين ما هو الخمر أنه كل مسكر، إذا كل ما تحقق فيه هذا الوصف وهو الإسكار فإنه محرم لأنه خمر .

والخمر محرمة بنص الآية وبنص السنة وبالإجماع من أهل العلم ويحقق هذا أو يؤكد قوله صلى الله عليه وسلم: " **ما أسكر كثيره فقليله حرام** " فجعل الإسكار هو العلة في خمرية هذا الشراب أو هذا الطعام، فيتناول القليل والكثير من الخمر فما أسكر كثيره وقليل وحرام -ولو لم يسكر هذا القليل-؛ فتنبه لهذه الجزئية داخله في العموم، فلا يقال أن الخمر القدر القليل غير المسكر منها حلال بل هو حرام لأنه جزء من محرم وقطعة من محرم ولذلك قال: " **ما أسكر كثيره فقليله حرام** " في أن لا يتساهل الناس بهذه المادة الخبيثة ويقولون نحن ما نأخذها لكن نستعمله في جزئيات لا تسكر فالله جلّ وعلا يقول: (**فاجتنبوه**) كيف نجتنبه ونحن نستعمله؟

اجتنبوه هذا لفظ عام، يعني فيجتنب شرباً وتطيباً وأكلًا وغير ذلك، ولا يقال أن المنوع هو القدر المسكر منه فقط . نعم

المذيع: فإن ذهب من يقول: أن المقصود علة الحكم الإسكار وفقدت القليل يقطع عليه النص .

الشيخ صالح: طيب الميتة حرّمها الله؛ هل يجوز لك تقطع منها قطعة تقول هذه حلال لأنها ما تُسمّى ميتة هذه لحمة ما تُسمّى ميتة .

فالمحرّم حرام بجميع أجزائه والخمر هي خمر ومحرمّة بجميع أجزائها . نعم

(٢٧٤) فوائد البنوك قليلها محرّم مثل كثيرها.

المذيع: يأتي معنا- شيخنا- مسألة لطيفة الان هناك من يقول أن الربا القليل يجوز فيه المساهمة التي فيها ربا قليل واحد فته ما تضرّ واختلفوا بها بالنسبة منهم من قال واحد ما يضرّ ثم قال خمسة في المئة تضرّ؛ بعضهم يقال ثلاثين بالمئة ما تضرّ حجة أن هذا قليل ربا .

الشيخ صالح: ﴿وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون: ٧١]

المسألة ليست مسألة رغبات وأهواء وفتاوى .

المسألة مسألة تحقيق ما أمر الشارع به ونهى عنه الشارع، نهى عن الربا ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٠]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨]

هذا لفظ عام يشمل القليل والكثير؛ وجاء في الحديث: " أن الدرهم الواحد من الربا أشدّ من ست وثلاثين

زنية "

الدرهم الواحد، والربا قليله وكثيره حرام ولا يجوز أننا نأخذ بأقوال بعض المجتهدين أو المخطئين ونترك النص العام، ونترك النهي العام.

ولو فتحنا هذا الباب لفرح أهل البنوك وأهل المؤسسات الربوية، وقالوا: هذا الشيء قليل ولا يضركم. نعم

٢٧٥) تمثيل لقاعدة الأمر العام والنهي العام لا يتحقق ببعض

جزئياته

المذيع: أحسن الله إليكم شيخ ، قال رحمه الله: كذلك إذا كان قصدك طعامًا مطلقًا ، أو مالا مطلقًا ، وعلمت وجود طعام معين أو مال معين في مكان حصل قصدك له ، إذ العلم والقصد يتطابقان في مثل هذا، والكلام يبين مراد المتكلم ومقصوده .

الشيخ صالح: هذا كله تمثيل للقاعدة السابقة أن الأمر العام والنهي العام لا يتحقق ببعض جزئياته وأفراده من ناحية الامتثال أما من ناحية التحريم فالمحرم حرام قليله وكثيره كما سبق في الخمر وكما في الربا . نعم

المذيع: قال: فإذا أمر بفعل باسم دال معنى عام مريدا به فعلا خاصا كان ما ذكرناه من الترتيب الحكمي يقتضي أنه قاصد بالأول لذلك المعنى العام وأنه إنما قصد ذلك الفعل الخاص لحصوله به .

ففي قوله: (أكرمه) طلبان : طلب للإكرام المطلق ، وطلب لهذا الفعل الذي يحصل به الفعل المطلق ، وذلك لأن حصول المعين مقتض حصول المطلق ، وهذا معنى صحيح ، إذا صادف فطنة من الإنسان وذكاء انتفع به في كثير من المواضع، وعلم به طريق البيان والدلالة .

الشيخ صالح: كل هذا تابع لتقرير القاعدة التي ذكرها رحمه الله .

المذيع: بقي أن يقال : هذا يدل على أن جنس المخالفة أمر مقصود للشارع وهذا صحيح ، لكن قصد الجنس قد يحصل الاكتفاء فيه بالمخالفة في بعض الأمور، فما زاد على ذلك لا حاجة إليه.

الشيخ صالح: نعم هو كما سبق ، كل هذا التقرير لما سبق .

المذيع: قلت : إذا ثبت أن الجنس مقصود في الجملة كان ذلك حاصلًا في كل فرد من أفرادهِ ولو فُرِضَ أن الوجوب سقط بالبعض، لم يرفع حكم الاستحباب عن الباقي .

الشيخ صالح: كما سبق أنه - وإن سلمنا أن الامتثال يتحقق بفعل بعض أجزاء العام - لو سلمنا بهذا فإنَّ الزيادة على ذلك: من امتثال هذا الأمر أو اجتناب هذا النهي - الزيادة من ذلك - زيادة خير فنحن نتجنب ما نص عليه امتثالًا للأمر في ذلك، ونزيد على ذلك عملاً بالعموم أيضًا. نعم

المذيع: قال: وأيضًا: فإنَّ ذلك يقتضي النهي عن موافقتهم لأنَّ من قصد مخالفتهم بحيث أمرنا بإحداث فعل يقتضي مخالفتهم فيما لم تكن الموافقة فيه من فعلنا، ولا قصدنا؛ كيف لا ينهانا عن أن نفعل فعلًا فيه موافقتهم ، سواء قصدنا موافقتهم أم لم نقصدنا ؟

الشيخ صالح: نعم إذا أمرنا بمخالفتهم فيما هو ليس من فعلنا؛ كالشيب مثلاً، الشيب ليس من فعلنا ولا من فعلهم هم.

الشيب يحصل بدون فعل الإنسان، فنحن أمرنا بمخالفتهم في شيء ليس هو من فعلهم؛ فهذا يؤكد أننا نخالفهم فيما كان من فعلهم من باب أولى .

العلة من مخالفة المشركين (٢٧٦)

المذيع: قال: الوجه الخامس: أنه رتب الحكم على الوصف بحرف الفاء فيدل هذا على أنه علة له من غير وجه، حيث قال: " أن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم "

الشيخ صالح: كما سبق أن الحكم المعلق بوصف يقتضي أن ذلك الوصف علة لذلك الحكم، فإذا عقب بالفاء تأكد ذلك " أن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم " الفاء، فهذا يؤكد أن عدم صبغهم للشيب هو العلة التي أمرنا بمخالفتهم فيها. نعم

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
اجمعين ايها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته واهلا وسهلا بكم الى حلقة جديدة في برنامج
اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الاسلام / أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية
- رحمه الله يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله
شيخ / صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم

(٢٧٧) العلة في قوله صلى الله عليه وسلم إن اليهود والنصارى لا

يصبغون فخالقوهم:

المذيع: قال المؤلف - رحمه الله تعالى - في بيان ان قوله صلى الله عليه وسلم: " ان اليهود والنصارى
لا يصبغون فخالقوهم " ان الامر بالمخالفة يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم مقصودا للشارع من وقفنا عند قوله
الوجه الخامس: أنه رتب الحكم على الوصف بحرف الفاء فيدل هذا على أنه علة له من غير وجه حيث قال: " إن
اليهود والنصارى لا يصبغون فخالقوهم " فانه يقتضي أن علة الامر بهذه المخالفة كونهم لا يصبغون فالتقدير:
اصبغوا لانهم لا يصبغون واذا كان علة الامر بالفعل عدم فعلهم له دل على أن قصد المخالفة لهم ثابت بالشرع
وهو المطلوب.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن

ما زال الشيخ رحمه الله في سياق مخالفة أهل الكتاب، ومن ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنهم لا يصبغون، يعني لا يصبغون الشيب في اللحية والرأس ولا يغيرونه عن البياض فأمرنا أن نخالفهم في ذلك وأن نصبغ مخالفة لهم وذكر أن الشارع إذا اعقب الحكم بوصف مرتب بالفاء؛ فإنه يدل على أن ذلك الوصف علة لذلك الحكم وهذه قاعدة معروفة عند الأصوليين فمن أدلة العلة أن يتعقب الحكم وصف مرتب بالفاء فتقررت هذه القاعدة أن مخالفة أهل الكتاب أمر مقصود للشارع؛ من أجل مبايبتهم والتميز عنهم لئلا يسري إلينا شيء من دينهم ومن عاداتهم الخاصة بهم، فلما كانوا لا يصبغون أمرنا صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم بصبغ الشيب؛ فدل على أن صبغ الشيب أمر مشروع وأن العلة هي مخالفتهم وهذه قاعدة أن مخالفتهم أمر مطلوب هذه من جزئيات هذه هي القاعدة.

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله: يوضح ذلك انه لو لم يكن لقصد مخالفتهم تأثير في الأمر بالصبغ لم يكن لذكرهم فائدة ولا حسن تعقيبه به وهذا وإن دل على أن مخالفتهم أمر مقصود للشرع؛ فذلك لا ينفي أن يكون في نفس الفعل الذي خولفوا فيه مصلحة مقصودة مع قطع النظر عن مخالفتهم.

الشيخ صالح: كما ذكرنا أن مخالفتهم أمر مقصود للشارع لما فيها من مبايبتهم والتميز عنهم؛ لئلا تسري إلينا عاداتهم الفاسدة أو أشياء من دينهم المحرف المبدل أو المنسوخ؛ فهذا سد للذريعة.

(٢٧٨) الحكمة في مخالفة اليهود والنصارى وعدم التشبه بهم:

المذيع: قال فان هنا شيئين: أحدهما أن نفس المخالفة لهم في الهدي الظاهر مصلحة ومنفعة لعباد الله المؤمنين؛ لما في مخالفتهم من المجانبة والمباينة التي توجب المباحة عن أعمال أهل الجحيم.

الشيخ صالح: نعم، من الحكمة في مخالفتهم أننا يحصل لنا الابتعاد عن خصوصياتهم في أمور دينهم وأموار عاداتهم الخاصة بهم من أجل ألا يتطرق إلى ديننا شيء من دينهم المنسوخ أو المحرف أو التشبه بهم في الظاهر؛ فإنه يدل على محبتهم في الباطن، إذ لو لم يجبه الإنسان في باطنه لما تشبه بهم في ظاهره؛ فلا يمكن ان تبغض أحدًا ثم تشبه به هذا شيء مستحيل.

٢٧٩) أمراض القلوب أشد من أمراض الأبدان؛

المذيع: قال وأنا يظهر بعض المصلحة في ذلك لمن تنور قلبه حتى رأى ما اتصف به المغضوب عليهم والضالون من المرض الذي ضرره أشد من ضرر أمراض البدن.

الشيخ صالح: نعم، لأن ما هم عليه: من الضلال، والكفر، والعادات القبيحة، هذا مرض معنوي؛ ولذلك يؤمر بالوقاية من الأمراض الحسية ويقولون: الوقاية خير من العلاج وهذا شيء معروف في الأمراض الحسية فالأمراض المعنوية من باب أولى وهي أمراض القلوب؛ فان أمراض القلوب أشد من أمراض الأبدان فاذا كانت الوقاية تتخذ من أمراض الأبدان فإن اتخاذ الوقاية من أمراض القلوب أكد وأشد في هذا الأمر. وكل هذا مما يدل عليه حرصه صلى الله عليه وسلم على مخالفتهم لا لأجل أشخاصهم أو أنهم يهود أو نصارى فقط؛ بل لأجل أوصافهم وما هم عليه من الباطل من أجل ان نحمي أنفسنا وديننا ان يتطرق اليه شيء مما هم عليه فان هذا الدين والله الحمد متميز وكامل ولا يحتاج الى اضافات ولا يحتاج الى ايجاد شيء لم يشره الله عز وجل؛ ولهذا **نهي** عن البدع والمحدثات؛ ومن ذلك التشبه بأهل الكتاب، فإنه أحداث في هذا الدين؛ لما يجلبه التشبه من الزيادات في الدين أو النقص من الدين، فإن هذا أمر معروف؛ وهو من الصيانة لهذا الدين، لن يتطرق إليه شيء من الاديان المنسوخة او المحرفة.

٢٨٠) واجب على المسلم أن يمثل أمر الله سواء عرف الحكمة أو لم

يعرفها:

المذيع: هذا اشارة يا شيخ إلى أنه قد لا يدرك ذلك إلا من يعني يختلف الناس في إدراك الحكمة من هذا،
ووجه التشبه قوله لا يعرفه إلا من...

الشيخ صالح: الواجب على المسلم الامتثال؛ سواء عرف الحكمة أو لم يعرفها ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا

قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾

[الأحزاب: ٣٦]

ما دام أنه مسلم فإنه يجب عليه الامتثال فإن عرف الحكمة؛ فيها ونعمت وإن لم يعرفها؛ فإنه يجب عليه الامتثال
ويعتقد أن الرسول لا يأمر إلا بشيء فيه مصلحة ودفع مضرة.

المذيع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله في الشيتين: والثاني: أن نفس ما هم عليه من الهدى والخلق قد

يكون مضرا أو منقصا فينهي عنه ويؤمر بضده لما فيه من المنفعة والكمال.

الشيخ صالح: أولا- أن ما هم عليه من الأمراض المعنوية فنحن نتقي هذه الأمراض بسد الطريق، وهو منع

التشبه بهم لأن التشبه يصحبه شيء من سريان ما هم عليه.

وثانيا: أن ما هم عليه نقص، وهذا الدين هو الدين الكامل -دين الإسلام-

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

فهم على دين قد نسخ أو حُرّف وانتهى العمل به الأخذ به شيء من دينهم نقص؛ فكيف ندع الكمال ونأخذ
بالنقص!.

٢٨١) ديننا غني بما يحتاجه البشر لأن الله شهد له بالكمال

المذيع: قال: وليس شيء من أمورهم إلا وهو إما مضر أو ناقص

الشيخ صالح: إلا وهو مضر في العقيدة أو ناقص نقصا يتنافى مع كمال الإسلام وجمال الإسلام فنحن -

والحمد لله - لسنا بحاجة إلى استيراد شيء من الأديان أو استيراد شيء من العادات والتقاليد فإن ديننا غني في ما

يحتاجه البشر لأن الله شهد له بالكمال ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

والاسلام يعلو ولا يُعلَى عليه ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

فنحن نحفظ بهذه المنزلة التي أعطانا الله ولا نتنازل عنها إلى شيء من المرض أو النقص أو الضرر المترتب على

التشبه بأهل الكتاب.

(٢٨٢) ما عليه أهل الكتاب إما أن يكون منسوخاً وإما أن يكون غير

منسوخ:

المذيع: قال: لأن ما بأيديهم من الأعمال المبتدعة والمنسوخة ونحوها مضر، وما بأيديهم مما لم يُنسخ

أصله فهو يقبل الزيادة والنقص، فمخالفتهم بأن يشرع ما يحصله على وجه الكمال.

الشيخ صالح: نعم، ما هم عليه لا يخلو من أحد حالين: إما أنه منسوخ ولا يجوز العمل بالمنسوخ؛ بل يجب

العمل والذي يعمل بالمنسوخ هذا ليس على دين؛ لأن المنسوخ ليس ديناً بعد نسخه لا يكون ديناً، وإما أنه غير

منسوخ لكن هو عرضة لأنهم يتلاعبون به ويزيدون وينقصون كما أن عاداتهم تحريف الكلم عن مواضعه، وانهم

يقولون قولاً غير الذي قيل لهم فهو وإن كان أصله صحيحاً ولم ينسخ فإنهم لا يوثقون لأنهم يزيدون فيه

وينقصون، والنبي صلى الله عليه وسلم لما رأى عمر رضي الله عنه معه ورقة من التوراة أعجبه وجاء بها إلى

النبي صلى الله عليه وسلم ليراها الرسول صلى الله عليه وسلم غضب عليه وقال: " أفى شك يا ابن الخطاب ألم آتى بها تقية والله، لو كان أخي موسى حيا ما وسعته إلا اتباعي "

فالخاص أن ما هم عليه لا يخلو: إما أن يكون منسوخاً وإما أن يكون غير منسوخ لكنه عرضة لزيادتهم ونقصانهم وتحريفهم فيه؛ فهم لا يوثقون في هذه الامور.

٢٨٣) حكم سماع برامج ومحطات أهل الكتاب:

المذيع: بمناسبة هذا الحديث حديث عمر؛ أحيانا يسمع المسلم برامج بعض الإذاعات والمحطات هل لها هذا الحكم نفسه؟

الشيخ صالح: هذا لا يجوز الا لمن عنده علم يريد الرد عليهم الاطلاع على ما هم عليه من الباطل من أجل ان يرد عليهم لا يجوز إلا للمختصين الذين يريدون نقض ما عندهم والاحتجاج، أما العامي وأما المبتدي وأما الذي يستمع ولا ينكر؛ فهذا لا يجوز له ذلك.

٢٨٤) معنى العامي في الشرع:

المذيع: العامي تحديداً في الشرع ممكن يكون طبيباً أو مهندساً

الشيخ صالح: كل من لا يعرف الأمور الشرعية فهو عامي.

المذيع: ولو كان من أحق الناس في الطب أو الهندسة او غير ذلك

الشيخ صالح: كونه عالماً بأمور الدنيا لا يعطيه ولا يسمى عالماً يسمى بما يسمى من اختصاص: طبيب، مهندس، طيار وغير ذلك.

٢٨٥) مخالفة أهل الكتاب فيه صلاح لنا:

المذيع: أحسن الله اليكم قال الشيخ رحمه الله: ولا يتصور أن يكون شيء من أمورهم كاملاً قط فإذا المخالفة لهم فيها منفعة وصلاح لنا في كل أمورهم حتى ما هم عليه من إتقان بعض أمور دنياهم قد يكون مضراً بأمر الآخرة أو بما هو أهم منه من أمر الدنيا؛ فالمخالفة فيه صلاح لنا.

الشيخ صالح: نعم ما هم عليه لا يكون إلا ناقصاً لأنه لو كان تاماً لما نسخ الله عز وجل كونه ناقصاً وانه انتهت صلاحيته وان البشرية بحاجة الى شريعة مناسبة لوقتهم وحالتهم فدل على ان ما هم عليه لا بد ان يكون ناقصاً ولو كان انه كامل لم ينسخ ولم يبدل بغيره من الشرائع؛ فلماذا نركي ما هم عليه؟! هذا في امور الشرع التي عندهم.

أما أمور الدنيا فهم وإن اتقنوها وحذقوا الصناعات والمخترعات؛ فإنها لا تدل على كمالهم أيضاً بل ربما تدل على غرورهم وعنجهيتهم وأنهم يتكبرون على العباد ويقهرون بها الناس ويظلمون الناس بسبب هذه المخترعات او هذه المعلومات فايضا هذه لا تعطي انهم على كمال وانما أهمهم الله اياها من اجل ان يشغلهم بها عما هو أنفع لهم كما قال تعالى: ﴿وَعَدَّ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعَدَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]

﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]

تجدهم الان يشتغلون الليل والنهار في إتقان هذه الصناعات وتجربتها واستعمالها فهم في الليل والنهار في شغل؛ أما الآخرة فلا تعرض لهم على بال أبداً وصدق الله ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]

وليس معنى هذا ان المسلم يعطل مصالح الدنيا بل ايضا المسلم مطلوب منه ان يقوم بتحقيق ما ينفعه من امور دينه، لكن بقدر؛ بحيث لا ينهمك في امور الدنيا وينسى الآخرة كما انه لا ينهمك في امور الآخرة وينسى مصالحه

من الدنيا التي يستعين بها على مصالحه وعبادة ربه كما قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ١٧٧]

الدنيا خلقت للمصالح ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجمعة: ١٣]

الله جل وعلا خلقها لمصالح لكن لا تطغى على امور الآخرة بل يؤخذ منها بقدر ما يسد الحاجة وبدون ان ينهمك فيها وينسى الآخرة؛ فليجمع بين هذا وهذا.

هم على العكس اشتغلوا بهذه الدنيا واتقنوها وفرغوا انفسهم لها، وانفقوا اموالهم واعمارهم مقدراتهم وافكارهم ولا يذكرون الآخرة على بال وانما هم غافلون عن الآخرة وان ذكروا الآخرة فهو في بطريقة غير مشروعة طريقة بدعة او خرافة او دين مغير أو محرف أو منسوخ.

ماذا تقول بمن يقول: إن الله ثالث الثلاثة؟ أن الله هو المسيح ابن مريم ماذا تقول وهم يتقنون الصناعة؛ هل نفعهم هذا؟ ما نفعهم هذا.

من نسي نصيبه من الآخرة فهو الهالك؛ (٢٨٦)

المذيع: إذا من المشابهة من نراه من بعض المسلمين يهمة الإقبال على الدنيا: يود أن يكون ولده مثلا أو الصغار من أبنائه من أهل الدنيا الحذاق فيها وأن يصنع أو يطلب الصناعة خير من أن يكون من أهل الحديث الكبار أو التفسير أو الفقه يرى ذلك أنفع هل يكون مشابه لهذا؟

الشيخ صالح: نعم، هو هذا نفس الشيء اذا انهمك في الدنيا ورأى أن يتخصص في أمور الدنيا وينسى نصيبه من الآخرة فهذا هو الهالك هذا هو الهالك المذموم وانما ان يأخذ بقدر من ما يحتاج اليه ويحتاج اليه المسلمون من أمور الدنيا فلا بأس او ان طائفة من المختصين يتجهون الى العلوم الشرعية علوم الحديث علوم التفسير علوم

الفقه علوم اللغة علوم النحو وطائفة اخرى يتجهون إلى تعلم الصناعة وحذقوا لكن بعد ما يأخذون حظاً من العلوم الدينية حيث يستقيم دينهم هم وإن كانوا يتخصصون في الامور التقنية لكن يكون معهم قدر من علوم الدين بحيث يحافظون على دينهم وعلى عقيدتهم في أثناء مزاولتهم لهذه الاشياء.

المذيع: احسن الله اليكم قال رحمه الله: وبالجملة فالكفر بمنزلة مرض القلب وأشد، ومتى كان القلب مريضاً لم يصح شيء من الأعضاء صحة مطلقة وإنما الصلاح أن لا تشبه مريض القلب في شيء من أموره وإن خفي عليك مرض ذلك.

الشيخ صالح: نعم، الكفر هو اشد الأمراض أمراض القلوب لا أمراض الأبدان قد يكون في بدنه من أصح الأبدان وأقواها؛ ولكن هو في قلبه مريض، ومرض القلب أشد من مرض البدن فالكفر مرض قلبي، كما قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠]

٢٨٧) الدين لا يؤخر المسلم؛ بل هو سبب تقدمه:

كيف أننا نعجب بمرضى القلوب! ونتشبه بهم! ونأخذ عنهم العادات والتقاليد الفاسدة والمضرة!، نحن لا مانع نتعلم منهم الصناعة والطب والهندسة وغير ذلك من أمور الدنيا؛ لكن نبقى على ديننا، وهذه مصالحيها خلقها الله في الأصل لنا لنستعين بها على العبادة، فكوننا تحلينا عنها وأخذها هؤلاء؛ لا يمنع أننا نستعيدها ونستردها لكن - كما ذكرنا - بشرط ألا يطغى هذا على عمل الآخرة.

فيه من يظن الآن أن الدين هو الذي أخر المسلمين وأن المسلمين تأخروا في الصناعة والتقنيات بسبب تمسكهم بدينهم؛ وهذا مفهوم خاطئ وباطل؛ لأن الدين يحثنا على أخذ المصالح للدين والدنيا، الله جل وعلا يقول:

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ

الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧]

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠]

﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]
﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ
وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٧]

ما قال لا يتجرون ولا يبيعون؛ بل قال: (لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله) التجارة والبيع إذا شغلنا عن ذكر الله هذا هو المذموم. أما إذا لم تشغل عن ذكر الله فهذا مطلوب؛ هذا أمر مطلوب.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩]

ما نهى عن الأموال والأولاد؛ وإنما نهى عن اللهو بها عن ذكر الله.

الدين لا يؤخر المسلمين وإنما يقدمهم، وأما أن يأتي من يتصف أو يتدين ويترك الأسباب ويعطل الأسباب، أو يقول إنها حرام؛ فهذا لا يحسب على الدين. هذا يحسب على نفسه وعلى جهله.

المذموم: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته واهلا وسهلا بكم إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم

لشيخ الاسلام / أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية - رحمه الله يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ / صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان
عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع هذا اللقاء نرحب بشيخنا الكريم فحياكم الله شيخ / صالح

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم

٢٨٨) مريض القلب يتكلم بالكلام الفاسد ويتصرف التصرف

الفاسد:

المذيع: وقفنا مع المؤلف - رحمه الله تعالى - عند قوله بالجملة فالكفر بمنزلة مرض القلب وأشد، ومتى كان القلب مريضا لم يصح شيء من الأعضاء صحة مطلقة؛ وإنما الصلاح ألا تُشبه مريض القلب في شيء من أموره وإن خفي عليك مرض ذلك العضو؛ لكن يكفيك أن فساد الأصل لا بد أن يؤثر في الفرع يذكر ذلك في وجوب المباحة وعدم التشبه وإن خفي مصلحة ذلك.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله واصحابه اجمعين

سبق أن ذكرنا -ونعيد الآن- أن الناس يتخذون الوقاية من الأمراض الحسية ويقولون: الوقاية خير من العلاج -وهذا شيء معروف-، والحجر الصحي أمر معروف، كل ذلك من أجل وقاية الأبدان من الأمراض الحسية، فالكفر والشرك والفسق أمراض معنوية، وهي أمراض للقلوب، ومرض القلب أشد من مرض البدن قال صلى الله عليه وسلم: " **الْإِنِّ فِي الْجَسَدِ مَضْغَةٌ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ إِلَّا وَهِيَ الْقَلْبُ** "

فالكفار عندهم الشرك سواء كانوا من أهل الكتاب أو غيرهم عندهم مرض الكفر مرض معنوي وهذا المرض ليس في البدن وإنما هو في القلب **﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾** [البقرة: ١٠٠]

مرض القلب أشد من مرض البدن فإذا كنا نتقي أمراض الأبدان فانه يجب علينا أن نتقي القلوب من باب أولى؛ لثلاث أسباب: ما أصابهم، فأهل الكتاب وغيرهم من المشركين عندهم أمراض القلوب مرض الكفر والشرك والنفاق وهذا المرض مرض القلب يتعدى إلى الأعضاء إن فسدت فسدت الجسد كله يتعدى إلى الأعضاء؛ فتتغير التصرفات والأقوال تبعاً للقلب: فمرضى القلب يتكلم بالكلام الفاسد ويتصرف التصرف الفاسد نتيجة لأن قلبه مريض، ولو أن قلبه صحيح يتصرف تصرفات صحيحة وهذا شيء مشاهد فمرض الكفر والشرك في اليهود والنصارى وغيرهم ينعكس على تصرفاتهم وعلى أفعالهم وأقوالهم؛ فيجب علينا أن نحذر وألا نتشبه بهم. فهذا من باب الحماية ومن باب سد الذرائع، ومن باب الحجر الصحي -كما يسمونه-، كلها بمعنى واحد.

٢٨٩) الحكمة في منع التشبه بأهل الكتاب

المذيع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله: ومن انتبه لهذا قد يعلم بعض الحكمة التي أنزلها الله؛ فإن من في قلبه مرض قد يرتاب في الأمر بنفس المخالفة لعدم استبانته لفائدته، أو يتوهم أن هذا من جنس أمر الملوك والرؤساء القاصدين للعلو في الأرض.

الشيخ صالح: نعم، بعض الناس تخفى عليهم حكمة منع التشبه بأهل الكتاب؛ فيظن أن هذا من جنس العلو في الأرض وأن شرعنا وديننا لما أمرنا بعدم التشبه لهم أنه من باب العلو ويقولون: الناس أخوة والبشرية أخوة في الآدمية والانسانية؛ فلماذا نخالفهم؟ ولماذا؟.. يقولون هذه المقالة نتيجة لأن في قلوبهم مرض وجهل في هذه الأمور، ولو كانت قلوبهم سليمة لسلموا لأمر الله ورسوله، دون اعتراض. مخالفتنا لهم ليست مثل مخالفة الملوك لغيرهم من باب التكبر في الأرض والعلو على الناس؛ وإنما هو لأجل حماية ديننا وعقيدتنا ومصالحنا.

(٢٩٠) الملك الصحيح هو الملك التابع لميراث النبوة:

المذيع: قال أو يتوهم أن هذا من جنس امر الملوك والرؤساء القاصدين للعلو في الأرض ولعمري، إن النبوة غاية الملك الذي يؤتيه الله من يشاء وينزعه ممن يشاء ولكن ملك هو غاية صلاح من أطاعه من العباد في معاشهم ومعادهم.

الشيخ صالح: نعم، الملك على قسمين: ملك نبوي تابع للميراث النبوي وهذا هو الملك الصحيح إذا كان الملك توجهه النبوة فهذا هو الملك الصحيح مثل ما أعطي لداوود عليه السلام فانه ملك نبي ومثل ما أعطي سليمان عليه السلام فانه ملك نبي، وكذلك كل ملك مسلم يأتمر بأوامر الله وينتهي عن نواهي الله؛ فإن هذا الملك مؤسس على آثار النبوة فهو الملك الصحيح، بخلاف الملك القهري أو ما يسمونه بالديكتاتوري الذي لا يتمشى مع شرع وإنما يتمشى مع العادات والتقاليد، تقاليد المستكبرين الذين يريدون علوا في الأرض وفسادا. فرق بين الملكين، والله جل وعلا يؤتي ملكه من يشاء: يؤتي الملك النبوي، ويؤتي الملك القهري المستبد الذي لم يؤسس. وإيتاؤه الملك النبوي هذا رحمة وإيتاؤه الملك القهري والاستبداد هذا عقوبة وتسليط على المذنبين يسلب الله عليهم الجبارة يسومونهم سوء العذاب.

(٢٩١) أعمال الكافر ناقصة وإن أتقن أمور الدنيا؛ لأنها ليست على

الدين الصحيح:

المذيع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله: وحققة الأمر أن جميع أعمال الكافر وأمره لا بد فيها من خلل يمنعها أن تتم منفعة بها.

الشيخ صالح: نعم هذا عطف على ما سبق في أن الكافر وإن أتقن الصناعة وأتقن الحرفة وأتقن التجارة وأتقن أمور الدنيا؛ فإن عمله ناقص لماذا؟ لأنه لم يؤسس على دين صحيح، على دين الإسلام خاتم الأديان؛ فكل ما لم يؤسس على دين الإسلام فإنه ناقص، مهما كان.

المذيع: قال ولو فرض صلاح شيء من أمره على التمام لاستحق بذلك ثواب الآخرة ولكن كل أمره إما فاسدة وإما ناقصة.

الشيخ صالح: نعم، لو كانت أمورهم كاملة لاستحقوا ثواب الآخرة مثل ما هو كمال الإسلام وأما إذا كان كمالاً نسبياً، كمال الإسلام كمال مطلق إما كمال غيره فهو كمال نسبي ولكنه لا يخلو من نقص مهما كان.

المذيع: الآن الشيخ هذا الذي نقرأه ونسمعه يشرحه الواقع في المسلمين من تصرفاتهم وأقوالهم بعيد عن هذا تماماً يعني يمكن لا يصدقون، يمكن يضحكون أم أن يقال: أن هؤلاء يمكن أن يكون عندهم شيء تام ولا عندهم تمام مطلق ولا بد كل أمورهم فيها نقص؛ يعني المسلمون في بعد تام عن هذا.

الشيخ صالح: لسبب أنه لم يُقرأ عليهم هذا الكلام.

المذيع: إذا هذا يبين أهمية العلم الشرعي؟

الشيخ صالح: اي نعم، فإذا قرئ عليهم هذا الكلام بين لهم فأن فيه من يقبل الحق أو يفرح به واما الذي لا يريد الحق فهذا نحن لا نخاطبه إنما نخاطب من يريد الحق قد يكون جاهلا ولو انه عرف الحق لأخذ به هذا الكتاب وأمثاله للبيان أو لإقامة الحجة. فالذي يتتفع هذا **يُبين** له فيحصل رجوعه وانتفاعه والذي لا يقبل هذا تقوم عليه الحجة ولو لم يقرأ هذا الكتاب أو غيره لصار اللوم على العلماء؛ أنهم لم يبينوا للناس، فهذا من إقامة الحجة على المعاند ومن نفع الذي يريد الحق.

(٢٩٢) الإسلام هو دين الكمال ودين العلو الصحيح:

المذيع: احسن الله إليكم قال رحمه الله: فالحمد لله على نعمة الإسلام التي هي أعظم النعم وأم كل خير كما يحب ربنا ويرضى.

الشيخ صالح: نعم، هذه النتيجة لما سبق إذا كان الإسلام هو دين الكمال ودين العلو الصحيح لا العلو المتغرس؛ وإنما هو العلو الصحيح الذي قال الله جل وعلا فيه: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

علواً صحيحاً، فهذا يجب على المسلم أن يحمد الله على هذا الدين الذي كفل له الكمال قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

فهذه نعمة ميز الله بها المسلمين على غيرهم ممن يتخبطون في الظلمات ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢]

المذيع: أحسن الله إليكم، قبل دخول مقطع آخر يا شيخ مر من قريب قول الشيخ ولعمري، أن النبوة غاية الملك؛ القسم هذا قوله: (لعمري)؟

الشيخ صالح: نعم، القسم هذا قوله لعمري هذا يجري على اللسان ولا يقصد به القسم.

المذيع: قال رحمه الله فقد تبين أن نفس مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة، ثم ذكر أدلة.

الشيخ صالح: نعم، تبين نتيجة لكل البحث السابق أن مخالفتهم أمر مقصود للشارع في الجملة، يعني لا في كل شيء؛ نحن ما نخالفهم في أمور المصالح المباحة، الصناعات، والطب، والهندسة، والمصالح؛ هذه من العادات لا تدخل في أمور الشرائع بل هي في الأصل للمسلمين هذا معنى قوله في الجملة أما إذا قيل بالجملة بالباء؛ فمعناه في جميع الأمور وإذا قيل في الجملة؛ فمعناه في غالب الأمور -وليس في كل الأمور-، فنحن مأمورون بمخالفتهم في الجملة ولم يقل بالجملة.

المذيع: قال ولهذا لأن الامر المقصود مخالفتهم قال لهذا كأن الامام أحمد حنبل وغيره من الائمة رحمهم الله يُعللون الامر بالصبغ بعله المخالفة، قال حنبل سمعت أبا عبد الله يقول ما أحب لاحد إلا أن يغيّر الشيب ولا يشبه بأهل الكتاب لقول النبي صلى الله عليه وسلم: " **غيروا الشيب ولا تشبهوا بأهل الكتاب** "

الشيخ صالح: المقصود بالصبغ ليس هو اللون فقط وإنما المقصود المخالفة فلما كان لون شعرهم الذي اعتادوه لونا معيناً امرنا بأن نغير هذا اللون إلى لون آخر مخالفة لهم وإذا كان هذا في الشيب فكيف بغيره من الأمور التي هي أعظم من ذلك.

الامام أحمد رحمه الله يقول العلة في صبغ الشيب العلة في صبغنا للشيب ليس هو تغيير اللون فقط وإنما العلة اننا نقصد مخالفتهم بذلك أما لو أن إنساناً غير شبيه بغير السواد ولكنه لم يقصد مخالفة أهل الكتاب؛ فإنه لا يؤجر على ذلك لقوله صلى الله عليه وسلم: " **إنما الاعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى** "

(٢٩٣) تنفيذ امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخضب ولو مرة

واحدة:

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله، وقال اسحاق بن إبراهيم سمعت أبا عبد الله يقول لأبي: يا أبا هاشم أخضب ولو مرة واحدة؛ أحب لك أن تخضب ولا تشبه باليهود.

الشيخ صالح: نعم الإمام أحمد يؤكد على تنفيذ امر الرسول صلى الله عليه وسلم بالخضب يقول: ولو مرة واحدة؛ ليتحقق الامتثال، و(لو) تدل على التقليل، يعني ولو داومت على التغيير لكان أحسن ولكن على الأقل ولو مرة واحدة حتى يتحقق الامتثال.

(٢٩٤) في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: غيروا الشيب ولا تشبهوا

باليهود:

المذيع: قال وهذا اللفظ الذي احتج به أحمد قد رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود" قال الترمذي: حديث حسن صحيح وقد رواه النسائي من حديث محمد ابن كناشة عن هشام ابن عروة عن عثمان ابن عروة عن ابيه عن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود" ورواه أيضا من حديث عروة عن عبد الله ابن عمر لكن قال النسائي: كلاهما ليس بمحفوظ، وقال الدار قطني المشهور عن عروة مرسله، قال الشيخ رحمه الله وهذا اللفظ دل على الامر بمخالفتهم والنهي عن مشابهتهم؛ فانه إذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بيض الشيب الذي ليس من فعلنا فلأن ينهى عن احداث التشبه بهم أولى.

الشيخ صالح: نعم كما سبق أن ذكرنا بناء على قول الشيخ رحمه الله هذا الحديث يؤيد ما سبق في أن المقصود ليس هو تغيير اللون فقط وإنما المقصود مخالفتهم نية المخالفة لهم قوله صلى الله عليه وسلم غيروا هذا الشيب ولا تشبهوا دل على أن ترك التغيير فيه تشبه بأهل الكتاب، ولو لم يقصد الشخص التشبه بهم لو لم يقصد هذا، فإنه من رآه ظن أنه متشبه بهم وانه يسير على عادتهم فلذلك يتأكد تغيير الشيب.

وذكر فيما بعد أن مخالفتهم على قسمين: مخالفة لهم فيما ليس من فعلهم كالشيب؛ فإن الشيب ليس من فعلهم، فنحن أمرنا أن نخالفهم فيه - وأن لم يكن الشيب من فعلهم -؛ فلا أن نُنهي - وهذا القسم الثاني - أن نتشبه بهم في أمر أحدثوه هم وفعلوه هم من باب أولى.

المذيع: قال فإذا نهى عن التشبه بهم في بقاء بياض الشيب الذي ليس من فعلنا فلأن ينهى عن إحداث التشبه بهم أولى.

الشيخ صالح: الظاهر أنه ليس من فعلهم لكن ماشي نعم طيب

المذيع: ولهذا كان هذا التشبه يكون محرماً يعني ما يحدث.

الشيخ صالح: نعم، هو التشبه بهم يكون مكروهاً، ويكون محرماً:

- يكون مكروهاً، فيما ليس من فعلهم؛ كالشيب، فإن هذا ليس من فعلهم؛ ومع هذا أمرنا بمخالفتهم.
- ويكون محرماً، إذا كان هذا من فعلهم هم؛ كأن يحدثوا عبادة أو طريقة أو عيداً أو غير ذلك؛ هذه من أفعالهم، هذا محرماً؛ التشبه بهم في أفعالهم التي أحدثوها محرماً.

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله أيضاً: ففي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " خالفوا المشركين أحفوا الشوارب ووافوا اللحى " رواه البخاري ومسلم؛ وهذا لفظه.

الشيخ صالح: هذه قضية أخرى بعد وهي تتعلق بالشعر نعم القضية الأولى تغيير الشيب في الشعر سواء في الرأس أو في اللحية وهذه قضية أخرى تتعلق بشعر اللحية والشارب لما كان الكفار من اليهود والنصارى

والمجوس وغيرهم يخلقون لحاهم ويوفرون شواربهم؛ أمر النبي صلى الله عليه وسلم بمخالفتهم في ذلك: فأمر باكرام اللحي وإعفائها وتوفيرها، وأمر بجز الشوارب وإحفائها.

والآن كثير من المسلمين - مع الأسف - على العكس؛ لأن الشيطان زين لهم هذا العمل؛ فهم: يخلقون لحاهم، ويوفرون شواربهم؛ كاليهود والنصارى والمشركين تماماً في هذه الظاهرة، وهذه الخصلة نسأل الله أن يهديهم للصواب وأن يرجعوا إلى صوابهم، وأن يعرفوا أنهم متشبهون باليهود والنصارى والمجوس في هذه الصنعة الشنيعة؛ فما أشوه وجهه حُلقت لحيته ووفر شاربه! يكون مشوهاً - والعياذ بالله - لكن لما كان الشيطان يزين هذا لهم ويظنون أن الكفار انهم أهل كمال وأهل رقي وتقدم وحضارة، وأنهم ما يفعلون شيء إلا وهو مستحسن؛ صاروا يتشبهون بهم فيما هو مستقبح دون شعور منهم.

المذيع: يبدو أن ما أشرت إليه هو أساس الفعل؛ أنهم يرون الكفار أهل الكمال والمسلمين أهل النقص؟

الشيخ صالح: نعم، هذا هو بل يقولون كلاماً فيه خطورة على الدين؛ يقولون: هذه قشور يقولون: إعفاء اللحية وجز الشارب هذه من القشور؛ يصفون سنة الرسول صلى الله عليه وسلم أنها قشور ومن بلغ به الحد إلى هذا؛ فيخشى عليه من الردة نسأل الله العافية؛ لانه يستهزئ بالشرع والله جل وعلا يقول: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ

إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥]

﴿لَا تَعْتَدُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ أَنْ نَعْفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبُ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [التوبة: ٦٦]

يخلق لحيته ويوفر شاربه وهذه معصية محرمة لكن كونه يضيف إلى هذا ويقول هذه قشور أو حتى ولو لم يخلق لحيته وكان يجز شاربه وهو يقول هذه قشور؛ هذا يُخشى عليه من الردة.

(٢٩٥) من مخالفة المشركين ترك اللحي وحف الشارب:

المذيع: قال رحمه الله: فأمر بمخالفة المشركين مطلقاً ثم قال: أحفوا الشوارب وأوفوا اللحي.

الشيخ صالح: النبي صلى الله عليه وسلم أمر بمخالفة المشركين قال خالفوا المشركين هذي قاعدة ثم ذكر جزئية من جزئيات هذه القاعدة يعني يترك اللحى على ما هي عليه من غير تعرض لها بقص أو نتف أو حلق؛ لا تغير اللحية عن وضعها؛ لأن وضعها جميل والله خلقها معتدلة موافقة للوجه مجملة للإنسان فليس فيها تشويه وليس فيها ما يشق على الإنسان أو أنها ثقيلة تحمل الإنسان وإنما هي وضع مناسب إلهي خلقه الله الذي خلق كل شيء وقدره تقديراً ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]

فأنت ترى الوجه الملتحي أجمل من الوجه الحليق هذا شيء في الطبيعة.

المذيع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله هذه الجملة الثانية قوله: أحفوا الشوارب وأوفوا اللحى بدل من الأولى قول خالفوا المشركين

الشيخ صالح: نعم، البديل قد يكون بدل جمل خالفوا المشركين أحفوا الشوارب واعفوا اللحى هذا بدل فقوله أوفوا الشوارب وأوفوا اللحى هذا بدل من قوله خالفوا المشركين نعم.

المذيع: قال فإن الأبدال يقع في الجمل كما يقع في المفردات كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُدَبُّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ٤٩]

فهذا الذبح والاستحياء هو سوء العذاب.

الشيخ صالح: نعم هو هو؛ فالبديل هو المبدل الجملة هي الجملة لكن هذا -والله أعلم- من باب التأكيد نعم.

المذيع: قال كذلك هنا هذا هو المخالفة للمشركين المأمور بها هنا لكن الأمر بها أولاً بلفظ (مخالفة المشركين) دليل على أن جنس المخالفة أمر مقصود للشارع وإن عُنيت هنا في هذا الفعل

الشيخ صالح: نعم، الرسول صلى الله عليه وسلم أتى بالقاعدة العامة وهي مخالفة المشركين على وجه العموم

ثم ذكر نص على هذه الجزئية وهي ايفاء اللحي وجز الشوارب هذه جزئية من جزئيات المخالفة المطلوبة نعم

المذيع: قال: فإن تقديم المخالفة علة لتقدم العام على الخاص كما يقال: أكرم ضيفك أطعمه حادثه

الشيخ صالح: يعني أوفوا اللحي أحفوا الشوارب خالفوا المشركين اعفاء اللحي واحفاء الشوارب علقته

مخالفة المشركين فعلته المذكورة من قبله

فلو أنه أعفى لحيته وأحفى شاربه، وقصه دون أن يقصد المخالفة؛ لم يحصل على أجر، لكنه في الجملة أكمل من

الذي يخلق لحيته ويوفر شاربه هو مظهرها صورة من الذي يخلق وأن لم يحصل له أجر في ذلك.

المذيع: لكن هذا لأنه تركها على مجراها سلم من المأثمة فقط

الشيخ صالح: إي نعم

المذيع: أما ذاك الذي فعل لقصده مخالفتهم نال الأجر

الشيخ صالح: ما في شك نعم إنما الأعمال بالنيات لكن هذا اكمل من الذي يخلق ولو كان ما قصد المخالفة.

المذيع: قال رحمه الله فامرك بالاكرام أولا في قول اكرم ضيفك.....

الشيخ صالح: فهذا فيه رد على شبهة أن الذين يخلقون لحاهم ويوفرون شواربهم يقولون الآن اليهود

والنصارى يوفرون منهم من يوفر لحيته ويجز شاربه ونحن أمرنا بمخالفتهم فمعناه أننا نحلق فنقول له لا، الذين

يتركون لحاهم ويوفرون شواربهم هؤلاء باقون على أصل الفطرة ومن بقي على أصل الفطرة أكمل ممن غير الفطرة.

المذيع: قال فأمرك بالإكرام أولا في قول: أكرم ضيفك أطعمه وحادثه؛ دليل على أن إكرام الضيف مقصود ثم عينت الفعل الذي يكون إكراما في ذلك الوقت.

الشيخ صالح: أكرم ضيفك هذا أمر بالاكرام عموما اطعمه هذا امر خاص بالإطعام هذا من الأول من القاعدة الأولى وهي إكرام الضيف القاعدة إكرام الضيف نعم ومن إكرام الضيف: إطعامه، وتقديم ما يحتاجه.

المذيع: أحسن الله اليكم شيخنا وجزاكم خيرا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع والثلاثون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج / اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم.

لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله.

يشرح الكتاب عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ فحياكم الله يا شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(٢٩٦) (اللحي والشوارب) من بعض مظاهر مخالفة الكفار

المذيع: قال المؤلف رحمه الله تعالى: والتقيرير من هذا الحديث قوله: "خالفوا المشركين؛ أحفوا الشوارب

وأوفوا اللحي" شبيهه بالتقيرير من قوله: "لا يصبغون فخالفوهم" وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة

رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "جزوا الشوارب وأرخوا اللحي خالفوا المجوس.

ثم مضى رحمه الله يشرح ذلك.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

من جملة المظاهر التي نهينا عن التشبه بالكفار فيها سواء كان من المشركين أو من اليهود أو النصارى أو الأعاجم؛ من جملة ذلك مسألة اللحي والشوارب، لما كانت هؤلاء الطوائف تعاكس الفطرة وسنة الرسل التي هي إعفاء اللحي، وإكرامها وإرسالها، وإحفاء الشوارب، فكانوا على العكس يخلقون اللحي ويوفرون الشوارب؛ نهانا النبي صلى الله عليه وسلم أن نتشبه بهم، وأن نبقى على سنة الفطرة وسنة الأنبياء، من إكرام اللحي وإعفائها، وإحفاء الشوارب وجزها، وهو المظهر الجميل والمظهر الحسن الذي يوافق ما عليه الرسل، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأما معاكسة ذلك فمع كونه تشبهاً بالكفرة هو أيضاً تشويهٌ للخلقة، وتشويهٌ للوجه، وتغيير لخلق الله سبحانه وتعالى، ولكن لما كان الشيطان تعهد فقال: **﴿وَلَا مَرَّتَهُمْ فَلْيَغْيِرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ﴾** [النساء: ١١٩] نفذ تعهده في هؤلاء فاستجابوا له، وبقي أهل السنة وأهل الاتباع - والله الحمد - يتمسكون بسنة الأنبياء، ويخالفون طوائف الكفرة والمشركين، فيعفون لحاهم ويوفرونها، ويحفون شواربهم ويجزونها، ولا حظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم أمر بجز الشوارب، تارة يأمر بجزها وتارة يأمر بإحفاءها، ومعنى ذلك أنها تقص وتنهك، أما الخلق فإنه مكروه، بعض العلماء يرى أنه مُحْرَمٌ؛ لما فيه من تشويه الوجه، فالمشروع في الشوارب أنها تُنهك، لكن لا تُخلق بل يبقى منها شيء يُجمل الصورة، هذا هو السنة في هذه القضية، نعم.

٢٩٧) مخالفة الكفار في المظاهر الخارجية من مقاصد الشارع.

المذيع: أحسن الله إليكم.

قال رحمه الله: وقد روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه

وسلم: "جزوا الشوارب وأرخوا اللحي خالفوا المجوس"

قال فعقب الأمر بالوصف المشتق المناسب وذلك دليل على أن مخالفة المجوس أمر مقصود للشارع، وهو العلة في هذا الحكم أو علة أخرى أو بعض علة.

الشيخ صالح: نعم قلنا إن توفير اللحى، وإحفاء الشوارب وجزها مع كونه من خصال الفطرة ومن دين الأنبياء، فهو أيضاً كذلك فيه مخالفة لهؤلاء الطوائف الكافرة من المشركين والكفرة والمجوس واليهود والنصارى حتى في المظهر الخارجي فإننا نخالفهم في ذلك. نعم.

(٢٩٨) مخالفة غير المسلمين في هديهم على وجه العموم أمر مطلوب،

كما في الأمور المنصوصة.

المذيع: قال وإن كان الأظهر عند الإطلاق أنه علة تامة، ولهذا لما فهم السلف كراهة التشبه بالمجوس في هذا وغيره؛ كرهوا أشياء غير منصوصة بعينها عن النبي صلى الله عليه وسلم من هدي المجوس.

الشيخ صالح: تقدم أن القاعدة؛ مخالفة غير المسلمين من اليهود والنصارى والكفرة على وجه العموم، فالمخالفة - على وجه العموم - أمر مطلوب، وفي أشياء منصوصة - على وجه الخصوص - مثل: إعفاء اللحى، وجز الشوارب؛ هذه أمور مخصوصة، داخلية في عموم مخالفة الكفار في هديهم، فإذا تكونت المخالفة العامة أمر مطلوب، ولهذا بعض السلف يخالفهم - حتى في الأشياء التي لم يرد نص بمخالفتهم فيها - عملاً بالقاعدة، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: "خالفوا المشركين" "خالفوا المجوس" "خالفوا اليهود والنصارى" فليس من لازم المخالفة أن يُنص على الشيء، بل القاعدة تشمل ما نُص عليه وما لم يُنص عليه، نعم.

(٢٩٩) (القرع) وهو حلق بعض الرأس دون بعضه؛ من التشبه بالكفار

المذيع: قال: وقال المروزي: سألت أبا عبد الله يعني أحمد ابن حنبل عن حلق القفى، فقال: هو من فعل المجوس، و "من تشبه بقوم فهو منهم".

وقال أيضًا: قيل لأبي عبد الله: يكره للرجل أن يخلق قفاه أو وجه؟ فقال: أما أنا فلا أحلق قفائي.

الشيخ صالح: نعم، ومما جاء النص في مخالفة غير المسلمين من سائر الملل -خصوصًا النصارى-؛ مسألة القزع: وهو حلق بعض الرأس وترك بعضه، وهو على أنواع: منه ما يكون حلق جوانب الرأس وترك الوسط، ومنه ما يكون بالعكس؛ حلق الوسط وترك جوانب الرأس، ومنه ما يكون بحلق أمكنة من الرأس وترك أمكنة أخرى، وهو ما يسمى بالقزع وهي القطع، مثل قزع السحاب، وهو السحاب المتقطع، فهذا مظهر من مظاهر الكفرة، وهو العبث بشعر الرأس؛ بأن يُحلق بعضه ويُترك بعضه، ولهذا جاء في الحديث: "اتركه كله أو احلقه كله".

٣٠٠) حلق بعض الرأس للحاجة لا يدخل في القزع

المذيع: قال: وقد روي فيه حديث مُرسل عن قتادة في كراهيته، وقال: إن حلق القفا من فعل المجوس، قال: وكان أبو عبد الله يخلق قفاه وقت الحجامة، وقال أيضًا: لا بأس أن يخلق قفاه وقت الحجامة.

الشيخ صالح: حلق بعض الرأس للحاجة لا بأس به، ولا يدخل في القزع، وذلك الحلق للحجامة، إن احتاج للعلاج بالحجامة؛ وهي سحب الدم على صفة مخصوصة، ويكون موضعها في الرأس، ويتطلب هذا حلق الموضع الذي يُحتاج إلى وضع الحجامة فيه فلا بأس بذلك؛ لأن هذا ليس القصد منه مشابهة الكفار، وإنما القصد منه الحاجة.

٣٠١) حلق بعض الرأس وترك بعضه على أي صفة كان؛ من التشبه الكفار

المذيع: قال: وقد روى عنه ابن منصور، قال سألت أحمد عن حلق القفا، فقال: لا أعلم فيه حديثاً، إنما يروى عن إبراهيم أنه كره (قرديرقوس) قال في الشرح: لعلها كلمة فارسية تعني حلق القفى، وذكر الخلال هذا وغيره أيضاً.

الشيخ صالح: نعم، كل هذا في مسألة القزع، ومسألة حلق بعض الرأس وترك بعضه على أي صفة كان لأن هذا من عادات الكفار، ونحن منهيون عن التشبه بالكفار.

المذيع: وذكره أيضاً بإسناده عن الهيثم بن حميد قال: حف القفى من شكل المجوس. وعن المعتمر بن سليمان التيمي قال: كان أبي إذا جز شعره لم يخلق قفاه، قيل له: لما؟ قال: كان يكره أن يتشبه بالعجم.

الشيخ صالح: نعم، ومن ذلك مسألة تحصل الآن وهو لما جاءت (المكاين) التي تجزُّ الرأس بدرجات معينة؛ درجة واحدة اثنين ثلاثة، كما هو معروف، وهذا لا بأس به؛ جز الرأس كله على أي درجة يريد الإنسان أو حلق بالموس كله أمر جائز، ولكن هناك شيء وهو أن الحلاق أو الذي يجز الرأس بالمكينه يأتي بالموس ويخلق دائرة القفا، هذا هو نفس الذي سبق؛ أنه لا يجوز حلق القفا حتى ولو قص شعر رأسه بالكامل فإنه لا يخلق.

المذيع: ويدخل في المنع أيضاً لو جعل الحلق درجات؛ بعض الرأس مخلوق بدرجة واحد، وبعضه اثنين وبعضه أربعة.

الشيخ صالح: ما يصلح هذا لأنه من التمثيل بالشعر والعبث بالشعر، فيجعله على درجة واحدة، نعم.

٣٠٢) مسألة التشبه منصوص عليها.

المذيع: قال: والسلف تارة يُعلّون الكراهة بالتشبه بأهل الكتاب، وتارة بالتشبه بالأعاجم وكلا العلتين منصوصة في السنة، مع أن الصادق صلى الله عليه وسلم، قد أخبر بوقوع المشابهة لهؤلاء وهؤلاء كما قدمنا بيانه.

الشيخ صالح: نعم، جاء في الأحاديث النهي عن التشبه بالمشرّكين عموماً، وجاء النهي عن التشبه بالأعاجم وجاء النهي عن التشبه باليهود والنصارى، وكل هذه لا اختلاف فيها، هذه النصوص لا اختلاف فيها، فنحن منهيون عن التشبه بالجميع والنص على بعض العام لا يُخصص العام.

٣٠٣) عموم مخالفة اليهود والنصارى حتى فيما هو مأخوذ من أصل

صحيح في دينهم؛ لأن شريعتهم الإسلام ناسخت لجميع الشرائع.

المذيع: قال: وعن شداد بن أوس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالم ولا خفافهم" رواه أبو داود.

قال المؤلف رحمه الله: وهذا مع أن نزع اليهود نعالم مأخوذ عن موسى عليه السلام، لما قيل له: **{فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ}** [طه: ١٢].

الشيخ صالح: نعم، اليهود كانوا يخلعون نعالم عند العبادة، أخذوا من قول الله جل وعلا لموسى عليه الصلاة والسلام: **{فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى}** [طه: ١٢] فأخذوا من هذا سنة خلع النعال عند دخول المساجد أو الكنائس، النبي صلى الله عليه وسلم أمرنا بمخالفتهم وأن نصلي في نعالمنا مخالفة لليهود والنصارى، حتى ولو كانوا أخذوه من أصلاً عن دينهم؛ لأنهم دينهم في الحقيقة - كما سبق وتكرّر - أن دينهم نسخ بدين الإسلام - بكل

ما فيه-، فدين الإسلام **كافٍ**، والقاعدة المعروفة: هل شرع من قبلنا شرع لنا؟ فيها التفصيل المذكور؛ أن ما جاء شرعنا بموافقه هو شرع لنا، ما جاء شرعنا بمخالفته فهو غير شرع لنا بالإجماع، أما ما لم يأت شرعنا بموافقه ولا بمخالفته؛ فالأرجح أنه ليس شرعاً لنا؛ لأن مأمورون بمخالفتهم، ودين الإسلام أغنى عن كل ما سبقه من الأديان؛ لأنه تضمن كل ما في الأديان السابقة من المعارف الإلهية والتوحيد والعقيدة، أما الأحكام الشرعية التي هي أحكام المعاملات وأحكام الفقه؛ فهذه كما قال جل وعلا: **﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شُرْعَةً وَمِنْهَا جَا﴾** [المائدة: ٤٨] فالله يشرع لكل عصر ما يناسبه، ثم إذا انتهى هذا العصر وهذا الجيل شرع الله شرعاً آخر يليق بالجيل اللاحق إلى أن جاء الإسلام؛ فصار الإسلام عاماً وبقياً لهذه الأمة لا ينسخ ولا يُبدل ولا يُغير إلى أن تقوم الساعة لأنه دين كامل صالح لكل زمان ومكان.

فكونهم يخلعون نعالمهم تأسياً بموسى عليه السلام هذا من دينهم، أما ديننا فإنه نهانا عن التشبه بهم في الصلاة، في خلع النعال، فشرع لنا لبس النعال في الصلاة مخالفة لهم، هذا هو الأصل.

٣٠٤) علت خلع النعال في المساجد الآن

ولكن الآن في المساجد تغير وضعها عما كان لأن المساجد كانت في الزمان الأول تُرابية فلا يؤثر دخولها بالنعال والصلاة بالنعال فيها، ولا يحدث ذلك تشويشاً على الناس، أما لما تغير وضع المساجد الآن فصارت المساجد مفروشة ومبلمطة ومنظفة؛ صار يؤثر فيها الدخول بالنعال وهي تحمل الغبار وتحمل التراب؛ فيحصل في ذلك تلويث للمسجد، لأن المساجد في الأول كانت لا تتأثر بالدخول بالنعال لأنها تُرابية أو حصائية؛ لا تتغير، أما الآن فتغير الوضع، فتخلع النعال عند الدخول في المساجد لأمرين:

أولاً: لأن هذا يُضر بالمساجد، والضرر يُزال.

وثانياً: أن هذا يحدث تشويشاً بين الناس، ويحصل نزاع بين الناس، مع أن الصلاة في النعال سنة ليست واجبة، وإذا ترتب على عمل السنة تشويشاً على الناس أو سوء تفاهم؛ فدرء المفاسد مُقدم على جلب المصالح، نعم.

٣٠٥) مواصلة الصيام من التشبه بالكفار

المذيع: قال رحمه الله: عن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر" رواه مسلم في صحيحه.

قال: وهذا يدل على أن الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشارع.

الشيخ صالح: نعم، كذلك مما تُهيننا عن التشبه بهم فيه؛ مواصلة الصيام، ومواصلة الصيام هو أن يصوم الأيام

لا يفطر بينها، فالرسول صلى الله عليه وسلم نهانا عن الوصال، عملاً بقوله تعالى: {أَجَلٌ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ

إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصَّيَامَ

إِلَى اللَّيْلِ} [البقرة: ١٨٧]؛ فجعل الصيام ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس، فلا يُزاد من هنا ولا من هنا، ونهانا

عن الوصال، لكن يُشكل على هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يواصل، ولهذا قال له الصحابة: يا رسول

الله إنك تواصل، قال: "إني لست كهيتكم" فهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم أما نحن فمأمورون

بالفصل بين العبادتين بالإفطار ما بين غروب الشمس إلى طلوع الفجر، والواجب علينا الامتثال في هذا الأمر.

٣٠٦) عدم الفصل بين الصلاة منهي عنه؛ حتى تتميز العبادات عن

بعضها

كذلك نهي عن الوصل بين الصلاتين صلاة الفريضة و صلاة النافلة، فإذا سلم الإنسان من الفريضة فلا يقوم (على طول) ويأتي بالنافلة، كما يفعل بعض الجهال؛ لأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهي عن وصل صلاة بصلاة حتى يقوم أو يتكلم؛ فهذا كله من أجل تمييز العبادات وبقائها على صورتها وألا يدخلها تغيير أو زيادة.

٣٠٧) الفصل بين العبادات أمر مقصود للشارع؛ لأن فيه التمسك بالسنة

ومخالفة الكفار في عبادتهم

المذيع: أحسن الله إليكم، قال رحمه الله: وقد صرح بذلك - أي كون الفصل بين العبادتين أمر مقصود للشارع - صرح فيما رواه أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر" لأن اليهود والنصارى يؤخرون.

قال: وهذا نص في أن ظهور الدين الحاصل بتعجيل الفطر؛ لأجل مخالفة اليهود والنصارى.

الشيخ صالح: نعم، لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر، وأخروا السحور مخالفة لليهود، وعملاً بالسنة، فمدام المسلمون متمسكين بالسنة فالإسلام ظاهر، وإذا عملوا بالبدع، ووقعوا في التشبه فإن هذا يضر بالدين وبظهور الدين، فجعل صلى الله عليه وسلم علامة ظهور الدين التمسك بالسنة ومخالفة الكفار - في العبادات وفي غيرها من العادات الخاصة بهم -؛ فهذا من يسر هذه الشريعة، ورفع الحرج عن الأمة.

أما بعض الطوائف المنتسبة للإسلام الآن التي لا يفطرون حتى تشتبك النجوم، حتى يظلم الجو، هذا بدعة وزيادة في العبادة، وأمر لا يجوز. نعم.

٣٠٨) ظهور الإسلام في مخالفة أعداء الإسلام

المذيع: أحسن الله إليكم، قال رحمه الله: وإذا كانت مخالفتهم سبباً لظهور الدين، فإنما المقصود بإرسال الرسل أن يظهر دين الله على الدين كله، فيكون نفس مخالفتهم من أكبر مقاصد البعثة.

الشيخ صالح: نعم، هذه فائدة عظيمة، وهو أن علامات ظهور الإسلام مخالفة أعداء الإسلام، ودل بالمفهوم على أن موافقة أعداء الإسلام نقص في ظهور الإسلام، فإذا أراد المسلمون أن يظهر دينهم وأن تعلق كلمة الله فليخالفوا أعداء الله في عبادتهم وفي عاداتهم الخاصة بهم حتى يكون للمسلمين تميز وانفراد لشخصيتهم، ولا يذوبون مع الأديان الأخرى أو مع الملل الأخرى، نعم.

٣٠٩) إخبار النبي بما هو واقع من تأخير الإفطار من دلائل نبوته

المذيع: قال: وهكذا روى أبو داود من حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " لا تزال أمتي بخير أو على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب إلى أن تشتبك النجوم " رواه ابن ماجة من حديث العباس والإمام أحمد من حديث السائب بن يزيد.

الشيخ صالح: نعم، وهذا من معجزاته صلى الله عليه وسلم؛ لأنه أخبر أنه سيكون في هذه الأمة من يؤخرون الإفطار إلى أن تشتبك النجوم، يعني تظهر النجوم في ظلمة الليل، وهذا من الابتداع في الدين وخفاء السنة، أما المباداة بالإفطار عند غروب الشمس فهو من إظهار السنة ومن علو هذا الدين؛ فهذا يدل على أن التمسك بالسنة والعمل بها ظهور لهذا الدين، وأن ترك العمل بالسنة خفاء لهذا الدين ونقص فيه. نعم.

٣١٠) مخالفة اليهود والنصارى في وقت الصلاة

قال: وقد جاء مُفسراً تعليقه " لا يزالون بخير ما لم يؤخروا المغرب إلى طلوع النجوم مضاهاة لليهودية، ويؤخروا الفجر إلى محاق النجوم مضاهاة للنصرانية."

الشيخ صالح: كذلك مخالفة الملتين في وقت الصلاة، والصلاة الله جل وعلا قال لنبه صلى الله عليه وسلم:

{أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنِ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: ٧٨] والنبى صلى

الله عليه وسلم بين المواقيت؛ أن وقت الظهر حين تزول الشمس عن وسط السماء إلى جهة الغرب، ويظهر الظل من جهة الشرق، وأن وقت العصر إذا تساوى الشاخص وظله، تساوى الشيء الشاخص يعني المرتفع مع ظله؛ حينئذ ينتهي وقت الظهر ويدخل وقت العصر، ويستمر وقت العصر المختار إلى أن يصير ظل الشيء مثله مرتين، ثم يبدأ وقت الضرورة إلى غروب الشمس، وأن وقت صلاة المغرب حين تغرب الشمس، وأن وقت العشاء حين يغرب الشفق الأحمر، وأن وقت الفجر حين طلوع الفجر الثاني.

هكذا بين النبي صلى الله عليه وسلم، وجبريل عليه السلام أم النبي صلى الله عليه وسلم في أول الوقت، وفي آخره، ثم قال: الصلاة بين هذين الوقتين، فهذه مواقيت الصلاة، فمن غيرها فإنه يكون متشبهاً بالأمم السابقة في تغييرهم لعبادتهم، فإن اليهود لا يصلون حتى يُعتم الجو، لا يصلون المغرب حتى يُعتم الجو وتظهر النجوم، فمن أخر المغرب إلى هذا الوقت؛ فهو متشبه باليهود.

وفي طائفة تنتسب إلى الإسلام الآن تؤخر المغرب إلى هذا الوقت، ومن أخر الفجر إلى أن تمحق النجوم يعني يذهب ضوء النجوم بظهور الإسفار، وظهور ضوء الشمس فهو متشبه بالنصارى فنحن مأمورون بتعجيل الفجر عند طلوع الفجر، وبتعجيل المغرب عند غروب الشمس، وأما قوله صلى الله عليه وسلم: "أسفروا بالفجر فإنه أعظم لأجوركم فمعناه التأكد من طلوع الفجر، وليس معناه أن نبقى حتى يُسفر الجو، وإنما معناه أننا نتأكد، بدليل أنه صلى الله عليه وسلم كان يدخل في الصلاة بغلس حين لا يعرف الرجل من بجانبه من الظلمة، ثم ينصرف من الصلاة حين يعرف الرجل جليسه؛ فدل على أنه صلى الله عليه وسلم يدخل في صلاة الفجر

مبكرًا، وأنه يطيل الصلاة ولا ينصرف منها حتى يعرف الرجل جليسه، فهذا هو الهدي النبوي في صلاة الفجر: أنه يدخل فيها مبكرًا، ويطيلها حتى يتضح ضوء الفجر ويعرف الإنسان من بجانبه، وذلك في الوقت الذي لم يكن فيه مصابيح كهربائية أو سُرُج.

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الأربعون

المذيع: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، أَيُّهَا الْمُسْتَمْعُونَ الْكِرَامَ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَأَهْلًا وَسَهْلًا بِكُمْ إِلَى حَلَقَةٍ جَدِيدَةٍ فِي بَرْنَامَجٍ: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية رحمه الله.

يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ: صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء، في مطلع لقاءنا نرحب بشيخنا الكرام فحياكم الله يا شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(٣١١) الفصل بين عبادتنا وعبادات من قبلنا

المذيع: قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي بَيَانِ أَنَّ الْفَصْلَ بَيْنَ عِبَادَتِنَا وَعِبَادَاتِ مَنْ قَبْلَنَا أَمْرٌ مَقْصُودٌ لِلشَّارِعِ، قَالَ: قَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ حَدَّثَنَا أَبُو مُعَاوِيَةَ، حَدَّثَنَا الصَّلْتُ بْنُ بَهْرَامٍ، عَنِ الْحَارِثِ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ الصَّنَابِغِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ أُمَّتِي عَلَى مُسْكَةٍ مَا لَمْ يَنْتَظِرُوا بِالْمَغْرِبِ اشْتِبَاكَ النُّجُومَ مُضَاهَاةً لِلْيَهُودِيَّةِ وَلَمْ يَنْتَظِرُوا بِالْفَجْرِ مَحَاقَ النُّجُومِ مُضَاهَاةً لِلنَّصْرَانِيَّةِ وَلَمْ يَكُلُوا الْجَنَائِزَ إِلَى أَهْلِهَا».

الشيخ صالح: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَهَذَا الْحَدِيثُ مُؤَكَّدٌ لِلْحَدِيثِ الَّذِي سَبَقَ فِي آخِرِ الْحَلَقَةِ الْمَاضِيَةِ، فِي أَنَّ الْمَشْرُوعَ لِلْمُسْلِمِينَ أَنْ يَبَادِرُوا بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ عِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَلَا يُؤَخَّرُهَا إِلَى أَنْ يُظْلَمَ الْجَوُّ وَتَظْهَرَ النُّجُومُ؛ لِأَنَّ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْيَهُودِ. فَنَحْنُ مِنْهَيُونَ عَنِ التَّشْبِهِ بِهِمْ، وَأَلَّا نُؤَخِّرَ صَلَاةَ الْفَجْرِ عَنِ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ يَذْهَبَ ضَوْءُ النُّجُومِ بِسَبَبِ كَثْرَةِ الْإِسْفَارِ؛ بَلْ إِنَّا نَعَجِّلُ بِصَلَاةِ الْفَجْرِ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصَلِّي بِهَا بِغَلَسٍ؛ يَعْنِي فِي ظِلْمَةٍ يَصَلِّي بِهَا فِي ظِلْمَةٍ، وَسَبَقَ الْكَلَامُ عَلَى هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ.

فيه الآن من بعض الشباب أو بعض المتسيين لطلب العلم من يشكك في صلاة الفجر ويقول: أن الناس يصلونها قبل دخول وقتها، ويضعون في هذا الشبهات؛ بل إنهم كتبوا في إبطال صلاة بعض الجهات، وهذا من الجهل والغرور؛ فإن المشروع هو أنه إذا طلع الفجر فإنه يحين وقت صلاة الفجر، وطلوع الفجر واضح؛ قال الله جل وعلا: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فإذا طلع البياض المعترض في الأفق الذي لا يأتي بعده ظلمة؛ فهذا هو الفجر الذي يحرم الطعام بالنسبة للصائم ويدخل به وقت صلاة الفجر، وهو أمر واضح يتبين؛ يعني كلُّ يرى الفجر إذا ظهر في الأفق، علامة واضحة ليس فيها خفاء، فلماذا نؤخر إلى أن يظهر الإسفار ونشبهه بالنصاري، وقد نهانا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك.

فينبغي لهؤلاء أن يتنبهوا لهذا الأمر، وألا يتكلموا في أمور العبادات ويغرروا بالناس، بناء على فهمهم القاصر.

٣١٢) كيفية العناية بجنائز المسلم

المدية: قَالَ: «وَلَمْ يَكِلُوا الْجَنَائِزَ إِلَى أَهْلِهَا».

الشيخ صالح: هذه زيادة عن الحديث السابق، الله -جل وعلا- شرع لنا العناية بجنائز المسلم في أننا: نغسله ونكفنه ونحمله وندفنه في مقبرة المسلمين، ونستغفر له وندعو له.

أولاً، نغسله، ثم نكفنه، ثم نصلي عليه، ثم نحمله إلى قبره وندفنه على السنة، ونستغفر له بعد الدفن وندعو له بالتثبيت، شرع لنا زيارته -الزيارة الشرعية-: نسلم عليه وندعو له كلما تيسر ذلك؛ فهذا من محاسن الإسلام.

أما أنه يترك الميت لأهله، ولا يكون من إخوانه المسلمين مشاركة في تشييعه ومشاركة في تجهيزه وحضور دفنه؛ فهذا من النقص في هذه الأمة، وهذا قد يحدث في آخر الزمان حينما تظهر القسوة في القلوب والتنافر بين الناس والانشغال بالدنيا والغفلة عن الآخرة.

ومن حقوق المسلم على إخوانه المسلمين قوله صلى الله عليه وسلم: **«وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ»**؛ يعني شيع جنازته.

المذيع: إذا ألا يترك الناس جنازة أخيهم إلى أهله، ويساعدهم هذا أمر شرعي مقصود.

الشيخ صالح: مقصود نعم، وفيه أجر عظيم، وفقدته فقد للجميع ومصيبته مصيبة للجميع فليس على

أهله فقط.

(٣١٣) لا رهبانية في الإسلام؛ فلا وصال

المذيع: قال رحمه الله: وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ إِيَادِ بْنِ لَقِيْطٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ لَيْلَى

أَمْرَأَةَ بَشِيرِ بْنِ الْخِصَاصِيَّةِ، قَالَتْ: أَرَدْتُ أَنْ أَصُومَ يَوْمَيْنِ مُوَاصِلَةً أَوْ مُوَاصِلَةً فَنَهَانِي عَنْهُ بِشِيرٌ وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَانِي عَنْ ذَلِكَ، وَقَالَ: «إِنَّمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ النَّصَارَى، صُومُوا كَمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ وَأَتَمُّوا الصَّوْمَ كَمَا

أَمَرَكُمُ اللَّهُ وَأَتَمُّوا الصَّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ، فَإِذَا كَانَ اللَّيْلُ فَأَفْطِرُوا». وَقَدْ رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي الْمُسْنَدِ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: فَعَلَّ النَّهْيَ عَنِ الْوِصَالِ بِأَنَّهُ صَوْمُ النَّصَارَى، وَهُوَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَيُشَبَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ رَهْبَانِيَّتِهِمُ الَّتِي ابْتَدَعُوهَا».

الشيخ صالح: نعم، كما سبق أنه نهي عن الوصال، وهو أن يواصل بين يومين بالصيام ولا يفطر بينهما،

وأن هذا صيام النصارى، ونحن منهيون عن التشبه بهم.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - معلقاً على ذلك: ولا يبعد أن يكون هذا من رهبانيتهم التي نهينا عن التشبه

بهم فيها في قوله صلى الله عليه وسلم: **«لَا رَهْبَانِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ»**.

(٣١٤) التشدد في مسألة الحائض

المذيع: قَالَ: وَعَنْ حَمَّادٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ رَضِيٍّ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتْ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ

لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهَا فِي الْبُيُوتِ؛ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْزَلَ

الله عز وجل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذَىٰ فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ [البقرة: ٢٢٢]، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ».

فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ، فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ، فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَادُ بْنُ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا، أَفَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟، فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ حَتَّى ظَنَّنَا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا فَخْرًا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةً مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفْنَا أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشيخ صالح: نعم، من القضايا التي أمرنا الله بمخالفة اليهود فيها: تشددهم في مسألة الحائض، فكان

اليهود يتشددون في اجتناب الحائض؛ فلا يؤاكلونها، ولا يشاربونها، ولا يأكلون مما صنعتها، فالله جل وعلا شرع لنا أننا نخالف اليهود في هذا الأمر، وأن نتجنب الحائض في شيء واحد وهو الوطء في الفرج.

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]؛ يعني محل خروج الحيض، ولا بأس أن يستمتع الرجل بزوجه الحائض في جسمها ويضاجعها، والنبى صلى الله عليه وسلم كان يضاجع نساءه في حالة الحيض ويأمرهن بالاتزار فيباشرهن، وهذا من اعتدال هذا الدين ورفع الحرج عن هذه الأمة.

فالله لم ينهنا إلا عن شيء واحد وهو جماع الحائض في فرجها، أما جماعها في غير فرجها والمباشرة الاستمتاع بها والأكل مما طبخت وغسلت وباشرت، فكل هذا مما أباحه الله لنا، فهذا من مخالفة اليهود، ومن وسطية الإسلام واعتدال الإسلام في أمر الحائض.

لكن لما أراد بعض الصحابة أن يزيدوا في الأمر ويشتدوا في الأمر، قالوا نجتمعها في الفرج مخالفة لليهود، يفعلون شيئاً محرماً من أجل مخالفة اليهود، اليهود في هذا على حق في كونهم لا يجامعونها، فنحن لا نترك الحق، وإن كان اليهود عليه، فكونهم يتركون جماع الحائض في فرجها هذا حق، فنحن لا نتركه ونقول هذا مخالفة لهم؛ لأنهم وافقونا هم، هم وافقونا في هذه المسألة أن هذا حق.

فلما همَّ بعض الصحابة أن يجامع الحائض؛ يفعل المحرم من أجل أن يخالف اليهود غضب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك، لكن غضبه لم يصل إلى حد الهجر في حقها رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بدليل أنه دعاها وسقاها من اللبن.

٣١٥) ما شرعه الله لنبيه من مخالفة اليهود

المذيع: أحسن الله إليكم، قال رحمه الله: **فَهَذَا الْحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى كَثْرَةِ مَا شَرَعَهُ اللهُ لِنَبِيِّهِ مِنْ مُخَالَفَةِ الْيَهُودِ**، يعني لقوله: لم يريد هذا الرجل أن يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه.

الشيخ صالح: نعم، وهذا من رحمة الله وإظهار هذا الدين، وأن يتميز، ولا يختلط بالأديان السابقة لأنه دين متميز حاكم على الأديان.

المذيع: **ثُمَّ إِنَّ الْمُخَالَفَةَ كَمَا سَنَبِينَهُ تَارَةً تَكُونُ فِي أَصْلِ الْحُكْمِ وَتَارَةً تَكُونُ فِي وَصْفِهِ.**

الشيخ صالح: نعم، المخالفة تكون في أصل الحكم بالأنا نحدث البدع التي أحدثوها كالموالد مثلاً، وإحداث عبادات كالرهبانية؛ كالرهبانية التي ابتدعوها ما كتبها الله عليهم، وقد يكون الأمر مشروعاً لكن هم زادوا فيه كالصيام مثلاً، فالصيام مشروع لكنهم زادوا فيه فصاروا لا يفطرون حتى تشتبك النجوم، فهم زادوا على العبادة، هذا وصف زائد على المشروع، فنحن نخالفهم في الحالتين: لما أحدثوه من الدين، وفيما زادوه على الدين المشروع.

المذيع: **قَالَ: وَمَجَانِبَةُ الْحَائِضِ: لَمْ يُخَالَفُوا فِي أَصْلِهِ بَلْ خُولِفُوا فِي وَصْفِهِ.**

الشيخ صالح: مجانبة الحائض الله جل وعلا قَالَ: ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، نحن مأمورون باعتزال الحيض، لكن ما هو في كل شيء، وإنما بالجماع في الفرج، ﴿فَاعْتَرَلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ما قَالَ: اعتزلوا النساء مطلقاً، بل قَالَ: ﴿فِي الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

فاليهود اعتزلوا النساء في الحيض من جميع وجوه الاعتزال.

المذيع: قَالَ: حَيْثُ شَرَعَ اللهُ مُقَابَرَةَ الْحَائِضِ فِي غَيْرِ مَحَلِّ الْأَذَى.

الشيخ صالح: وهو مخرج الدم.

المذيع: فَلَمَّا أَرَادَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ أَنْ يَعْتَدِيَ فِي الْمُخَالَفَةِ إِلَى تَرْكِ مَا شَرَعَهُ اللهُ، تَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشيخ صالح: هنا المخالفة لا يجوز أن تزيد عن الحد المشروع بأن نترك واجباً أو نفعل محرماً، ونقول هذا

مخالفة لليهود.

المذيع: قَالَ: وَهَذَا الْبَابُ - بَابُ الطَّهَّارَةِ - كَانَ عَلَى الْيَهُودِ فِيهِ أَغْلَالٌ عَظِيمَةٌ فَابْتَدَعَ النَّصَارَى تَرْكَ

ذَلِكَ كُلِّهِ.

الشيخ صالح: كان اليهود والنصارى على طرفي نقيض في مسألة النجاسة، فاليهود يتشددون في مسألة

النجاسة؛ حتى إنهم يقطعون الثوب الذي فيه نجاسة ولا يغسلونه يشقونه، وهذا من الأصار والأغلال التي

عاقبهم الله بها، بينما النصارى يتساهلون في أمر النجاسة بل يتقرب إلى الله بالنجاسات، والتلوث بالنجاسات،

ويعتبرون هذا من التواضع والعبادة.

الله جل وعلا شرع لهذه الأمة إزالة النجاسة، وذلك بغسلها في الماء، لا بقطع الثوب وإفساد الثوب، ولا

بالتساهل فيها كما تتساهل النصارى، فيلبسون النجاسات، ويعتبرون هذا من الدين عندهم.

المذيع: قَالَ: فَابْتَدَعَ النَّصَارَى تَرْكَ ذَلِكَ كُلِّهِ حَتَّى إِتْمَمُوا لَا يُنَجِّسُونَ شَيْئًا، بِلَا شَرَعٍ مِنَ اللهِ، فَهَدَى

اللهُ الْأُمَّةَ الْوَسَطَ.

الشيخ صالح: ولذلك يأكلون الخنزير، ولذلك النصارى يأكلون الخنزير وهم من أقدر الحيوانات وأنجس الحيوانات، الله جل وعلا يقول: ﴿فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، ﴿أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ﴾ [الأنعام: ١٤٥]، فهم يأكلون الرجس النجس على العكس من اليهود الذين يتشددون في النجاسات؛ حتى أنهم يتلفون الثوب ويشقونه من أجل إزالة النجاسة منه، فلا إفراط ولا تفريط.

٣١٦) هدى الله الأمة الوسط

المذيع: قَالَ: فَهَدَى اللَّهُ الْأُمَّةَ الْوَسْطَى بِمَا شَرَعَهُ لَهَا إِلَى وَسْطٍ مِنْ ذَلِكَ.

الشيخ صالح: وذلك بإزالة النجاسة بالماء.

المذيع: قَالَ: وَإِنْ كَانَ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْيَهُودُ كَانَ أَيْضًا مَشْرُوعًا، فَاجْتَنَابُ مَا لَمْ يَشْرَعْ اللَّهُ اجْتِنَابَهُ مُقَابَرَةً لِلْيَهُودِ وَمُلَابَسَةٌ مَا شَرَعَ اللَّهُ اجْتِنَابَهُ مُقَابَرَةً لِلنَّصَارَى، وَخَيْرُ الْهُدَى هَدَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الشيخ صالح: ترك ما شرعه الله من أجل مقاربة النصارى، أو فعل ما حرمه الله مقاربة لليهود كلا الأمرين لا يجوز؛ فنحن نترك المحرم ونفعل الواجب، ونخالف الطائفتين في هذا الأمر.

المذيع: وبين كما أشرت أن الأمة وسط.

الشيخ صالح: فاليهود مثلاً يأكلون الربا -وهو من أشد المحرمات-؛ نحن نخالفهم في هذا، المشركون يأكلون الميتات؛ فنحن نخالف المشركين في هذا، النصارى يأكلون الخنزير الذي هو أقدر الحيوانات وأنجس الحيوانات؛ فنحن نخالف هذه الطوائف وديننا دين الوسط والاعتدال والنزاهة.

٣١٧) أوقات النهي في الصلاة

المذيع: أحسن الله إليكم، قَالَ: وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ عَبْسَةَ قَالَ: كُنْتُ وَأَنَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَظُنُّ أَنَّ النَّاسَ عَلَى ضَلَالَةٍ فَايْتَمُّوا لَيْسُوا عَلَى شَيْءٍ، وَهُمْ يَعْبُدُونَ الْأَوْثَانَ، قَالَ: فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أَخْبَارًا،

فَقَعَدْتُ عَلَى رَاحِلَتِي فَقَدِمْتُ عَلَيْهِ فَإِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْتَخْفِيًا جُرَاءَ عَلَيْهِ قَوْمُهُ، فَتَلَطَّفْتُ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أَنْتَ؟ قَالَ أَنَا نَبِيٌّ. فَقُلْتُ: وَمَا نَبِيٌّ؟ قَالَ أَرْسَلَنِي اللَّهُ. فَقُلْتُ: بِأَيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: أَرْسَلَنِي بِصَلَةِ الْأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الْأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوحَّدَ اللَّهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْءٌ.

فَقُلْتُ لَهُ: مَنْ مَعَكَ عَلَى هَذَا؟ قَالَ: حُرٌّ وَعَبْدٌ. قَالَ: وَمَعَهُ يَوْمِيذُ أَبُو بَكْرٍ وَبِلَالٌ فَقُلْتُ: إِنِّي مُتَّبِعُكَ. قَالَ: إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ يَوْمَكَ هَذَا، أَلَا تَرَى حَالِي وَحَالَ النَّاسِ، وَلَكِنْ ارْجِعْ إِلَى أَهْلِكَ، فَإِذَا سَمِعْتَ بِي قَدْ ظَهَرْتُ فَاتَّبِعْنِي. قَالَ فَذَهَبْتُ إِلَى أَهْلِي، وَقَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَكُنْتُ فِي أَهْلِي فَجَعَلْتُ أَخْبِرُ الْأَخْبَارَ وَأَسْأَلُ النَّاسَ حِينَ قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ يَثْرِبَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ. فَقُلْتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالُوا: النَّاسُ إِلَيْهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أَرَادَ قَوْمُهُ قَتْلَهُ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذَلِكَ.

فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْرِفْنِي قَالَ: نَعَمْ، أَنْتَ الَّذِي لَقَيْتَنِي بِمَكَّةَ. قَالَ: فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللَّهُ وَأَجْهَلُهُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الصَّلَاةِ قَالَ: صَلِّ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَتَّى تَرْفَعَ فَإِنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطْلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ حَتَّى يَسْتَقِيلَ الظِّلُّ بِالرَّمْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ فَإِنَّ حِينَئِذٍ تُسَجَّرُ جَهَنَّمُ، فَإِذَا أَقْبَلَ الْفَيْءُ فَصَلِّ، فَإِنَّ الصَّلَاةَ مَشْهُودَةٌ مَحْضُورَةٌ، حَتَّى تُصَلِّيَ الْعَصْرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلَاةِ حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَإِنَّهَا تَغْرُبُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيْطَانٍ وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الْكُفَّارُ» وَذَكَرَ الْحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشيخ صالح: هذا حديث عظيم، وفيه فوائد عظيمة، وهو حديث عمرو ابن عبسة السلمي، ويكنى أبا نجيع رضي الله عنه، فيه أن هذا الرجل كان يكره عبادة الأوثان في الجاهلية، ويرى أن الناس ليسوا على شيء، وليسوا على دين صحيح، وهذا بموجب الفطرة التي فطرها الله عليها، وكان أناس أفراد من أشكاله ممن تجنبوا عبادة الأوثان، مثل: عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد.

عمرو بن نفيل، ومثل ورقة بن نوفل، ومثل سلمان الفارسي، ومثل قس بن ساعدة الإيادي وغيرهم، أناس أنكروا عبادة الأوثان، وبقوا يتعبدون على بقية الحنفية ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ومنهم من يكون على دين عيسى عليه الصلاة والسلام، الَّذِي لم يحرف ولم يغير حتى بعث الله محمدًا صلى الله عليه وسلم، ومن هؤلاء: عمرو بن عبسة السلمي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أنه لما سمع ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم - وكان يكره ما عليه المشركون - فرح؛ فرح ببعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فجاء ووجد الناس عليه متأمرين في مكة، وأنهم قد تكالبوا عليه، وأنه كان يختفي في دعوته، وهذا في أول ما بعثه الله، فعمل الحيلة حَتَّى وصل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ودخل عليه؛ فسأله من أنت؟، فَقَالَ: أنا نبي، قلت وما نبي؟، قَالَ: أرسلني الله، قلت: بأي شيء أرسلك؟، قَالَ: أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأصنام وعبادة الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فوافق هذا ما عند عمرو بن عبسة من الشوق إلى الدين الحق وافق ما عنده من الرغبة.

فأراد أن يتبع الرسول صلى الله عليه وسلم، فالرسول رحمة به، قال له: إنك لا تستطيع ذلك وأنت ترى ما بيني وبين الناس، وسأله عمرو عَمَلِي من تبعه على هذا الأمر؟، قَالَ: حر وعبد، وكان معه يومئذ بلال بن رباح رضي الله عنه وأبو بكر الصديق رضي الله عنه رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، هذا أول من كان مع الرسول صلى الله عليه وسلم هذان الرجلان رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

فأراد أن يتبعه ويكون معهم، قال صلى الله عليه وسلم: أنك لا تستطيع أن ترى، هذا من الرحمة به والرافة به، وهذا يدل على التدرج في أمر الدين، لكن أرجع فإذا سمعت بي قد ظهرت فهلم، فذهب الرجل على إيمانه وعلى تصديقه بالرسول صلى الله عليه وسلم، ثم لما سمع بهجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة سأل من جاء من أهل المدينة هذا الرجل الذي قدم عليكم فأخبروه أن قومه أرادوا أن يقتلوه.

يعني أهل مكة أرادوا أن يقتلوه، كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُجْرِبُوكَ﴾ [الأنفال: ٣٠]، فنجاه الله منهم وهاجر إلى المدينة، وفرح بذلك وقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم

فوجد الناس يسرعون إليه، وأن الله قد نصره وأظهره، وحصل ما أخبر به صلى الله عليه وسلم يوم كان في مكة، فحصل الفرج؛ فجاء وسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ماذا يفعل؟، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بفرضية الصلوات الخمس ومواقيتها، ثم أخبره بالأوقات التي لا تجوز الصلاة فيها، وهذا محل الشاهد من الحديث.

فلا تجوز الصلاة بعد طلوع الفجر إلى أن ترتفع الشمس، ولا سيما عند بزوغ الشمس؛ لأن هذا الوقت أنها تظهر بين قرني شيطان ويسجد لها الكفار، فإذا صلى المسلم في هذا الوقت عند طلوع الشمس فقد تشبه بالكفار، فنهي عن الصلاة في هذا الوقت سدا للذريعة، منعاً للتشبه بالكفار فدل على تحريم التشبه بهم، ثم إنه بين له صلاة الظهر وأنها حين يقوم قائم الظهيرة حتى تزول.

ثم قبل الظهر بين له وقت نهي أيضاً وقت نهي آخر، وهو عند قيام قائم الظهيرة على رؤوس تقوم الشمس على الرؤوس، فحينئذ تسجر جهنم فينهي عن الصلاة في هذا الوقت، وإن كان وقتاً قصيراً ولكن ينهي عن الصلاة في هذا الوقت الثاني، الوقت الثالث بعدما يصلي العصر إلى أن تغرب الشمس هذا ليس محل صلاة للنافلة، لماذا؟

لأنها حين غروبها تغرب بين قرني شيطان ويسجد لها الكفار، فإذا صلى المسلم في هذا الوقت تشبه بهم؛ فيظن أنه يسجد للشمس في حين أنه يسجد لله لكن لما كانت الصورة والوقت مقارب لما عليه الكفار نهينا عن التشبه سدا للذريعة التي توصل إلى الشرك، فهذا محل الشاهد من الحديث؛ أننا نهينا عن التشبه بالكفار حتى في أداء العبادات التي يؤدون فيها شركهم وعباداتهم لغير الله عز وجل.

المدية: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الحادي والأربعون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحياكم الله إلى حلقة جديدة في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية رحمه الله يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ حياكم الله شيخ صالح حياكم الله وبارك فيكم في الحلقة السالفة.

(٣١٨) قد يأتي من يجهل هذا الحكم من المسلمين فيظن أن المسلمين

يوافقون الكفار في هاتين العبادتين الشركيتين

المذيع: وقفنا مع المؤلف - رحمه الله - في قوله عن حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه، قال: فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة وقت طلوع الشمس ووقت الغروب معللاً بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان، وأنه حيثئذ يسجد لها الكفار ومعلوم أن المؤمن لا يقصد السجود إلا لله تعالى، وأكثر الناس قد لا يعلمون أن طلوعها وغروبها بين قرني شيطان، ولا أن الكفار يسجدون لها؛ ثم أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الصلاة في هذا الوقت حسماً لمادة المشابهة بكل طريق.

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله

وإصحابه ومن اهتدى بهداه.

تقدم أن الشيخ رحمه الله ساق حديث عمرو بن عبسة في بيان مواقيت الصلاة وأوقات النهي ومنها: عند طلوع الشمس، وعند غروبها. وعلل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك بأنها تطلع وتغرب بين قرني شيطان وأن الكفار

يسجدون لها في هذين الوقتين؛ فهى المسلم أن يصلي في هذين الوقتين حساً لمادة التشبه بهم وإن كان المؤمن يصلي لله وهم يصلون للمخلوق.

وأيضاً المسلم قد لا يعلم أنهم يسجدون لها في هذين الوقتين، ومع هذا نهاهم النبي صلى الله عليه وسلم مطلقاً؛ حساً لمادة التشبه بالكفار فهذا من أعظم الأدلة على تحريم تشبه بالكفار لا سيما في عباداتهم، وأيضاً هذا فيه سد لذريعة الشرك فإن المسلم إذا تشبه بهم وإن كان في أول الأمر لا يقصد السجود لغير الله، لكن قد يأتي من يجهل هذا الحكم من المسلمين فيظن أن المسلمين يوافقون الكفار في هاتين العبادتين الشركيتين النبي صلى الله عليه وسلم سد هذا الطريق المفضي إلى الشرك، فهذا الحديث فيه فائدتان عظيمتان:

الفائدة الأولى- تحريم التشبه بالكفار- وأن كان المسلم لا يقصد ما قصدوه، أو يجهل ما يقصدونه-.

والفائدة الثانية- سد الوسائل أو منع الوسائل التي تفضي إلى الشرك نعم.

٣١٩) حرمة التوسل إلى الكواكب:

المذيع: أحسن الله اليكم قال رحمه الله: ويظهر بعض فائدة ذلك بأن من الصابئة المشركين اليوم ممن يُظهر الإسلام ويعظم الكواكب، ويزعم أنه يخاطبها بحوائجها وينحر، ويذبح.

الشيخ صالح: ومما يؤكد النهي عن التشبه بالكفار؛ أن المسلم- وإن كان لا يقصد إلا الله عز وجل- لكن إذا تشبه بهم في صورة العمل فهذا وسيلة إلى أن يتشبه بهم، أو يأتي من يتشبه بهم من المسلمين في حقيقة العمل؛ لأن الوسائل تفضي إلى الغايات المحرمة، ومن ذلك أن من الصابئة المشركين من يتقرب إلى الكواكب، ويسجد لها، وبينون لها الهياكل كما في قوم نمرود من الكنعانيين الذين هم بأرض بابل؛ أنهم يسجدون للكواكب ويعبدونها من دون الله، فالمسلم منهي عن التشبه بهذه الطوائف.

٣٢٠) تصنيف الكتب في عبادة الكواكب من بعض منتسبي الإسلام

المذيع: قال وقد صنف بعض المنتسبين إلى الإسلام في مذهب المشركين من الصابئة والبراهمة كتباً في عبادة الكواكب توسلاً بذلك زعموا إلى مقاصد دنيوية من الرئاسة وغيرها.

الشيخ صالح: نعم بعض العلماء المنتسبين إلى الإسلام: وهو الفخر الرازي المشهور ألف كتاباً سماه [السر المكتوم في مخاطبة النجوم] وذكر فيه هذه القبائح - ولا يليق هذا به-، لكنه فعل هذا: إما من باب التكثير في التأليف، أو أنه قصد بذلك ترؤساً في العلم أو غير ذلك من المطامع؛ فالحاصل أنه مخطئ في هذا -غفر الله لنا وله-، ويروى أنه تاب من هذا -نرجو ذلك-، ولكن ليس القصد هو هذا الرجل؛ وإنما القصد هو تجنب هذه الأمور والبعد عنها والتحذير منها.

٣٢١) مخاطبة النجوم والتقرب إليها من السحر

المذيع: أحسن الله اليكم قال وهي من السحر الذي كان عليه الكنعانيون الذين ملوكهم الناردة الذين بعث الله خليل صلوات الله وسلامه عليه بالحنيفية وإخلاص الدين كله لله إلى هؤلاء المشركين.

الشيخ صالح: نعم مخاطبة النجوم والتقرب إليها من السحر؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم: "من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد" فعباد الكواكب من أعظم السحر، والسحر معروف قبحه وشناعته في الإسلام، وأنه كفر -تعلمه وتعليمه- وهو طريقة هؤلاء الكنعانيين الذين يعبدون الكواكب في عهد النمرود في أرض بابل من العراق؛ فبعث الله إليهم خليله ورسوله إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-، فانكر عليهم عبادتهم للكواكب فكان منهم ما كان: من المقابلة السيئة لخليل الله إلى أن انتهى الأمر بهم إلى أن أوقدوا له ناراً، وأرادوا تحريقه فيها، ولكن الله قلبها برداً وسلاماً على إبراهيم، ونجاه الله من كيدهم، ونصره عليهم.

٣٢٢) التساهل بالسحر وإتيان السحرة كبيرة من الكبائر:

المذيع: قد يتساهل بعض الناس بالسحر يا شيخ يجدونه في بعض البلدان فيتساهل أن يذهب يسأل ساحر.

الشيخ صالح: قال صلى الله عليه وسلم: " من أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد " رواه أهل السنن قال عليه الصلاة والسلام: " من أتى كاهناً لم تقبل له صلاة أربعين يوماً " رواه الامام مسلم في صحيحه؛ فلا يجوز الذهاب إلى السحرة ولا سؤالهم مجرد الذهاب إليهم كبيرة من كبائر الذنوب، ويمنع قبول الصلاة أربعين يوماً عقوبة له، فإذا صدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم لأنه صدق الكهان، والذين يدعون علم الغيب، الخطر عظيم، والسحر آفة خطيرة، وهو آفة الامم وحذر منه وحذر الله منه هذه الأمة، وبين أنه من حرفة اليهود قال تعالى في اليهود: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكٍ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ۗ﴾ [البقرة: ١٠٢] هذا من عمل اليهود ومن عمل الشياطين تعلم السحر وتعليمه من عمل اليهود ومن عمل الشياطين وهو كفر بالله عز وجل، ولهذا جاء في الإسلام إنكار السحر، وأن الساحر يُقتل، وقد قتله جمع من الصحابة منهم عمر، وابنته حفصة، وجندب ابن كعب رضي الله تعالى عنهم، قال الإمام أحمد صح رحمه الله: " صح قتل الساحر عن ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم "، وفي الحديث حد الساحر ضربه بالسيف نعم.

٣٢٣) لا يجوز نقض السحر بالسحر:

المذيع: أحسن الله اليكم شيخ فمن يقول إنه يجوز نقض السحر بالسحر.

الشيخ صالح: هذا أمر باطل لأن الله حرم السحر تعلماً وتعليماً تحريماً مطلقاً ولم يستثنى ولم يستثنى من ذلك شيء؛ فمن خصص الذي يعالج بالسحر خصصه بالجواز؛ فانه قد خالف ما دل عليه الكتاب والسنة من غير دليل يعتمد عليه.

٣٢٤) كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها مما يكون كفراً أو معصيةً بالنية ينهى المؤمنون عن ظاهره:

المذيع: أحسن الله اليكم قال الشيخ رحمه الله فإذا كان في هذه الأزمنة من يفعل مثل هذا أي سجود للشمس حين تشرق أو تغرب قال تحققت حكمة الشارع صلوات الله وسلامه عليه في النهي عن الصلاة في هذه الاوقات سداً للذريعة.

الشيخ صالح: نعم لو وجد في هذه الأمة من يسجد للشمس؛ فانه يكون بهذا تحقق ما تخوفه النبي صلى الله عليه وسلم على أمته؛ ولذلك سد هذه الذريعة، وحسم هذه المادة لحماية للتوحيد وإبعاد للأمة عن الشرك، فإذا وجد من يوافق الكفار في السجود للمخلوقين فإنه تحقق ما تخوفه صلى الله عليه وسلم على أمته، ويكون هذا من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام نعم.

المذيع: قال وكان فيه تنبيه على أن كل ما يفعله المشركون من العبادات ونحوها مما يكون كفراً أو معصية بالنية ينهى المؤمنون عن ظاهره وإن لم يقصدوا به قصد المشركين سداً للذريعة وحسماً للمادة.

الشيخ صالح: نعم كل ما يتعبد به المشركون فان هذه الأمة منهية عنه حسباً لمادة الشرك وحسباً للتشبه بالكفار لأن التشبه بالكفار يؤدي إلى اعتقاد ما هم عليه وإلى مشاركتهم في الكفر منع التشبه نفسه هو من سد الوسائل المفضية إلى المحذور، وهذا الدين والله الحمد كامل لا يحتاج إلى زيادة ولا إضافات، ولا أن يجلب إليه من عبادات

غير المسلمين وإن ظهر لبعض المغرورين استحسان هذا الشيء فإن مردود وباطل و الإسلام كامل والله الحمد
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة:٣] فلا حاجة إلى إضافات وزيادات واستحسانات من قبل بعض
المخدوعين.

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله: ومن هذا الباب أنه كان إذا صلى إلى عمود أو عمود جعله على
حاجبه الأيمن أو الأيسر ولم يصمد له صمداً.

الشيخ صالح: ومن هذا الباب وهو منع التشبه بالمشركين أنه صلى الله عليه وسلم كان يتخذ الستر في الصلاة
وهي من سنن الصلاة وأمر بها صلى الله عليه وسلم المصلي ولكن كان إذا صلى إلى عمود أو إلى عصا مركز
بالأرض فإنه لا يصمد إليه صمداً، وإنما يميل عنه يميناً أو شمالاً منعا للتشبه بالذين يعبدون هذه المخلوقات
ويسجدون لها؛ فهذا سد للذريعة ومنع للتشبه بهم، ومخالفة لهم لأنهم يقصد السجود لهذه المخلوقات ويصمدون
إليها الرسول خالفهم ومال عنها نعم

المذيع: قال ولهذا نهى عن الصلاة إلى ما عبد من دون الله في الجملة وإن لم يكن العابد يقصد ذلك.

الشيخ صالح: نعم نعم نهى صلى الله عليه وسلم الصلاة إلى ما يعبد من دون الله كالصلاة إلى الصنم أو إلى
الصليب أو إلى الصورة، نهينا عن الصلاة واستقبال هذه الأشياء منعا للتشبه بالكفار نعم

المذيع: ولهذا ينهى عن السجود لله بين يدي الرجل وإن لم يقصد الساجد ذلك لما فيه من مشابهة السجود
لغير الله.

الشيخ صالح: ومن ذلك أن المصلي إذا صلى وفي قبلته وجه رجل مستقبلا له يكره هذا، بل يميل عنه لان في قصده واستقباله فيه تشبه بالذين يعبدون المخلوقين فإذا كان أمامك شخص جالس ووجهه إلى قبلك فانك تميل عنه ولا تصمد إليه اما إذا كان الشخص الذي أمامك معترضا نائما أو كان أو كنت خلف ظهره فلا بأس بذلك وقد كانت عائشة رضي الله عنها كانت تظطجع امام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فإذا اراد أن يسجد غمزها فكفت رجلها فسجد عليه الصلاة والسلام نعم.

المذيع: لكن لو كان إلى المصلي ظهر الجالس.

الشيخ صالح: لا بأس بذلك بل يكون هذا من السترة.

المذيع: قال فانظر كيف قطعت الشريعة المشابهة في الجهات وفي الاوقات.

الشيخ صالح: الشريعة قطعت مشابهة الكفار في الجهات فلا إلى هذه الأشياء ونصمد اليها؛ منعنا للتشبه بالذين يعبدونها من دون الله عز وجل وفي الأوقات نهى عن الصلاة عند طلوع الشمس وعند غروبها منعنا للتشبه الذين يسجدون لها عند أو عند غروبها نعم.

المذيع: قال وكما لا يصلى إلى القبلة التي يصلون إليها كذلك لا يصلى إلى ما يصلون له بل هذا أشد فسادا فان القبلة شريعة من الشرائع قد تختلف باختلاف شرائع الانبياء أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله.

الشيخ صالح: وإذا كنا منهيين عن استقبال قبلتهم في الصلاة وأمرنا بأن نستقبل المسجد الحرام شطر المسجد الحرام ولا نستقبل غيره

مما يستقبله اليهود أو النصارى قال تعالى " **﴿وَلَيْنَ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ**

بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ [البقرة:١٤٥]

قوله: **﴿وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾** [البقرة:١٤٥] هذا فيه منع للرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه من أن يستقبلوا قبلة اليهود والنصارى في الصلاة؛ فإذا كنا منهيين عن مشابهتهم في الجهة التي يستقبلونها في صلواتهم فلأن ننهي عن التشبه بهم فيما يعبدونه من دون الله من باب أولى، وذكر الشيخ رحمه الله الفرق بين الجهة وبين المعبودات من دون الله؛ أن الجهة جهة الاستقبال شريعة تتغير بتغير الأحوال والله جل وعلا يشرع لكل ملة ولكل أمة ما يناسبها، ولكل وجهة هو موليها، وأما ما يعبد من دون الله فهذا محل وفاق وهو محل إجماع أنه لا يجوز في جميع الشرائع النبوية أنه لا يجوز عبادة غير الله عز وجل فلا يجوز التشبه بهم في الصلاة إلى ما يعبدونه من دون الله وإن كان المصلي يقصد بعبادته وجه الله لكن إذا صلى إلى ما يعبدونه من دون الله فقد تشبه بهم في الظاهر وفي الصورة نعم.

٣٢٥) السجود لغير الله تعالى محرم في كل الشرائع:

المذموم: قال أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله كما قال تعالى:

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥]

الشيخ صالح: نعم السجود لغير الله وعبادة غير الله محرمة بإجماع الشرائع لم تأتي شريعة بإباحتها قال تعالى:

﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥] أبدا ليس هناك

شريعة نزلت من السماء في عبادة غير الله عز وجل لا من الجن ولا من الانس ولا من الأشجار ولا من الأحجار

ولا من الأحياء ولا من الأموات بل العبادة لله عز وجل وحده لا شريك له نعم.

المذيع: قال وأيضا عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه رأى رجلا يتكئ على يده اليسرى وهو قاعد في الصلاة فقال له لا تجلس هكذا فان هكذا يجلس الذين يعذبون، وفي رواية تلك صلاة المغضوب عليهم.

الشيخ صالح: ومما نهينا عن التشبه بالكفار هذه الجلسة فإن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يتكئ على يده اليسرى وهو جالس في الصلاة فنهاه عن ذلك لأن هذه جلسة الذين يعذبون وهم أهل الشرك والكفر بالله عز وجل نعم.

المذيع: في رواية نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلس الرجل في الصلاة وهو معتمد على يده رواه أبو داود.

الشيخ صالح: نعم النهي عن الاعتماد على اليد في الجلوس منهي عنه على كل حال سواء كان خارج الصلاة أو كان إلى الصلاة وهذا من باب أولى نعم قال ففي هذا الحديث النهي عن هذه الجلسة عن هذه الجلسة معللة بأنها جلسة المعذنين وهذه مبالغة في مجانبة هديهم.

نعم المسلم لا يقصد لا يقصد التشبه بهم، بل قد لا يعلم أنهم يجلسون هذه الجلسة نعم ولكن الرسول منع منها سدا للذريعة ومنعا للطرق المفضية إلى الشرك، وإن كان فينا الآن من ينادون بأن بفتح الوسائل وأن هذا من التشدد وأن منع الوسائل هذا من التشدد في الدين ومن الغلو فلا اعتبار بنعيق هؤلاء، فهذه أدلة الشرع واضحة ومستفيضة في سد الوسائل التي تفضي إلى المحاذير من الشرك والمعاصي وقد عقد ابن القيم لذلك فصلا طويلا وهو قاعدة سد الذرائع، وذكر أن هذه القاعدة لها تسعة وتسعون دليلا أو تسعة وتسعون وجها ذكر في إعلام الموقعين وفي إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان نعم.

المذيع: لو كان اتكاؤه في الصلاة أو في غيرها لحاجة

الشيخ صالح: كان لحاجة زال المحذور؛ إنما إذا كان لغير حاجة نعم

(٣٢٦) النهي عن التخصر في الصلاة منعاً للتشبه باليهود:

المذيع: قال رحمه الله وأيضاً فر بخاري عن مسروق عن عائشة أنها كانت تكره أن يجعل يده في خاصرته وتقول أن اليهود تفعله.

الشيخ صالح: نعم ورد النهي عن التخصر في الصلاة وهو وضع اليد على الخصرة وهي ما استدق من الجنب من فوق الورك من الجانبين، فإن اليهود تفعل هذا في صلاتها؛ فنُهيت هذه الأمة عن التشبه بهم وهو التخصر في الصلاة نعم

المذيع: قال ورواه أيضاً من حديث أبي هريرة قال: نهى عن الخصر في الصلاة وفي لفظ نهى عن نهى أن يصلي الرجل مختصراً. قال وقال هشام أبو هلال عن ابن سيرين عن أبي هريرة: نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يصلي الرجل مختصراً وهكذا رواه مسلم في صحيح.

الشيخ صالح: كل هذه الروايات مع الأثر الوارد عن عائشة تدل على عدم التشبه بهم في هذه الصفة؛ وهو وضع اليد على الخصرة في الصلاة؛ لأن هذا من فعل اليهود، فنحن منهيون عن التشبه بهم من جميع الأمور لا سيما في أمور العبادات نعم

(٣٢٧) التصليب من مسميات التخصر:

المذيع: وعن زياد بن صبيح قال صليت إلى جنب ابن عمر فوضعت يدي على خاصرتي فلما صلى قال: هذا الصلب في الصلاة، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى عنه رواه أحمد وأبو داود والنسائي.

الشيخ صالح: وهذه أيضا صفة أو تسمية ثانية للتخصر؛ وهو أنه يشبه الصليب يشبه فنهى عن فعله؛ لأنه

نوع من التصليب في الصورة نعم

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرا.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثاني والأربعون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أيها المستمعون الكرام السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وحياكم الله إلى هذا اللقاء الجديد في برنامج اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية رحمه الله يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للافتاء في مطلع لقائنا نرحب بفضيلة الشيخ فحياكم الله شيخ صالح،

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٣٢٨) صلاة النبي صلى الله عليه وسلم وهو قاعد ، والحالات التي يقام

فيها للشخص:

المذيع: في الحلقة الماضية وقفنا مع المؤلف رحمه الله في حديث أطال فيه عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: " حين صلى قاعداً وقاموا خلفه ثم نهاهم أن كدتم أنفاً تفعلون فعل فارس والروم، يقومون على ملوكهم وهم قعود، فلا تفعلوا اهتماماً بأئمتكم إن صلى قائماً فصلوا قياماً وإن صلى قاعداً فصلوا قعوداً" وقوله " إذا صلى الإمام جالساً فصلوا جلوساً وإذا صلى الإمام قائماً فصلوا قياماً ولا تفعلوا كما يفعل أهل فارس بعظمتها، وفي رواية ولا تعظموني كما يعظم الأعاجم بعضها بعضاً"

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله

وأصحابه أجمعين سبق في الحلقة التي قبل هذه أن قرأنا الأحاديث التي أوردها الشيخ في مسألة قيام المأمومين خلف الإمام القاعد للمرض؛ الذي يصلي قاعداً للمرض.

لا شك إن القيام بالفريضة ركن من أركان الصلاة لا تصح إلا به وسنة في النافلة فهو أمر مشروع؛ ولكن إذا داخله شيء من التشبه بالكفار فإننا نتركه؛ تغليباً لجانب بالحظر، وتغليباً لمنع التشبه بهم وهذه القضية وهي قضية صلاة الصحابة قياماً خلف الرسول صلى الله عليه وسلم وهو جالس للمرض الذي أصابه: اختلفت فيها الأحاديث ففي المرة الأولى لما سقط عن الفرس وانصابت قدمه عليه الصلاة والسلام، وجلس في بيته جاء الصحابة يعودونه، وحانت الصلاة وجدوه في مشربة يعني في غرفة من بيت عائشة.

حانت الصلاة وصلى صلى الله عليه وسلم قاعداً، وقاموا خلفه فأشار إليهم أن اجلسوا وصلوا خلفه جلوساً في جميع الصلاة، ولما سلم قال كدتم أنفاً أن تفعلوا فعل فارس والروم؛ يقومون على ملوكهم وهم قعود. فدل على أنه إذا بدأ الإمام الصلاة قاعداً لعله تمنعه من القيام؛ فإن المأمومين يصلون خلفه قاعدين، وإذا صلى بدأ الصلاة قائماً ثم أصابته العلة فجلس في أثناء الصلاة فإنهم يتمون قياماً والدليل على ذلك آخر الأمرين فإنه صلى الله عليه وسلم في مرض موته أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ثم أنه صلى الله عليه وسلم بعد ما أقيمت الصلاة والناس يصلون خلف أبي بكر؛ أحس من نفسه خفة؛ فخرج صلى الله عليه وسلم وهم يصلون خلف أبي بكر، فسبحوا لأبي بكر رضي الله عنه ينبهونه إلى مجيء الرسول صلى الله عليه وسلم فجاء صلى الله عليه وسلم وجلس عن يسار أبي بكر فصار هو الإمام، وصار أبو بكر يصلي مُبَلِّغاً عنه، يصلي أبو بكر بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم ويصلي الناس في صلاة أبي بكر، فاختلف العلماء في الجمع بين الحديثين: في حديث أنه منعهم من القيام، وفي حديث أنه أقرهم على القيام؛ فمن العلماء من ذهب إلى النسخ؛ وقال: إنه لا يصح للمأموم أن يصلي قاعداً خلف الإمام سواء من أول الصلاة أو من وسطها، عملاً بآخر الأمرين منه صلى الله عليه وسلم كما هو قول الإمام الشافعي وغيره، وذهب الإمام أحمد رحمه الله إلى الجمع بدل النسخ ذهب إلى الجمع؛ لأن النسخ لا يصار إليه إلا إذا تعذر الجمع وهو ممكن هنا بأن يقال كما سبق إذا بدأ الإمام الصلاة بهم قاعداً؛ فإنهم يصلون خلفه قعوداً.

وإذا بدأ الامام الصلاة قائماً ثم اعتل فجلس؛ فإنهم يتمون خلفه قياماً على الحالة الأخيرة، لأن أبا بكر رضي الله عنه بدأ بهم الصلاة قائماً وبدأوها قياماً فلما النبي صلى الله عليه وسلم يعتبر هذا أمراً عارضاً فأتوا خلفه قياماً هذا هو الجمع بين الحديثين؛ وهو جمع حسن وهو أولى من النسخ كما سبق، والحاصل من هذا كله: أن النبي عليه وسلم بين العلة في أنهم لو صلوا خلفه قياماً وهو جالس تشبهوا بالأعاجم الذين يقومون على رؤسائهم وهم جلوس من باب التعظيم والكبر؛ فنهاهم صلى الله عليه وسلم عن ذلك سداً للذريعة وهذا محل للشاهد من القصة، وهو منع التشبه بالكفار في القيام على ملوكهم وهم قعود، ومسألة القيام فيه تفصيل نعم القيام إلى الشخص لأجل استقباله والسلام عليه هذا لا بأس به وهذا يسمى قيام إليه قال صلى الله عليه وسلم للأَنْصار لما جاء سعد بن معاذ رضي الله عنه قوموا إلى سيدكم.

وأما القيام عليه وهو جالس من باب التعظيم؛ فهذا هو المنهي عنه -في الصلاة وفي غيرها-، فإذا كان ممنوعاً في الصلاة مع أن القيام ركن من أركان الصلاة فتركه من أجل مخالفة الأعاجم؛ فهذا دليل على تحريم التشبه بالأعاجم، وشدة الأمر في هذا حيث إننا تركنا ركناً من أركان الصلاة منعا للتشبه بهم نعم فهذا مما يدل على تغليب التشبه بالأعاجم؛ إلا إذا كان القيام عليه وهو جالس من باب الحراسة؛ فهذا لا بأس به لأنه ليس للتعظيم، وإنما هو للحراسة، الحالة الثالثة القيام له من غير سلام تعظيماً له إذا أقبل بأن يقوم المجلس أو الجالسون يقومون لا للسلام عليه وإنما تعظيماً له حتى يجلس فيجلسون وهذا منهي عنه؛ لأن هذا من فعل الأعاجم

إذا فالمسألة فيها ثلاث حالات:

الحالة الأولى، القيام إليه فهذا لا مانع منه؛ لأجل السلام عليه أو لأجل إنزاله إذا كان مريضاً أو

مساعدته.

الحالة الثانية، القيام عليه وهذا إن كان من باب التعظيم فهو محرم وتشبه من كل الأعاجم والكفار.

الحالة الثالثة، القيام له له لأجل السلام عليه ولأجل حراسته وإنما هو من باب تعظيمه فهذا أيضا أمر محرم فالقيام إليه والقيام له لا لأجل السلام عليه ولا من أجل حراسته؛ بل التعظيم تعظيمه فيها التفاصيل التي ذكرناها باختصار.

٣٢٩) الإمام الذي يصلي قاعدا يصلي الناس خلفه قعوداً مثله

وشروط ذلك

المذيع: أحسن الله إليكم، قال رحمه الله وقد استفاض عنه صلى الله عليه وسلم الأمر به استفاضة صحيحة صريحة الأمر به أي بالنهي عن القيام على قاعد، نعم استفاضة صحيحة صريحة يمتنع معها أن يكون حديث المرض ناسخاً له، على ما هو مقرر في غير هذا الموضوع: إما بجواز الأمرين؛ إذ فعل القيام لا ينهي فعل القعود، وإما بالفرق بين المبتدئ للصلاة قاعداً والصلاة التي ابتدأها الإمام قائماً لعدم دخول هذه الصلاة في قوله (وإذا صلى قاعدا) ولعدم المفسدة التي علل بها؛ ولأن بناء فعل آخر الصلاة على أولها أولى من بنائها على صلاة الإمام، ونحو ذلك من الأمور المذكورة في غير هذا الموضوع.

الشيخ صالح: يقول رحمه الله: وحتى على القول بأن القيام بأن القعود خلف الإمام القاعد منسوخ وأن المفروض القيام عملاً بالحالة الأخيرة؛ فإن العلة التي منع من أجلها القيام باقية ولو نسخ الحكم؛ فأنا باقية وهي التشبه العاجل وهذه القاعدة ثابتة بالأدلة لا ينسخها حديث الصلاة خلفه قياماً في مرضه صلى الله عليه وسلم

نعم هذه يجب أن ننبه إلى إن الإمام الذي يصلي خلفه قعوداً أي الإمام الراتب الإمام الذي يرجى زوال علته أما إذا كان غير الإمام الراتب فإنه لا يتناول الحكم وإذا كان لا يرجى زوال علته بأن كان مرضه مزمناً أو لا يستطيع أو لا ينتظر منه أن يستطيع القيام فيما بعد فهذا لا يصلي خلفه قعوداً فينبغي التنبه لهذا

لأنه بلغنا أن أناسا مقعدين كانوا أئمة في الأول فأصابهم المرض فصاروا مقعدين استمروا في إمامة المساجد وهذا غلط كبير لأن هؤلاء ميؤوس من زوال علتهم، فلا يجوز لهم أن يستمروا في إمامة مساجد وإنما هذا كما ذكرنا بشرطين:

الشرط الأول أن يكون إماما راتبا.

الثاني أن يكون ممن يرجى زوال علتهم؛ لأن هذا هو الذي حصل في حق النبي صلى الله عليه وسلم لأنه هو الإمام الراتب ويرجى زوال علتهم صلى الله عليه وسلم هذا في المرة الأولى، لما أصيبت رجله عليه الصلاة والسلام فإنه يرجى زوال علتهم فلذلك صلوا خلفه قعودا نعم.

٣٣٠) مخالفة الكفار وأهل الكتاب حتى في اتباع الجنازة، والقيام

للجنائز عند مرورها

المذيع: أحسن الله إليكم، قال رحمه أيضا فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا تبع جنازة لم يقعد حتى توضع في اللحد فعرض له حبر فقال هكذا نصنع يا محمد، قال: فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم "وقال: خالفوهم" رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وقال بشر بن رافع: ليس بالقوي في الحديث

الشيخ صالح: نعم، هذا وجه من أوجه التشبه المحرمة للكفار وهو ما يكون في تشييع الجنائز.

نحن مأمورون بتشييع جنازة المسلم نعم بمعنى المشي معها إلى أن تدفن؛ لأن هذا من حق المسلم على المسلم؛ ولكن المشيعون لا يجلسون ما دامت الجنازة على أعناق الرجال حتى توضع وما معنى توضع؟ هل توضع في اللحد أو توضع على الأرض؟ كانوا في الأول لا يجلسون حتى توضع في اللحد، فقال حبر من أحبار

اليهود؛ يعني من علمائهم قال للرسول صلى الله عليه وسلم، يا محمد، هكذا كنا نصنع، فأمر صلى الله عليه وسلم أن يجلسوا قبل وضعها في اللحد، مخالفة لليهود؛ لكن يبقى أنهم لا يجلسون حتى توضع عن الأعناق في الأرض.

المذيع: قال رحمه الله: قلت: قد اختلف في القيام للجنائز إذا مرت ومعها إذا شيعت وأحاديث

الأمر بذلك كثيرة مستفيضة ومن اعتقد نسخها أو نسخ القيام للمهارة فعمدته حديث عليّ وحديث عبادة هذا وإن كان القول بهما ممكنا لأن المشيع يقوم لها حتى توضع عن أعناق الرجال لا في اللحد فهذا الحديث أما أن يقال به جمعا بينه وبين غيره أو نسخا لغيره وقد علل المخالفة، ومن يقول به يضعفه؛ وذلك لا يقدر في الاستشهاد به والاعتراض على جنس المخالفة.

الشيخ صالح: نعم، وهذه مسألة أخرى وهو القيام للجنائز إذا مرت قد كان صلى الله عليه وسلم

يقوم للجنائز إذا مرت.

ثم ورد عنه صلى الله عليه وسلم النهي عن القيام للجنائز إذا مرت: فبعض العلماء قال بالنسخ وبعضهم قال بعدم النسخ، وأنه يجوز القيام للجنائز إذا مرت من باب الموعظة ومن باب احترام الميت وعلى كل حال سواء قيل بالنسخ وأنه لا يجوز القيام لها إذا مرت أو قيل بعدم النسخ وهو بقاء القيام للجنائز إذا مرت فالعلة معروفة وهي منع التشبه بأهل الكتاب أو بالكفار فالعلة باقية على كل حال.

المذيع: لكن القيام يا شيخ يبقى جوازا ليس وجوبا

الشيخ صالح: ما هو واجب يعني هل يستحب أو لا؟

المذيع: نعم يعني لو أدخلت الجثة في المسجد من باب حتى توضع والناس في المسجد فعودا هم

بسعة من قام ومن جلس.

الشيخ صالح: لا، هذا هو المقرر عند المسلمين أنهم لا يقومون في المساجد في الجنائز إذا دخلت لا يقومون لها؛ بل إن الصلاة على الجنائز في المساجد من العلماء من يقول إنه غير مشروع؛ وإنما يصلى عليها في غير المسجد.

(٣٣١) هل نصلي على الجنائز في المساجد أم غيرها

المذيع: في المقبرة مثلاً؟

الشيخ صالح: لا يكون مصلى للجنائز مخصصاً: من العلماء من يرى هذا، أنه يوضع مصلى مخصص للجنائز ولا يصلى فيها عليها في المساجد؛ ولكن الصحيح الذي ثبت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يصلون على الجنائز في المساجد وقالت عائشة رضي الله عنها لقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابن ابیظة في المسجد وأمرت بادخال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه المسجد وصلت عليه عائشة رضي الله عنها

المذيع: نعم أحسن الله إليكم قال رحمه الله وقد روى البخاري عن عبد الرحمن بن القاسم ان القاسم كان يمشي بين يدي الجنائز ولا يقوم لها، ويخبر عن عائشة قالت: كان أهل الجاهلية يقومون لها يقولون إذا رأوها: كنت في أهلك ما كنت مرتين، قال: فقد استدل من كره القيام بأنه كان من فعل الجاهلية، وليس الغرض هنا الكلام في عين هذه المسألة.

الشيخ صالح: الغرض من هذا الكلام هو التشبه ومنع التشبه أما مسألة القيام للجنائز إذا مرت أو عدم القيام لها هذا شيء آخر ولكن القاعدة أننا ممنوعون من التشبه بالكفار، فإذا كان هذا من عاداتهم؛ فنحن منهيون عن التشبه بهم.

(٣٣٢) معنى قول رسول الله " اللحد لنا والشق لغيرنا "

المذيع: قال وأيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحد

لنا والشق لغيرنا رواه أهل السنن الأربعة.

الشيخ صالح: وهذا أيضاً من أوجه التشبه التي نهينا عنها وذلك محل الميت من القبر فكانوا يشقون

بمعنى أنهم يعملون حفرة في وسط القبر في قاع القبر على قدر الميت ويضعونه فيها ثم يسقطونها باللبنات ويهيلون التراب عليه وهذه الصفة هذه تسمى الشق.

والصفة الثانية: اللحد، وهو الميل اللحد معناه الميل وهو: أن يشق للميل في جانب في قبلة القبر يشق

للميت في قبلة القبر، القبر بجانبه مما يلي القبلة بقدر ما يكفيه بقدر ما يكفي الميت، ثم يوضع فيه ويصب عليه

اللبن سد هذا يسمى باللحد قال صلى الله عليه وسلم **اللحد لنا والشق لغيرنا** يعني من الكفار؛ فدل على

استحباب اللحد وأنه أحسن من الشق وهذه من المشابهة المكروهة ليس من المشابهة المحرمة؛ لأنه يجوز الشق

ويجوز اللحد ولكن اللحد أفضل وأحسن والمشابهة قد تكون محرمة وقد تكون مكروهة كما سبق.

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم: اللحد لنا والشق لغيرنا رواه أحمد وابن ماجه وفي رواية نعم رواه أحمد وابن ماجه وفي رواية

لأحمد والشق لأهل الكتاب، وهو مروى من طرق فيها لين لكن يصدق بعضها بعضاً.

الشيخ صالح: فقوله لغيرنا: يحتمل عموم الكفار، ويحتمل المراد بهم أهل الكتاب كما في الرواية

المذكورة، نعم وعلى كل حال فنحن منهيون عن التشبه بغيرنا من الكفرة نعم

(٣٣٣) نهى الإسلام عن ندب الميت من شق الجيوب وضرب الخدود:

هذا قوله - رحمه الله - قال: وفيه التنبيه على مخالفتنا لأهل الكتاب؛ حتى في وضع الميت في أسفل القبر.

الشيخ صالح: نعم، نحن منهيون عن التشبه بالكفار؛ حتى في وضع الميت في أسفل القبر، فما بالك

بالأعمال الأخرى التي في حال الحياة وحال الصحة وحال الاختيار.

المذيع: إذا تبدأ المخالفة من أول حياة المسلم حتى مماته؟

الشيخ صالح: هذا ما في شك ان المسلم لا يتشبه بكفار على اي حال كان في جميع احواله وفي جميع

عمره حتى اذا مات فانه لا يصنع به كما يصنع جنائز الكفار نعم

المذيع: قال -رحمه الله- أيضا: عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم: ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية متفق عليه

الشيخ صالح نعم وهذا وجه من أوجه منع التشبه بالجاهلية والجاهلية ما كان قبل الإسلام وسيأتي

الكلام عنها إن شاء الله قريبا النبي صلى الله عليه وسلم يقول " ليس منا " هذه براءة من الرسول صلى الله عليه

وسلم من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية؛ لأن هذا من أمور الجاهلية: الجزع على الميت،

والنياحة على الميت، تسخط: أما بالقول، وأما بالفعل؛ كل هذا ما نهينا عنه، وهو من أمور الجاهلية، وهو من

الكبائر من كبائر الذنوب والمشروع لنا أن نصبر ونحتسب ولا مانع أن الإنسان يحزن أو يبكي هذا لا مانع منه؛

لأن هذا بغير اختياره نعم وهو من الرحمة التي جعلها الله في القلوب تدمع والقلب يحزن كما قال النبي صلى الله

عليه وسلم وإنما الممنوع هو ما كان من الكلام السيء كإظهار الجزع على الميت وعضده وأرأساه وإلى آخره أو

من الفعل وذلك بضرب الخدود كما تفعل النوايح أو شق الجيوب أو حلق الشعر فإن هذا كله من أفعال الجاهلية،

عندما يموت لهم ميت فيظهرون الجزع بالقول وبالفعل نحن منهيون عن التشبه بهم، قال رحمه الله: ودعوة

الجاهلية ندب الميت.

الشيخ صالح: هذا هو الشاهد من الحديث دعا بدعوة الجاهلية فنحن منهيون عن التشبه بالجاهلية

من جميع الوجوه.

٣٣٤) نهي الإسلام عن العصبية الجاهلية:

المذيع: قال وتكون دعوى الجاهلية في العصبية ومنه قوله فيما رواه أحمد عن أبي بن كعب رضي

الله عنه.

الشيخ صالح: فدعوى الجاهلية: في الميت، وفي غير الميت.

دعوى الجاهلية في الميت؛ كأن ينادي: واعضداه، وارأساه، وناصره إلى آخره.

وفي غير الميت دعوى الجاهلية يكون بالعصبية للقبائل أو العصبية التعصب للقبائل أو للمذاهب الفقهية أو للمشايخ؛ كل هذا من أمور الجاهلية، لأن المقصود أن المسلم إنما يتعصب للحق ولا يتعصب لغير الحق، فإذا كانت قبيلته مخطئة أو كان رئيسه مخطئاً أو كان شيخه الذي تلقى عنه العلم أخطأ في مسألة من المسائل؛ فعليه أن يترك الخطأ ممن كان، وأن يلتزم الصواب ولو كان مع غير قبيلته أو غير مذهبه أو غير شيخه؛ لأن الحق ضالة المؤمن؛ فالتعصب هو من أمور الجاهلية.

المذيع: أحسن الله إليكم قال رحمه الله ومنه قوله بما رواه أحمد عن أبي بن كعب قال قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم "من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكنوا"

الشيخ صالح: نعم من تعزى بعزاء الجاهلية: في المصايب، وفي العصبية؛ كأن ينادي قبيلته، أو

ينادي شيخه، أو ينادي أسرته من باب التعصب؛ فهذا من عزاء الجاهلية المنهي عنه بهن أبيه؛ هن أبيه يعني: ذكر

أبيه وهذا من باب الإهانة ولا تكنوا أي قولوا أغضض بهن أبيك من باب الإهانة له واحتقاره نعم

المذيع: يدخل في العصبية للرؤساء والمشايخ والقبائل أيضا العصبية للبلدان والأوطان؟

الشيخ صالح: نعم، كذلك المسلم يكون مع الحق أينما دار، ولا يتعصب للوطن؛ الرسول صلى الله

عليه وسلم ترك مكة وهي أشرف البقاع وأحب البقاع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، تركها وهاجر منها فرارًا بدينه؛ ولم يتعصب للبلد.

المذيع: نعم أحسن الله إليكم وجزاكم خيرا.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثالث والأربعون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى هذه الحلقة الجديدة من

برنامج [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام / ابن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

يشرح الكتاب عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار

العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقاءنا نرحب بضيفنا الكريم؛ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٣٣٥) تحذير النبي من التشبه بالجاهلية

المذيع: قال المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - فيما ذكره من مُشابهة أصحاب الجحيم المنهي عنها: (وأيضاً

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلّم، قال: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا

يتركونهن: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة، وقال: النائحة إذا لم تُتب

قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» رواه مسلم).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد،

وعلى آله وأصحابه أجمعين.

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حذّر من مُشابهة أصحاب الجحيم: من اليهود، والنصارى، وأهل الجاهلية، والأعاجم. وما يُحذّر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا من شيءٍ يُتصور وقوعه وحدوثه، فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أخبر خبراً معناه التحذير.

والجاهلية: هي ما كانت قبل الإسلام، قبل بعثة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سُميت بالجاهلية لانقطاع آثار الرسالات فيها وعود الناس فيها إلى الضلال والجهل؛ حتى بعث الله نبينا محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فانتهدت الجاهلية العامة، الجاهلية العامة انتهت ببعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه جاء العلم بالكتاب والسنة والفقهاء فزال الجهل - والله الحمد - بما أنزل الله من الكتاب والسنة.

ولذلك لا يصح أن يُقال الناس في جاهلية على وجه العموم؛ هذا لا يجوز لأن الجاهلية انتهت ببعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الجاهلية العامة، ولكن قد تبقى في بعض الناس أشياء من خصال الجاهلية، تبقى فيهم من خصال الجاهلية في بعض الأفراد أو في بعض القبائل أو بعض المواضع، ومن ذلك أنه قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في هذا الحديث: «أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن»؛ ليس المعنى أن هذه الأربعة في كل الأمة وإنما هي في بعضهم، «لا يتركونهن: الفخر بالأنساب»؛ بأن يترفع الإنسان على الناس بنسبه ويقول: أنا من قبيلة فلان أو من بني فلان، والله جلّ وعلا، ليس عنده شرف ولا كرم إلا بالتقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ ثم قال: ﴿إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، فالكرم بالتقوى ولو لم يكن الإنسان ذا نسبٍ مرتفع.

وأما من كان له نسبٌ ولكن ليس عنده تقوى؛ فإنه ليس له كرامةٌ عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، اعتبر ذلك بسلمان الفارسي، وبلال بن رباح -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا-، وهما من سادات المهاجرين من السابقين الأولين إلى الإسلام، أعني: بلالاً من سادات المهاجرين، أما سلمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فكان في المدينة وقت هجرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مع أنه ليس لهما نسبٌ عربي؛ هذا فارسي وهذا حبشي، ولم يضرهما عدم ارتفاع نسبهما، ولم ينفع أبا

جهل وأباهُ النسبُ القرشي الهاشمي، لم ينفع أباهُ نسبهُ الهاشمي، ولم ينفع أباهُ جهلُ نسبهُ المخزومي العربي لما كان على الكفر بالله - عزَّ وجلَّ -؛ فلا يجوز الفخر بالأنساب.

الفخر بالأحساب؛ والحسب معناه: ما يكون عليه الإنسان من شرفٍ ومكانة في المجتمع لا يفتخر بذلك إذا أعطاه الله جاهًا أو أعطاه مكانةً في المجتمع فلا يفتخر بذلك؛ بل يتواضع، هذا الحسب.

أما النسب فعرفناه؛ النسب هو أن يكون من قبيلة مشهورة أو معروفة، فلا يفتخر الإنسان بنسبه على من لا نسب له، الفخر بالأحساب والطنع في الأنساب، والنياحة على الميت، كانوا في الجاهلية إذا مات الميت يُظهرون الجزع والسخط عليه بالنياحة والتشكي ولطم الحدود وشق الجيوب وغير ذلك من أنواع الجزع، والواجب عند المصائب الصبر والاحتساب ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦)﴾
 ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧].

النياحة على الميت، «والاستسقاء بالنجوم»؛ وهي الرابعة، وهي نسبة طلوع المطر في الفجر أو غروبه فإذا طلع نجمٌ في الفجر أو غرَب يقولون إنه ينزل المطر لهذا الطالع أو هذا الغارب، ونزول المطر إنما هو بأمر الله سُبحانه وتعالى، وإرادته، ليس للنجوم تأثيرٌ فيها؛ فهذا من أمور الجاهلية ولكنها تبقى في بعض الناس بعد الإسلام، وهذا ذكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على سبيل التحذير منه.

والشاهد منه، أن في هذه الأمة من يتشبه بالجاهلية في هذه الأمور؛ أنه يكون في هذه الأمة من يتشبه بالجاهلية في هذه الأمور مع أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حذر من التشبه بالجاهلية.

المذيع: هل يكون من الاستسقاء بالأنواء عبارات تأثير المنخفض الجوي والمرتفع الجوي،

والسحب؟

الشيخ صالح: نعم، إذا ظن أن الانخفاض الجوي أو غيره يُسبب نزول المطر؛ فهذا من نسبة المطر إلى غير الله عزَّ وجلَّ، فهو من أمور الجاهلية.

(٣٣٦) عاقبة النائحة يوم القيامة إذا لم تُتَّب

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: (وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «النائحة إذا لم تُتَّب قبل موتها تُقام يوم القيامة وعليها سربالٌ من قَطْرانٍ وِدْرَعٌ من جَرَبٍ»).

الشيخ صالح: لما ذكر أن من الأمور الجاهلية التي تبقى في بعض الناس من المسلمين؛ النياحة على الميت، يَبِّن الوعيد الشديد الذي يكون على النائحة، فالنياحة محرمة من وجهين:

- من وجه أن هذا من أفعال الجاهلية، قد نُهِينا عن التَّشَبُّه بأهل الجاهلية.

- ومن ناحية أن هذا من الجزع من أقدار الله -عزَّ وجلَّ-، وعدم الصبر والاحتساب.

ولذلك صار على النائحة هذا الوعيد الشديد أنها «تُقام يوم القيامة» يعني: من قبرها، «وعليها سربالٌ»

يعني: ثوب «من قَطْرانٍ» وهو مادةٌ شديدة الاشتعال -والعياذ بالله- «وِدْرَعٌ من جَرَبٍ» درعٌ تلتحف به من

الجرب وهو نوعٌ من الأمراض الجلدية المعروفة، وذلك من باب التعذيب لها على ما تقوم به من النياحة في الدنيا،

هذا جزاؤها في الآخرة على ما حصل منها من النياحة في الدنيا.

وقوله: «إذا لم تُتَّب قبل موتها» هذا فيه الحث على التوبة وأن من تاب إلى الله، تاب الله عليه مهما كان ذنبه.

(٣٣٧) الواجب على المسلم طلب الحق مع مَنْ كان

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ذَمٌّ فِي الْحَدِيثِ مِنْ دَعَا بِدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ وَأَخْبَرَ أَنَّ بَعْضَ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ

لَا يَتْرُكُهُ النَّاسُ كُلَّهُ ذَمًّا لِمَنْ لَمْ يَتْرُكْهُ).

الشيخ صالح: نعم؛ دعا بدعوى الجاهلية؛ من أمور العصبية -كما سبق-؛ كأن يتعصب لقبيلته أو

بلده أو رئيسه أو لشيخه، فالواجب على المسلم طلب الحق مع من كان، وألا يتعصب ضد الحق، فهذا من دعوى الجاهلية، الذي يتعصب لهذه الأمور؛ هذا من أمور الجاهلية؛ الذين يتعصبون لرؤسائهم وقبائلهم وإن كانوا مخطئين، كما يقول قائلهم:

وما أنا إلا من غزية إن غوت == غويت، وإن ترشد غزية أرشد

(٣٣٨) كل ما كان من أمور الجاهلية فهو مذموم في الإسلام

المذيع: قال: (وهذا كله يقتضي أن ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم، فهو مذموم في دين

الإسلام).

الشيخ صالح: نعم، هذا كله يدل على أن كل ما كان من أمور الجاهلية فهو مذموم في الإسلام ينبغي

هجره وتركه والابتعاد عنه.

المذيع: (وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها).

الشيخ صالح: نعم، نسبتها إلى الجاهلية من باب الذم لها والتحذير منها؛ لأن كل ما كان من أمور

الجاهلية فنحن منهيون عن التشبه بهم فيه.

(٣٣٩) عمل ما ينسب للجاهلية تشبه بهم

المذيع: قال: (ومعلومٌ أنَّ إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم، وهذا كقوله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-:

﴿وَلَا تَبْرَجْنَ تَبْرُجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ ذَمًّا لِلتَّبْرَجِ وَذَمًّا لِحَالِ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى، وَذَلِكَ يَقْتَضِي الْمَنْعَ مِنْ مِشَابِهِتِهِمْ فِي الْجُمْلَةِ.

الشيخ صالح: نعم، الله -جَلَّ وَعَلَا-، نهى عن تبرج الجاهلية، نهى النساء عن تبرج الجاهلية الأولى

التي قبل الإسلام، والتبرج معناه: إظهار الزينة، إظهار المرأة زينتها عندما تخرج من بيتها أو عند الرجال؛ هذا هو التبرج، وكانوا في الجاهلية تتبرج النساء بالزينة وتعرض للرجال ويحصل من ذلك فساد الأخلاق، فمُنعت المسلمات من هذا العمل وَأُمرن بالاحتشام والستر والبعد عما يثير الفتنة.

فالله -جَلَّ وَعَلَا-، سمى هذا تبرج الجاهلية؛ من باب الذم له، فنسبته إلى الجاهلية من باب الذم له، ومما

يدل على أنه محرم، فعندنا ثلاثة أمور:

- ظن الجاهلية: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

- تبرج الجاهلية.

- حمية الجاهلية.

كل هذه ذمها الله في القرآن، فكل ما يُنسب إلى الجاهلية فإنه مذموم، وإذا عملناه نكون قد تشبَّهنا بالجاهلية.

ذم الرسول لأخلاق الجاهلية (٣٤٠)

المذيع: أحسن الله إليكم؛ قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ومنه قوله لأبي ذرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لما عَيَّرَ رجلاً بأمه:

«إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» فإنه ذمٌ لذلك الخلق ولأخلاق الجاهلية التي لم يجرى بها الإسلام).

الشيخ صالح: نعم، لما حصل بين عمّار بن ياسر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأبي ذر الغفاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، شيء من الكلام؛ تكلم أبو ذر وعيّر عمّار بأمه، قال: "يا ابن السوداء" لأنّ عمّاراً كانوا مملوكاً وكانت أمه مملوكة وأبوه مملوكاً، فعيره بأمه، فغضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على أبي ذر، وقال: «أَعْيَرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، فدل على أنّ الإنسان - وإن كان من أفاضل الناس - قد يكون فيه شيء من أمور الجاهلية، وهذا مذموم؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ساق ذلك مساق الذم، فلذلك ندم أبو ذر رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ، ندمًا شديدًا وتاب إلى الله وطلب من أخيه المسامحة.

(٣٤١) يجب على الإنسان أن يدور مع الحق أينما دار

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: (ومنه قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦]، فإنّ إضافة الحمية إلى الجاهلية اقتضى ذمها، فما كان من أخلاقهم وأفعالهم فهو كذلك).

الشيخ صالح: نعم، حمية الجاهلية وهو أنّ الإنسان يكون فيه حمية لقبيلته - وإن كانوا على الباطل -، فهذا من حمية الجاهلية، فالمؤمن يدور مع الحق حيثما دار، سواء كان مع قبيلته أو مع غيرهم، أو مع شيخه أو غيره، أو مع مذهبه أو مع غير مذهبه، الإنسان يدور مع الحق أينما دار.

المذيع: قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأبا ذر: «إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ».

الشيخ صالح: خصلة من خصال الجاهلية.

المذيع: ألا يؤخذ من ذلك في جواز المعاتبة بين الإخوة والأحباب والمعلم لتلاميذه؟ فالآن بعض

العاملين في الساحة لا يريد أن يقال له شيئاً من شيخه، أو تلميذه أو أخيه، يعني ماذا لو قال هذا أحد؟

الشيخ صالح: نعم، أولاً أن هذا فيه إنكار المنكر؛ لأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنكر على أبي ذر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، هذه المسألة.

وثانياً: أن المعلم يُربي طلابه إذا وقعوا في الخطأ، والشيخ يُربي تلاميذه إذا وقعوا في الخطأ، وكل من له مسؤولية فإنه يُربي من تحت يده إذا حصل منه خطأ ولا يسكت عن هذا الأمر، وإن كان هذا الذي حصل منه الخطأ من أفضل الناس.

(٣٤٢) تحذير النبي من أمور الجاهلية

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ومن هذا ما رواه البخاري في صحيحه، عن عبيد الله بن أبي يزيد، أنه سمع ابن عباس قال: "ثلاثٌ خِلالٍ مِنْ خِلالِ الجاهلية: الطعنُ في الأنساب، والنياحة، ونسيتُ الثالثة، قال سفيان: ويقولونَ إنها الاستسقاء بالأنواء).

الشيخ صالح: سبق أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال في الحديث الذي ساقه الشيخ قبل هذا بقليل: «أربعٌ في أمتي مِنْ أمرِ الجاهلية لا يتركونهن: الفخرُ بالأحساب، والطعنُ في الأنساب، والاستسقاءُ بالنجوم، والنياحة على الميت»، وهذا الذي ساقه الآن هو نفس الحديث السابق أنه أكد أن هذه الأمور ستبقى في بعض أمته، وهذا معناه التحذير من هذا العمل. هذا خبر معناه التحذير من هذه الأمور.

(٣٤٣) ليس كل من قام بشعبته من شعب الكفر يصير كافراً

مطلقاً

المذيع: قال: (وروى مسلمٌ في صحيحه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: اثنتان في الناس هُما بهم كُفْرٌ: الطعن في النسب، والنياحة على الميت» فقوله:

«هُمَا بِهِم كُفْرٌ»؛ أي: هاتان الخصلتان هما كُفْرٌ قائمٌ بالناس، فنفس الخصلتين كُفْرٌ حيث كانتا من أعمال الكفار، وهما قائمتان بالناس؛ لكن ليس كل من قام به شعبةٌ من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق).

الشيخ صالح: نعم، هذا الحديث زاد على النصوص السابقة بأن هذه الخصال كُفْرٌ؛ أي: نوعٌ من

الكفر، وليس معنى ذلك أن من كانت فيه هذه الخصال أنه يكون كافرًا كُفْرًا خالصًا ينقل من الملة، وإنما فيه خصلة من خصال الكفر؛ وهو الكفر الأصغر، لأن الكفر كفران:

- كُفْرٌ أكبرٌ يُخرج من الملة.
- وكُفْرٌ أصغرٌ: لا يخرج من الملة، لكنه ينقص الدين وينقص العقيدة؛ وهذا هو المقصود هنا، فليس كل من قام به خصلة من خصال الكفر يكون كافرًا الكفر الأكبر؛ وإنما يكون كافرًا الكفر الأصغر الذي لا ينقل عن الملة، لكنه مذموم وإن كان كافرًا أصغرًا؛ فإنه مذمومٌ ومُحذَرٌ منه.

٣٤٤) ليس كل من قام بشعبةٍ من شعب الإيمان يصير مؤمنًا

المذيع: قال: (لكن ليس كل من قام به شعبةٌ من شعب الكفر يصير كافرًا الكفر المطلق حتى

تقوم به حقيقة الكفر، كما أنه ليس كل من قام به شعبةٌ من شعب الإيمان يصير مؤمنًا حتى يقوم به أصل الإيمان).

الشيخ صالح: نعم، ليس كل من وجد فيه خصلةٌ من خصال الكفر يكون كافرًا خالصًا، وإنما يكون

فيه كُفْرٌ؛ يعني: خصلة من خصال الكفر تُنقص دينه وتُنقص إيمانه.

كما أنه ليس كل من كان فيه خصلة من خصال الإيمان يكون مؤمنًا كامل الإيمان، بل يكون مؤمنًا مطلق

الإيمان، وكذلك مَنْ فيه خصلةٌ من الكفر يكون فيه مُطلق الكفر لا الكفر المطلق، بمعنى: أن يكون عنده كُفْرٌ أصغر.

٣٤٥) فرق بين الكفر المعرف باللام وبين المتكرف في الإثبات،

ومعنى الاسم المطلق والمعنى المطلق للاسم

المذيع: قال: (وفرَّق بين الكفر المُعَرَّف باللام كما في قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوْ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ» وبين مُنْكَرٍ فِي الْإِثْبَاتِ).

الشيخ صالح: هذه قاعدة عظيمة في مسألة الكفر الوارد في الكتاب والسنة يغلط فيها كثير من الناس؛ خصوصاً أهل الغيرة وأهل الحماس، فليس هذا على إطلاقه؛ بل الكفر إذا جاء مُعَرَّفًا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْكُفْرُ الْمَطْلُوقُ الَّذِي يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ؛ الْكُفْرُ الْأَكْبَرُ، مِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ أَوْ الشِّرْكِ إِلَّا تَرْكُ الصَّلَاةِ» يَعْنِي: الْكُفْرُ الْمَطْلُوقُ، مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ فَقَدْ كَفَرَ، يَعْنِي: خَرَجَ مِنَ الدِّينِ إِذَا تَرَكَهَا مُتَعَمِّدًا حَتَّى لَوْ يَجِدُهَا وَجُوبَهَا، لِأَنَّ الْكُفْرَ جَاءَ مُعَرَّفًا بِالْأَلْفِ وَاللَّامِ فَيُحْمَلُ عَلَى الْكُفْرِ الْأَكْبَرِ الْمَخْرُجِ مِنَ الْمِلَّةِ.

أما إذا جاء الكفر مُنْكَرًا فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنَ الْكُفْرِ الْأَصْغَرِ مِثْلَ مَا فِي هَذِهِ الْأَحَادِيثِ: «هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ» هَذَا كُفْرٌ مُنْكَرٌ يَكُونُ مِنَ الْكُفْرِ الْأَصْغَرِ الَّذِي لَا يُخْرِجُ مِنَ الْمِلَّةِ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» فَهَذَا كُفْرٌ أَصْغَرٌ لَيْسَ مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا يَكُونُ كَافِرًا الْكُفْرَ الْمَخْرُجَ مِنَ الْمِلَّةِ إِلَّا إِذَا اسْتَحَلَّ دَمَهُ؛ إِذَا اسْتَحَلَّ دَمَهُ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا الْكُفْرَ الْأَكْبَرِ.

المذيع: قال: (وفرَّق أيضًا بين معنى الاسم المطلق إذا قيل: كافر أو مؤمن، وبين المعنى المطلق

للاسم في جميع موارد كما في قوله: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفْرًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ»).

الشيخ صالح: هذا تمثيل للقاعدة السابقة أن الكفر إذا جاء معرفًا بالألف واللام فإنه يُحْمَلُ عَلَى الْكُفْرِ

الأكبر المخرج من الملة، وكذلك الإيمان إذا جاء معرفًا بالألف واللام فإنه يُحْمَلُ عَلَى الْإِيمَانِ الْكَامِلِ.

وأما إذا جاء منكرًا بأن يقال: كفر أو إيمان فهذا يُحمل على الكفر الأصغر ويُحمل على الإيمان على مطلق الإيمان، وليس الإيمان المطلق، فمن كان فيه خصلة من خصال الإيمان يكون فيه إيمان، ولكن لا يُقال إنه هو المؤمن بل يُقال: هو مؤمن أو فيه إيمان.

ولهذا عاب الله على الذين قالوا آمنة: ﴿قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤]؛ لأنهم ادَّعوا منزلة لم يصلوا إليها.

٣٤٦) ليس كل من عمل الكفار يكون كافرًا مطلقًا

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (فقوله: «كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» تفسير الكفار في هذا الموضع، وهؤلاء يُسَمَّونَ كُفَّارًا تسميةً مُقَيِّدةً ولا يدخلون في الاسم المطلق إذا قيل كافر ومؤمن، كما أن قوله تعالى: ﴿مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق: ٦]، سَمِيَ المنيّ ماءً تسميةً مُقَيِّدةً ولم يدخل في الاسم المطلق حيث قال: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا﴾ [النساء: ٤٣].

الشيخ صالح: نعم، هذا كله تقدير للقاعدة، الفرق بين الاسم المُعرف بالألف واللام والاسم المنكّر وذلك في الكفر والإيمان، فإذا جاء الإيمان مُعرفًا بالألف واللام والكفر مُعرفًا بالألف واللام فهو يُحمل على الإيمان المطلق وعلى الكفر المطلق المُخرج من الملة.

أما إذا جاء مُنكّرًا فإنه يُحمل على الأصغر لا على الأكبر، مثل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ» يعني: تعملون عمل الكفار، وليس كل من عمل الكفار يكون كافرًا مطلقًا؛ وإنما يكون فيه كفرٌ بحسب ذلك، وهذا من فقه المسائل -لا سيما في هذا الباب- التي يجب التفطن لها، لأنَّ بعض المتسرعين من المتعلمين أو من أنصاف المتعلمين، أو من عندهم غيرةٌ شديدةٌ يُطلقون على الناس التكفير والتفسيق والتبديع بدون تفقّه في هذا الأمر وتنزيل للأموار منازلها.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيرًا.

وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الرابع والأربعون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى هذا اللقاء الجديد في

برنامج [اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ

الله.

يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحبُ الفضيلة الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار

العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقاءنا نرحب بضيفنا الكريم؛ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٣٤٦) حث النبي المسلمين على ترك أمور الجاهلية

المذيع: قال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللهُ - فيما ذكر من مشابهة أصحاب الجحيم المنهي عنها، قال:

(ومن هذا الباب ما أخرجه في الصحيحين عن عمرو بن دينارٍ عن جابر بن عبد الله، قال: «غزونا مع رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد ثاب معه ناسٌ من المهاجرين حتى كثروا، وكان مع المهاجرين رجلٌ لَعَابُ فَكْسَعِ

أَنْصَارِيًّا، فغضب الأنصاري غضبًا شديدًا حتى تداعوا، وقال الأنصاري: يَا لَأَنْصَارِ، وقال المهاجري: يَا

للمهاجرين، فخرج النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فقال: مَا بَأْسُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ» ثم قال: «ما شأنهم؟ فأخبر

بكسعة المهاجري للأنصاري، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: دَعْوَاهَا فَإِنَّهَا خَبِيثَةٌ» وقال عبد الله بن أبي بن

سلول: «أوقد تداعوا علينا، لئن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعرسنا الأذل، قال عمر: ألا تقتل يا نبي الله هذا الخبيث - لعبد الله - فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لا، يتحدثُ الناسُ أنه كان يقتل أصحابه».

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين.

من أمور الجاهلية التي تُهيننا عن التشبُّه بهم فيها دعوى الجاهلية، وذلك بأن يُنادي ببناء الجاهلية فيحصل التحزُّب والانقسام وكلُّ يدعو قومه عندما تحدث مُشادات أو مشاكل بين الناس، فالواجب أن تُسوَّى الإشكالات والنزاعات بالكتاب والسُّنة وبالمُصالحة؛ لأنَّ المؤمنين إخوة كلهم، لا ميزة لبعضهم على بعضٍ إلا بالتقوى؛ فلا أحد يترفع على أحد بقبيلته أو بنسبه.

ومما يدل على هذا هذه الواقعة العظيمة التي حصلت في غزوة "بني المستلق"، حينما حصل مشادة بين رجلين أو شابين: أحدهما من الأنصار، والثاني من المهاجرين، فلطم المهاجري الأنصاري، فحصل غضبٌ من الأنصاري فقال: «يا للأنصار»؛ يدعو قومه، وقال المهاجر: «يا للمهاجرين»، مع أن لفظ المهاجرين والأنصار لفظٌ محمود في الكتاب والسُّنة، ولكن لما ذكر كلٌّ منهما هذا الاسم من باب العصبية النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - غضب عند ذلك؛ لأنه يريد من المسلمين أن يكونوا إخوة لا ميزة لبعضهم على بعض ولا عصبية بينهم، يريد أن يزيل أمور الجاهلية نهائيًا ويصيروا أمة واحدة بجميع أفرادها لا فضل لعربها على أعجميها ولا لأسودها على أبيضها إلا بالتقوى، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ هذا ما يريده الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

هو يريد أن تزول كل أمور الجاهلية من العصبية والحزبية والحميات وأن يكون المسلمون إخوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، دون نظرٍ إلى نسب الرجل أو قبيلته أو بلده؛ يكفي أنه مؤمن، والمؤمن أخو المؤمن.

فلما سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذا النداء من الرجلين، كلُّ يُنادي قبيلته، أنكر ذلك وسماه من أمور الجاهلية، فقال: «أبدعوى الجاهلية؟» هذا من باب الاستنكار، «وأنا بين أظهركم» ثم قال -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «دعوها فإنها مُتنتة»؛ أي: دعوى الجاهلية مُتنتة؛ قبيحة؛ لأن المسلمين صاروا إخوة لا ميزة لبعضهم على بعض، فأنكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هذه الحمية وهذه الدعوى لأنها من أمور الجاهلية.

فالمسلم يقول: إنني من المسلمين ولا يقول إنني من قبيلة كذا وكذا، من باب الافتخار، أما أن يقول أنا من قبيلة كذا من باب الإخبار فقط؛ فهذا لا بأس به، لكن إذا قاله من باب الفخر فإن هذا منهي عنه.

ثم إن المنافقين استغلوا هذه الحادثة؛ لأن من عادتهم أنه إذا حصلت حوادث بين المسلمين يستغلونها للتفرقة ويفرحون بها من أجل إشاعة الفتنة، وفرحوا بهذه الواقعة يريدون أن يفرقوا بين المهاجرين والأنصار الذين جمعهم الله على الإيمان وعلى التقوى، فقال رئيسهم وخبيثهم عبد الله بن أبي بن سلول: «أوقد قالوها؟» ثم قال: «ما لنا ولهم شبه إلا كما يُقال: سَمَّنْ كَلْبِكَ بِأَكْلِكَ» هكذا يقول -قبحه الله- يتمن على المهاجرين بأنهم أووهم ونصروهم، يتمن بهذا عليهم، ويظن أنهم هم السبب في عزهم ودينهم وفيما نالوه من الرفعة في الأرض، يظن أن هذا بسبب الأنصار.

ثم قال: «لئن رجعتا إلى المدينة ليُخرجن الأعزَّ منها الأذلَّ» الأعز يريد به نفسه -قبحه الله- والأذل هو رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، لا يعلمون أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين؛ وليست للقبائل والعصبيات.

وماذا أغتتهم هذه العصبية قبل مهاجر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ ألم يكونوا يتقاتلون فيما بينهم؛ الأوس والخزرج كانت الحرب يوم بُعثت أكثر من مائة سنة يتقاتلون بينهم حتى هاجر إليهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فطفئت الفتنة وصاروا إخوة متحابين، لكن بقي النفاق في قلوب هؤلاء موتورين، يريدون أن يفرقوا هذا الاجتماع وهذه الكلمة، وأن يعيدوا الناس إلى الجاهلية التي كانوا عليها.

فَاللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، فَضَحَهُمْ، عِنْدَ ذَلِكَ قَالَ أَمِيرُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعْنِي أَضْرِبَ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا» يَعْنِي: لَا تَقْتُلْهُ «لِئَلَّا يَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»، فَهَذَا فِيهِ ارْتِكَابُ أَحْفَ الضَّرَرِينَ لِدَفْعِ أَعْلَاهُمَا وَأَنَّ دَرَأَ الْمَفَاسِدِ مُقَدِّمٌ عَلَى جَلْبِ الْمَصَالِحِ، فَالرَّسُولُ تَرَكَ قَتْلَهُ مَعَ أَنَّهُ أَتَى بِمَا يَقْتَضِي قَتْلَهُ؛ لَكِنْ إِذَا كَانَ فِي إِقَامَةِ الْحُدِّ أَوْ فِي إِزَالِ الْعُقُوبَةِ بِمَنْ يَسْتَحِقُّهَا يَتَرْتَبُ عَلَيْهَا آثَارٌ وَأَضْرَارٌ أَكْثَرُ؛ فَإِنَّهُ تُدْرَأُ الْمَفَاسِدُ، وَهَذَا مِنْ حِكْمَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

المذيع: شيخ؛ قد يتوسع بعض الناس في هذا في ارتكاب أدنى الضررين، فيبرر فعله بأنه من هذا

الباب. هل هذا له حد واضح؟

الشيخ صالح: هذا يحكمه العلماء ما هو يحكمه كل أحد حسب هواه، وإنما يحكمه أهل العلم

الراسخين في العلم.

٣٤٧) دعوة النبي لنصرة المسلم ظالماً أو مظلوماً

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ورواه مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر، قال:

«اقْتُلْ غُلَامَانَ غُلَامٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَغُلَامٌ مِنَ الْأَنْصَارِ»).

الشيخ صالح: «اقتل» يعني تضارياً، ليس معناه أنهم تقاتلوا بالأسلحة وإنما معناه تضارباً، كما في قوله

تعالى: ﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يُقْتَلَانِ﴾ [القصص: ١٥]، يعني: يتضاربان، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الذي يمر أمام

المصلي: «إِن أَبَى فَلْيُقَاتِلْهُ فَإِنَّ مَعَهُ الْقَرِينَ» يقاتله: يعني يضربه.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال: (فنادى المهاجرين: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاري: يا

للأنصار، فخرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: ما هذا أَدْعَى الْجَاهِلِيَّةَ؟ قالوا: لا يا رسول الله، إلا أن

غلامين اقتتلا، فكسع أحدهما الآخر، فقال: لا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالماً أو مظلوماً، إن كان ظالماً فلينهه فإنه له نصر، وإن كان مظلوماً فلينصره»

قال -رحمة الله-: فهذا الاسمان المهاجرون والأنصار اسمان شرعيان جاء بهما الكتاب والسنة وسماههما الله بهما، كما سمانا المسلمين من قبل، وانتساب الرجل إلى المهاجرين أو الأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي يقصد به التعريف فقط كالانتساب إلى القبائل والأمصار، ولا من الانتساب المحرم كالانتساب إلى ما يفضي إلى بدعة أو معصية أخرى، ثم مع هذا لما دعا كل منهما طائفته منتصراً بها أنكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذلك، وسماهها دعوى الجاهلية).

الشيخ صالح: نعم؛ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لما سمع الصائحين: الذي يقول: «يا للمهاجرين»؛

يعني: يندبهم، والذي يقول: «يا للأنصار»؛ يندبهم، مع أن الجميع إخوة في الإيمان؛ لا ينبغي هذا التقسيم من باب العصبية، أما أن يقول: أنا من المهاجرين وهذا يقول: أنا من الأنصار، من باب الاعتراف بنعمة الله عز وجل، فهذا أمر محمود، فلفظ المهاجرين لفظ محمود، ولفظ الأنصار لفظ محمود؛ لكن إذا ذكره الإنسان من باب العصبية فإن هذا مذموم، وهذا هو الذي أنكره النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسماه دعوى الجاهلية.

ولما بين له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، السبب فيما حصل وأنه حصل اعتداءً من المهاجري على الأنصاري، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يتعصب للمهاجري، بل قال: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» وبين أن نصر المظلوم دفع الظلم عنه، ونصر الظالم منعه من ظلمه، فهذا من إنصافه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لكن ليس معنى أننا نتداعى بدعوى الجاهلية وإنما نرجع إلى كتاب الله وسنة رسوله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، قال تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء: ٥٩]، فالإنسان إذا أعتدي عليه لا ينادي بالعصبية ويدعو قومه ويريد أخذ الثأر؛ هذا من أمور الجاهلية. وإنما إذا أعتدي عليه فإنه يُطالب بحقه على مقتضى الكتاب والسنة وعند الحاكم المسلم حتى يُنصف المظلوم من الظالم.

٣٤٨) إنكار النبي انتصار المسلم بعصبية وقبيلته

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (مع هذا لما دعا كلُّ منهما طائفته أنكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسَمَّاهَا دعوى الجاهلية حتى قيل له إن الداعي بها إنما هما غلامان، لم يصدر ذلك من الجماعة؛ فأمر بمنع الظالم وإعانة المظلوم).

الشيخ صالح: نعم، فهذا هو من عدله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإنصافه أنه أنكر دعوى الجاهلية وأنكر الظلم أيضًا، أنكر دعوى الجاهلية والعصبية وأنكر الظلم بنصرة المظلوم.

٣٤٩) المحذور هو تعصب الرجل لطائفته مطلقًا

المذيع: قال: (وبين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن المحذور إنما هو تعصب الرجل لطائفته مطلقًا؛ فعل أهل الجاهلية، فأما نصرها بالحق من غير عدوان فحسنٌ واجبٌ أو مُستحبٌ).

الشيخ صالح: نعم، هذا هو الواجب أنه إذا حصل نزاع أو حصل اعتداء؛ فإنه لا يُقر، لا يُقر الاعتداء والظلم ولكن يُزال الاعتداء والظلم بحكم الكتاب والسنة ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، لا أن نرجع إلى العصبية والقبليات وكلُّ يأخذ ثاره بقوة قومه وقوة قبيلته؛ فإنَّ هذا من أمور الجاهلية التي جاء الإسلام لإبطالها.

٣٥٠) العصبية أن تُعين قومك في ظلمهم للناس

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ومثل هذا ما روى أبو داود وابن ماجه عن واثلة بن الأصقع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «قلتُ يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ما العصبية؟ قال: أن تُعين قومك على الظلم»).

الشيخ صالح: نعم، العصبية أن تُعين قومك وأنت تعلم أنهم ظالمون لأجل العصبية لهم، كما يقول

الشاعر:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت غويت، وإن ترشد غزية أرشد

فهو يقول: إن غوت غويت؛ يعني معها؛ ما ينظر إذا ما هي عليه، وإنما تحمله العصبية لهم على أن يكون معهم على أي حال، وهذا هو أمر الجاهلية، الإنسان يكون مع المظلوم سواء أكان من قبيلته أو من غير قبيلته، يكون مع المظلوم ولا يكون مع الظالم.

(٣٥١) نُصرة المسلم لقبيلته بأخذ الحق لا بالاعتداء والظلم

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وعن سُرَاقَةَ بن مالك بن جشعم المَدَلْجِي، قال: "خطبنا رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقال: «خيركم المدافع عن عشيرته ما لم يأثم» رواه أبو داود).

الشيخ صالح: نعم، كون الإنسان ينصر قبيلته بأخذ الحق لهم؛ بأخذ الحق المشروع لهم ودفع الظلم

عنهم؛ هذا أمر مطلوب، أما إذا كان معهم وهم المعتدون الظالمون ويريد أن يدافع عنهم وعن ظلمهم فهذا هو أمر الجاهلية المنهي عنه.

(٣٥٢) البراءة ممن يتعصب للباطل

المذيع: قال: (وروى أيضا عن جُبَيْر بن مُطْعَمٍ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «ليس

مِنَّا من دعا إلى عصبية وليس مِنَّا من قاتل على عصبية، وليس مِنَّا من مات على عصبية»).

الشيخ صالح: هذا معناه البراءة ممن يفعل هذه الأفعال، من دعا إلى عصبية، أو قاتل على عصبية، أو

مات على عصبية، هذا معناه تحريم العصبية، وهي التعصب للباطل من باب الحمية؛ هذا هو المذموم، وهذا هو

أمر الجاهلية سواء دعا إليه أو مات عليه أو قاتل عليه، استباح دماء الناس من أجل العصبية القبيلة، من أجل أن ينصر قومه وعشيرته على الظلم؛ فهذا هو الأمر المذموم المحرم في الإسلام.

والواجب على المسلم أن يدور مع الحق أينما دار، سواء أكان مع قومه أو مع غيرهم: فإن كان قومه ظالمين؛ فإنه يمنعهم من الظلم، وإن كانوا مظلومين؛ فإنه ينتصر لهم بدفع الظلم عنهم، كما قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-
: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنْ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِّنْ سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الشورى: ٣٩-٤٢].

المذيع: إذن يا شيخ لا يسلم المرء أو الإنسان حتى يخلص من العصبية تمامًا.

الشيخ صالح: هذا هو معناه يكون مع الإيمان ومع العدل.

المذيع: يتجرّد من كل عصبية.

الشيخ صالح: من كل عصبية وهوى.

٣٥٣) من نصر قومه على غير الحق فهو كالبعير المتردي

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وروى أيضًا عن ابن مسعود، عن النبي صَلَّى اللهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «مَنْ نَصَرَ قَوْمَهُ عَلَى غَيْرِ الْحَقِّ فَهُوَ كَالْبَعِيرِ الَّذِي رُدِّيَ فَهُوَ يُنْزَعُ بِذَنْبِهِ»).

الشيخ صالح: يُنزع بمعنى: يُسحب أو يُجْر، يعني: من أعان قومه على عصبية وهم على غير حق؛ فإنه

مثل الجمل الذي يتردّي، يعني: يسقط في البير أو يسقط في المنخفض، ويسقط على رأسه ولا يتمكن الناس من إنقاذه إلا بذنبه؛ هذا من باب الذم لمن تعلق بالعصبية، مثل البعير المتردّي، لأن التعلق بالعصبية تردي وسقوط.

المذيع: قال: (إذا كان هذا التّداعي في هذه الأسماء وهذا الانتساب الذي يحبه الله ورسوله،

فكيف بالتعصّب مُطلقاً والتّداعي للنسب والإضافات التي هي إما مباحة أو مكروهة).

الشيخ صالح: نعم، إذا كان التّداعي للفظ الأنصار ولفظ المهاجرين من باب العصبية والنخوة؛ فهذا

مما يذمه الله ورسوله وإن كان هذين الاسمين محبوبان إلى الله ورسوله، والله جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿وَالسَّابِقُونَ

الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، فلفظ

الأنصار ولفظ المهاجرين لفظان محبوبان إلى الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ لأن الهجرة من أجل الأعمال وأفضلها والنصرة

للحق وإيواء المؤمنين ومناصرتهم هذا من أفضل الأعمال؛ بل هو أفضل الأعمال، فمن ذكره من باب الشكر على

النعمة؛ فهذا أمرٌ محمود، ومن ذكره من باب العصبية والافتخار بذلك على الناس؛ فهذا أمرٌ مذموم.

٣٥٤) نكران النبي للعصبية بأسماء المهاجرين والأنصار، فما بال

الأسماء الأخرى؟

المذيع: قال: (فكيف بالتعصّب مُطلقاً والتّداعي للنسب والإضافات التي هي إما مباحة أو

مكروهة).

الشيخ صالح: كيف بالذي يتعصّب لاسمٍ غير مشروع كالقبيلة أو الفخذ أو غير ذلك مما ينتخي به

أهل الجهل حينما يواجهون شيئاً من الأمور التي يكرهون، فإنهم ينتخون بأسماء قبائلهم وأسماء جماعتهم؛ فهذا

مذموم لأنَّ المؤمنون إخوة ليس بينهم تميز إلا بالإيمان والتقوى، والواجب أن يتعاونوا بدل أن يتفرَّقوا وأن يتحزَّبوا، الواجب عليهم أنهم إخوة وجماعة واحدة، إذا حصل ظلمٌ من أي أحد فإنهم يدفعونه وينصرون المظلوم ويمنعون الظالم؛ هذا هو الحق.

٣٥٥) الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن من الانتساب إلى غيره

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وذلك أنَّ الانتساب إلى الاسم الشرعي أحسن من الانتساب إلى غيره، فلا ترى مما رواه أبو داوود من حديث محمد بن إسحاق داوود بن الحصين عن عبد الرحمن بن أبي عُبَبة عن أبي عُبَبة: «وكان مولىً من أهل فارس، قال: شهدتُ مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أُحْدَا، وضربتُ رجلاً من المشركين فقلتُ: خذها وأنا الغلام الفارسي، فالتفتَ إليَّ فقال: هلا قلتها خذها مني وأنا الغلام الأنصاري؟» قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ-: (حَضَّهُ رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، على الانتساب إلى الأنصار - وإن كان هذا بالولاء-، وكان إظهار هذا أحب إليه من الانتساب إلى فارس بالصراحة، وهي نسبةٌ حق ليست محرمة).

الشيخ صالح: نعم، لما انتسب إلى فارس، مع أنه صادقٌ في هذا؛ أي: أنه فارسي، لكن انتسابه إلى الأنصار أفضل لأنه مولى، ومولى القوم منهم، يعني: عتيقٌ للأنصار، فيكون من الأنصار، فكان الأولى أن يأتي باللفظ الفاضل، ويقول: خذها وأنا الأنصاري.

٣٥٦) دفاع الإنسان عن قبيلته من باب دفع الظلم فهو أمر محمود

المذيع: قال: (ويُشبهه والله أعلم أن يكون من حكمة ذلك أنَّ النفس تُحامي عن الجهة التي تنتسب إليها، فإذا كان ذلك لله كان خيرًا للمرء).

الشيخ صالح: نعم، وكما سبق أن الإنسان إذا دافع عن قبيلته أو عن بلده من باب دفع الظلم عنهم؛ فهذا أمرٌ محمود، وهذا طلبٌ للإنصاف والعدل لا يُلام عليه ونصرة للمظلوم، وأولى من ينصرهم من كان منهم ومن بلدهم ومن قبيلتهم، يدفع عنهم الشر وي جلب لهم الخير، أما إذا كان هذا من باب الفخر والعصبية والترفع على الناس والانقسام والتميز فيما بين المؤمنين؛ فهذا أمرٌ مذموم، فكل لفظٍ يُفرِّق بين المسلمين فإنه مذموم، وكل لفظ يجمع بين المسلمين فإنه محمود وطيب.

ليس كل من عمل الكفار يكون كافراً كضراً (٣٥٧)

مطلقاً

المذيع: ويؤكد الشيخ -رحمه الله- قضية الكتاب وهي اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة لأصحاب الجحيم، فيقول: (فقد دلت هذه الأحاديث على أن إضافة الأمر إلى الجاهلية يقتضي ذمه والنهي عنه، وذلك يقتضي المنع من أمور الجاهلية مطلقاً، وهو المطلوب في هذا الكتاب).

الشيخ صالح: نعم، هذا الكتاب كعنوانه [اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم]، وأصحاب الجحيم: يعني الكفار سواءً أكانوا من اليهود أو النصارى أو العرب أو العجم أو الفرس أو أهل الجاهلية، كل من كان من أهل النار فهم أصحاب الجحيم، ولا يكون من أصحاب النار إلا أصحاب الكفر -أيًا كانوا من البشر-، فنحن منهيون عن التشبه بهم، ومن ذلك العصبية الباطلة والنخوات الجاهلية؛ لأن الله أزال هذا بالإسلام وجعل المسلمين أمة واحدة وإخوة في الإيمان، فيجب أن يعتزوا بعزاء الإسلام والإيمان وأن يتركوا أمور الجاهلية.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الخامس والأربعون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج

[اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام/ ابن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

يشرح الكتاب في هذا اللقاء صاحبُ الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء،

وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقاءنا نُرحب بضيفنا الكريم؛ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٣٥٨) حث النبي على ترك أمور الجاهلية من الفخر بالأنساب

المذيع: قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- بعدما ذكر شيئاً من الأحاديث، (فقد دَلَّتْ هذه الأحاديث

على أن إضافة الأمر إلى الجاهلية يقتضي ذمه والنهي عنه، وذلك يقتضي المنع من أمور الجاهلية مُطلقاً، وهو

المطلوب من هذا الكتاب) أي: اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، هذا أتينا عليه في لقاءنا

السالف.

قال: (ومثل هذا ما روى سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «قال رسول الله

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللهَ قد أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبْيَةَ الجَاهِلِيَّةِ وفخرها بالآباء، مؤمنٌ تقيٌ أو فاجرٌ شقي، أنتم بنو

آدم وآدم من تراب، ليدعَنَّ رجالاً فخرهم بأقوامٍ إنما هم فحمٌ من فحم جهنم، أو ليكونن أهونَ على الله من الجعلان التي تدفع بأنفها التنن» رواه أبو داود وغيره، وهو الصحيح).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّم على نبينا محمد، وعلى

آله وأصحابه أجمعين.

يواصل الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- تحذير من التشبُّه بأعمال أهل الجاهلية، ومنها: الفخر بالأنساب، لأن الله جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، الكرم إنما هو بالتقوى لا بالنسب، فالتفاخر بالأنساب هذا من أمور الجاهلية التي تُهيننا عنها عموماً، ولأنَّ هذا يُفرِّق بين المسلمين، إذا كلُّ افتخر بنسبه فرَّق هذا بين المسلمين، والمسلمون أمةٌ واحدة، وكالجسد الواحد والنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً، دون نظرٍ إلى أنسابهم وألوانهم.

ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا فَضْلَ لِعَرَبٍ عَلَى عَجَمِي، ولا لأبيضٍ عَلَى أسود، كُلُّكُمْ لآدَمَ وَآدَمٌ مِنْ تُرَابٍ»، ثم قال: «لِيَتَّهَيْنَ أَقْوَامٌ عَنْ افْتِخَارِهِمْ بِأَبَائِهِمْ أَوْ لِيَكُونُنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعْلَانِ»، وهي الحشرات التي تُبَاشِرُ النجاسة بأنفها، وهذا غاية الهوان، فالذي يفتخر بنسبه على إخوانه المسلمين، ويرى له ميزة عليهم؛ هذا مثل هذه الحشرة المهينة.

وهذا من إذهاب أمور الجاهلية، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِبِّيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَرَهَا بِالْأَبَاءِ»، وقد يفتخر الإنسان بأبٍ أو جدٍ كافر، ليس له قيمة عند الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، إنما هو فحمٌ من فحم جهنم، فلا يفتخر الإنسان بنسبه دون أن يكون له عملٌ صالح؛ فالفخر إنما هو بالأعمال الصالحة، ولهذا قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ (١٠١) فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٢) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١-١٠٣].

فالأنساب إنما هي في الدنيا لأجل التعارف: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، لأجل التعارف فقط، وأما التفاخر بها فلا يجوز؛ لأنَّ المسلمين أمةٌ واحدةٌ وجسدٌ واحدٌ وبنيانٌ واحدٌ، لا فخر لبعضهم على بعضٍ إلا بتقوى الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

٣٥٩) إضافة الشيء إلى الجاهلية يدل على ذمه والنهي عنه

المذيع: أحسن الله إليكم، قال شيخ الإسلام -رَحِمَهُ اللهُ-: (فأضاف العيبية والفخر إلى الجاهلية يذمها بذلك، وذلك يقتضي ذمها بكونها مضافة إلى الجاهلية).

الشيخ صالح: تقدّم أن كل ما أضيف إلى الجاهلية فإنه مذموم، فإضافة الشيء إلى الجاهلية يدل على ذمه والنهي عنه، مثل: حمية الجاهلية، تبرج الجاهلية، ظن الجاهلية، وكل شيء أضيف إلى الجاهلية فإن هذا دليل على النهي عنه والابتعاد عنه.

٣٦٠) بيان الرسول لأموال الجاهلية

المذيع: قال: (وذلك يقتضي ذم الأمور المضافة إلى الجاهلية، ومثله: ما رواه مسلم في صحيحه عن أبي قيسٍ زياد بن رباح عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مَيْتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصْبِيَّةٍ أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصْبِيَّةٍ أَوْ يَنْصُرُ عَصْبِيَّةً، فَقُتِلَ، فَقُتِلَ جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»).

الشيخ صالح: نعم، هذا حديثٌ عظيمٌ يرسم لنا فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المنهج الذي نسير عليه، وذلك بأن نترك أمور الجاهلية كلها؛ ومن ذلك: الخروج على ولي الأمر، فإنهم كانوا في الجاهلية لا

يخضعون لسلطان، ولا ينفادون لحاكم، وإنما هم قبائل متفرقة متناحرة فيما بينها لا يجمعهم ولاية، وإنما يلتحقوا كل طائفة أو كل قبيلة بدولة من الدول الكبرى في وقتهم؛ كفارس والروم، وليس للعرب دولة تجمعهم فهم في جاهلية، فالتفرق وعدم الخضوع لولي الأمر وعدم السمع والطاعة هذا من أمور الجاهلية، فمن خرج على ولي أمر المسلمين فقد عاد إلى الجاهلية، من خرج على ولي أمر المسلمين وشق عصا الطاعة؛ فقد عاد إلى أمور الجاهلية، وإن مات على ذلك فإنه يموت على خصلة من خصال الجاهلية؛ فهذا من باب الذم والوعيد على من يشق عصا الطاعة أو يفارق الجماعة.

الله جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿وَأَنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُون﴾ [المؤمنون: ٥٢]، وفي الآية الأخرى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ [الأنبياء: ٩٢]، فالأمة الإسلامية واحدة ولا تكون أمة ولا تجتمع إلا تحت قيادة ولا قيادة إلا بسمع وطاعة، فالذي لا يسمع ولا يطيع لولي الأمر؛ هذا شق عصا الطاعة وفارق الجماعة وخرج إلى أهل الجاهلية، فإذا مات فإنه يموت على خصلة من خصال الجاهلية، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْصِيَكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ» وفي رواية: «عَبْدٌ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ ذَبِيْبَةٌ»، ذلك لأنه ليس النظر إلى شخصه؛ وإنما النظر إلى منصبه وما يقوم به.

فقضية الأشخاص والشخصيات هذه لا اعتبار لها، وإنما العبرة بالمنصب وإنما العبرة بالعمل دون نظر إلى الشخص، وإنما هذا كان من أمور الجاهلية، الذين يُعظَّمون الأشخاص هؤلاء هم أهل الجاهلية، أما الإسلام فإنه لا ينظر للشخصيات وإنما ينظر إلى المناصب وينظر إلى الأعمال «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُورِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»، فهذه مسألة عظيمة.

وكذلك الذي يفارق الجماعة؛ جماعة المسلمين، ويشذُّ برأيٍ يخرج به على عقيدة أهل السنة والجماعة، ويتبنى مذهب الخوارج أو مذهب المعتزلة أو مذهب المرجئة أو مذهب القدرية، أو أي مذهب من المذاهب

المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة؛ فإنه يكون فيه خصلةٌ من خصال الجاهلية - قد تزيد وقد تنقص -، وإذا مات على ذلك فإنه يموت على خصلةٍ من خصال الجاهلية.

(٣٦١) ضرورة احترام دماء المسلمين ودماء المعاهدين

وكذلك الوفاء لذوي العهود، فيجب الوفاء لذي العهد في عهده، ويجب احترام دماء المسلمين ودماء المعاهدين، ولهذا قال جل وَعَلَا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، والنفس التي حرّم الله هي نفس المؤمن أو نفس المعاهد، نفس المؤمن قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المعاهد: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ» هذا إذا قتله عمدًا، أما إذا قتله خطأ ففيه ما في النفس المؤمنة من الدية والكفارة، ﴿وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فِدْيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامًا شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢].

فلا شك أن منهج الإسلام هو منهج الكمال والتمام، والاجتماع على الخير والنهي عن التفرق، والنهي عن شق عصا الطاعة، والنهي عن سفك الدماء المحترمة؛ كل هذا مما جاء به الإسلام وخالف فيه أهل الجاهلية، فالجاهلية قد انتهت - والله الحمد - ببعثة محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، ولهذا قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عِدْيَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَتَفَاخُرَهَا بِالْأَبَاءِ» أذهبها بماذا؟ أذهبها بالإسلام وبعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فبعثة الرسول أنهت الجاهلية، فلم يبق لها وجودٌ في الأمة الإسلامية من حيث العموم، وقد تبقى منها أشياء في بعض الناس، يبقى منها خصال في بعض الناس حذر منها رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ولكن الجاهلية العامة قد انتهت - والله الحمد - ببعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٦٢ بيان النبي للأقسام الثلاثة التي يُعقد لها الفقهاء

المذيع: أحسن الله إليكم، قال شيخ الإسلام - رَحِمَهُ اللهُ -: (ذكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في هذا الحديث الأقسام الثلاثة التي يُعقد لها الفقهاء: باب قتال أهل القبلة من البُغاة والعِداء، وأهل العصبية).

الشيخ صالح: نعم؛ الفقهاء - رحمهم الله - عقدوا باباً أو أبواباً للذين يخرجون عن الطاعة وهم ثلاثة

أقسام، قالوا: الخارجون عن قبضة الإمام ثلاثة أقسام، وهم:

- قطاع الطريق.

- والبغاة.

- والخوارج.

﴿ **فقطاع الطرق** هم الذين يعرضون للناس في الصحراء أو في البُنيان، يسلبونهم المال ويقتلون الأنفس، ويأتون بتهديد السلاح، هؤلاء قطاع الطرق وهم المفسدون في الأرض، قال الله تعالى: ﴿ **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٣٣) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿ [المائدة: ٣٣-٣٤].**﴾

﴿ النوع الثاني: البغاة: وهم الذين يخرجون على ولي الأمر ليس قصدهم المال كقطاع الطرق؛ وإنما قصدهم إنهاء الولاية المسلمة لتأويل سائح لكن نزلوه في غير منزله، بأن يدعوا أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر إذا رأوا من ولي الأمر مخالفة من المخالفات، لا شك أن هذا منكر، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ»، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أوجب إنكار المنكر على كل حال، ولكن جعله أنواعًا لا يثار إلى نوع لا يجدي، ولكن حسب المقدرة.

ولهذا نَوَّعَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إنكار المنكر بحسب المقدرة، فالذي له سلطة ويقدر على إزالة المنكر بيده كالسلطان ونائب السلطان يزيل المنكر بيده بموجب السلطة التي معه، وكذلك قِيمُ البيت فإنَّ صاحب البيت له سلطة على من في البيت، يُغَيِّرُ بيده على أولاده وعلى زوجاته ومن في بيته.

أما الذي ليس له سلطة فهذا يُغَيِّرُ باللسان وذلك: بالبيان والوعظ والتذكير إذا كان عنده علم ومعرفة بالحلال والحرام والطريقة الصحيحة في الإنكار، يُنْكَرُ بلسانه ولا يمد يده للتغيير وإنما يُنْكَرُ باللسان، بأن يُبَيِّنُ للناس أن هذا منكر، أو يبلغ من لهم السلطة بأن ليغيروا هذا المنكر الذي حصل أو كذا.

وإذا كان المنكر صادرًا من ولي الأمر، فولي الأمر ليس معصومًا ما دام أنه لم يصل إلى حد الكفر فإنه قد يقع منه مخالفات، ومع هذا أمرنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالوفاء بالعهد وأمرنا بالصبر ونهانا عن الخروج عليه حتى ولو كان غير مستقيم في دينه وأخلاقه، لكنه لم يصل إلى حد الكفر؛ فإنَّ الخروج عليه في هذه الحالة فيه من المفسدة أشد من البقاء على المنكر الذي عنده.

ومعلومٌ أن درء أعلى المفسدتين بارتكاب أدناهما، أمرٌ مشروع، ودرء المفسد مقدمٌ على جلب المصالح، فإذا كان المنكر يقع من السلطان نفسه بأقواله أو بأفعاله أو سلوكياته فهذا يُنَاصِحُ سرًّا ولا يُنَاصِحُ على رؤوس

الأشهاد وفي المساجد والمجالس لأن هذا معناه اغراء للناس للخروج على ولي الأمر وتنفير بين ولي الأمر وبين الرعية، فهذا مفسدة وليس مصلحة.

ويبقى إذا كان يقدر على إبلاغ ولي الأمر، بالنصيحة إما مشافهة وإما بأن يكتب له وإما بأن يوصي من حوله أن يبلغوه، فهذا أمر مطلوب، وإذا لم يتمكن فإنه معذور؛ إذا سكت في هذا الأمر لأنه لا يقدر على إيصال الإنكار.

وقد جاء عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، ما يفيد ذلك بأن من كان عنده نصيحة لولي الأمر فليأخذ بيده، ولينصحه، فإن قبل؛ وإلا فإنه يكون قد أدى الذي عليه، هذا هو المطلوب في هذا الأمر.

فالبغاة تجاوزوا هذا الخط وأرادوا الإنكار على ولاة الأمور بالفعل وخرجوا على السلطان يريدون تغييره لإنكار المنكر - في زعمهم - خالفوا بذلك قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بأنه يُصبر على ظلمهم وجورهم، لما ذكر من ولاة الأمور وما يحصل منهم قيل: «أَفَلَا تُنَابِذُهُم بِالسَّيْفِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، مَا أَقَامُوا فِيكُمْ الصَّلَاةَ» وفي رواية: «مَا لَمْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ فِيهِ مِنَ اللَّهِ سُلْطَانًا»،

وهذا الأمر لا يتولاه الغاغة والمتعاملون وإنما يتولى هذا الأمر العلماء؛ علماء الأمة، فهم الذي ينظرون في هذا الأمر ويناصحون ولي الأمر فيه، وأما الغاغة والعامة وأنصاف المتعلمين فلا يدخلون في هذا الموضوع الخطير الذي يبلبل الأفكار ويشتت الأمة ويسبب سفك الدماء ونهب الأموال وغير ذلك.

فالصبر على ولي الأمر المؤمن وإن كان فاسقاً، الصبر على ما عنده أخف من الخروج عليه لأن الخروج عليه يسبب منكرات أعظم من سفك الدماء وتفكك الأمة وشق عصا الطاعة وتدخل الأعداء في شؤون المسلمين، فما تدخل الكفار في الأمة الإسلامية أو في الدول الإسلامية إلا بسبب تلاعب سفائها الذين يريدون الفوضى في حيثئذ يفرح الكفار ويتدخلون بحجة الحماية لطائفة منهم، فلو أن المسلمين سلكوا المنهج الذي أكد

عليه الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل أرشد إليه الكتاب والسنة، لو سلكوا هذا المالك لم يكن لكافرٍ أن يتدخل بينهم ولا لمنافقٍ أن يروج الفتنة بينهم، هؤلاء هم البغاة.

﴿ وأما الخوارج فهم الذين يخرجون على ولي الأمر بغير تأويل، أو بتأويل غير سائغ وذلك بأن يكفروا المسلمين ويكفروا ولاة الأمور ويقولون إنهم حلال الدم لأنهم كفار، هذه طريقة الخوارج: يكفرون بالذنوب التي دون الشرك ودون الكفر، يكفرون بشرب الخمر، بالزنا، بالسرقة، وهذه ليست كفراً، هذه فسق، هذه تنقص الإيمان؛ وأما أنها تبطل الإيمان وتنقض الإيمان فهذا قولٌ باطلٌ وهذا قول الخوارج، لو كان هؤلاء كفاراً لما وجب إقامة الحدود عليهم، لما وجب رجم الزاني أو جلد الزاني، لما وجب جلد شارب الخمر، لما وجب قطع يد السارق، لما وجب قطع يد ورجل قاطع الطريق، كانوا يقتلون وينهي أمرهم، لكن كونهم تُقام عليهم الحدود هذا دليل على إنه مؤمنون وأنهم مسلمون وأن الحدود تكفي في حقهم؛ فهذا من جهلهم.

والسبب في هذا أنهم يأخذون طرفاً من الأدلة ويتركون الطرف الآخر الذي يفسر هذا الطرف الذي يبينه أو ينسخه، فهم يأخذون بطرفٍ من الأدلة ويتركون أطرافاً كثيرة من الكتاب والسنة؛ ولهذا ضلوا، وهؤلاء هم الذين قال الله فيهم:

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد حذر النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، من الخوارج، وأمر بقتلهم، وأخبر أنهم يقتلون أهل الإيمان ويتركون أهل الأوثان، وأمرنا بقتلهم؛ إنهاء لشركهم وكفأ لعدوانهم وردعاً لأمثالهم.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلَّى اللهُ وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السادس والأربعون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج

[اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام/ أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

يشرح الكتاب عبر هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار

العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقاءنا نرحب بفضيلة الشيخ؛ حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

(٣٦٣) من فعل شيئاً من أمور الجاهلية ومات عليه، فقد مات ميتة

جاهلية

المذيع: قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ تعالى- في حديثه عن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، في صحيح

مسلم، قال: «مَنْ خَرَجَ عَنِ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةِ عِمِّيَّةٍ وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي» قال: ذكر في

هذا الحديث الأقسام الثلاثة التي يعقد لها الفقهاء باب قتال أهل القبلة من البغاة والعداة وأهل العصية.

قال: (فالقسم الأول: الخارجون عن طاعة السلطان، فنهى عن نفس الخروج عن الطاعة والجماعة، وبين

أنه إن مات ولا طاعة عليه، مات ميتة جاهلية، فإن أهل الجاهلية من العرب ونحوهم لم يكونوا يطيعون أميراً

عاماً على ما هو معروف من سيرته).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى

آله وأصحابه أجمعين، أما بعد؛

فهذا كما وضحناه في آخر الحلقة السابقة، أن الخارجين عن قبضة الإمام ثلاثة أصناف: قطاع الطرق:

وهم المفسدون في الأرض، والبغاة والخوارج؛ وكل هؤلاء يجب معالجة أمرهم بما ينهي فسادهم وشركهم عن المسلمين.

والنتيجة في ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: إن من فعل شيئاً من هذه الأمور ومات عليه فميتته

جاهلية؛ يعني أنه يموت على خصلة من خصال الجاهلية، وهذا وعيد شديد؛ لأن أمور الجاهلية محرمة ومنهي

عنها، وهذا أبلغ زاجر هؤلاء أن يبادروا بالتوبة؛ لئلا يدركهم الموت وهم على هذه العقيدة الفاسدة فيموتون ميتة

جاهلية لا ميتة إسلامية.

٣٦٤) نهي الشرع عن قتال العصبية

المذيع: قال: (ثم ذكر الذي يقاتل تعصبا لقومه أو أهل بلده ونحو ذلك، وسمى الراية عمية لأنه

الأمر الأعمى الذي لا يدرى وجهه، فكذلك قتال العصبية يكون عن غير علم بجواز قتال هذا).

الشيخ صالح: نعم، الله جل وعلا، إنما شرع القتال لدفع الأضرار العظيمة عن الأمة الإسلامية

ولنشر هذا الدين، فالقتال إنما يكون لنشر الدين وإعلاء كلمة الله؛ وهذا قتال الطلب والغزو، وإما أن يكون لدفع

شر الكافر؛ وهذا يسمى قتال الدفاع، أو قتال الدفع حينما يهجم على المسلمين من يريد إفساد بلادهم والاستيلاء

على بلادهم أو على شيء من مصالحهم، وقد يكون هذا الصائل من الكفار فيقاتل قتال دفع لشره.



وقد يكون من المسلمين؛ هذا الصائل قد يكون من المسلمين، إما من الخوارج وإما من المعتزلة وإما من اللصوص وقطاع الطرق، هو مسلم لكنه صال على المسلمين واعتدى عليهم فهذا يجب قتاله كفاً لشره، وقطعاً لدابر الفتنة.

وقد يكون المقاتل يقاتل حمية وعصية لقومه -ولو كانوا على باطل-؛ فإن الواجب كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله، نصره مظلوماً فكيف نصره ظالماً؟ قال: أن تكفه عن الظلم فذلك نصره»، فإذا رأيت من قبيلتك أو من قريبك أنه باغٍ ومعتدٍ لا يجب عليك أن تساعد؛ بل يجب عليك أن تكفه عن العدوان، فإن أبى فإنك تعتزل عنه ولا تساعد على العدوان، فإن ساعدته فهذا من باب العصية ومن باب الراية العمية والجاهلية، وأنت تكون متصفاً بصفة من صفات الجاهلية، الذين يقاتلون للعصبيات، فالقتال في الإسلام إنما يكون لأحد هذه الأغراض: إما لنشر الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض، وإما لدفع العدوان سواء كان من الكفار أو من المعتدين على المسلمين.

وأما أن يكون القتال لسفك الدماء والعصبيات، وانتصار طائفة على طائفة، فهذا من أمور الجاهلية، ولهذا قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٩) إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَاصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ٩-١٠]، أصلحوا بين أخويكم) وانظر كيف جعلهم أخوين المعتدي والمعتدى عليه، وأمرنا بالإصلاح بينهم، فلا نتعصب مع المعتدي ونعتبر المعتدى عليه أنه ليس أخاً لنا، هذه عصبية، كلاهما أخ لنا، المعتدي والمعتدى عليه، فالواجب أن نسوي النزاع بينهما ونُنهي الخلاف، أما أننا ننضم إلى المعتدي فهذا هو العصبية، وإذا انضمنا إلى المعتدى عليه فهذا من باب دفع الظلم ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

٣٦٥) قتل المقتول قتلته جاهلية سواء غضب بقلبه أو دعا بلسانه

أو ضرب بيده

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وجعل قتل المقتول قتلته جاهلية سواء غضب بقلبه أو دعا بلسانه أو ضرب بيده).

الشيخ صالح: نعم، الذي ينتصر للباطل ويساعد الظالم -هذا إذا مات على هذه الخصلة-؛ فإنه يموت ميتة جاهلية، سواء ضرب بيده وشارك في البطش، أو بلسانه؛ ناصر المظلوم بلسانه، أو حتى بقلبه ولو لم يتكلم بلسانه، فهذا إذا مات على إحدى هذه الخصال فإنه يموت على أمر من أمور الجاهلية، وهذا يجب أن يتفطن له الآن من ينصرون هؤلاء المخربين الذين يفجرون ويروعون ويسفكون الدماء ويروعون الناس، ويفسدون في الأرض؛ هناك من يؤدبهم بالكلام أو حتى بالنية والقصد، ولا يخطئهم، فهذا يدخل في هذا الحديث ويدخل في هذا الوعيد؛ فعليهم أن يتنبهوا لذلك.

٣٦٦) القاتل والمقتول في النار

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وقد فسّر ذلك فيما رواه مسلمٌ أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قتل، فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: الهرج، القاتل والمقتول في النار»).

الشيخ صالح: نعم؛ «يأتي على الناس زمان» يعني في آخر الزمان تهيج الفتنة، ويتقاتل الناس بدون رؤية وبدون بصيرة، لا يدري القاتل فيما قتل ولا المقتول فيما قتل؛ بل بدافع الفتنة وهياج الشر -ولا حول ولا قوة إلا بالله-، والواجب على الإنسان أن يتبصر ولا يدخل في أمر من الأمور دون تبصر في الأمور، ومعرفة له.

ومن ذلك أمور الفتنة، الإنسان لا يدخل فيها حتى يتروى ويعرف ثم يدخل فيها من باب الإصلاح لا من باب تهيج الفتنة؛ وإنما من باب الإصلاح وتسوية النزاع بين المسلمين؛ فهذا هو المطلوب، فيأتي على الناس زمان تهيج فيه الفتنة -والعياذ بالله- وإذا رفع السيف بين المسلمين فإنه لا يكف، كما أخبر النبي -صلى الله عليه وسلم-.

ولذلك نهي عن الفتنة وعن الدخول فيها ونهي عن حمل السلاح على المسلمين، وفي النهاية قال صلى الله عليه وسلم: «القاتل والمقتول في النار» -والعياذ بالله-، وهذا من باب الوعيد، لا يدل على أن هذا كفر، وأنهم في النار من باب الكفر المخرج من الملة، وإنما يكونون في النار على حسب ذنوبهم، هذا من أصحاب الكبائر المتوعدون بالنار.

٣٦٧ بيان الخوارج على الأمة

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله-: (والقسم الثالث: الخوارج على الأمة، إما من العداة الذين غرضهم الأموال كقطع الطرق ونحوهم، أو غرضهم الرئاسة كمن يقتل أهل المصر الذين هم تحت حكم غيره مطلقاً وإن لم يكونوا مقاتلة، وإما من الخارجين عن السنة الذين يستحلون دماء أهل القبلة مطلقاً، كالحروية الذين قتلهم علي رضي الله عنه).

الشيخ صالح: نعم، كما سبق أن الخارجين في الفتنة على ولاية الأمور: إما قطع طرق يريدون الأموال، وإما أنهم بغاة يريدون إنكار المنكر -بزعمهم-، ولكنهم لم يوفقوا إلى الطريقة الصحيحة في إنكار المنكر، وإما أنهم خوارج، رأوا أن المسلمين كفاراً لارتكابهم لشيء من الكبائر التي دون الكفر، فكفروهم بذلك وأخذوا بظاهر بعض النصوص، ولم يردوا هذه النصوص المتشابهة إلى النصوص المحكمة التي تفسرها وتبينها وتقيدها وتبين المراد منها؛ وهذا لجهلهم أو هواهم، قد يكون عالماً ولكنه صاحب هوى، فيريد إثارة الفتنة ويقول للناس:

إنني أستدل بالقرآن، والحقيقة أنه لم يستدل بالقرآن، لو استدل بالقرآن لاستدل به كله وردَّ بعضه إلى بعض، فإن كلام الله حق: يفسر بعضه بعضًا، ويوضح بعضه بعضًا، فإذا أخذت بطرفٍ منه وتركت الطرف الآخر فأنت لم تستدل بالقرآن؛ وإنما استدلت بالمتشابه الذي من استدل به فهو من أهل الزيغ، كما قال الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٧]، أما الراسخون في العلم فيردُّون المتشابه من المحكم، ويقولون: ﴿أَمَّا بِه كُلُّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

فإذا كان الدليل الذي معك تقول: هذا من عند الله، الدليل الثاني أيضًا أليس هو من عند الله؟ فلماذا ترد الدليل الثاني وتأخذ الدليل الذي يصلح لهواك ومقصدك؛ هذا زيغ -والعياذ بالله-.

٣٦٨) تسمية النبي للميتة والقتلة؛ جاهلية، من باب الذم لها

والنهي عنها

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ثم إنَّه -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، سَمَّى المِيتَةَ والقِتْلَةَ

مِيتَةً جاهلية وِقْتَلَةً جاهلية، على وجه الذم لها والنهي عنها؛ وإلا لم يكن قد زجر عن ذلك).

الشيخ صالح: نعم، كما أوضحنا سابقًا أن كونه من أهل النار أو أنه يموت ميتة جاهلية أو قِتلَة

جاهلية، ليس معناه أنه خرج من الإسلام إلى الكفر وصار مثل أهل الجاهلية الخالدين المخلدين في النار، وإنما معنى هذا الزجر عن هذه الجرائم، وأنها نوعٌ من أمور الجاهلية ومن أنواع الكفر، وأن صاحبها متوعدٌ بالنار، فقد يدخل النار أناسٌ من المسلمين ومن المؤمنين بذنوبهم من الكبائر ويُعذبون بها في نار جهنم، وقد يطول بقاؤهم في جهنم، وقد يحترقون ويكونون فحماً ويخرجون فحماً من النار لطول تعذيبهم فيها وهم مؤمنون، بسبب الكبائر التي ارتكبوها واقتروها.

ومن هؤلاء: الخوارج، والبغاة، والذين يقاتلون للعصبية، وأمور الجاهلية، هؤلاء إذا ماتوا، ماتوا ميتة جاهلية أو قِتلَ جاهلية، والقاتل والمقتول في النار؛ وهذا من باب الوعيد والذم والتغليظ في هذا الأمر.

٣٦٩) ما أُضيف إلى الجاهلية من ميتة أو قِتلَة أو نحو ذلك فهو

مذموم

المذيع: قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (فَعُلمَ أَنه كان قد قرر عند أصحابه أن ما أُضيف إلى الجاهلية من ميتة أو قِتلَة أو نحو ذلك فهو مذمومٌ منهيٌّ عنه، وذلك يقتضي ذم كل ما كان من أمور الجاهلية؛ وهو المطلوب).

الشيخ صالح: نعم، فهو يقرر هذه القاعدة -رَحِمَهُ اللهُ- أن كل ما كان من أمور الجاهلية فهو مذموم منهيٌّ عنه، وكونه يقول: هذا جاهلية، هذا جاهلية، هذا جاهلية؛ هذا دليل على أنه مُتقررٌ عند أصحابه: أن ما كان من أمور الجاهلية فهو مذموم وإن لم يقل لهم: هذا مذموم، يكفي قوله: هذا من أمور الجاهلية.

٣٧٠) قصة أبو ذر مع عمّار بن ياسر

المذيع: قال: (ومن هذا ما أخرجاه في الصحيحين عن المعرور بن سُويد، قال: رأيتُ أبا ذرٍ عليه حُلَّة، وعلى غلامه مثلها، فسألته عن ذلك، فذكر أنه سَابَّ رجلاً على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعيَّرَه بأمه، فأتى الرجل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فذكر ذلك له، فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّكَ امرؤٌ فيك جاهلية» وفي رواية: قلتُ على ساعة هذه من كبر السن، قال: «نعم، هم إخوانك وخولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم عليه»).

الشيخ صالح: نعم، هذا أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الصحابي الجليل، الزاهد التقي النقي، المجاهد في سبيل

الله - على فضله وسابقته بالإسلام-، لما قال لرجل: "يا ابن السوداء"؛ عيَّره بأمه؛ لأنه كان مملوكًا وأمه مملوكة وأبوه مملوك، فهم أرقاء ثم أعتق عَمَّارُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فصار حُرًّا، فلما قال له أبو ذر -وأبو ذر من قبيلة غفار قبيلة مشهورة ومعروفة-، قال له: "يا ابن السوداء"، غضب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأنه يريد ألا يكون بين أصحابه شيءٌ من أمور الجاهلية وتفآخرها بالأحساب واحتقار الممالك والموالي، يريد أن يذهب هذه العادات ويصوغ الأمة صياغة صحيحة، لا يتمايز بعضها على بعض إلا بالتقوى، وأن تكون أمة متحاببة كالبنيان وكالجسد الواحد.

فأنكر عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال له: «أعيَّرته بأمه؟ إنك أمرؤٌ فيك جاهلية» يعني: خصلة من خصال الجاهلية، لأنَّ من خصال الجاهلية -كما سبق وتكرَّر- التفاخر بالأنساب، عند ذلك أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، خاف من هذه الخصلة فصار يبغضها ويتعد عنها، حتى أنه صار له مملوك، فخرج به وعليه لباسٌ وحُلة مثل لباس أبي ذر، فعلى المملوك مثل لباس المالك لا يتميَّز عنه، فسُئِلَ عن ذلك فذكر القصة وذكر الحديث الذي حصل منه - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-، وأنه نادى على ما حصل منه، وهو يبادرُ إلى العمل بقول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين قال له: «إخوانكم خولُكم» يعني: خدمكم، قال: إخوانكم، فهو خادمٌ لك وهو أخوك، أخوك في النسب؟ لا، أخوك في الإسلام، والإسلام أعلى من النسب.

«إخوانكم خولُكم، جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه»، انظر، كرَّرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الأخوة:

من كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ويلبسه مما يلبس، ولا يشق عليه من العمل ولا يكلفه من العمل ما لا يُطبق؛ فهذا من حُسن التعامل في الإسلام وعدم التمايز بين المسلمين، حتى بين المالك والمملوك، وبين السيد والعبد، لا يتميَّز عليه بالمظهر؛ حتى في المظهر واللباس، فكيف بغيره؟

(٣٧١) قول النبي لأبي ذر: فيك جاهلية، ذم لتلك الخصلة

المذيع: قال -رَجَمَهُ اللهُ-: (ففي هذا الحديث أن كل ما كان من الجاهلية فهو مذموم، لأن قوله:

«فيك جاهلية» ذم لتلك الخصلة، فلولا أن هذا الوصف يقتضي ذم ما اشتمل عليه، لما حصل به المقصود).

الشيخ صالح: نعم، قوله: «فيك جاهلية» الصحابة يفهمون: أن ما كان من الجاهلية فهو مذموم، فأبو

ذر فهم هذا، ولذلك ندم لما قال له: «إِنَّكَ أَمْرٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ» ندم ما حصل منه وعرف أنه أخطأ؛ فطلب من الرجل الذي تكلم فيه، طلب منه المسامحة، وطلب منه أن يعفو عنه، وعدل في المستقبل كما حصل له مع مملوكه كما في الحديث؛ فهذا دليل على أن الصحابة متقرر عندهم أن كل ما كان من أمور الجاهلية فهو مذموم، فإذا قال الرسول: هذا من أمور الجاهلية؛ كفى ولم يحتج إلى أن يقول هذا محرم أو هذا منهي عنه.

(٣٧٢) التعبير بالأنساب من أخلاق الجاهلية

المذيع: قال: (وفيه أن التعبير بالأنساب من أخلاق الجاهلية).

الشيخ صالح: نعم، التعبير بالأنساب، أن تقول: هذا قبيلي وهذا غير قبيلي، هذا ليس له نسب، هذا

ليس عربي، وما أشبه ذلك؛ هذا من أمور الجاهلية، بل الواجب أن المسلمين إخوة لا ميزة لبعضهم على بعض إلا بالتقوى، أما معرفة النسب مجرد معرفة يتعارفون؛ فلا مانع من ذلك، ولهذا تعلم الأنساب هذا لا بأس به، أن تعرف أن هذا من القبيلة الفلانية، وهذا من القبيلة الفلانية؛ لا من أجل الفخر وإنما من أجل التمييز بين القبائل والتعارف بينها من أجل التواصل، ومن أجل الترابط الإياني -لا الترابط الجاهلي-.

فمعرفة الأنساب لمجرد المعرفة فقط والاطلاع فقط، أمرٌ لا بأس به، ولهذا كان من الصحابة نساين كأبي بكر الصديق، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وكان من العلماء نساين؛ يعرفون الأنساب، وكتب الأنساب الآن معروفة ومطبوعة ومُتداوِلة، لا من باب الفخر وإنما هو من باب التعارف بين الناس، وأما الفخر بالأنساب فهذا من أمور الجاهلية.

المذيع: التعارف مثل أي تعارف من أمور حياته، معرفة المدن والشوارع والوديان والجبال، فقط

كذا؟

الشيخ صالح: يتعارفون من جهة قبائلهم وأنسابهم وأن فلانًا من القبيلة الفلانية وليس من القبيلة

الفلانية، هذا فيه مصالِح: حتى من ناحية المواريث ومن ناحية الولاية في النكاح، ونحو ذلك.

المذيع: والديات

الشيخ صالح: نعم، والديات والعاقلة.

المذيع: إذن إذا أشار لشيءٍ من ذلك من التعبير بالأنساب -مثلما أشرت- هذا أبوه شريف أو

أبوه وضيع أو من قبيلة كذا.

الشيخ صالح: لا، ما يجوز أن يقول هذا أبوه وضيع.

المذيع: هو يَأْتِمُّ لو قال هذا الأمر، من قبيلة كذا أو قبيلي أو غير قبيل؛ أدرك إنَّما، لكن لو أجَّله في

قلبه معفو عنه، أما إذا نطق فقد أصاب شيئًا من أوصاف الجاهلية.

الشيخ صالح: إذا قاله هذا من باب الغمط للشخص؛ فإنه يَأْتِمُّ بذلك، وأما إذا لم يقله من باب الغمط

وإنما من باب البيان فقط، فهذا لا بأس به.

٣٧٣) قد يكون في الرجل مع علمه وفضله، بعض خصال

الجاهلية، ولا يوجب ذلك كفره أو فسقه

المذيع: قال -رَحْمَةُ اللهِ-: (وفيه أنَّ الرجل مع فضله وعلمه ودينه، قد يكون فيه بعض هذه

الخصال المساءة بجاهلية أو يهودية ونصرانية، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه).

الشيخ صالح: من هو الذي أفضل من أبي ذر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، الصحابي الجليل؟ الذي له المواقف

المشهوره في الإسلام، من هو أفضل منه غير الخلفاء الراشدين والعشرة المبشرون بالجنة؟ فهو من السابقين الأولين، ومع هذا قال فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إنك أمرؤ فیک جاهلیة**» فدل على أن فيه وإن كان من أهل الفضل والعلم، قد يكون فيه شيء من أمور الجاهلية لأجل أن يتخلى عنها؛ لأنَّ الإنسان بشر يُخطئ ويصيب، مهما بلغ من الفضل؛ فإنه غير معصوم من الخطأ.

ولذلك أثرت هذه الكلمة على أبي ذر، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فتاب منها وأبغضها وتركها، وهذا مراد الرسول

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ودل هذا على فائدتين:

- أن الرجل وإن كان من أهل الفضل والعلم والدين، أنه قد يقع في شيء من الخطأ، فينبه عليه من أجل أن يتداركه.
- الفائدة الثانية: فيه أنه لا يجوز أن يتعابر بالأنساب، وغمط الناس بأنسابهم؛ وأن هذا من أمور الجاهلية.
- والفائدة الثالثة: أنه ليس من كان فيه خصلة من خصال الجاهلية، يكون كافرًا، ويكون جاهليًا تمامًا؛ وإنما فيه شيء من أمور الجاهلية.

المذيع: هذا التوازن يفقده كثير من المسلمين اليوم، لا يجمعون بين أن يكون صاحب فضل وعلم ودين، ثم يقع منه خطأ فيغسلون يديهم منه، فيحسبونه أنه على فضله ودينه أن ذاك الخطأ لا يجب كفره ولا فسقه.

الشيخ صالح: لا، هذا من جهل، كون يُعتقد أن الإنسان لا يحصل منه خطأ.

المذيع: نعم، شيخ، عالم، داعية

الشيخ صالح: وأنه إذا حصل منه خطأ تُغسل الأيدي منه؛ هذا كله من أمور الجاهلية، الإنسان يُخطئ وإن كان من أفضل الناس، يُخطئ ويُنبه، ولكن يجب عليه إذا نبه أو تنبه أن يتراجع عن هذا الخطأ، ولا يستمر عليه.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس السابع والأربعون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله إلى حلقة جديدة في برنامج

[اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام / ابن تيمية، رحمه الله.

يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار

العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع هذه الحلقة نرحب بفضيلة الشيخ؛ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٣٧٤) بيان حديث أبغض الناس إلى الله ثلاثة

المذيع: قال المؤلف - رحمه الله تعالى - في سياق أحاديث تدم ما كان عليه أهل الجاهلية، قال:

(وأيضاً ما رواه مسلم في صحيحه عن نافع بن جبير بن مطعم عن ابن عباس، رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله

عليه وسلم، قال: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة: ملحد في الحرم، ومبتغ في الإسلام سنة جاهلية، ومطلب دم امرئ

بغير حق ليريق دمه»، قال المحقق: لم أجده في مسلم بهذا اللفظ وإنما وجدته في البخاري).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى

آله وأصحابه أجمعين، أما بعد؛

فهذه أمورٌ حذر منها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، منها ما هو من أمور الجاهلية وهو محل الشاهد من

الحديث:

• الأمر الأول: المُلحد في الحرم، والمُلحد هو الذي يفعل الإلحاد والمعصية؛ لأن الإلحاد في اللغة هو الميل، والمعصية ميلٌ عن طاعة الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-، والمعصية مُحَرمة في أي مكان، ولكنها في الحرم أشد؛ لأنها مع كونها معصية فهي انتهاكٌ لحرمة الحرم فيجتمع فيها مفسدتان؛ هذه واحدة، والله جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِلْحَادِ بِغُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥].

• والثانية: مَبْتغِ سُنَّةِ جاهلية، والسُنَّة المراد بها الطريقة في اللغة، والمراد بها هنا عمل شيءٍ من أعمال الجاهلية، كالنياحة على الميت، كالعصية للقبائل والأشخاص، وكالاستسقاء بالنجوم، وغير ذلك من أمور الجاهلية وخصال الجاهلية، فالذي يُجِيبُ سُنَّةً من سُنن الجاهلية هذا قد ارتكب اثماً عظيماً لأن الإسلام جاء لمحو الجاهلية وإزالتها وإبعاد الناس عنها لأنها شرٌّ محض، فالذي يُجِيبُ سُنَّةً من سُنن الجاهلية يكون ذنبه أعظم.

• والثالث: الذي يستحل دم امرئ مسلم بغير حق، أو دم مُعَاهَد -وهو النفس التي حرم الله بالإسلام أو حرمها بالعهد-، فالذي ينتهك هذه الحرمة، الله جَلَّ وَعَلَا قال: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَتَلَ مُعَاهِداً لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنْ رِيحَهَا لِيُوجَدُ مَسِيرَةَ أَرْبَعِينَ سَنَةً» رواه البخاري.

والشاهد من هذا الحديث من مَبْتغِ في الإسلام سُنَّةِ جاهلية، فدل على أننا ممنوعون من كل ما يُمْتُّ إلى

الجاهلية بصلة: من الأقوال والأفعال والاعتقادات، وغير ذلك.

٣٧٥) أقسام الفساد في الدين، وحرمة المكان أشد من حرمة

الزمان

المذيع: أحسن الله إليكم، قال المؤلف -رَحِمَهُ اللهُ-: (أخبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن أبغض الناس إلى الله هؤلاء الثلاثة؛ وذلك لأن الفساد إما في الدين وإما في الدنيا، فأعظم فساد الدنيا قتل النفوس بغير الحق؛ ولهذا كان أكبر الكبائر بعد أعظم فساد الدين الذي هو الكفر.

وأما فساد الدين فنوعان: نوعٌ يتعلق بالعمل، ونوعٌ يتعلق بمحل العمل.

فأما المتعلق بالعمل، فهو ابتغاء سُنَّةِ الجاهلية، وأما ما يتعلق بمحل العمل فالإلحاد في الحرم؛ لأن أعظم محال العمل الحرم، وانتهاك حُرمة المحل المكاني أعظم من انتهاك حُرمة المحل الزماني.

ولهذا حُرِّمَ من تناول المباحات ومن الصيد والنبات وفي البلد الحرام، ما لم يَحْرُمَ مثله في الشهر الحرام).

الشيخ صالح: نعم، كما أشرنا سابقاً حول هذا الحديث، فالشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- أراد أن يوضح توضيحاً

أكثر حول هذا الحديث، ويبيِّن أن أعظم الناس جرماً هم هؤلاء الثلاثة الذي يُحِبِّي سُنَّةَ جاهلية في الإسلام، والذي يُلحِد في الحرم، والذي يقتل نفساً محرمةً بغير حق.

فلا شك أن قتل النفس بغير حق أنه من أكبر الكبائر بعد الشرك، اللهُ جَلَّ وَعَلَا، يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا

النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١]، حرماً بالإسلام أو حرماً بالعهد.

ثم أشار الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- إلى أن المعصية في المكان المحرم أعظم من المعصية المطلقة في أي مكان -كما

أشرنا-؛ لأنه يجتمع في ذلك جريمتان: جريمة فعل المعصية وجريمة انتهاك الحرم.

والحرم أو المحرم قد يكون في الزمان كالأشهر الحرم، وقد يكون في المكان وهو المشاعر؛ مكة والمشاعر، فهذه حُرُمات الله -عزَّ وجلَّ-، فالذي يفعل فيها جريمة يكون أشدَّ إثماً من الذي يفعل الجريمة في الأشهر الحرم، وإن كان الكل محرماً شديداً التحريم، ولكن المكان المحرم أعظم من الزمان المحرم، بدليل أن الله حرم أشياء كانت مباحة في غير الحرم كالصيد، وقطع الشجر، وأخذ العشب، اختلاء الخلاء يعني: قطع العشب وجمعه؛ الأخضر، فهذا مباح في غير الحرم ولكنه في الحرم حرم من أجل المحافظة على حرمة الحرم، فدل على أن حرمة المكان أشد من حرمة الزمان.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رحمهُ اللهُ-: (ولهذا كان الصحيح، أن حرمة القتال في البلد الحرام

باقية، كما دلت عليه النصوص الصحيحة، بخلاف الشهر الحرام).

الشيخ صالح: نعم، مما يدل على أن حرمة المكان أشد من حرمة الزمان، أن القتال في الحرم محرم

ومستمر إلى أن تقوم الساعة، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ

فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩١]، فإن قيل: إن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قاتل في الحرم، قيل: هذا

من خاصيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد بين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذلك بقوله: «إِنَّمَا أُبِيحَتْ لِي سَاعَةٌ مِنْ نَهَارٍ وَلَمْ

تَحِلْ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِي» فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، له خاصية في هذا دون غيره، فلا يجوز ابتداء القتال في الحرم.

أما قتال الدفع لمن قاتل؛ فإنه يُقاتل ولو كان في الحرم، ولو كان عند الكعبة؛ دفعاً لشره، فهذا هو التفصيل

في القتال في الحرم.

وأما القتال في الأشهر الحرم، فالصحيح أنه منسوخ وأنه يجوز القتال في أي وقتٍ توفرت شروطه لقوله

تعالى: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾ [التوبة: ٥]، والمراد بالأشهر الحرم -كما بين الشيخ رحمهُ اللهُ- أن الأشهر الحرم

المراد بها أشهر الفسحة ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [التوبة: ٢]، المهلة التي أعطاها الله للمشركين عند نبذ

عهدهم، أعطوا مهلة أربعة أشهر ثم بعدها يُقاتلون، وهذا هو معنى قوله: ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ﴾ يعني: مهلة الإمهال لهم ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْضُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾ [التوبة: ٥].

٣٧٦) إحياء أمور الجاهلية قرينة الإلحاد في الحرم

المذيع: قال -رحمة الله-: (فلهذا -والله أعلم- ذكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الإلحاد في الحرم وابتغاء سنة جاهلية).

الشيخ صالح: إي نعم؛ أن هذا من أشد المحرمات في هاتين الخصلتين، وكونه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قرن ابتغاء سنة جاهلية بالإلحاد في الحرم؛ هذا دليل على شناعة إحياء أمور الجاهلية، وأنها قرينة الإلحاد في الحرم مع ما في الإلحاد في الحرم من الغلظة وشدة الإثم.

المذيع: قال: (والمقصود أن من هؤلاء الثلاثة من ابتغى في الإسلام سنة جاهلية).

الشيخ صالح: هذا هو محل الشاهد.

٣٧٧) كل من أراد في الإسلام أن يعمل من سنن الجاهلية، دخل

في الحديث

المذيع: (فسواء قيل متبع أو مبتغ فإن الابتغاء هو الطلب والإرادة، فكل من أراد في الإسلام أن يعمل شيئاً من سنن الجاهلية، دخل في الحديث).

الشبب صالء: نعم، «ومبتب في الإسلام سُنَّة جاهلية»؛ أي: من أراد أن يببب شببًا من أمور الجاهلية

من المسلمب فإنه من أشد الناس إثمًا عند الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، سواء دعا إليها أو فعلها بدون دعوة، بدون دعاء إليها المهم إحيائها بالقول أو بالعمل والفعل.

فالواجب علينا ترك أمور الجاهلية، وما كانت عليه من العوائد الباطلة والسُنن الضالة، لأن الله أغنانا

بالإسلام عن أمور الجاهلية.

(٣٧٨) سُنَّة الجاهلية هي كل عادة كان عليها الناس في

الجاهلية

المذبب: قال: (والسُنَّة الجاهلية: كل عادة كانوا عليها، فإن السُنن هي العادة وهي الطريق التي

تتكرر لنوع من الناس مما يعدونه عبادة أو لا يعدونه عبادة).

الشبب صالء: المراد بالسُنَّة الجاهلية: ما عليه أهل الجاهلية من العادات والتقاليد؛ سواء من الأقوال

أو من الأفعال، وسواء اعتبروه عبادة أو اعتبروه من باب العادة؛ فإننا ممنوعون من التشبب بهم؛ لأن هذا بعلق

القلوب بالجاهلية، وربما أنه بفتح الباب لتبببب أحكام الإسلام وإحداث أمور الجاهلية مكانها، ولهذا قال أمير

المؤمنب عمر بن الخطاب -رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ-: "تُنْقَضُ عُرَى الإسلام عُرْوَةٌ إِذَا نَشَأَ فِي الإسلام من لا

بعراف جاهلية".

فالناس ببنون -مع الجهل ومع طول الزمان- ببنون إلى أمور الجاهلية، ولذلك تبببببب الآن ببنون إلى

إحياء الآثار والتراث وما أشبه ذلك؛ هذا لبس عبثًا وإنما هذا بدافع من الشيطان ومن دُعاة الضلال، فإنهم إذا

أحيوا آثار الجاهلية وأمكنة الجاهلية؛ فإن هذا يجر إلى إحياء سنن الجاهلية، فينبغي سد هذا الباب نهائياً وأن نعرف خطط الأعداء الذين يتربصون بالمسلمين الدوائر، فهم يأتونهم من هذه النواحي.

المذيع: أشرتم يا شيخ إلى أن ذلك سبباً لتعلق القلوب بالجاهلية.

الشيخ صالح: نعم، هو كذلك، يعني تعظيمهم وتعظيم ما كانوا عليه، وأن يقال: هذا من مآثر

الأسلاف ومن كذا ومن كذا.

المذيع: حضارتنا السالفة.

الشيخ صالح: الحضارة نعم، الحضارات، نحن أغنانا الله بالإسلام عن كل شيء، فما كان في الإسلام

فهو المطلوب منا، ومن كان ليس في الإسلام فإننا نتركه ونرفضه رفضاً تاماً.

٣٧٩) تحريم متابعة أي شيء من سنن الجاهلية

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (مما يعدونه عبادة أو لا يعدونه عبادة، قال تعالى:

﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَبْعُنَّ سُنَنَ

من كان قبلكم» والاتباع هو الاقتفاء والاستماع، «فمن عمل بشيءٍ من سننهم فقد أتبع سنة جاهلية»، وهذا نص

عام يُوجب تحريم متابعة كل شيءٍ من سنن الجاهلية -في أعيادهم وفي غير أعيادهم-.

الشيخ صالح: الله -تعالى- أمر بالسير في الأرض للنظر في آثار الدمار الذي حصل على الكفار من

أجل الاتعاض والابتعاد عن أعمالهم؛ لئلا يصيبنا ما أصابهم. فالنظر في آثار الكفار من أجل الاعتبار والاتعاض هذا

مطلوب ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧]، ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تَسْكَنْ مِنْ

بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص: ٥٨]، فالواجب الاعتبار والاتعاض، ولهذا لما مرَّ الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، في طريقهم

إلى غزوة تبوك، مروا بديار ثمود قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لهم: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعَذِّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ»، فالنظر في هذه الآثار من باب الاعتبار والاتعاظ والتذكير، هذا أمرٌ مطلوب.

أما النظر فيها من باب الإعجاب وأن هذه حضارة وأن لنا تاريخاً قديماً ومجيداً، فهذا من الاغترار بأمور الجاهلية.

المذيع: قال: (وهذا نصٌ عام يوجب تحريم متابعة كل شيءٍ من سنن الجاهلية في أعيادهم وفي غير أعيادهم).

الشيخ صالح: نعم، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَتَبْعَنَّ سُنَنَ» أو «سَنَنْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» هذا من باب التحذير، إخبارٌ معناه التحذير والنهي عن اتباع سنن الجاهلية، ومن ذلك سنة الأعياد، فما اعتاد الجاهلية أن يجعلوه عيداً مكانياً أو زمانياً؛ فإننا منهيون عنه، ولهذا لما جاء رجلٌ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يستفتيه، قال إنه نذر أن ينحر ابلاً ببوانة -اسم موضع- فقال له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَلْ كَانَ فِيهَا وَثْنٌ مِنْ أَوْثَانِ الْجَاهِلِيَّةِ يُعْبَدُ» يعني: هل كان فيها؛ في الزمان الماضي؟ «قَالَ: لَا، قَالَ: هَلْ كَانَ فِيهَا عِيدٌ مِنْ أَعْيَادِهِمْ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: أَوْفِ بِنَذْرِكَ»، فدل على أن أعياد الجاهلية لا يجوز إحياؤها أو موافقتهم فيها -حتى ولو لم يقصد هذا الشيء-، ولو كان الذابح يذبح لله لكن إذا ذبح في مكانٍ كانت الجاهلية تعظمه وتذبح فيه فإن في هذا تشبهاً بهم، وفتحاً للذريعة للتشبه بهم وفعل مثل أفعالهم، ودين الإسلام جاء بسد الذرائع التي تُفضي إلى الشرك وإلى البدعة.

(٣٨٠) لفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال وقد يكون اسماً لذوي

الحال

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ولفظ الجاهلية قد يكون اسماً للحال والغالب في الكتاب والسنة، وقد يكون اسماً لذي الحال، فمن الأول قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية» وقول عمر: «إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة»، وقول عائشة: «كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء»، وقولهم: يا رسول الله، كنا في جاهلية وشر، أي: في حال جاهلية، أو طريقة جاهلية، أو عادة جاهلية، ونحو ذلك).

الشيخ صالح: نعم، الجاهلية هو ما كان عليه الناس قبل البعثة، هذا هو الجاهلية، ولا سيما العرب والأميون فإنهم لم يكونوا على شيء أصلاً؛ بل كانوا على عادات وتقاليد ابتدعوها وعلى كفرٍ وشركٍ بالله عز وجل، فالإسلام جاء بإزالة كل ما كان من أمور الجاهلية.

والجاهلية قد تكون صفة وقد تكون مكان أو حال من تلك الأحوال، فالجاهلية تتنوع، ومن الأول قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّكَ امرؤٌ فيك جاهلية**»؛ يعني: فيك خصلة من خصال الجاهلية، وهي الطعن في النسب، لما طعن في نسب أحد الصحابة؛ لكونه مولى من الموالي، فهذه أعده النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من أمور الجاهلية، الطعن بالأنساب من أمور الجاهلية، والفخر بالأحساب.

والثاني: الحال وهو ما كان من أحوال الجاهلية، سواء في عباداتهم أو في عاداتهم الخاصة بهم أو نحو ذلك.

بيان الحال وذو الحال في الجاهلية (٣٨١)

المذيع: قال: (فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل صفة، لكن غلب عليها الاستعمال حتى صار اسماً، ومعناه قريب من المصدر).

وأما الثاني: إرادة ذي الحال، فتقول: طائفة جاهلية وشاعر جاهلي، وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم).

الشيخ صالح: نعم الشاعر الجاهلي: هو ما كان قبل الإسلام، كامرؤ القيس والنابغة الذبياني، والأعشى، ميمون بن قيس وغيرهم من شعراء الجاهلية، يُقال: شاعر جاهلي، أي أنه عاش في الجاهلية ولم يدرك الإسلام، أو أدرك الإسلام ولكنه لم يُسلم كالأعشى فإنه عاش وأدرك الإسلام وأراد أن يُسلم لكن صدّه المشركون ومات على الجاهلية -والعياذ بالله-.

الحاصل أن الجاهلية تُطلق على الحال، فالحال الذي عاش فيها هؤلاء جاهلية، فلهذا يُسمون بالجاهليين، شاعر جاهلي.

(٣٨٢) إن لم يعلم الحق فهو جاهل بسيط وإن اعتقد خلافه فهو

جاهل مركب

المذيع: قال: (وذلك نسبة إلى الجهل الذي هو عدم العلم أو عدم اتباع العلم، فإن من لم يعلم الحق فهو جاهل جهلاً بسيطاً، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً).

الشيخ صالح: نعم، الجاهلية مأخوذة من الجهل، وهو عدم العلم؛ لأنهم كانوا قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في ضلالٍ مبين -كما أخبر الله عزَّ وجلَّ-، ليسوا على علم لا من هدي الأنبياء ولا من غير ذلك بل كانوا على جاهلية منقطعة عن الرسالات، ولذلك سُميت بالجاهلية لعدم العلم فيها، هذه هي الجاهلية.

والجهل على قسمين:

- جهل بسيط.

- وجهلٌ مركّب.

☞ الجهل البسيط، هو عدم معرفة الحق، وهذا أقرب إلى قبول الحق، قد يكون ارتكب الخطأ لأنه لا يعرف الحق، فإذا بين له الحق قبله، هذا هو الجاهل البسيط.

☞ الثاني: الجهل المركب، وهو الذي يجهل ويجهل أنه يجهل، أو لا يعلم ولا يدري أنه لا يعلم بل يظن أنه عالم، هذا هو الجهل المركب، وهذا أشد -والعياذ بالله-، هذا أشد أن يكون الإنسان يعلم أنه على جهل ولكن لا يعترف بذلك.

٣٨٣) مَنْ قَالَ خِلافَ الْحَقِّ عَالِمًا بِالْحَقِّ أَوْ غَيْرَ عَالِمٍ فَهُوَ جَاهِلٌ

المذيع: قال: (فإن قال خلاف الحق -عالمًا بالحق أو غير عالم-، فهو جاهل أيضًا).

الشيخ صالح: إذا قال بخلاف الحق فهو جاهل سواء أكان جهلاً بسيطاً أو جهلاً مركباً، لكن الجهل المركب أشد من الجهل البسيط؛ لأن الجاهل البسيط يقبل التوجيه، وأما الجاهل المركب فلا يقبل التوجيه -في الغالب-، فهو أشد.

المذيع: قال: (كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]).

الشيخ صالح: من صفات عباد الرحمن أنهم إذا خاطبهم الجاهلون، والمراد بالجهل هنا: عدم العلم، عدم الحلم، قالوا؛ أي عباد الرحمن: سلاماً؛ أي لا يردون عليهم بالمثل، وإنما يقولون قولاً فيه سلامتهم من أن يجهلوا مثل هؤلاء؛ فهذا من صفات عباد الرحمن.

المذيع: (وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث ولا يجهل»).

الشيخ صالح: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرِفْثُ»؛ والرفث: هو المعصية أو هو الجِماع ودواعيه، فالصائم ممنوعٌ من ذلك: يدع شهوته وطعامه وشرابه من أجل الله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، «وَلَا يَجْهَلُ»** يعني: لا يأتي بشيءٍ من الجهل وهو خلاف العلم، وخلاف الحق، كالشتم والسب والغيبة والنميمة وغير ذلك.

المذيع: قال: (ومن هذا قول بعض شعراء العرب:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

وهذا كثير).

الشيخ صالح: كقول عمرو بن كلثوم التغلبي، في معلقته:

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

ليس المراد بالجهل هنا عدم العلم؛ وإنما المراد بالجهل هنا: عدم الحِلْم، يعني: لا يبغى أحدٌ علينا أو يتعدَّى أحدٌ علينا فنجهل عليه أكثر من جهله، وهذا من باب التهديد، وهو ذم بلا شك، أن الجهل سواءً أكان جهلاً بسيطاً أو مركباً، فهو مذموم.

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلَّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس الثامن والأربعون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وأهلاً وسهلاً بكم إلى حلقة جديدة في برنامج

[اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

يشرح الكتاب في هذه الحلقات صاحب الفضيلة الشيخ / صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار

العلماء، وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

في مطلع لقاءنا نرحب بشيخنا الكريم؛ فحياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٣٨٤) من عمل بخلاف الحق فهو جاهل وإن علم أنه مخالف للحق

المذيع: في الحلقة السالفة، ذكر المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ تعالى - في النسبة إلى الجهل، أنه هو عدم العلم

أو عدم اتباع العلم، وأن من لم يعلم الحق فهو جاهل، فإن اعتقد خلافه فهو جاهل جهلاً مركباً، وإن قال خلافه فهو جاهل أيضاً.

ثم قال: (وكذلك من عمل بخلاف الحق فهو جاهل، وإن علم أنه مخالف للحق، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا

التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ﴾ [النساء: ١٧]، قال أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كل من عمل

سوءاً فهو جاهل).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على نبينا محمد، وعلى

آله وصحبه أجمعين.

هذا استمرارٌ من الشيخ -رَحِمَهُ اللهُ- في بيان الجهل، وأنه ينقسم إلى قسمين:

- جهلٌ بسيط، وهو عدم معرفة العلم.

- وجهلٌ مركب، وهو العمل بخلاف العلم، وإن كان يعلمه، ومن ذلك قوله: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ

لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ الشُّرَّاءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]، هذا من النوع الثاني، وهو من مخالفة العلم، وإن

كان يعلمه لأن العاصي يعلم أنه عاصي؛ ولكن دعت شهوته والشيطان ودُعاة السوء إلى أن يرتكب المعصية وهو

يعلم أنها معصية.

أما لو كان لا يدري أنها معصية؛ وهو الجاهل البسيط؛ فهذا لا يُذم ولا عقوبة عليه حتى يتبين له ذلك؛

لأنه معفو عنه بالجهل، فالجاهل معفو عنه حتى يتبين له الحق: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:

١٥]، فالذي يعصي الله جاهل، جاهلٌ ولو كان عالماً؛ بل إن معصية العالم أشد لأنها مخالفة للعلم، فهذا جهلٌ منه،

جهلٌ نفسيٌّ منه. وأسبابه كثيرة، منها: دُعاة الضلال، ومنها دعوة الشهوة، ومنها وسوسة الشيطان، وغير ذلك،

وهو يعلم أنه على جهل وأنه على خطأ.

٣٨٥) كل من عمل سوءاً فهو جاهل

المذيع: (قال أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "كما من عمل سوءاً فهو جاهل").

الشيخ صالح: إي نعم، سواءً أكان جاهلاً بسيطاً؛ وهذا كما ذكرنا لا يُؤخذ حتى يعلم، أو كان جاهلاً

مركباً: وهو أنه يعلم أنه مُحطى، ولكنه حمله ما حمله على ارتكاب ما ارتكب من المخالفة.

٣٨٦ العلم الحقيقي يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل

المذيع: قال: (وسبب ذلك أن العلم الحقيقي الراسخ في القلب يمتنع أن يصدر معه ما يخالفه من قول أو فعل).

الشيخ صالح: نعم، العلم على قسمين أيضًا:

- العلم الراسخ في القلب: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [آل عمران: ٧]، رسوخ العلم في القلب، هذا يمنع من إتيان المعاصي.

- والقسم الثاني: علم لم يرسخ في القلب، وإنما يكون علمًا في اللسان فقط، أو علمًا على اللسان والقلب؛ لكنه لم يتمكن من القلب فبحسب عدم تمكنه من القلب يقع الإنسان في المعصية ولو كان عالمًا، بسبب نقصان علمه - علم البصيرة -.

ولهذا فإن العلم ينقسم إلى قسمين: علم في القلب، وعلم باللسان، والله - جَلَّ وَعَلَا - يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، العلماء في القلب والبصيرة؛ لا العلم باللسان، قد يكون الإنسان عالمًا باللسان حافظًا للمتون والشروح وحافظًا للسُّنَنِ والقرآن فبلسانه عالم؛ لكن لم يترسِّخ العلم في قلبه، فهذا هو الذي يكون عُرضَةً للأخطاء وعرضة للذنوب والمعاصي؛ لأن العلم لم يتمكن من قلبه، أما الأول إذا تمكن العلم من قلبه؛ فهذا لا يصدر منه إلا خشية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

٣٨٧ إذا حصل خلاف العلم الحقيقي فلا بُد من غفلة في القلب

المذيع: قال: (فمتى صدر خلافه)؛ أي: خلاف العلم الحقيقي (فلا بُد من غفلة في القلب عنه أو

ضعف في القلب بمقاومة ما يعارضه، وتلك أحوال تناقض حقيقة العلم؛ فيصير جهلاً بهذا الاعتبار).

الشيخ صالح: نعم، الراسخ في العلم هذا لا يصدر منه مخالفة في الغالب، قد يصدر منه إذا غفل، لكنه يرجع قريباً ويتوب إلى الله عزَّ وجلَّ، لأن دافع العلم الذي في قلبه يحمله على التوبة إلى الله عزَّ وجلَّ، أما الذي لم يتمكن العلم مع قلبه فهذا عرضةٌ لأن يذهب مع الأهواء ومع الرغبات ومع الشهوات، فلذلك ما كل عالم يحصل على مرتبة خشية الله عزَّ وجلَّ، والرسوخ؛ رسوخ القدم في الإيمان.

بيان معنى مستحق الإيمان (٣٨٨)

المذيع: قال: (ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مستحق الإيمان - حقيقة لا مجازاً-).

الشيخ صالح: هذه قضية مهمة جداً، وهي الإيمان، ماذا يُراد به؟ تلك قضية شغلت بال كثير من الناس - قديماً وحديثاً-، وهي واضحة في الكتاب والسنة، فالإيمان في اللغة هو: التصديق الذي معه ائتمانٌ للمخبي، هذا في اللغة.

لكن الإيمان في الشرع يختلف عن ذلك، فالإيمان في الشرع يكون: هو التصديق بالقلب والنطق باللسان والعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية؛ هذا هو تعريف الإيمان وهو حقيقة شرعية ليس حقيقة لغوية، والحقائق - كما هو معلوم - ثلاث:

- حقيقة لغوية.

- وحقيقة شرعية.

- وحقيقة عرفية.

فالإيمان هنا يُراد به الحقيقة الشرعية، فالإيمان في الشرع هو المكون من هذه الأمور، ولا يتحقق ببعضها دون البعض الآخر، فلا إيمان إلا بمجموع هذه الأمور: النطق باللسان، والاعتقاد بالقلب، والعمل بالجوارح:

فالذي يعتقد بقلبه ولا ينطق بلسانه؛ هذا كافر، فالإيمان بالقلب لا يكفي وإن قال به من قال من المرجئة فإن المشركين يعترفون بقلوبهم بصدق الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكن يمنعهم من اتباعه الكبر والحسد أو الحمية لدينهم، ولهذا قال تعالى فيهم: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكَذُّونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، فالذي منعهم هو الجحود؛ مع اعترافهم بقلوبهم بأنه رسول الله.

وقال في النصرى واليهود: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقال أبو طالب؛ عم الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معترفًا بأنه على حق، ولكن منعتة الحمية لدين قومه من أن يتبعه، ولهذا قال في شعره:

ولقد علمت بأن دين محمدٍ من خير أديان البرية ديناً

لولا الملامة أو حذار مسبة لرأيتني سمحاً بذاك مبيناً

فهو يعترف بقلبه أنه رسول الله، ومع هذا لم يدخل في الإسلام، وكان من أهل النار، ومات على الكفر - والعياذ بالله -، وهو من أهل النار كما أخبر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وكذلك من نطق بلسانه ولم يعتقد بقلبه؛ إن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ولكن لا يعتقد ذلك بقلبه؛ فهذا منافق، هو أشد من الكافر الأصلي، قال تعالى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (١) اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١-٢]، يقولون هذا الكلام من باب الاجتنان به والتوقي أن تُسفك دماؤهم وأموالهم، ويُعاملون معاملة الكفار، فهم لم يكونوا من المؤمنين بل كانوا منافقين؛ في الدرك الأسفل من النار، مسلمون في الظاهر ويُقبل منهم إسلامهم في الظاهر، وتُجرى عليهم الأحكام في الظاهر، لكن في الباطن هم كفار، فيُعاملون بحسب ما يظهر منهم وسريرتهم إلى الله - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

الشاهد من هذا أنه لا يكفي النطق باللسان دون اعتقاد القلب، وكذلك لا يكفي الاعتقاد بالقلب مع النطق باللسان عن العمل بالجوارح، فلا بد من العمل أيضًا إذا آمن بقلبه وصدق بلسانه فلا بد أن يعمل بما آمن به؛ وإلا كان متناقضًا، فالذي ينطق بالشهادتين بلسانه ويعتقد معناهما بقلبه؛ لكنه لا يعمل: ترك الأعمال، ترك الصلاة، ترك الزكاة، ترك جميع الأعمال؛ هذا ليس بمؤمن، لأنه لو كان مؤمنًا لعمل الأعمال الصالحة.

الله جَلَّ وَعَلَا يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٢) أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢-٤]،

قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٧١].

قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة» وفي رواية: «بضعة وستون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبةٌ من الإيمان» فاعتبر القول وهو: لا إله إلا الله من الإيمان، واعتبر العمل وهو إزالة الأذى عن الطريق من الإيمان، واعتبر عمل القلب وهو الحياء من الإيمان؛ فدل على أن الإيمان قولٌ واعتقادٌ وعملٌ، وأنه يزيد بالطاعة كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ [مريم: ٧٦]، ﴿وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [المدثر: ٣١]، فالإيمان يزيد وينقص، يزيد حتى يكمل أو يقرب من الكمال، وينقص حتى يكون مثال حبة خردل أو أقل من ذلك، وذلك أضعف الإيمان.

فدل على أن الإيمان يكون قويًا ويكون ضعيفًا، وأنه يكون بمنزلة الحبة من الخردل أو أقل من ذلك، والذي يزيد ينقص، وأيضا في قوله: وليس وراء ذلك من الإيمان مثقال حبة خردل؛ هذا دليل على أن الإيمان يضعف حتى يكون بقدر مثقال حبة الخردل.

المذيع: إذن من قال إن الإيمان هو مجرد التصديق، فقد حصر الحقيقة الشرعية إلى حقيقة لغوية

فقط.

الشيخ صالح: إي نعم، عنده الإيمان اللغوي فقط.

المذيع: كما لو قيل الصلوات الخمس يُعنى بها الدعاء فقط.

الشيخ صالح: هكذا نعم، والزكاة يُراد بها الطهارة، والصيام يُراد به الإمساك؛ مُطلق الإمساك عن

الحرام وعن الكلام.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (ومن هنا تعرف دخول الأعمال في مستحق الإيمان

حقيقة لا مجازاً).

الشيخ صالح: رَحِمَهُ اللهُ، لا يترك فرصة تمر إلا وينبه عليها؛ وإن لم تكن داخلة في صلب الموضوع

الذي يتكلم عنه، فهذه المسألة ليست من صلب موضوع اقتضاء الصراط، لكن يقتضي الحال أنه ينبّه عليها لأنها

مهمة جداً، فمسألة الإيمان ليست بالمسألة السهلة التي تُترك ويُقال فيها خلاف أو ما أشبه ذلك؛ لأن هذه هي

الدين.

(٣٨٩) كل من ترك شيئاً من الأعمال لم يكن كافراً ولا خارجاً

عن أصل الإيمان

المذيع: قال: (وإن لم يكن كل من ترك شيئاً من الأعمال كافراً ولا خارجاً عن أصل مسمى

الإيمان).

الشيخ صالح: نعم، الأعمال من حقيقة الإيمان؛ ولكن ليس معنى ذلك أن من ترك شيئاً من الأعمال يكون كافراً. من ترك العمل نهائياً فهذا كافر، إلا إذا كان معذوراً في تركه كأن يُسلم حديثاً ويُقتل أو يموت بدون أن يتمكن من العمل، فهذا مؤمن ويدخل الجنة، وكونه لم يعمل شيئاً؛ لأنه معذور، لم يتمكن من العمل.

أما من ترك بعض الأعمال، فهذا فيه تفصيل منها ما يكون كفراً ناقلاً من الملة كترك الصلاة كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ الْكُفْرِ وَالشِّرْكَ تَرْكُ الصَّلَاةِ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، وقال عليه الصلاة والسلام: «العهدُ الذي بيننا وبينهم الصلاة، مَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ»، في أدلة كثيرة من الكتاب والسنة على أن ترك الصلاة كفرٌ مُخْرَجٌ من الملة، ولو لم يحدد وجوبها.

ومن الأعمال ما يكون تركه نقصاً في الإيمان، وليس كفراً يُخرج من الملة؛ بل يكون كفراً أصغر، كما سبق أن الكفر إذا جاء معرفاً بالألف واللام يكون كفراً أكبر، وإذا جاء منكرًا يكون كفراً أصغر، فالأعمال تختلف: منها ما يزول الإيمان بزواله بالكلية، ومنها ما يزول كماله الواجب أو كماله المستحب، وهذا خلافاً للخوارج الذين يقولون: إنَّ الإيمان يزول بزوال الأعمال مطلقاً؛ فلذلك يكفرون بالكبائر التي دون الشرك، بناء على مذهبهم الباطل: أن الإيمان يزول بزوال الأعمال مطلقاً بدون تفصيل، والكتاب والسنة دل على التفصيل في الأعمال، وأن منها ما يكون كفراً مُخْرَجاً من الملة، ومنها ما يكون كفراً دون كفر؛ فينبغي الفقه في هذا الأمر، وهذا أمرٌ عظيم يجب التفقه فيه؛ لأن كثيراً من الناس وقع في الخطأ من جهله بالفقه في الدين والفقه في العقيدة والتبصر فيها، ودراسة منهج السلف الصالح والأئمة الذين طرقوا هذا الباب طرقاً وافياً وبينوه؛ لأنهم ابتلوا في وقتهم بهذه الفرق، فالله جَلَّ وَعَلَا أقدَرهم على بيان الحق وردِّ الباطل، فنحن نسير على منهجهم وعلى طريقتهم في ذلك.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (وكذلك اسم العقل ونحو ذلك من الأسماء، ولهذا

يسمِّي الله تعالى أصحاب هذه الأحوال: موتى، وعُميا، وصُما، وبُكْمًا، وضالين وجاهلين، ويصفهم بأنهم لا يعقلون ولا يسمعون، ويصف المؤمنين: بأولي الألباب وأولي النهى، وأنهم مهتدون وأن لهم نورًا وأنهم يسمعون ويعقلون).

الشيخ صالح: السمع والعقل والبصر، تنقسم هذه الحواس إلى قسمين:

- إلى عقل معيشي دنيوي، وسمع معيشي، وبصر معيشي؛ هذا يشترك فيه المؤمنون والكفار والادميون والبهائم، كلهم يشتركون في أنهم يعرفون الأشياء التي تنفعهم والتي تضرهم؛ فهذا عقل معيشي، كما يسمى.

- والنوع الثاني وهو المهم: النظر اليقيني والبصر اليقيني والعقل اليقيني التي تحمل صاحبها على لزوم الحق وترك الباطل؛ فهذا هو العاقل اليقيني والعقل النافع وهؤلاء هم أولو الألباب؛ أي: أصحاب العقول وهؤلاء هم الذين يسمعون سمع إجابة، وينظرون نظر اعتبار، ويتكلمون بكلام حق، هؤلاء هم أهل البصائر وأهل النهى وأهل العقول.

أما أولئك فإنهم يسمعون ويعقلون؛ ولكنهم لا يسمعون سماع قبول ولا يعقلون عقل قبول؛ وإنما يعقلون ويسمعون بحسب ما تسمع البهائم أو أقل من البهائم ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤]، ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنفال:

٥٥]، فهؤلاء هم أشر من البهائم وأحط من البهائم، هم يسمعون، لهم أسماع؛ حواس، يسمعون القرآن يسمعون الأحاديث؛ لكنهم لا يعقلونها، ولا يتدبرونها، وإنما مجرد سماع يمر على آذانهم مثلما تسمع البهائم، لكن البهائم غير مخاطبة وهم مخاطبون بهذا الكلام.

ولهذا وصف الله المنافقين بأنهم يحضرون عند النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وهو يخطب، يسمعون، فإذا خرجوا قالوا: ماذا قال أنفأ، ﴿وَمِنْهُمْ مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنفأ﴾ [محمد: ١٦]، يعني كأنهم ما سمعوه، وإن كانوا سمعوه سماع الصوت فقط إلا أنهم لم يتدبروه ولم يفقهوه.

(٣٩١) الناس قبل مبعث الرسول كانوا في حال جاهلية منسوبة

إلى الجهل

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (فإذا تبين ذلك فالناس قبل مبعث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كانوا في حال جاهلية منسوبة إلى الجهل، فإن ما كانوا عليه من الأقوال والأفعال إنما أحدثه لهم جاهل وإنما يفعله جاهل).

الشيخ صالح: نعم، كان الناس قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في جاهلية وضلال مبین، لأنهم فقدوا أنوار الرسالة، وكانوا في زمن فترة ما بين عيسى ومحمد -عليهما الصلاة والسلام-، وشاع فيها الكفر والضلال، وانقرض أهل الكتاب الذين كانوا على الحق ولم يبق إلا اليهود والنصارى الذين كانوا على الباطل والتحريف والتغيير؛ فكانوا في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء؛ ولهذا جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ عَرَبَهُمْ وَعَجَمَهُمْ فَمَقْتَهُمْ» يعني: يبغضهم «إِلَّا بَقَايَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ كَانُوا عَلَى الدِّينِ الصَّحِيحِ» وانقرضوا قبل البعثة» لكن ما بُعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي الأرض من هو على علم ومعرفة بالحق، فيه أصحاب الديانتين اليهودية والنصرانية؛ لكنها مُحرفة ومُبدلة ومُغَيَّرة، ما بقي على الدين الحق فيها أحد، فرحم الله أهل الأرض، فبعث إليهم محمداً رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالعلم والنور والهداية.

(٣٩٢) كل ما يخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية،

فهي جاهلية

المذيع: قال: (وكذلك كل ما يُخالف ما جاءت به المرسلون من يهودية ونصرانية، فهي جاهلية).

الشيخ صالح: كل ما خالف ما جاء به الرسل فهو جاهلية، ليس هذا خاصاً بمخالفة ما جاء به محمدٌ

-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-؛ فاليهود كانوا في جاهلية مع أنهم يهود ينتسبون إلى دين موسى -عليه السلام-، لكن ليسوا على دينه الحق، وإنما هم على دينه المُحرف والمُبدل والمُغَيَّر، والنصارى كذلك وأشد؛ لأنهم كانوا يقولون: المسيح ابن الله، الله ثالث ثلاثة، ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧]، مع أنهم أهل كتاب، هل هذا في الكتاب؟ هذا مما أحدثوه وغيَّروا به دين المسيح، فلم يبق دين المسيح الذين ينتسبون إليه وإنما بقي الاسم فقط؛ فهم في جاهلية، هم جاهليون -وإن كانوا يهوداً أو نصارى-.

٣٩٣ الجاهلية بعد مبعث الرسول قد تكون في شخص دون

شخص وفي مصر دون مصر

المذيع: قال: (وتلك كانت الجاهلية العامة فما بعد مبعث الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد

تكون في مصرٍ دون مصر كما هي في دار الكفار، وقد تكون في شخصٍ دون شخص كالرجل قبل أن يُسلم، فإنه في جاهلية وإن كان في دار إسلام).

الشيخ صالح: نعم الجاهلية تنقسم إلى قسمين:

- جاهليةٌ عامة، وهذه لم يبق عليها إلا الكفار الذين لم يؤمنوا بمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من اليهود والنصارى وغيرهم، فهم ما زالوا في جاهليتهم؛ لأنهم لم يقبلوا الحق.
- وأما المسلمون فإن الله أزال عنهم الجاهلية العامة. وقد تبقى جاهلية خاصة في بعض الأشخاص أو بعض القبائل، أو بعض البلدان، لكنها جاهلية خاصة ولا تقتضي إلى الكفر، فليس كل من

اتصف بصفة من صفات الجاهلية يكون كافرًا؛ ولا يزول بذلك إسلامه، لكن تبقى فيه خصلة من خصال الجاهلية حتى يدعها.

٣٩٤) في زمان مطلق، فلا جاهلية بعد مبعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ

المذيع: قال: (فأما في زمان مطلق فلا جاهلية بعد مبعث محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

الشيخ صالح: نعم، وهذا يغلط فيه بعض الكتّاب الغيورين الذين يتحمسون للإسلام، فيصفون

الناس اليوم أنهم ليسوا على دين وأنهم كلهم على جهل ولم يبق مسلم على وجه الأرض؛ فهذا من الجهل -في الحقيقة-، والله جَلَّ وَعَلَا، بعد بعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، محى الجاهلية بصفة العموم، وقد تبقى منها بعض الأشياء، لكن كون العالم كله يُوصف بأنه جاهلية، وبعضهم يقول: أشد من الجاهلية التي بُعث فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهذا غلط بلا شك.

٣٩٥) ما تزال من أمتة طائفةً ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة

المذيع: قال: (فإنه لا تزال من أمتة طائفةً ظاهرين على الحق إلى قيام الساعة).

الشيخ صالح: هذا يخالف قول الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأنه مع شدة الفتن وشدة الضلال وشدة

الانحرافات؛ إلا أن الله يُبقي هذا الدين ويُبقي له أهلاً، «لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى»، فدل على أنه لا تعود جاهلية عامة؛ وإنما تعود جاهلية خاصة.

المذيع: شيخ، هذا يأتي معنا دائماً: أنه صعوبة تحقيق التوازن بين الخير والشر في شخص أو في مجتمع، مثلما أشرت، يعني بعض الناس ينظر إلى غلبة المعاصي وكثرة الفساق يقول: الناس في جاهلية جهلاً، ومنهم من ينظر إلى بعض الخير وأعمال الخير والصالحين، يقول: الناس في خير مما سلف، مثل ما قاله أبو ذر، **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**، قال بعض الأشخاص قد يكون فيه علم وفضل لكن لا يمنع من خطئه، لكن إذا أخطأ لا نقول: **تُودِعُ** منه. تحقيق هذا التوازن مسألة صعبة جداً، ودنا أن يكون ختمنا بهذه الإشارة منكم.

الشيخ صالح: الخير موجود - والله الحمد-، بعد بعثة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالخير موجود ولا ينقطع ولن ينقطع إلى أن تقوم الساعة، الخير موجود، ولذلك لا يجوز أن نقول إن الخير فقد، وأن الناس كلهم عادوا إلى الجاهلية وتودع منهم.

وكون الإنسان يحصل منه أخطاء، ما دامت عقيدته سليمة لا يُشرك بالله شيئاً ولا يرتكب ناقضاً من نواقض الإسلام، ولكن عنده أخطاء في القول أو في العمل أو الاجتهادات الخاطئة؛ فهذا يُعطى حكم المخطئ، ولكن لا يُسلب الإيمان بالكُلية ولا يُعطى الإيمان المطلق؛ بل يُقال: هو مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته أو بمعصيته، فيجب الاعتدال في هذه الأمور.

ولكن الذي تشير إليه، ربما ما شاع بين الناس أنه لا يُرد على أهل الأخطاء، لأن لهم حسنات، نقول: لا، هذا غير صحيح.

المذيع: أو من رد فهو عدو.

الشيخ صالح: أو من رد عليهم فهو عدو لهم، نقول: لا، هذا ما هو بصحيح، نرد على بعض الأخطاء ولا نجحد ما عندهم من الفضل، ولكن ليس من حقنا أن نذهب ونعدد حسنات الناس، من حقنا نبين الخطأ لأجل أن يُجتنب، وأما الحسنات فهي لهم، وهم لا يُحبون أيضاً أن يُشهروا بحسناتهم، ولا يجوز أنهم يقصدون

التشهير بحسناتهم؛ لأنها بينهم وبين الله، وهذا لا يقتضي عداوتهم ولا منابذتهم وإنما هو من باب النصيحة لهم ولغيرهم، فالحق يُبين والخطأ يُرد، ولا يحدث هذا عدواة بين الراد والمردود عليه؛ بل ربما أن هذا يُوجب الارتباط والمحبة لأنه يعرف أنك تنصح له وأنت تَرده عن خطأ، أما إذا أصرَّ وعاند فهذا يكون من الجهل الذي سبق؛ الجهل المركَّب.

المذيع: أحسن الله إليكم وجزاكم خيراً.

وصلّى الله وسلم على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الدرس التاسع والأربعون

المذيع: بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أيها المستمعون الكرام؛ السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وحياكم الله إلى حلقة جديدة في برنامجكم

[اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم] لشيخ الإسلام / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، رَحِمَهُ اللهُ.

ضيف اللقاء صاحبُ الفضيلة الشيخ الدكتور / صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء،

وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

نُرحب في مطلع هذه الحلقة بفضيلة الشيخ؛ حياكم الله شيخ صالح.

الشيخ صالح: حياكم الله وبارك فيكم.

٣٩٦ الجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين

المذيع: قال المؤلف - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في ذكر بعض مُشابهة أصحاب الجحيم الواقعة في أحوال

المسلمين، قال: (والجاهلية المقيدة قد تقوم في بعض ديار المسلمين وفي كثيرٍ من الأشخاص المسلمين كما قال صَلَّى

اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربعٌ في أمتي من أمرِ الجاهلية»، وقال لأبي ذر: «إنك امرؤٌ فيك جاهلية»، ونحو ذلك).

الشيخ صالح: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ على نبينا محمد، وعلى

آله وأصحابه أجمعين.

من الطوائف التي نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن التشبه بها أهل الجاهلية، ويُراد بالجاهلية: ما قبل

الإسلام، قبل بعثة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الناس كانوا في جاهلية جهلة وضلالة عمياء، لُبعد الفترة بين

محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآخر أنبياء بني إسرائيل وهو عيسى عليه الصلاة والسلام، فقد بُعث صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على فترة من الرسل انقطعت فيه آثار الرسالات وغيّرت بقايا الأديان الصحيحة وسادت الوثنيات، وصار الناس في جاهلية، لأن العالم لا يصلح أن يعيش بدون الرسالات لأنهم إذا فقدوا الرسالات صاروا في جاهلية، تسلّط عليهم شياطين الإنس والجن، فلذلك رحم الله البشرية، فبعث محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليُخرج الناس من الظلمات إلى النور وليُنقذهم من الجاهلية.

والجاهلية على قسمين - كما ذكر الشيخ رحمه الله -:

👉 **جاهلية عامة:** وهي ما كان عليه أهل الجاهلية في جميع أمورهم، وهذه انتهت - والله الحمد - بظهور الإسلام وبعثة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبعثته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انتهت الجاهلية العامة، وجاء العلم والنور والهداية وسيبقى إلى يوم القيامة، كما أخبر بذلك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

👉 ولكن تبقى أنواع من الجاهلية في بعض المسلمين أو في بعض البلاد، وهذه **جاهلية جزئية** وليست جاهلية عامة، فلا يجوز أن يُقال: الناس اليوم في جاهلية؛ في جاهلية عامة، أو هم في جاهلية أسوأ من الجاهلية الأولى، على صفة العموم، فهذا أمرٌ لا يجوز وهذا معناه أن الإسلام لا وجود له، ولكن يُقال: الناس فيهم جاهلية، ولا يُقال: الناس في جاهلية، بل يُقال: الناس فيهم جاهلية؛ أي: في بعضهم، أو البلاد الفلانية فيها شيء من الجاهلية؛ وهذه الجاهلية جزئية وليست عامة كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أربع في أمي من أمور الجاهلية لا يدعونهن: الطعن في الأنساب، والفخر بالأحساب، والنياحة على الميت، والاستسقاء بالنجوم».

أنواع الجاهلية (٣٩٧)

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رَحِمَهُ اللهُ-: (فقوله في هذا الحديث: «ومبتغٍ في الإسلام سنة جاهلية» وكان قد سبق معنا الحديث، قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة» فيما رواه مسلم والبخاري «ملحدٌ في الحرم، ومبتغٍ في الإسلام سنة جاهلية، ومُطلبٌ دم امرئٍ بغير حقٍ ليريق دمه» قال شيخ الإسلام -رحمه الله- فقوله في هذا الحديث: «ومبتغٍ في الإسلام سنة جاهلية»، يندرج فيه كل جاهلية: مطلقة أو مقيدة، يهودية أو نصرانية أو مجوسية أو صابئة أو وثنية، أو مركبة من ذلك، أو منتزعة من بعض هذه الملل الجاهلية، فإنها جميعها مبتدعها ومنسوخها صارت جاهلية بمبعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

الشيخ صالح: نعم، فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من جملة الأمور التي لا يجوز إحياؤها ولا يجوز الرجوع إليها؛ الجاهلية: «مبتغٍ في الإسلام سنة جاهلية» فالذين يريدون العود إلى أمور الجاهلية ويفتخرون بذلك، ويقولون: إن هذا من التراث ومن الحضارة، هؤلاء يدخلون في هذا الحديث، الواجب ترك الجاهلية وتناسيها والاعتزاز بالإسلام وبما جاء به الإسلام، وهذا يشمل كل جاهلية سواء جاهلية الأميين أو جاهلية الأعاجم، أو جاهلية أهل الكتاب، كل جاهلية وما كان قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبعد الفترة من بعثة الرسل، فهو الجاهلية، يُراد بالجاهلية أهل الفترة ما بين عيسى ومحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الجاهلية عامة وهي كل ما كان قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ (٣٩٨)

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

المذيع: قال: (فإنها جميعها صارت جاهلية بمبعث محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإن كان لفظ الجاهلية لا يُقال غالباً إلا على حال العرب التي كانوا عليها، فإن المعنى واحد).

الشيخ صالح: كون عرف الناس يخصص الجاهلية بما كان عليه العرب فقط، هذا جزء من الجاهلية، الجاهلية عامة للعالم كله، العرب والعجم وجميع أهل الأرض قبل بعثة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

٣٩٩) أمر النبي الناس بعدم استعمال ماء أرض الحجر

المذيع: قال: (وفي الصحيحين عن نافع عن ابن عمر، أن الناس نزلوا مع رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على الحجر؛ أرض ثمود، فاستقوا من آبارها وعجنوا به العجين، فأمرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يريقوا ما استقوا، ويعلفوا الإبل العجين، وأمرهم أن يستقوا من البئر التي كانت تردها الناقة).

الشيخ صالح: نعم، ومن تجنب الجاهلية ما فعله النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في أرض الحجر، لما ذهبوا إلى غزوة تبوك ومروا بديار ثمود؛ وهي المسماة بالحجر، مروا بها وفيها آثارهم وديارهم العجيبة، وفيها الآبار، النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نهاهم عن استعمال مياه ثمود لما فيها من آثار الجاهلية وآثار الكفر، فالكفر يؤثر في الأرض -والعياذ بالله- وفي المياه، فمن تجنب الجاهلية؛ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يستعمل هذا الماء ونهى أصحابه عن استعماله حتى إنه أمر بأن يعلف العجين للدواب الذي عجن من ماء ثمود، تجنبا لآثار الجاهلية. ولم يرخص لهم إلا في بئر الناقة -التي تردها الناقة-؛ لأنها لا يتناولها آثار الجاهلية لأنها بئر نزيهة وليست من آبار ثمود.

المذيع: معناه أنها كانت معروفة البئر التي تردها الناقة؟

الشيخ صالح: إلى الآن معروفة، نعم.

المذيع: هناك مسائل يا شيخ في الحجر، يعني ممكن بعض الناس براءة يذهب يقول: أشوف

الآثار.

الشيخ صالح: السفر لأجل التفرج عليها لا يجوز؛ لأن هذا فيه تعظيم لها، وأما إذا مر الإنسان في

طريقه ولم يقصدها ولكن مر عليها في طريقه؛ فلا بأس أن ينظر فيها للاعتبار، قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ» فإذا كان الإنسان مارة بها من غير قصد وهو في طريقه؛ فلا مانع أن ينظر فيها للاعتبار والاتعاض.

أما أن ينظر فيها للتعظيم وأن هذه حضارة، وأن وأن...، وأنهم فعلوا، وهؤلاء أجدادنا وآباؤنا ويفتخر بهذا، فهذا افتخارٌ بالجاهلية، وهذا أمرٌ لا يجوز، ولا يجوز أنها تُطور وأن يُعتنى بها، وأنها تُجعل مزاراً من ضمن السياحة - كما يقولون - كل هذا من تعظيم أمور الجاهلية، ولا يجوز هذا العمل.

المذيع: هل هي زيادة خاصة أنها أيضاً أرض قومٍ مُهلكين، عصوا الله فعذبهم؟

الشيخ صالح: فيها عبرة ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢]، ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِينُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ

بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص: ٥٧]، فمحل عبرة؛ أما أنها تُعظم وأن تُفتخر بها، فهذا أمرٌ لا يجوز؛ لأنه من الافتخار في الجاهلية.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله-: (ورواه البخاري من حديث عبد الله بن دينار بن

عمر، أن رسول الله -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لما نزل الحجر في غزوة تبوك، أمرهم ألا يشربوا من بئرها ولا يستقوا منها، فقالوا: «قد عجننا منها واستقينا، فأمرهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يطرحوا ذلك العجين ويهريقوا ذلك الماء».)

الشيخ صالح: هذه رواية أخرى، في رواية أن أمرهم أن يُطعموها الدواب، وفي هذه الرواية أنه أمرهم أن يطرحوها، ولا تعارض بين الروایتين، فربما يكونون أنهم بعض ذلك أطمعوه الدواب، وبعضه أهرقوه.

والشاهد أنهم لا يستعملونه، الشاهد من كل هذا أنهم لا يجوز لهم أن يستعملوه.

(٤٠٠) نهي النبي عن الدخول على المعذبين في ثمود بشرط

المذيع: وفي حديث جابر، وهو في الصحيحين أيضًا، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه قال، لما مر بالحجر: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعْذَبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ فَلَا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ أَنْ يُصَيِّبَكُمْ مِثْلَ مَا أَصَابَهُمْ».

الشيخ صالح: نعم، هذا دليل على أنهم مقبورون في هذه البيوت وهذه المساكن؛ لأنه قال: «لَا تَدْخُلُوا عَلَى هَؤُلَاءِ الْمُعْذَبِينَ»، دل على أنهم مقبورون فيها، وأنهم يُعذبون فيها، ودل هذا الحديث على أنه لا يجوز الذهاب إليها من ناحية الاعجاب والافتخار بها، وإنما يُذهب إليها أو يدخلها من مر بها من أجل الاعتبار والاتعاظ فقط.

المذيع: شرط أن يكون باكيًا؟

الشيخ صالح: نعم، شرط أن يكون باكيًا ومعتبرًا.

(٤٠١) نهي الرسول عن الدخول إلى أماكن المعذبين إلا مع

البكاء

المذيع: (فنهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن الدخول إلى أماكن المعذبين إلا مع البكاء).

الشيخ صالح: نعم، فمن كان يدخلها من باب الاعتبار والاتعاظ والبكاء وتليين القلوب؛ الرسول

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أمر بزيارة القبور، قبور المسلمين وقبور المشركين، أمر بزيارتها للعبرة والاتعاظ، وقبور المسلمين أيضًا للسلام عليهم والدعاء لهم.

المذيع: قال: (إلا مع البكاء خشية أن يُصيب الداخل ما أصابهم).

الشيخ صالح: نعم، إذا أعجب بهم أو فرح بما هم عليه من الحضارة والتقدم - كما يقولون - فربما أنه

يُصيبه ما أصابهم، إما في جسمه وإما في قلبه - والعياذ بالله - بالزيغ والضلال.

المذيع: هذا في أهمية العلم الشرعي وطلبه يا شيخ؟ لأن من لا يعرف هذا الحديث يقع في هذا

الخطأ، أن يُصيبه ما أصاب ثمود.

الشيخ صالح: ما في شك أن الاعجاب بالكفار وبأعمال الكفار وما هم عليه، أنهم خطرٌ عظيم على

الإنسان، أن يُصاب في دينه وفي قلبه بالزيغ والضلال.

(٤٠٢) نهي النبي المسلمين عن الانتفاع بمياه ثمود

المذيع: قال: (ونهى عن الانتفاع بمياههم، حتى أمرهم مع حاجتهم في تلك الغزوة وهي أشد

غزوة كانت على المسلمين، أن يُعلفوا النواضح بعجين مائهم).

الشيخ صالح: نعم، هذا دليل على أنه لا يجوز الانتفاع بشيء من آثارهم وبقاياهم حتى الماء، والمعصية

تؤثر حتى في الأرض وفي المياه وفي الديار؛ فالإنسان يحد من هذا، وكانوا في حالة عطش؛ لأن غزوة تبوك هي

أشد الغزوات لأنها في الصيف وبعيدة المسافة، وكانوا بحاجة إلى الماء ومع هذا نهاهم أن يستعملوا مياه ثمود لأن عندهم ما يكفيهم - والله الحمد - وهي بئر الناقة، فيستقون منها حاجتهم.

(٤٠٣) حديث عليّ بشأن نهي النبي عن الصلاة في بابل

المذيع: قال: (وكذلك أيضًا روي عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه نهى عن الصلاة في أماكن العذاب، فروى أبو داود عن سليمان بن داود: أخبرنا ابن وهب، حدثنا ابن لهيعة، ويحيى ابن أزر، عن عمّار بن سعد المرادي، عن أبي صالح الغفاري، أن عليًّا رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، مرَّ ببابل وهو يسير، فجاءه المؤذن يؤذن بصلاة العصر، فلما برز منها أمر المؤذن فأقام الصلاة، فلما فرغ قال: **إِنَّ حَبِيَّ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - نَهَانِي أَنْ أُصَلِّيَ فِي الْمَقْبَرَةِ، وَنَهَانِي أَنْ أُصَلِّيَ فِي أَرْضِ بَابِلِ فَإِنَّهَا مَلْعُونَةٌ.**

الشيخ صالح: نعم، وهذا كما سبق أن المعاصي والكفر يؤثران في الأرض وفي التربة، وأن الإنسان يتجنب مواطن الكفرة ومساكنهم؛ لِئَلَّا يُصِيبَهُ مَا أَصَابَهُمْ، وَأَلَّا يُؤَدِّيَ الصَّلَاةَ فِي أَرْضِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَعْمُرُونَهَا وَيَسْكُونُونَهَا؛ لِأَنَّهَا بِلَادٌ مَأْثُومَةٌ وَبِلَادٌ مَلْعُونَةٌ - كَمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، أَي: مَعْلُونٌ أَهْلِهَا.

واللعنة تؤثر حتى في الجهادات وفي الأرض، فهذا دليل على أن المسلم يتجنب مآثر الجاهلية وأماكن الكفرة ويتبعدها؛ ولهذا نهى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عن الصلاة عند القبور؛ لأن هذا وسيلة إلى الشرك، وإن كان المصلي يقصد بذلك وجه الله عزَّ وجلَّ -، لكن صلاته عند القبور وسيلة إلى الشرك والتأثر بالأموات.

وكذلك في مواطن المُعَذِّبِينَ، وكذلك في أراضي الكفر التي كانوا يسكنونها ويعمرونها - كأرض بابل -، وبابل تقع في شمال العراق، وكانت للنمرود والكنعانيين الذين بُعث إليهم الخليل إبراهيم - عليه الصلاة والسلام -، فكان له معهم ما كان مما ذكره الله في القرآن، وفي النهاية هاجر إبراهيم - عليه السلام -، من أرضهم

إلى أرض الشام وإلى أرض الحجاز، فأرا بدينه منهم؛ فهم أمة عاتية وأمة كافرة يعبدون التماثيل، يعبدون الصور
المُجسّمة من دون الله -عزَّ وجلَّ-.

وهذا فيه دليلٌ على تجنّب مواطن الكفار -مهما أمكن الإنسان-، ولا سيما المواطن التي نزل فيها العذاب
والعياذ بالله-. فإذا كان هذا في الأراضي التي استوطنوها وسكنوها وأن المفروض من المسلم أن يتجنبها،
فكيف بالتشبه بهم في أفعالهم وأقوالهم، ولباسهم وعاداتهم وتقاليدهم؟ وأشد ذلك التشبه بهم في دينهم؛ فإن هذا
مما يؤكد أن المسلم لا يتشبه بالكفار.

المذيع: أحسن الله إليكم، قال -رحمه الله- (ورواه أيضا عن أحمد بن صالح: حدثنا ابن وهب،
أيضا أخبرني يحيى بن أزهر عن ابن لهيعة عن الحجاج بن شذاد عن أبي صالح الغفاري عن علي رضي الله عنه،
بمعناه ولفظه: "فلما خرج منها ما كان برز")

وكان الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله، في إسنادٍ أوضح من هذا، عن علي رضي الله عنه، نحوًا من هذا،
أنه كره الصلاة بأرض بابل أو أرض الخسف أو نحو ذلك).

الشيخ صالح: كل مواطن العذاب ومواطن الكفرة العتاة، المسلم يتجنبها لا سيما في العبادة، فلا
يصلّي فيها؛ لئلا يصيبه من آثامهم ومن آثارهم لأن المعاصي تؤثر حتى في البقاع.

هذه الأحاديث مخصصة لحديث: «جعلت لي الأرض مسجداً» (٤٠٤)

وطهوراً

المذيع: (وكره الإمام أحمد الصلاة في هذه الأمكنة، اتباعاً لعلي رضي الله عنه).

الشيخ صالح: نعم، الإمام أحمد أحد الأئمة الأربعة، كان يكره الصلاة في مواطن الكفار، اقتداءً بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب، الذي روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَجُنَّبُ هذه المواطن.

المذيع: (وقوله: "نهاني أن أصلي في أرض بابل فإنها ملعونة"، يقتضي ألا يُصلي في أرضٍ ملعونة).

الشيخ صالح: إي نعم، هذا تعليل عام، نهاه أن يُصلي في أرض بابل، لماذا؟ لأنها ملعونة، فدل على أن كل بقعة نزلت فيها اللعنة أنها تُتجنب ولا يُصلى فيها.

المذيع: يقال إن بابل حول الكوفة الآن يا شيخ في أدنى العراق؟

الشيخ صالح: في أرض العراق، هم في أرض العراق.

المذيع: إذن هذه الأحاديث مُحصصة لأحاديث: «جُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا»؟

الشيخ صالح: نعم، «جُعِلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا» إلا المواطن التي نُهي عن الصلاة فيها، ولا تعارض بين الأحاديث.

(٤٠٥) إذا كان النبي نهى عن الدخول إلى أرض العذاب،

فكذلك ينهى عن الصلاة فيها كذلك مسجد الضراد

المذيع: قال: (والحديث المشهور في الحجر يوافق هذا، فإنه إذا كان قد نهى عن الدخول إلى أرض

العذاب؛ دخل في ذلك الصلاة وغيرها).

الشيخ صالح: نعم، يوافق ما في أرض بابل، أرض بابل نهى عن الصلاة فيها، أرض الحجر لم ينه عن

الصلاة فيها، لكنه نهى عن الدخول، والدخول يشمل الصلاة فيها - من باب أولى -، فإذا دخلها ليُصلي فيها فهذا أشد.

المذيع: (ويوافق ذلك قوله **سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى**، عن مسجد الضرار: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]).

الشيخ صالح: كذلك، هذا شاهد قوي وشاهد واضح في أن آثار الكفر وارااضي الكفر لا يُصلي فيها، الخاصة

بالكفار، لا يُصلي فيها، فلما كانت نية أصحاب مسجد الضرار من المنافقين، من بنائه ليس وجه الله عز وجل، وإن كان ظاهره أنه لوجه الله، لكن بنوه للمُضارة بمسجد قباء، وبنوه لتجمع الكفار فيه ليكون مركزاً - كما نسميه الآن - لاجتماعهم وتخطيطهم ضد المسلمين، الله **جَلَّ وَعَلَا**، نهى نبيه أن يُصلي فيه،

فقال: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة: ١٠٨]، يعني: لا تصل فيه؛ لأنه كان وعدهم أن يُصلي فيه إذا قدم من

تبوك، فالله أسبق له النهي قبل أن يصل.

المذيع: أحسن الله إليكم شيخنا وجزاكم خيراً.

نستودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



CONTENTS

٢	الدرس الأول
١٣	الدرس الثاني.....
٢١	الدرس الثالث.....
٣١	الدرس الرابع.....
٤٢	الدرس الخامس.....
٥١	الدرس السادس.....
٦٣	الدرس السابع.....
٧٤	الدرس الثامن.....
٨٦	الدرس التاسع
٩٦	الدرس العاشر.....
١٠٨	الدرس الحادي عشر
١١٩	الدرس الثاني عشر
١٣٢	الدرس الثالث عشر
١٤٤	الدرس الرابع عشر
١٥٦	الدرس الخامس عشر
١٦٨	الدرس السادس عشر
١٧٨	الدرس السابع عشر
١٨٧	الدرس الثامن عشر
٢٠٠	الدرس التاسع عشر
٢١٢	الدرس العشرون.....
٢٢٣	الدرس الحادي والعشرون
٢٣٣	الدرس الثاني والعشرون
٢٤٥	الدرس الثالث والعشرون
٢٥٤	الدرس الرابع والعشرون
٢٦٦	الدرس الخامس والعشرون
٢٧٧	الدرس السادس والعشرون
٢٩٠	الدرس السابع والعشرون
٣٠٠	الدرس الثامن والعشرون
٣١١	الدرس التاسع والعشرون
٣٢١	الدرس الثلاثون
٣٣٣	الدرس الحادي والثلاثون.....
٣٤٤	الدرس الثاني والثلاثون
٣٥٦	الدرس الثالث والثلاثون.....
٣٦٦	الدرس الرابع والثلاثون.....
٣٧٨	الدرس الخامس والثلاثون.....
٣٨٩	الدرس السادس والثلاثون
٤٠٠	الدرس السابع والثلاثون.....

٤١٠	الدرس الثامن والثلاثون
٤٢٢	الدرس التاسع والثلاثون
٤٣٤	الدرس الأربعون
٤٥٥	الدرس الثاني والأربعون
٤٦٦	الدرس الثالث والأربعون
٤٧٨	الدرس الرابع والأربعون
٤٨٩	الدرس الخامس والأربعون
٤٩٨	الدرس السادس والأربعون
٥١٠	الدرس السابع والأربعون
٥٢٢	الدرس الثامن والأربعون
٥٣٦	الدرس التاسع والأربعون